المرجع في التربية الإسلامية

تأليف

إبراهيم محمد عطا

دار الكتاب للنشر

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذى جعل الكتاب هداية للبشر، وجند من عباده من يعطى للكلمة قدسيتها، وللمكتوب منها هيبتها، وللمعلومة منه أمانتها، وهيأ لمن لديه الرغبة فى الاجتهاد أن يجهر به ؛ إسهاما منه فى علم ينتفع به، يبتغى فيه وجه الله ورسوله، أملا منه فى أن يكتب له فى ميزان حسناته.

وبعـد

فهذا هو كتاب **"المرجع فى تدريس التربية الإسلامية"**، تم الاعتماد فيه على بحوث قام بها المؤلف، والكتاب السابق، طرق تدريس التربية الإسلامية بجزئيه الأول والثانى فضلا عن عملية التنقيح، والمراجعة، وإضافة ما تحتم إضافته، وتضمينه المستحدث والجديد.

وقد جاء هذا الكتاب فى تسعة فصول، تناولت الأبعاد الأساسية للمنهج الدراسى وهى: المعلم، والمتعلم، والمادة التعليمية، وإن كان الفصل الثامن قد طال كثيرا ؛ لأنه تناول فروع التربية الإسلامية، فجاء التطويل مناسبا، نظرا لطبيعة هذه الفروع . أما الفصل الأول فقد جاء محملا بالانفعالات التى صاحبت الكتابة فيه، من شدة الانتهاكات والحروب الكلامية والعسكرية التى نزلت وتنزل، دون رحمة، أو إنسانية على بعض البلدان الإسلامية، التى غلبها الضعف - إن لم يكن كلها - ويغار عليها الإنسان بحكم الانتماء لهذا الدين القيم الخالد، وبحكم الانتماء للإنسان فى شكله السوى، الذى لا يرضى بالإهانة، ولا يقبل الظلم . فالظلم يستعدى الصديق قبل العدو، استجابة لنداء الفطرة فى الإنسان، والواقع المشهود يؤيد ذلك.

وقد جنح هذا الكتاب إلى كثرة الاستشهاد بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وبعض المواقف الإسلامية، انطلاقا من طبيعة المادة العلمية من جهة، ومن جهة أخرى لزحزحة الاتجاه السائد فى الكتب التربوية، وهو غلبة الرجوع إلى آراء أخرى غير إسلامية، لا لتعصب ما، ولكن لتصحيح المسار، ورده إلى وضعه الطبيعى. ومن جهة

ثالثة فإن التربية لا تستورد خاصة وأن التربية الإسلامية فيها الغناء، كل الغناء والهداية كل الهداية. إذ هى مبعث كل فخر، وسبب كل تقدم. فخالق البشر هو أعلم بهم.

وستهدف هذا الكتاب ما يلى :

١ - الوقوف على طبيعة مادة طرق تدريس التربية الإسلامية، وأبعادها من خلال ما عرض فى هذا الكتاب.

٢ - بث الثقة فى مدرس التربية الإسلامية، من حيث قدرته على تحمل المسئولية فى مجال هو أوسع من أن تناله يد مدرس واحد. وبالتالى فإن مدرسى التربية الإسلامية كلهم هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها؛ لأن عملهم رسالة وليس وظيفة، وهم وحدة متكاملة من حيث الأداء والهدف.

٣ - الوعى بأن هذا المدرس، على أى مستوى، لا يمكن أن تناله ضغوط الاتفاقيات الثقافية، وما يتم وراءها من تفسيرات مختلفة، انطلاقا من أنه فى مواجهة مفتوحة مع تلاميذه، ينصح بما يشاء، ويوجه عما يشاء، بفهم ووعى وإدراك بما يدور حوله.

٤ - تشجيع المدرس على كثرة الاطلاع، وفتح منافذ المعرفة، واستغلال وسائل التقنية الحديثة فى مد التلاميذ بما يعينهم على فهم دينهم، ويقتل الشطحات المغرضة، التى تعرض بين الحين والحين، أمام البعض منهم.

٥ - ضبط عملية التوجيه لما يدور حول التلميذ، وترسيخ قيمة الاعتدال لديه، لا استجابة لما يراه البعض، ولكن استجابة لقول المولى جل وعلا ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة : ١٤٣) وهى تمثل طبيعة هذا الدين.

٦ - التعويل على مدرس التربية الإسلامية من خلال إعداده الجيد فى تلاشى نقص المادة التعليمية، سواء فى الكتاب المدرسى، أو فى ما يصل إلى عقل التلميذ من أفكار، تحتاج إلى تعديل، إذ التعديل العشوائى يؤدى إلى خلل فى الفهم.

وما من شك فى أن تدريس التربية الإسلامية فى حاجة إلى المزيد من الاجتهادات وتقديم الاقتراحات؛ لأن التربية الإسلامية تواجه تحديات متعددة، ليس على مستوى العملية التعليمية فقط؛ وإنما على المستوى العالمى. وهى حقيقة مؤكدة جاء بها القرآن الكريم ﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ (الزخرف : ٧٨) لأن الحق

مكروه فى كل زمان ومكان. وزيادة الخبرة - للطالب والمعلم - فى ميدان تدريس التربية الإسلامية ربما تساعد على التمسك بالحق، والدفاع دونه، وتخريج مجموعة من المؤهلين، مسلحة بأساليب الإقناع، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأعراف : ١٨١).

وما من شك فى أن طريقة التدريس الجيدة، ليست وصفة سحرية تغير اتجاهات الطلاب وميولهم دفعة واحدة، لكنها تحتاج إلى استمرار ومواصلة، وتعديل وتغيير بما يتمشى مع مستوى الطلاب، وقبولهم لها . والعبرة فيها بما يظهر على سلوك الطلاب ويبقى الصدق فى الأداء، والتنوع فى الطريقة، والقدرة على الإقناع، والبعد عن الانفعال - كلها إرهاصات تدل على النجاح، ومؤشرات على طريق التدريس الصحيح، فى التربية الإسلامية.

وقد اعتمد الكتاب أسلوب الحوار والمناقشة منطلقا لعملية التدريس؛ إذ بها تنمى الفكر، وتثرى الوجدان، وتقرب وجهات نظر الدارسين، فيما لا نص فيه، بهدف زيادة التقارب الفكرى، والاتصال الاجتماعى، مع التسليم بأن مطلب الاستقلال والتميز هدف مرغوب، تسعى التربية الإسلامية إليه.

ويطيب لى أن أقدم شكرى العميق للأخ الدكتور / عبد المقصود محمد طلبه، بهيئة الطاقة الذرية، على ما بذله من جهد ومتابعة لهذا الكتاب.

والله أسأل أن يكون هذا الكتاب لبنة فى ترسيخ العقيدة الإسلامية، وإسهاما فى تدريس التربية الإسلامية، وسدا لفراغ فى مكتبة التربية الإسلامية . والله الهادى إلى سبيل الرشاد. ﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٨٨ : هود).

المؤلف

المدينة المنورة فى ٢٠ ربيع الأخر ١٤٢٤هـ، ٢٠ من يونيو ٢٠٠٣م.

الفصل الأول
التحديات التى تواجه التربية الإسلامية

يستهدف هذا الفصل عرض بعض هذه التحديات بغرض استنفار همم الغيورين على دينهم من المعلمين والطلاب، وقدح زناد فكرهم، إزاء تلك التحديات؛ لأن الإنسان السوى يستجمع قواه البدنية والفكرية تجاه المخاطر التى تهدده، والصعوبات التى تقف أمامه، وهى متعددة ومتنوعة ومتشابكة، وسواء كان مصدرها الأوضاع العالمية المعاصرة، التى يسودها سطوة القوى، وكثرة الظلم، أو التقدم العلمى والتقنى المتسارع أو الوضع الحالى للعالم الإسلامى: ضعفا وتشتتا. ونقطة البداية فى مواجهة هذه التحديات هى "إرادة الصمود" التى هى المعيار الحقيقى، والفارق الجوهرى بين النصر والهزيمة. وفيما يلي عرض لتلك التحديات.

لا تزال دعوة الإسلام والتوحيد تكسب أرضا جديدة كل يوم، فى مختلف أرجاء المعمورة، حتى فى تلك البلاد التى يلقى الإسلام فيها حربا لا هوادة فيها، عبر وسائل إعلامها ومدارسها، ومجالسها النيابية وإدارتها... الأمر الذى دفع الرئيس الأمريكى السابق "بيل كلينتون" أن يصرح فى خطابه أمام الأمم المتحدة أن الإسلام أسرع الديانات انتشارا فى الولايات المتحدة وفى العالم. وتصل هذه الزيادة إلى ٢٣٥٪ فى الخمسين سنة الأخيرة مع ما يلصق به من عنف وإرهاب ، كما أنصف الإسلام وحضارته أيضا الأمير تشالرز ولى العهد البريطانى فى محاضرته الشهيرة فى اكسفورد عام ١٩٩٣م. وإزاء الوضع المتردى لأحوال المسلمين اليوم ظهرت بعض التحديات التى تواجه الإسلام والمسلمين.

ولعل الهجمات المضادة من الظواهر الصحية لأى مجتمع؛ لأن الظروف القاسية والشديدة تشكل ما يسمى بالتحدى، إذ أن المجتمع الذى يواجه ظروفا قاسية، يجمع قواه ليرد على هذا التحدى، وليستميت فى الدفاع عنه، وفى المحافظة على كيانه، فإذا ما نجح فى مواجهة التحدى، وتغلب عليه فإنه يمكن أن يؤدى إلى تحسين قواه الداخلية، وقدرته الخلاقة إلى درجة تؤدى إلى بعثه من جديد، والنهوض به إلى حيث يريد.

والتربية الإسلامية بحكم ما تمتلكه من معارف وأفكار ، ومبادئ وتوجهات ، تعطى للمؤمنين بها قوة الإرادة ، ورغبة التحدى ، حتى وإن بدت فى موقف الضعف أحيانا ،

إلا أن رصيدها القوى - على الأقل من الناحية الروحية - يعطيها المنعة والقوة من الوقوف من جديد أمام ما يدبر لها من حيل ومكائد.

ولعل من اكثر الخلفيات التى ينطلق منها هذا التحدى صراحة ، سواء من المسلمين إلى غيرهم ، أو العكس تلك الآيات الكريمات ؛ فضلا عن القرآن الكريم ككل - ما يلى :

١ - ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ (البقرة : ١٠٩).

٢ - ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ ﴾ (البقرة : ١٢٠).

٣ - ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ۚ ﴾ (المائدة : ٨٢).

٤ - ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران : ٧٣).

٥ - ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾ (آل عمران : ١١٠).

٦ - ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران : ١٣٩).

٧ - ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ ﴾ (الأنفال : ٦٠).

والمتأمل للحالة التى عليها المسلمون الآن يرى كثيراً من التحديات التى تواجههم وهى فى حقيقة أمرها تحديات للتربية الإسلامية ، لأنه لا فصل بين الإسلام كشريعة ، تحكمها المبادئ والقوانين والثوابت والمتغيرات من جهة وبين التربية الإسلامية كمنهج حياة ، وأسلوب إعاشة من جهة أخرى ؛ انطلاقا من أن الشريعة الإسلامية لم تأت إلا لمصلحة العباد.

ولعل السبب الرئيسى فى هذا التحدى - وهو المباراة فى فعل ما ، والنزاع فيه من أجل الغلبة - أو فى هذا الصراع - ويطلق مجازاً على النزاع بين قوتين معنويتين تحاول كل منهما أن تحل محل الأخرى ، كصراع بين رغبتين ، أو مبدأين ، أو وسيلتين ، أو هدفين - لعل هناك أسبابا كثيرة منها :

الجانب العقدى : والتاريخ يقول :

١ - بعد أن دخلت قوات الجنرال " أدموند اللنبى " القدس فى ١٩١٧/١٢/٠٩م من باب يافا ليتقبل استسلام الأتراك الذين تركوا وراءهم ٤٠٠سنة من الحكم ، ووضعت فلسطين تحت الاحتلال الإنجليزى - قال قولته المشهورة : الآن انتهت الحروب الصليبية.

٢ - ربما كان الدافع دينيا وراء قول الرئيس الأمريكى السابق " بيل كلينتون " سأمسك بندقية وأرتمى فى خندق ، وأموت دفاعا عن الدولة العبرية ، إذا ما تعرضت لهجوم من العراق أو إيران.

٣ - استخدام كلمة الحروب الصليبية وما أدت إليه لغة الإعلام الأمريكى بشكل خاص وزلات اللسان ، وهفوات عدد من السياسيين والمثقفين الغربيين عقب أحداث سبتمبر الشهيرة من إعادة الحديث عن العداء التاريخى فى الغرب فى العالم الإسلامى فى خطاب جورج بوش الرئيس الأمريكى ، ضد تنظيم القاعدة ، لكنه فسر تفسيرا يمكن أن يحمل دلالات أخرى. ويبدو أنه تعبير محمل بما فى القلب من كراهية للإسلام.

٤ - إعلان " سلفيو برلو سكونى " رئيس وزراء إيطاليا ، خلال لقائه بالمستشار الألمانى جيرهارد شرودر والرئيس الروسى فلاديمير بوتين فى أواخر سبتمبر ٢٠٠١م ، وفى مؤتمر صحفى بأن الحضارة الغربية خلافاً للحضارة الإسلامية ، تقوم على التسامح والتعددية وهى تتفوق فى ذلك على الحضارة الإسلامية.

ولعل من الإنصاف القول : إن هذه التحديات لا تقف عند السبب الدينى فقط ، بل إن لها أسبابا أخرى متعددة بعضها داخلى نابع من المسلمين أنفسهم ، والبعض الآخر خارجى وبفعل عوامل لا دخل للمسلمين فيها لكنه الأقل. وهذه التحديات يغلب عليها التداخل والتشابك ، ومن الصعب فيها وضع فاصل بين تحد وآخر. ويمكن تقسيم هذه التحديات إلى نوعين : نوع يرجع إلى المسلمين أنفسهم وهى كثيرة ، والنوع الثانى نابع من قوى خارجة عن المسلمين. وفيما يلى بيان لهذه التحديات.

أولا : التحديات الداخلية :

١- أمية المرأة:

يخطئ من يظن أن المرأة نصف المجتمع ، بل هى تتعدى ذلك بكثير ، إن لم يكن فى الكم فهو فى الكيف ، وهذا هو سر تفوق المعادلة لصالح المرأة ، فى كونها أكثر إسهاما فى

التربية من الرجل وأشد تأثيرا على آمال المجتمع وطموحاته ، الأمر الذى يمثل أمية المرأة تحديا للتربية الإسلامية ، وللتنمية بصفة عامة. ولعل مرد ذلك إلى ما يلى :

١ - أن المرأة الأمية - أمية كانت أو متعلمة - أكثر حماسا لتربية أبنائها وتعليمهم أكثر من الرجل.

٢ - أن المرأة المتعلمة تربى أبناءها على القيم ، كما تغذيهم لبناء البدن ؛ لأنها أكثر التصاقا بهم انطلاقا من الحديث الشريف : "من أحق الناس بحسن صحابتى يا رسول الله قال : أمك قال ثم من ؟ قال : أمك ، قال ثم من ؟ قال : أمك ، قال ثم من ؟ قال : أبوك" (البخارى : جـ ٥ ، ٢٢٢٧). وتعنى الصحبة - ضمن ما تعنى - الالتزام بما تلتزم به الأم بطريق مباشر ، أم غير مباشر.

٣ - أن ما عند الأم من فقه الأدب والعلم ينتقل أثره إلى أولادها ، وذويها ، والبيئة المحيطة بها فهى مصدر إشعاع لمن حولها : علماء وأدباء ، وخلقا ، وما فيه رضا الله ورسوله (ﷺ).

٤ - أن الأم تعود أبنائها على فعل الخير ، وتقدمه إلى الكل : أسرة ، أو مجتمعا. وصلاح البلاد والعباد ينمو ويزداد عن طريق ذلك.

٥ - أن بعض الأسر تهتم بتعليم الأولاد وتهمل تعليم البنات ، ومع أن أجر تعلمهن مضاعف فى الإسلام يقول (ﷺ) : "ثلاثة لهم أجران : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ، وأمن بمحمد (ﷺ) ، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل كانت له أمة فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها ، فتزوجها فله أجران".

٦ - أن نسبة الأمية فى النساء ٨٠٪ فى العالم الإسلامى ، فى الوقت الذى انعدمت فيه تلك الأمية فى كثير من بلدان العالم. ولعل السبب فى ذلك قلة المخصصات المالية للتعليم.

يقول التويجرى : أن تنفق الدول الإسلامية فى مجالات لا تغنى من جوع ، مثل مباريات كرة القدم ، وإحضار المدربين الأجانب ، ثم تخرج المنتخبات العربية والإسلامية من البطولات منهزمة ، أو شبه منهزمة ، أما الإنفاق على المنشآت العلمية ، والتقنية ، والبناء الحضارى - فيتم تقديم المبررات المسوغة لعدم إمكانية ذلك. مفيدا أن عدد الجامعات فى

الدول الإسلامية يصل إلى ٥٠٠ جامعة ، مقارنة مع اليابان ، التى يصل فيها عدد الجامعات إلى ٢٠٠٠ جامعة والنسبة المتخصصة للبحث العلمى هى ٠.٠٥ وهى دون المعدل الأدنى ، الذى هو واحد فى المائة ، فى مقابل النسبة التى ينفقها الكيان الصهيونى والتى تصل إلى أربعة فى المائة.

ويمكن القول: إن التعليم يهتم بشكل واضح فى دعم شخصية المرأة، ويمنحها الثقة بالنفس ويجعلها أكثر وعيا وإدراكا للأمور، وأكثر قدرة على الاختيار، وعلى الدفاع عن حقوقها ويساعدها على رفع مستواها الاقتصادى، والمساهمة بشكل أفضل فى عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية لبلدها، كما يجعلها أقدر على تنظيم أسرتها، والتحكم فى عدد المواليد، وفترات التباعد بينهم، وعلى تحسين تغذية أطفالها وصحتهم، وعلى رفع مستواهم التعليمى، وخفض معدلات تسربهم ورسوبهم، فضلا عن أنه يسهم فى تغيير مكانتها فى المجتمع، وتغيير نظرة الآخرين ، واتجاهاتهم نحوها.

والأحاديث التى تدل على اهتمام الإسلام بالبنت كثيرة منها: عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله (ﷺ): "من كان له ثلاث بنات، فصبر على لأوائهن - أى شدتهن - وضرائهن، أدخله الله الجنة برحمته إياهن، قال: فقال رجل: وابنتان يا رسول الله ؟ قال: وإن ابنتان، قال رجل: يا رسول الله وواحدة؛ قال: وواحدة" (رواه ابن ماجه وابن حبان).

ووجه التحدى فى ذلك أن تعليم البنت يتطلب إصرار عليه وتخطيطا للقضاء على أميتها وإن طال أمد تلك الخطة وتكلفتها؛ لأن العائد من تربيتها وتعليمها يدفع الجانب الاجتماعى والاقتصادى ، والدينى إلى المستوى المطلوب.

الأم مدرسة إذا أعددتها ∴ أعددت شعباً طيب الأعراق

وإذا كانت نسبة الأمية لدى الرجال فى العالم الإسلامى تمثل حوالى ٣٥ ٪ - فإن ذلك لا يعنى الرضا بهذه النسبة؛ لأن أمية الرجال وأمية النساء كفيلة بتحقيق التخلف والاحتفاظ بالمستوى المتدنى للعالم العربى والإسلامى. من هنا فإن الأمية للرجال والنساء تمثلا عائقا للتنمية البشرية ، وللتربية الإسلامية.

٢ – الاستعمار التربوى:

يقصد بالاستعمار التربوى تلك الأفكار الوافدة ، وما يتبعها من تحول فى المفاهيم والقيم والآداب ، والمعايير ، والتقاليد ، بحيث أصبحت تمثل نمطا ثقافيا للفرد ، بعيدا عن الثقافة العربية والإسلامية ، إلى حد نبذ الأخيرة ، وتمثل الوافدة ، والإقبال على ممارستها.

وهذه الأفكار الوافدة لها عدة مظاهر - إن صح القول - أبرزها ما يلى :

الأول: المبعوثون إلى الخارج وهم يمثلون خسارة تربوية ، ببعديها : المد والجذر ، فى حالة تضاؤل قيم مجتمعهم الأصلى ، بالنسبة للقيم فى الوطن الجديد. وخسارة مادية وعلمية بالنسبة للوطن الأم. ويكفى أن الدول العربية تخسر سنويا ١.٥ مليار دولار ، لو أنفقت على التعليم المحلى لتحسن حال التربية.

الثانى: تعليم البنات فى المدارس الأجنبية، ومع أن لهذه المدارس جوانب لا تنكر فى طريقة العرض، وفى جاذبية المناهج، وفى متابعة الطالب، وإدارة العملية التعليمية، إلى جانب تنمية المتعلم ثقافيا ولغويا، وتجعله يفكر بطريقة منظمة، لكن فى إطار ما تريد هى - إلا أن ذلك ينتفى إذا تعلق الأمر بالإسلام، أو الحضارة العربية.

وهناك بعض الآراء لبعض المتعصبين الأجانب ، بخصوص المدارس الأجنبية منها : إن القضاء على الإسلام يبدأ من هذه المدارس التى تستهدف صياغة المرأة المسلمة على النمط الغربى التى تختفى فيه كلمة الحرام والحياء والفضيلة. ويقول آخر : إن أقصر طريق لذلك هو اجتذاب الفتاة المسلمة إلى مدارسهم بكل الوسائل الممكنة ؛ لأنها هى التى تتولى عنهم مهمة تحويل المجتمع الإسلامى ، وسلخة من مقومات دينه. فالبالية يقدم على أنه من الثقافة والرقص ثقافة والنحت ثقافة ، والجنس أيضاً ثقافة.

ولعل من مظاهر الاستعمار التربوى ما يلى :

- التدريس باللغة الأجنبية فى المناهج الدراسية تجعل المتعلم يشعر بأنها هى لغة العلم والحضارة والتحديث ، وتصبح قالبا للخبرة العلمية.
- التاريخ الذى يدرس ليس هو تاريخ الإسلام ، وإنما هو تاريخ القومية التى تتبعها المدرسة فى هذا ترسيخ لمفهوم الشعوبية والقومية.

- وهذه المدارس تضمن لمن يتخرج منها وظيفة مرموقة ، فى شركة من الشركات الأجنبية ، براتب مرتفع ؛ لتزداد العلاقة بالمجتمع تصرماً وانقطاعاً.
- تمييع قضية الولاء ، وتفتيته بين ولاءات شتى كل حسب مشربه. فالذى تعلم فى المدارس الفرنسية ، تجد عموم ولائه لفرنسا ، ومن تعلم فى مدارس أمريكية تجد أن أحلامه أمريكية وهكذا. وفى هذا إذهاب لريح الأمة ، وتبديد لطاقاتها ، بل استثمارها فيما يعود عليها بالضرر.

الثالث: الطبقة الغنية وهى التى تستطيع دفع مصاريف هذه المدارس ، وهى عالية جداً والاعتماد عليها فيما بعد لتسهيل عمل هذه المدارس ؛ لأنهم الأقرب من امتلاك زمام الأمور سياسياً واقتصادياً وفكرياً فى المستقبل.

وليس بالضرورة أن يكون كل من تعلم تعليما أجنبياً مجنداً لترويج أفكار ما ، أو اتجاه ما ، وإنما يكفى أن يتقبل البعض منهم ذلك ؛ إذ ليست العبرة بالكم وإنما بمن يقوم بمهمة ما تخدم مصالح من جنده. والاختراق بهذه الصورة مضمون ويحقق الهدف منه ، ما دامت هذه المدارس صاغت أخلاق تلاميذها ، وكونت أذواقهم. والأهم أنها علمتهم اللغات الأوروبية - وهى مقبولة ، بل ومطلوبة - التى جعلتهم قادرين على الاتصال المباشر بالفكر الأوروبى فصاروا مستعدين للتأثر بالمؤثرات ، التى احتكوا بها أيام الطفولة.

وإحقاقا للحق فإن أغلب المتفوقين علميا ليس من هذه المدارس ؛ وإنما من المدارس الحكومية ، الأمر الذى يؤكد أن التعليم الوطنى تعليم ناجح إلى حد كبير: وطنيا وعلميا. وجماعة عبدة الشياطين - وأغلبهم من المدارس الأجنبية - خير دليل على اختراق البعد القيمى للمجتمع.

٣ـ قلة الاهتمام بالثقافة العربية الإسلامية:

الثقافة هى مجموع العادات ، والأوضاع الاجتماعية ، والآثار الفكرية ، والأساليب الفنية الأدبية والطرق العلمية والتقنية ، وأنماط التفكير ، والإحساس ، والقيم الذائعة فى مجتمع معين أو هى طريقة حياة الناس ، وكل ما يملكونه ، ويتداولونه اجتماعياً لا بيلوجياً.

وليس المقصود هنا نقل الثقافة العربية الإسلامية ، فذلك موجود فى بطون الكتب ؛ وإنما المقصود أن يكون هناك تقويم ناقد لها ؛ لكى تدخل إلى ثقافة العصر بمضامينها ، وجوانبه الفكرية والإنتاجية والإبداعية ، كما أنه ليس المطلوب توحيد الحقائق والمعطيات ؛

وإنما المطلوب توحيد التوجهات والمستويات وليس المطلوب توحيد المقررات والموضوعات، وإنما المطلوب توحيد القيم ، وانساق التفكير.

وقد يبدو واقع الثقافة العربية الإسلامية ، ممثلا فى أن " صوته أعلى من فعله، وجزره أقوى من مده. وقبليته أقوى من مواطنته، وقوميته رهينة فطريته، وعروبته أسيرة تبعيته".

ولعله من المتوقع أن يكون المردود من الاهتمام بالثقافة العربية والإسلامية - " تكوين كتلة بشرية ، منسقة ، ومتناغمة من أفكار الوطن العربى، قادرة - بحكم حجمها وقدرتها - على التفاعل الندى ، وعلى التفاوض والمساومة والضغط، وعلى الطاقة الإنتاجية، وعلى الحفاظ على مصالح تلك الكتلة، وعلى تنمية هويتها ، وخصوصيتها فى محيط الكوننة والكوكبة والعولمة ، مما تفرضه مصالح دول الشمال".

ويبدو مما سبق أن الاهتمام بالثقافة العربية الإسلامية؛ إنما يمثل خط الدفاع الأول ضد فكرة " الإنسان الكونى " أى الإنسان الذى لا يشعر بأى انتماء خاص لدين ، أو لوطن أو لعقيدة ، أو لقضية.

وحين يكون إنسان " العالم الإسلامى " أو الإنسان الشرق أوسطى بهذه الحالة - فإنه سيكون نهباً. وعبداً لكل ما يطلب منه ، انطلاقاً من إضعاف الجانب الإسلامى ، كحصن من حصون الدفاع ، أو المواجهة ، وتأكيداً لسيطرة الفكر التربوى الوافد ، والسائد فى بلاد الإسلام والمسلمين.

وتمشياً مع الاتجاه الذى يؤكد على إضعاف الثقافة العربية الإسلامية يتم الترويج لبعض المفاهيم البراقة مثل: " ثقافة التسامح " ، " وثقافة السلام " ، التى بمقتضاها يتم استبعاد الآيات الكريمات والأحاديث النبوية التى تحض على القتال؛ لرد البغى والظلم ، والآيات التى تدعو إلى إعداد القوة ، والتى تستهدف التخويف والردع ، لا الهيمنة أو السيطرة ، وأيضا مثل مفهوم " قيمة الحياة " لاستبعاد تشريع سماوى أساسى فى حياة المسلمين وهو الجهاد ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ (الحج : ٧٨) لإقامة دين الله وشرعه ، والتنفيس عن الطاقة فيه ، لتحقيق العدل فى الأرض. عن سهل بن حنيف - رضى الله عنه - أن رسول الله (ﷺ) قال: "من سأل " الله تعالى " الشهادة بصدق ، بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشة" (رواه مسلم والأربعة).

ويلاحظ أن الاتجاهات المشبوهة ضد الثقافة الإسلامية؛ تستهدف ثوابت هذه الثقافة الأمر الذى يقابل بعين الشك والحذر ، من قبل كثير من المسلمين ، مهما داخلها من إخفاء وتمويه. وكما يقال: الحق أبلج والباطل لجلج.

لقد كانت الهجمة الفكرية والثقافية هو أخطر ما تعرض له العالم الإسلامى ، حيث استطاعت الدوائر الاستعمارية أن تعرض فكرها وثقافتها على أجيال الأمة ، وفق أساليب منهجية مدروسة ، ونجحت فى ذلك إلى حد كبير ، بحيث أن روح التحرر التى كانت تظهر فى الأقاليم الإسلامية ، كانت لا تخرج عن دائرة الأفكار الغربية ، فقد استطاع الغرب أن يستبدل الشعور الإسلامى العام بالمشاعر الوطنية والقومية والعرقية المحدودة ونتيجة لذلك أصبحت الثقافة السائدة فى المجتمعات الإسلامية ثقافة أجنبية.

وإذا كان الصراع بين الحق والباطل ليس له تبديل ، ولا تحويل ، ولن يقف عند نهاية هذا الطور ، الذى نواجهه الآن - فإن الحرب التى تشن على أمتنا الإسلامية ؛ لأنها الوحيدة - على النطاق العالمى - العصية والمستعصية على الانصياع للتغريب ، والقبول بالحداثة الغربية والعلمانية الغربية ؛ اعتصاما بخصوصياتها الإسلامية ، واستمساكاً بمنهج الإسلام ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟** ﴾ (البقرة: ٢١٧).

إن الغرب يصنع ثقافته التى يعيش بها ، ومن خلالها حياته ، وهى ثقافة تستجيب لفلسفته وحاجة عصره ، وتمتد بقوتها الطبيعية فى أرجاء العالم ، وتجد لها طلبا واستهلاكا فى كل مكان... تماما كالثقافة العربية فى عصور الازدهار الحضارى للإسلام ، كانت ثقافته متسعة تتمدد فى كل الأرجاء. إن الإسلام كدين وثقافة لم يقف فى مده ضد الثقافات الأهلية للبلاد التى دخلت فى حوزته ما دامت تسير فى فلك التعليم والمبادئ التى جاء بها ، وما علينا الآن إلا أن نصنع تلك الثقافة.

٤ ـ زيادة حب الدنيا:

ورد فى معنى الدنيا معان كثيرة منها : كل ما تتلذذ به نفسك فهو دنياك. وكل ما بعد الموت يسمى الآخرة. ومنها : كل مالك فيه حظ قبل الموت فهو دنياك ، إلا ما يبقى معك بعد الموت وفسر البعض هذا الحظ وتلك اللذة بأنها : الدينار والدرهم ، وفسر البعض الآخر بأنه المطعم والمشرب والملبس والمسكن ، وقيل غير ذلك أيضا. وقال أهل السلوك : الدنيا ما شغلك عن الله تعالى. وقال عليه السلام : الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له.

وتزخر الحياة المعاصرة بكثير من ألوان المغريات ، التى قد يضعف أمامها الكثيرون من الناس ، وليس من المسلمين فقط ، يحاولون امتلاكها ، أو اقتناءها أو الوصول إليها ، بهدف تحقيق المتعة منها ، بغض النظر عن حلها أو حرمتها ، ويساعد على ذلك الترغيب

فيها من وسائل الإعلام المختلفة ، التى تخاطب المشاعر بشتى أساليب الإغراء ، والتى قد تتضاءل أمامها أساليب التربية الإسلامية ، بحيث إن عمليات الفرز أو الاستبعاد لاختيار الحلال منها ، وما يفيد الإنسان تربويا - توقع المسلم فى حيص بيص.

وقد نبه الرسول (ﷺ) إلى خطورة حب الدنيا، وزيادة الإقبال عليها بشكل غير متوازن مع الآخرة فقال: "توشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال: بلى. أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة، وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن. قال قائل: يا رسول الله ، وما الوهن ؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت".

والإسلام لا يحارب الدنيا ، ولا يجعل بينها وبين المسلم عداءًا بدليل أن الغنى الشاكر فى الإسلام أفضل من الفقير الصابر ، وأن المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف على أى مستوى من مستويات القوة: صحة ، ومالا ، وعلماً ، وأدباً ، وخلقاً... الخ وأن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأعراف: ٣١) بل إن الله - تعالى - دعا عباده إلى الاستمتاع بالدنيا على شرط أن يكون ذلك حسنا ، وفى إطار الشرع ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ (هود: ٣).

ومعنى ذلك أن التوجه إلى الدنيا مطلوب، كما أن التوجه إلى الآخرة مطلوب ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ (القصص: ٧٧) ولكن التوجه إلى الدنيا فى صورتها المطلوبة مشروط بشرطين:

الأول: أن يتغيا المسلم بما يقوم به فى هذه الدنيا وجه الله. وبهذا يزيد رصيده فى الآخرة.

الثانى: أن تتراجع الدنيا ومطالبها ، إذا حدث ما يستوجب التضحية بها ، كما فى الدفاع عن الأرض والعرض، والدين، والمال، والنفس. وعدم القيام بذلك دليل على وصمة عار وشدة حب للدنيا. وما حروب المبادئ والقيم النبيلة إلا دليل على تفاهة هذه الدنيا. "لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء". صدق رسول الله (ﷺ) فهى تبيد وتفنى.

إن الذين تغلغل الإيمان فى قلوبهم ، ووعوا قيمة الدنيا ، وأدركوا وضعها فى ميزان المسلم تتراجع أمامهم مغريات الحياة ، وتهون عليهم مطالبها ؛ لأن مهر الجنة غال ، ومن أراد أن يصل إليها فليغلب جانب العقل ، ويسيطر على شهوات النفس ، أما حب الدنيا بدون توازن فهو المدخل الحقيقى لأن يفقد الإنسان كرامته ومشاعره الطيبة.

ومعنى هذا أنه لكى يحقق الإسلام كرامته ، ويسترد اعتباره ، لابد أن يكف المسلمون عن مسابقة الغرب فى الحرص على متاع الحياة الدنيا الزائف ، والمتمثل فى السلع الاستهلاكية التى لا طائل تحتها.

٥ ـ زيادة الاتجاه إلى التبعية:

تعنى التبعية انقياد الفرد أو الدولة لسلطة خارجية ، أملتها قوة مستمرة منذ زمن بعيد أو قريب ، وتنامت تلك القوة فى غياب الحضارة ، التى أخفق المسلمون فى تقديمها أو الإسهام فيها للإنسان المعاصر ، بينما الآخرون يقدمون إنجازاتهم العلمية ، فى مختلف مناشط الحياة ؛ مما أكسبهم تعاطف العدو والصديق كما أخفق التغنى بالأمجاد الحضارية الماضية للمسلمين لدرجة أن البعض اعتبر هذا التغنى بمثابة اجترار للماضى وجهد ضائع لا فائدة منه ؛ لأن زمن الأحلام ولى ، وحل محله زمن العمل العلمى الجاد ، الذى يثرى الحضارة المعاصرة. وقد تجلت تلك التبعية فى أشكال متعددة ، منها: التبعية فى أنظمة التعليم ، والبرامج التربوية كاملة من الدول الغربية. متناسين كعلماء نفس ، أو اجتماع ، أو كتربويين ، أن ما قد يصلح لبيئة ما ، قد نبت فيها ، ربما لا يصلح لبيئة أخرى ليس من طينتها... وباتت حضارتنا كلها مترجمة: من سياسية واجتماع ، وأنظمة حكم ، وأخلاق وكذا المظهر واللباس ، وعلى مستوى الأفكار ، والتصورات. ومن أهم ما ذكر التشبه بالغرب فى اللباس والأخلاق ، والفكر العلمانى والأخذ برأى الأغلبية فى مسائل حسمتها الشريعة ، وتمييع الأحكام الشرعية ، وإيراد الأقوال الشاذة ، والشبهات عليها ؛ وساعد على ذلك كثرة القنوات الفضائية ، بما تملك من إمكانات ، وما تخفى وراءها من توجهات ، وما تخطط من برامج هادفة ، أغلبها هدام بطبيعة الحال ، تؤصل جانب التبعية ، وتخفى ما يمكن إخفاءه من عوامل الاستقلال والتميز.

ووجه التحدى فى تلك التبعية أن هذا المعنى حاضر غائب فى الشريعة الإسلامية " لا يكن أحدكم إمعة. يقول: إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساؤا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس تحسنوا ، وإن أساؤا أن تجتنبوا إساءتهم ".

وهذا الاستقلال يفرض على الفرد أو الدولة تنظيم سلوكها ، وفقا لمرجعية ثابتة ، خاصة بها ، وتطبيقها فى حياتها ، بإراداتها الحرة بمعزل عن الدوافع الحسية ، أو النفعية المؤقتة. وهنا يكمن التحدى.

عن عطاء بن يسار ، عن أبى سعيد قال: قال رسول الله (ﷺ) "لتتبعن سنن من قبلكم ، شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم. قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى ! قال: فمن ؟" {البخارى: أحاديث الأنبياء ٦/٤٩٥(٣٤٥٦)}.

والحق يقال: إن التبعية ستظل موجودة ما دام التعليم الوطنى غائبا ، وما دام توجيهه وتطويره يتم بأيد أجنبية ؛ لأن التعليم الذى لا ينتمى لوطنه ، ولا يكون قادراً للتصدى لمشاكله ، ومعالجتها وفق تقنية تناسب طبيعته - هو تعليم مستورد ، لا يمكن أن يدخل فى نسيج الوطنية والانتفاع به انتفاع مؤقت. ويتطلب هذا الاستعانة بالطاقات العلمية الموجودة التى أثبت وجودها على المستوى المحلى والعالمى ، وضرب الإغراءات التى تشجعهم على البقاء بعيدا عن الوطن " فقد هاجر ٤٥٠ ألف مصرى من حملة المؤهلات العليا من الماجستير والدكتوراه ، برز منهم ٦٠٠ فى تخصصات نادرة جداً... كما غادرها ١٠ آلاف مبرمج إلى الدول الغربية ، خلال السنوات الماضية ، ٣ آلاف منهم ذهبوا إلى أوروبا ، فى الوقت الذى يعانى فيه السوق المصرى من نقص المبرمجين. وللعلم فإن مصر تتكلف ١٠٠ ألف دولار لإعداد الفرد الواحد من الهاربين ، وأن المبعوث للحصول على الدكتوراه فى الطب الإكلينيكى يكلف الدولة ٧٥٠ ألف جنيه.

وبلغ عدد الموفدين السوريين للخارج من جامعة دمشق وحدها ٣٣٢ طالباً عام ١٩٩٨م عاد منهم لسوريا بعد انتهاء دراستهم ١٨ طالباً فقط. وغادر العراق بين عامى ١٩٩١م - ١٩٩٨م أكثر من ٧٣٥٠ عالماً ، تلقفتهم دول أوروبية وكندا ، وأمريكا.

وإن التبعية تعمل لسيادة الثقافة الغربية ، مما يمثل عملية هدم ضخمة للثقافة العربية ، وهى تشجع على انتشار ثقافة معادية للدين ، وقيم المجتمع ، وبما تحمله من نماذج أجنبية تزعزع البنى النفسية ، والتنظيمات المادية للجماعات الأهلية ، إلى جانب أن تعدد الثقافات فى الحيز الاجتماعى الواحد، ما بين محلية وأجنبية قديمة وحديثة ، دينية وعلمانية - إنما هو أمر يعرض التجانس الثقافى القومى للخطر ، وتخلق صراعات شتى ، تعصف بوحدة الأمة ، وتذهب بتلاحمها الوطنى.

٦ـ عدم الالتزام بالشريعة الإسلامية:

يغلب على المسلمين عدم الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية فى معظم مناشط الحياة إن لم تكن كلها ، سواء فى السياسة ، أو فى الاقتصاد ، أو فى الاجتماع ، بل وباعدوا بينهم وبين الأخذ بالعلم ، مع أنه - دون سواه - مبعث كل تقدم ، وأداة كل نهضة ، وسر كل تفوق واعتبروه مظهراً شكلياً ، سواء على مستوى الأفراد - والقليل منهم يأخذه مأخذ الجد - وكذا على مستوى الدولة ، فى الوقت الذى أصبح فيه مسئولية من مسئولياتها، من حيث الأولوية والتخطيط والإنفاق والتشجيع. والتطبيق. وإذا كانت الأفراد أو الشعوب تكتسب قيمتها من حيث شخصيتها ، وتميزها عن غيرها - فإن الشخصية الإسلامية كانت أولى بالاهتمام من قبل المسلمين والتمسك بكل الملامح الجميلة التى تميز هذا الكيان المسلم. ولو تمسك المسلمون بإسلامهم لكان لهم كيان يحترمه القوى والضعيف ، ولفرضوا أنفسهم على من حولهم ، لكنهم ابتعدوا - قليلاً أو كثيراً - عن هذا الكيان المميز ، الأمر الذى جعل صورتهم باهته وليست واضحة.

لقد أظهرت الأحداث " ظاهرة غياب ولاية الأمر العلمية العامة. وهى موجودة منذ أن افترق السلطان والقرآن فى أكثر بلدان المسلمين. وغياب الولاية العلمية ، لا يعنى بالطبع غياب أفرادها أنفسهم فهم موجودون ،لم يخل منهم زمان؛ لقول الصادق المصدوق (ﷺ) : "سألت ربى ألا يجمع أمتى على ضلالة فأعطانيها ". فالأمة لا تجمع على ضلالة لوجود أهل العلم بالحق فيها ، خاصة إذا كان الالتزام منهم مبنيا على منهج السلف الصالح ، دون التفات عنه ، أو التفات عليه؛ انسياقا وراء أوهام التقارب مع الفرق الضالة. فمرجعية الإسلام ميزان. ولا يصلح الوزن إذا اختلت الموازين.

وقد فطن إلى هذا التحدى الخليفة الثانى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وذلك فى وصيته لسعد بن أبى وقاص حين أمره على حرب العراق ، فقال:

يا سعد سعد بنى وهيب ، لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله (ﷺ) وصاحب رسول الله (ﷺ) فإنه الله لا يمحو السيئ بالسيئ ، ولكنه يمحو السيئ بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته. فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عند الله بالطاعة. فانظر الأمر ، الذى رأيت النبى (ﷺ) منذ أن بعث إلى أن فارقنا - فالزمه؛ فإنه الأمر. هذه عظتى. إياك إن

تركتها ، ورغبت عنها حبط عملك ، وكنت من الخاسرين (تاريخ الطبرى ٤ : ٨٤ ، والكامل لابن الأثير ٢ : ٢٢).

والحماية كل الحماية ، والضمان كل الضمان لمسيرة المسلمين فى حياتهم فى الآخذ بما قاله المصطفى (ﷺ) " تركت فيكم ما إن تمسكتم به ، لن تضلوا بعدى : كتاب الله وسنتى" وما قال المولى فى كتابه الكريم : ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف : ٣) والالتزام بالشريعة الإسلامية من قبل الكثرة على الأقل - مظهراً ومخبراً ، وسراً وعلانية - يهئ النشء لتربية سليمة ، ويفتح أمامهم الفرص لمعرفة جوهر هذا الدين ، وسر عظمته ، الأمر الذى يمكن أن يجعل منهم جنداً محصنين ضد غزوات التغريب وآفات المدسوسين على الإسلام وأهله.

والفهم الصحيح للإسلام يقتضى معرفته ، والوقوف على أصوله الثابتة ، من منابعه الأولى القرآن الكريم والسنة النبوية.أما التوجهات التى تفسر تلك المنابع حسب أهدافها ، وخدمة مصالحها فإن ضررها أكثر من نفعها ، "فالحلال بين الحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات ، لا يعلمهن كثير من الناس. فمن اتقى الشبهات ، فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام ، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب" (رواه البخارى ومسلم).

وتشير عبارة " وبينهما أمور مشتبهات " إلى أن هناك قصوراً وعجزاً من شريحة كبيرة من المسلمين فى فهم ما التبس عليهم من أمور دينهم ؛ بسبب غياب الاجتهاد المطلوب ، الأمر الذى يولد الفرقة والانقسام بينهم ، لكنهم إذا التزموا بحدود الله فإن رحمة الله تشملهم " عن أبى ثعلبة الخشنى - رضي الله عنه - عن رسول الله (ﷺ)قال : "إن الله عز وجل فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء - رحمة لكم غير نسيان - فلا تبحثوا عنها" (رواه الدارقطنى).

ويمكن القول : إن الإسلام هو دين الله الفطرى ، البسيط الواضح ، الذى يتسم باليسر لا بالعسر ، وبالرفق لا بالعنف. يقول (ﷺ) : "إن الرفق لا يكون فى شئ إلا زانه ولا ينزع من شئ إلا شانه" (رواه مسلم ٢٥٩٤) وهو السهل لا الصعب. قال (ﷺ) :

"رحم الله عبدا : سمحاً إذا باع ، سمحاً إذا اشترى {سمحاً إذا قضى} سمحاً إذا اقتضى" (رواه الترمذى).

ونحن المسلمين - ضعفاء هذا العصر ، تآلبت علينا الدول ، وتكالب علينا الأعداء وصرنا فريسة للمتصارعين ، ونهباً مباحاً لأكلة الحقوق. أهنا أنفسنا فهنا على القريب والبعيد ، وكان الأولى أن يكون ذلك مدعاة للوحدة ، وسبباً للتكتل والتجمع ، ولكن ما زال الحال هو الحال فأصبح الوضع تدنيا فى المستوى ، وفقيراً فى المواجهة ، وغيابا عن الساحة العالمية ، وغموضاً فى الفهم الصحيح للإسلام ، وأضحى المسلمون جماعات شتى لا يجمعهم إلا الاسم ، مع أن الحق واضح.

تفكك المسلمون بسبب خلافاتهم فى فهم الإسلام ، ووصل الأمر إلى أن كفر بعضهم بعضا وتباعدوا فيما بينهم بدلاً من التقارب ، ومال البعض منهم إلى تصديق خصومهم ، ولم يفطنوا إلى ما يدبر لهم ، وانشغلوا بأمور ثانوية. مثل : تقصير الثوب أو تطويله ، أو وضع اليد اليمنى على اليسرى أو العكس ساعة الصلاة ، وأصبح المسلمون شيعاً وأحزاباً ، بددوا طاقاتهم فيما بينهم ، ونموا الخلافات بينهم لصالح عدوهم ، ونسوا المآسى التى يعيشونها الآن وذكى العدو ذلك ، وكأن التاريخ لم يكن.

ومن هنا فإن البعض يرى أن " لا مصلحة لنا فى تصوير النزاع تصويرا دينياً ، كأنما هو صراع بين الإسلام والمسلمين من جهة والغربيين المسيحيين والعلمانيين من جهة ثانية. فالغرب وبعض المسلمين أن يكون كذلك فلنهتم بقراءة تجربتنا الإسلامية الحديثة والمعاصرة ، ونضع أمامنا قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ (النور : ٦٣).

ثانيا : تحديات خارجية :

وهى التى تخيلها الأعداء ، وربما شارك فيها المسلمون فأصبحت تحديات خارج نطاق القوة الإسلامية : وتتمثل هذه التحديات فيما يلى :

١ـ ادعاء عداوة كاذبة.

صنعت أمريكا لنفسها عدوا جديدا بديلا عن الاتحاد السوفيتي بعد سقوطه ، وهو الإسلام ، وضمت إلى ذلك الأنظمة الإسلامية غير الديمقراطية ، تحت دعاوى الخوف من الأصولية الإسلامية وقرنتها بالإرهاب ، وساعد على هذه الإدعاء الصراع بين اليهود والمسلمين ، فعد المسلمون العدو الجديد.

وقد يرجع هذا الادعاء لواحد من الأسباب الآتية، أو لها كلها مجتمعة. وهي :

أ - أن القوى الكبرى الواعية تحب أن تكون في حالة استنفار دائم للقوى العاملة فيها بحيث تحتفظ لنفسها بالقوة، وتتخيل أن هناك عدوا يجب الاستعداد له، والعمل على مواجهته في شتى الميادين وإلا استكانت تلك القوى إلى الرفاهية، والانغماس في بحبوحة العيش.

ب - أن أمريكا - كقوة - ربما فهمت المعنى الحقيقى للآية الكريمة ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (الأنفال: ٦٠). فليس يكفى أن تكون القوة لعدو ظاهر ومعروف؛ وإنما القوة يجب الحرص عليها؛ لظهور عداوة مفاجئة، لم تكن في الحسبان والسبيل لذلك هو الحفاظ على قوة الردع والترهيب.وسند تلك القوة هو الإنفاق في كل ما يدعمها: مالاً، علماً، سلاحاً... الخ وهناك مقولة رومانية تقول: إن كنت تريد السلام فكن مستعدا للحرب.

جـ - أن هناك تخوفاً من تصالح الحكومات والأنظمة العربية والإسلامية مع الحركات الإسلامية، التى أصبحت تمثل القلب النابض للأمة الإسلامية، والقاعدة العريضة لها بما تحمله من فكر إسلامى، يتبنى الإسلام ويعمل له، يضحى من أجله، ويتفانى فى خدمة الأمة، وهي تمثل طاقة كبيرة، إذا أضيفت إلى طاقة الحكومات والأمر الذى يمكن أن يشكل قوة كبرى، تستطيع - بفضل الله - أن تواجه التحديات، ومخططات الأعداء.

د - أن الشعوب العربية والإسلامية لديها البترول، الموارد الطبيعية، التى تحتاج إليها أمريكا والغرب بشدة. ومعنى هذا أن تلك الشعوب تمثل هدفا للمصالح والمطامع والتى تعمل القوى الكبرى على استغلالها ، والسيطرة عليها، وبالتالى فهى تختلق الأعذار وتفتعل الأزمات؛ لتبرر عدوانها، وتحقيق مطامعها.

ووجه التحدى فى ذلك أن على المسلمين تفنيد تلك الإدعاءات من خلال المجهودات الفردية والجماعية، وضرورة تنمية الثقة بين المسلمين بعضهم البعض بحيث تستغل الإمكانات والموارد لصالح تلك الشعوب أولا، ودراسة المتغيرات المعاندة، وتحويلها - قدر الإمكان - إلى متغيرات مساعدة، ومحاولة التماسك؛ امتثالاً لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

لقد عانت صورة الإسلام والمسلمين طويلا من التقديم المشوه، والمبالغ فى التأكيد على الحالات الفردية الاستثنائية، والنادرة، وإلصاقها بالإسلام فى وسائل الاتصال الجماهيرى الغربية، ومن ثم العالمية بحيث أصبح الإسلام ومعتقداته، والمسلمون ومجتمعاتهم عرضة لكل أنواع القدح والنقد الجارح؛ مما ولد شعورا عند الكثير من الشعوب، حتى غير الغربية بأن هناك خللاً ما، فى الإسلام والمسلمين. ومؤخراً أصبحت تعاليم القرآن الكريم ذاتها محرضة على العنف والكراهية، فى تصور هذه الوسائل الإعلامية. والغريب أن الإسلام وحده هو المستهدف دون سواه.

٢ ـ إثارة الأزمات السياسية:

يذهب بعض الكتاب إلى أن التعليم الإسلامى فى الغرب يمكن أن يسبب أزمات سياسية بسبب تطرفه ، ونظرته للغرب ، وتأصيله للارتباط العرقى بين المتعلمين ، وأوطانهم الأصلية ووصلت إلى الحد الذى طالب بعض الكتاب بالحد من انتشار المدارس الإسلامية ، وبالتدخل العاجل فى مناهج ومقررات المدارس الإسلامية ، وتقنين اختيار المدرسين والمشرفين على هذه المدارس للحد من ظواهر تصدير الإرهاب ، وتجفيف منابعه.

وذهب بعض المفكرين الغربيين أمثال "أنتونى هاريكى" إلى أن المسلمين لا يتوافقون مع إيقاع الحياة الغربية. فحاجاتهم تسبب تعطيلا للحياة الغربية ، فهم يريدون أماكن خاصة للعبادة ، وأطعمة خاصة ، وألبسه معينة ، حتى إنهم يتمايزون فى المقابر؛ لذلك لابد من التخلص منهم ، والتضييق عليهم ﴿ **وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ (آل عمران: ١١٨).

ولعله من المعروف أن هناك عموميات ثقافية ، وخصوصيات ثقافية لأى شعب أو مجموعة من الناس. وهذه الأخيرة مقبولة ، ويتم التعاون معها بصورة ما ، أما إذا كانت خاصة بفئة أو مجموعة تخالف السكان الأصليين - فإن البعض ينظر إليها على أنها معوقة للحياة وتحمل المجتمع أكثر مما يحتمل. وبعد الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م ذهب الأمريكان إلى تخليص المجتمعات الإسلامية من كل العوامل التى توفر تربه خصبة لنمو "الإرهاب" - من وجهة نظرهم - وكان التركيز على الوضع التربوى، وضرورة تعديل المناهج التعليمية ، بما يحول الإسلام إلى دين سلام ومحبة على طريقة الأمريكان. فهم يريدون إسلاما حسب تصورهم ووفق ما يناسب منفعتهم.

ويبدو أن ثمة محاولة من قبل البعض فى النظام العالمى للقضاء على الإسلام ، وقد وصف البعض هذا الاتجاه بأنه حرب صليبية ، تحت دعوى صدام الحضارات ، مع أن الحقيقة أن الأصل هو تكامل الحضارات ، حتى وإن قل إسهام المسلمين الآن فى تلك الحضارة. ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ (الحجرات: ١٣).

٣ ـ رغبة التسلط والهيمنة:

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝ ﴾ (العلق: ٦ ، ٧) ربما ما يسرى على الفرد يسرى على المجتمع. والقوة العلمية والاقتصادية التى تتميز بها أمريكا اليوم هى التى تعطيها السند لكل عمل تحب أن تقوم به ، لا تعمل حسابا لغيرها ، ولا حساباً لحقوق الأفراد أو الدول. ولعل هذا شأن الدول و الإمبراطوريات الكبيرة على مر التاريخ. يجرى ذلك خاصة بعد أحداث ٢٠٠١/٠٩/١١م فقد تحولت القوة الأمريكية إلى البطش بالمسلمين فى كل مكان متهمة إياهم بأنهم إرهابيون ، سواء أكانوا من مواطنيها ، أم من خارج بلادهم ، بل إنها تسعى للهيمنة على العالم العربى والإسلامى ، وإضعاف المنطقة والسيطرة على ثرواتها ، ولن تتردد فى تقسيمها فى حال ما إذا وجدت ذلك مناسبا لمصالحها.

والذين يقرون بهذا التحدى يرون أن الغرب فى الوقت الراهن ليس ملتزماً بالنصرانية كمنهج فعلى للحياة بل إن أغلب الغرب علمانى ، يؤمن بالحرية الدينية فى المجتمع لجميع الأقوام ، ولا أدل على ذلك خلو الصراع من مضامينه الدينية فى الغالب ، فى الوقت الراهن من أن أوروبا وأمريكا المسيحيتين تمثلان الملجأين الرئيسيين للمسلمين الهاربين بدينهم ؛ لدرجة أنهم يقيمون شعائرهم الدينية ، دون مضايقة.

وبناء على ذلك فإن التحدى الوارد الآن هو تحدى مصالح ، وأطماع ، بغض النظر عن شرعيته الدينية أو الشرعية الدولية. والرد المناسب لذلك هو الوقوف أمام تلك الأطماع بشتى الوسائل على أن تستمد الثقة فى هذا الرد من التعاليم الإسلامية ، التى لا تقر الظلم ، ولا العدوان على الآخرين ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٤) فقد فصلنا الإسلام عن الحياة ، وحرمناه من أداء دوره كنعمة للناس أجمعين. فالدين المعاملة.

ويكفى أن الولايات المتحدة هى دولة ذات نزعة استيطانية حربية منذ قيامها. فهى الدولة الوحيدة التى استعملت قنبلة لإزالة ٣٠٠ ألف إنسان فى ثوان معدودة فى اليابان.

والخطر يشمل الكل ؛ مما يتطلب الوقوف صفاً واحداً إزاء هذا الطغيان ، الذى لا يخضعه إلا قوة الردع ، والرد المناسب.

إن المسلمين هم الذين جنوا على أنفسهم ، حين تركوا العمل ، وتكاسلوا فى درس العلوم والفنون ، التى خلفها لهم أسلافهم ، وأهملوا مزاولة الصناعة فى العصور الحاضرة ، حتى صاروا عالة على الغرب فى كل شئ ، ولم يكن الإسلام هو الذى أمرهم بالتقاعد عن واجباتهم الدينية والدنيوية ، حتى أعطوا الغرب مسوغا لأن يرموا الإسلام بالجمود والتأخر. وهو منهم برئ.

ثالثاً : ركائز أساسية فى مواجهة أى تحد :

من يتأمل الإسلام يجد فيه التوجيه السديد لحل أى مشكلة يمكن أن تواجه أهله ، إذا فهموا دينهم على وجهه الصحيح. ومشكلة القوة الغاشمة ، التى يمكن أن يتكئ عليها خصوم الإسلام وأعداؤه ، يمكن التصدى لها بما يلى :

١ – فك حالة الخصام بيننا وبين القراءة.

ليس صدفة أن تكون أول آيه نزلت فى القرآن الكريم ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ (العلق : ١) إلا لأن فيها الخير كله سلماً وحرباً ، ضعفاً وقوة ، صحة ومرضاً ، نفعاً وضراً ، عزاً وذلاً ، حياة وموتاً ، علماً وأدباً ، فناً وثقافة ، ديناً ودنيا. وإذا كان القرار السليم أساسه المعلومة الصحيحة ، فإنه يصبح عدماً فى غياب القراءة الواعية ، ومن هنا فإن التصالح مع القراءة ، وعدم هجرها ضرورة حتمية. والتمكن من أنشطها المختلفة : جهرية وصامتة وسطحية ومتعمقة ، سريعة وبطيئة ، فاهمة ومتذوقة ، خاطفة ومحللة - أمر بما يمليه الدين وموقف المسلمين تجاه المستحدثات العصرية ، التعامل معها بمهارة ، بما يخدم كل هدف منها.

وليست صدفة أن تكون أول آية نزلت فى القرآن الكريم " اقرأ " إذ تستبعد جانب الأمية ، بل إن القضاء عليها ليس محل خلاف ، ووجودها نقطة ضعف ، بل ووصمة عار فى جبين أمة نزل فيها القرآن الكريم. وإذا كانت" نسبة الأمية فى الذكور تصل إلى ٦٠.٥٪ فى أرياف العالم الإسلامى ، وفى الوسط النسوى٨٠٪ " فإننا لا نفاجأ بتأخر التنمية وقصور الوعى بمجريات الأحداث ، وبها باتت الأمية تعوق المجتمعات الإسلامية عن التطور ومسايرة الركب الحضارى ، وليست المقصود هنا الأمية الأبجدية فحسب ؛ وإنما الأمية السائدة فى كل مناشط الحياة : دينية ، علمية ، ثقافية... الخ.

٢ـ نصرة دين الله:

وضع المولى سبحانه قانوناً نقتل به أى تحد ، وننهى به كل صراع ، وهو نصرة دين الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ (محمد : ٧) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴾ (الحج : ٣٨).

والنداء يخاطب المؤمنين بالله ورسوله أن ينصروا دين الله ورسوله ، ويدافعوا عنه ، بعد أن يطبقوه على أنفسهم ، فإن فعلوا ذلك كانت مؤازرتهم ، معاونتهم ، وتثبيت أقدامهم فى ميدان المعركة ، بحول الله وقوته ، وهى أمور لا تخضع لقانون بشرى ، أو منطق وضعى ، أو حسابات مادية.

ووجه التحدى فى هذه الآية أن قيام المؤمنين بنصرة دين الله ورسول محل شك ، يدل عليه التعبير بإن ، التى تدل على معنى الشك لأنهم إن لم يفعلوا ذلك وتكاسلوا ، ولم يؤدوا حق الإيمان ، كان البديل لذلك تحويل النصر والغلبة لمن أخذ بأسباب القوة ، تطبيقاً للآية الكريمة ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: ١٤٠) ؛ لأن الإيمان السلبى إيمان ناقص ، ولا يستحق المعونة من الله. ودفاع الله خاص للمؤمنين المخلصين.

وهـذه النصرة من المؤمنين لدين الله مطلوبة من كل مسلم ، كل حسب طاقته بالمال بالعلم ، بالنفس ، بالدعاء ، بحيث يشعر الكل أنهم أسهموا فى تحقيق النصر لدين الله. عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - سمعت رسول الله (ﷺ) - وهو على المنبر يقول: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل " (٨/ ٦٠) ألا إن القوة الرمى ، ألا إن القوة الرمى ، ألا إن القوة الرمى" (رواه مسلم وغيره). والرمى هو إصابة الهدف فى كل منشط من مناشط الحياة بمهارة عالية.

إن الإسلام دين الحياة. ومن لم يأخذ بشرعه فلا حياة له ، وهو دين القوة ، ومن لم يأخذ بأسبابها فمصيره الضعف والهوان وهو دين العزة ، من لم يصر عليها ، اعتمادا على الله فليس له إلا المذلة و الضياع. وهو القرآن ، ومن أعرض عنه فحياته ضيق وضنك ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴾ (طه: ١٢٤ – ١٢٦).

ومن هنا فإن اهتمام المسلمين بالقرآن الكريم من حيث المضمون ينبغى أن يكون مثل الاهتمام به من حيث الشكل. وهى مظاهر متعددة: تلاوة: فى البيت ، وفى المدرسة

وفى السيارة ، وفى الطريق من الطفل والرجل والمرأة ، ومن الأجهزة المختلفة ، وكذلك حفظا وتسميعاً ، وكذلك حفظاً فى الألواح ، والمصاحف ، الإطارات الفنية التى تجمل بالخطوط المختلفة. أما الاهتمام به من حيث المضمون فهو فهمه ، ثم العمل بما جاء فيه. والدليل على ذلك أن صحابة رسول الله (ﷺ) كانوا يتلونه أكثر من مرة ، حتى يثبت وبعد الحفظ والإتقان ، كان كل حافظ ينشر ما حفظ ، ويعلمه للأولاد والصبيان.

وإذا كان حفظ القرآن الكريم وبقاؤه تكفل الله به ، كما ذكر ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩) - فإن العمل به مسئولية كل مسلم ؛ لصالحه ولصالح مجتمعه والخير كل الخير فى الاهتمام به شكلاً وموضوعاً.

٣ - التمكن فى الأرض مرهون بطاعة الله ورسوله.

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (الحج : ٤٠ ، ٤١).

أكدت أساليب التوكيد المتعددة فى الآيتين الكريمتين ضمان استمرار النصر للمؤمنين وتمكينهم فى الأرض.

وهذا التمكين ليس حقاً واجباً على الله ؛ وإنما هو منة من الله ، ومنحة منه ، لأن دين الله ليس محلاً للأخذ به ، والتمسك بشريعته لفترة ما ؛ لتحقيق هدف ما ، ثم التحلل منه وإنما هو منهج حياة ، ويجب الحفاظ عليه ، والاستمرار فى التعامل به مع الحياة ، فإذا تغير هذا الالتزام وأصابه التغير ، كان التغير المتوقع ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال : ٥٣).

ووجه التحدى هنا على مستوى الفرد والجماعة المسلمة هو حمل النفس على الالتزام بدين الله ويدعم هذا المعنى قول المصطفى(ﷺ) : رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا يا رسول الله : وما الجهاد الأكبر ؟ قال (ﷺ) : جهاد النفس. قال ذلك رسول الله (ﷺ) لأصحابه بعد إحدى غزواته. وقول المولى سبحانه : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف : ٩٦).

ويتطلب هذا التمكين تحكيم مبادئ الدين وتعاليمه فى حياتنا العامة والخاصة ، واستمرار مراجعة ما يجرى فى حياتنا ، وتقويمه وفق معايير الدين الثابتة ، وقيمه العليا ،

لأن الحياة خارج نطاق الشرع لن تكون نهايتها إلا خسارة المجتمع ، وفقدان استقلاله وتميزه.

٤ – الإخبارات الإسلامية المشبعة بروح التفاؤل:

مهما مر ، ويمر على المسلمين من مواقف عصيبة ، لا يمكن أن تغلب اليأس على الأمل والفشل على النجاح ، والإحباط على الانبساط - فإن المؤمن الحقيقى لا يعرف اليأس ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (يوسف: ٨٧). ومن هذه الإخبارات قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم: ٤٧) ، ومنها أيضا ما ثبت فى الصحيح ، أن رسول الله (ﷺ) قال: إن الله زوى لى الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها " وهو وعد إلهى مشروط بالإيمان. ومنها ما رواه تميم الدارى قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: "ليبلغن هذا الأمر (يعنى أمر الإسلام) ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر ، إلا أدخله الله هذا الدين ، بعز عزيز ، أو بذل ذليل ، عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر" (رواه أحمد فى مسنده). ومنها ما رواه ابن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: " تقاتلكم اليهود ، فتسلطون عليهم ، ثم يقول الحجر: يا مسلم ، هذا يهودى ورائى فاقتله" (متفق عليه).

وهذه الإخبارا ت بالنصر تستهدف العمل للقاء العدو ، والاستعداد لمواجهته. فهى لا تعفى المسلمين من تحمل المسئولية ، ولا تطلب منهم الركون إلى الراحة اعتمادا على وعد الله فقط ، كما تستهدف تحويل هذا الأمل والتفاؤل إلى واقع حياتى يراه المسلمون رأى العين. فالنصر والرزق لابد لهما من العمل والحركة لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ، ويقول: اللهم ارزقنى فإن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة. ونصر السماء لا يأتى إلا لمن يستحقه.

رابعاً : وبعد:

فما سبق عرضه بإيجاز من التحديات يمكن الخروج منه بما يلى:

١ - كثرة انتشار الإسلام فى العالم ، مقارنا بالملل والديانات الأخرى سببه طبيعته الذاتية واعتماده على الحق ، بالرغم من تضاؤل عملية الإعلان عنه أو التبشير به.

٢ - أن صدمة أحداث ٢٠٠١/٠٩/١١م عجلت بما يكنه القادة الأمريكيون إزاء الإسلام والمسلمين بإعلانها حرباً صليبية. ومهما تجاوزوا ذلك بالاعتذار عنه؛ لتجنب

استعداء الدول الإسلامية - فلن يغير مما بدر منهم فى شئ ؛ لأن المواقف التاريخية السابقة تثبت صحة ما بدر من هؤلاء القادة. وكما يقولون : إن سلوك الإنسان مثل بصمة اليد غير قابل للتغيير. وسلوكيات القادة الغربيين تبدو من هذا النوع.

٣ - أن الأصل فى معاملة المسلمين لغيرهم هو السلم ، أما الحرب فهو أمر طارئ ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (الأنفال : ٦١) وليس طلب السلم لعجز ؛ وإنما لأن هناك أموراً أخرى تعوض القوة وهى الإيمان بالله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (الحج : ٣٨).

٤ - أن الآيات التى تصدرت هذا الفصل لا تفسر على ظاهرها ؛ وإنما تفسر فى ضوء الآيات الأخرى المماثلة لها ؛ لأن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا. وعليه فإن ما يفهم من هذه الآيات محمل على الآية الكريمة ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (الممتحنة : ٨ ، ٩). فمن تعامل مع المسلمين بالعدل ، فعليهم الالتزام بذلك مع غيرهم.

٥ - أن معظم التحديات التى تواجه التربية الإسلامية إنما هى من فعل المسلمين أنفسهم. وعليهم وحدهم مسئولية التغلب على هذه التحديات ، إذا رغبوا فى ذلك.

٦ - أن التحديات الخارجية تسقط من تلقاء نفسها ، إذا ما تنامت القوة الإسلامية ؛ لأن توازن القوى تجبر الخصم على مراجعة حساباته ، قبل الإقدام على عمل ما. وفى غياب القوة تفتح شهية الأطماع والتوسع ، وتداس المبادئ والقوانين. وأول التوازن وإعداد القوة : الثبات ، وذكر الله ، وطاعة الله ورسوله ، والوحدة ، الصبر ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (الأنفال : ٤٥ ، ٤٦). ويقول (ﷺ) "لا تتمنوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاثبتوا ، واكثروا ذكر الله".

٧ - أن التحدى ظاهرة صحية للضعف ، حيث الوقفة مع النفس ، والمراجعة لما تم ، والإفادة من الدروس السابقة ، انطلاقاً من الحديث الشريف : " لا يلدغ المؤمن من

جحر مرتين والمؤمن كيس فطن " نظراً لأن المفترض فيه ذلك. وبغير ذلك له مسمى آخر.

٨ - أن وقف الجهاد، تنفيذا لطلب الأعداء من المصائب الكبرى، التى أصابت ثقافة الأمة فى الوقت الراهن، وعطلت ما يخيف الأعداء، وما يلقى الرعب فى قلوبهم. وهذا يتطلب إكساب الطلاب مهارات الدفاع عن النفس، وتهيئتهم لمناخ الحروب، وتعريفهم بأساليب الحرب النفسية، التى يستخدمها العدو.

٩ - أن السيطرة السياسية لا يمكن أن تكون مستقرة ، وطويلة الأمد ما لم يرافقها الفكر الإسلامى الأصيل عن الساحة. وأولها الفكر التربوى المشتق من الكتاب والسنة وحضارة الأمة.

١٠ - أن الغرب اكتشف نقطة القوة فى الشعوب الإسلامية ، وأيقن أن الوعى الإسلامى الجديد بإمكانه أن يتحداه ، ويصنع الكثير ، فبادرها بوأد هذا الوعى ، قبل يختصر مسافات الزمن ويصنع الموقف الحاسم المؤثر فى الساحة.

١١ - أن الحرب ضد العرب والمسلمين ، ليست حرباً طارئة أو مستحدثة؛ وإنما هى عميقة الجذور. وما أظهرها الآن هو اضطرار الغرب للجهر بأبعادها الحقيقية ، تحت ضغط الصحوة الإسلامية العالمية.

١٢ - إن جوهر الصراع هو منع العالم الإسلامى من امتلاك التقنيات الحديثة ، وفى تطوير مجتمعاته سياسياً وإدارياً خاصة سرقة العقول البشرية ، وتشجيعهم على الهرب من أوطانهم الأصلية ، والانضمام إلى فرق البحث العلمية فى البلاد التى هربوا إليها.

١٣ - أن بعض المدارس والمؤسسات التعليمية الأجنبية تقوم بدور المعلوماتى والاستخبارى لصالح الراعى لتلك المدارس ، فضلاً عن غرس بذرة القابلية للاستعمار لدى نفوس خريجى هذه المدارس.

١٤ - أن معنى الجهاد الحقيقى هو حمل النفس على الالتزام بالشريعة الإسلامية ، فإذا تحقق ذلك لكل المسلمين فالنصر المؤكد فى الجهاد الأصغر ، وهو قتال العدو.

١٥ - فك حالة الخصام بيننا وبين القراءة؛ لأن القراءة الموجهة هى الطريق لتنمية النفس ومعرفة العدو والصديق. وكما يقال: الشعوب القارئة هى الشعوب المتقدمة.

١٦ - أن الصراع بيننا وبين اليهود صراع أبدى ، يتطلب منك الحذر من هذه الفئة. وزاد من حدة هذا الصراع الممارسات الإسرائيلية التى تقوم بها داخل فلسطين من قتل وطرد وتشريد ، وتخريب ودمار ، وتجريف للأراضى الزراعية ، وقتل للحياة نفسها. وكل ذلك مسجل بالصوت والصورة لا ينساه المسلم المعاصر أو الأجيال التالية له.

١٧ - أن مسرح الحياة لو أتاح لبلد آخر غير أمريكا ، أن تأخذ وضعها فى القوة والسيطرة على العالم. لما تردد فى أن تمارس ألوانا من البطش ضد المسلمين أو ضد دولة أخرى الأمر الذى يتطلب إعداد القوة للمسلمين عملا بالآية الكريمة ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (الأنفال: ٦٠).

١٨ - أن على البلاد الإسلامية أن تحتضن أبناءها ، وتحقق مبدأ العدالة بينهم ، وتتبنى الموهوبين منهم ، واستغلالهم لصالح أوطانهم وتنميتها ؛ لأنهم الثروة الحقيقية التى لا تنتهى ، بعكس الموارد الطبيعية التى قد تؤذن بالانتهاء.

١٩ - أن القوة الكبرى التى تغلب مبدأ القوة على العقل مصيرها إلى الهلاك ، والبعد عن احتلال الصدارة بين الدول ؛ لأن الظلم بداية خراب العمران ، ونهاية ازدهار الحضارة.

٢٠ - أنه يجب الحذر من التبعية التعليمية والحضارية ، التى تسمح للقوى الخارجية أن توجه مسار التعليم لصالحها ، بحذف ما تشاء ، وإضافة ما تشاء ، من المناهج الدراسية تحت ذريعة تعديلها وتطويرها ، بل يجب الاستعانة بالخبراء المتخصصين من أبناء الوطن ، إذا رئى فيهم الأمانة لتحقيق ذلك. وهم كثر.

٢١ - إن بداية القوة الحقيقية ، بل وأساسها تربية المواطن تربية إسلامية صحيحة ، وفق آمال المجتمع وتطلعاته ، وطموحاته وهو الأداة الوحيدة لتحقيق ذلك.

ويبقى قبل هذا وبعده أن سنة الله فى كونه لا تتخلف. فضعف المسلمين اليوم مصيره إلى القوة غداً ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: ١٤٠) ونور الله لا يمكن أن ينطفئ ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ (الصف: ٨ ، ٩). والمسلمون متفائلون مهما طال الصبر.

إن القوة الكامنة فى الإسلام هى التى جعلت المسلمين ينفجرون ، وهم فى حالة ضعف وتفرق فحطمت الصليبيين فى " حطين " وهزمت التتار فى " عين جالوت " وأسرت لويس التاسع فى "دار ابن لقمان " بالمنصورة.

الفصل الثانى
الدين وطبيعته

يتناول هذا الفصل مفهوم الدين، وأهميته، وأهداف تدريسه، وطبيعته وضرورته للحياة، وللمجتمع، وما ينبغى أن يتناوله منهج التربية الإسلامية، في مدارس التعليم العام. وفيما يلى بيان لهذه المفردات.

أولاً: مفهوم التربية الدينية وأهميتها:

هناك مجموعة مفاهيم للتربية. منها :أنها تنمية الوظائف النفسية بالتمرين، حتى تبلغ كمالها شيئا فشيئا. ومن شروط التربية الصحيحة أن تنمى شخصية الطفل من الناحية الجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية حتى يصبح قادرا على مؤالفة الطبيعة . يجاوز ذاته، ويعمل على إسعاد نفسه ، وإسعاد الناس.

والدين ما يذهب إليه الإنسان ، ويعتقد أنه يقربه إلى الله . وإذا أطلق الدين فهو الطاعة العامة ، التى يجازى عليها بالثواب مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (آل عمران: ١٩).

وليس بالضرورة أن يكون للدين شريعة ، مثل دين ، أهل الشرك واصل الدين الطاعة. ودان الناس لملكهم أى أطاعوه. ويجوز أن يكون أصله العادة. وقيل: للطاعة دين، لأنها تعتاد، وتوطن النفس عليها.

والتربية علم تطبيقى، يطبق النظريات، وما يشتق منها من معلومات يمكن استخدامها فى المجال التربوى، وقد تلقى قبولا من المجتمع، أو لا تلقى، وقد تجدى اليوم ولا تجدى فى الغد، أما التربية الإسلامية فهى التغيير إلى المقدار الذى يدعو إليه القرآن الكريم ، والسنة النبوية والحكمة الإنسانية.

وهى بهذا المعنى مصدرها الوحى من الله ، خاصة ما يتعلق منها بأصول العقيدة، والقيم الإنسانية الفطرية المرتبطة بها ، أو أنها مجموعة الممارسات العملية وغير العملية ، التى يقوم بها المسلم، يوجهها فكر الإسلام وعقيدته تجاه الخالق و المخلوق والكون بأسره مبتغيا بها وجه الله.

وتسبق التربية الإسلامية التربية بمعناها العام ، من حيث إن الأسرة واجبها الأول تنشئة الطفل على أصول العقيدة الإسلامية ، والقيم الأخلاقية التى جاءت بها مثل : الصدق ، والأمانة والشجاعة ... الخ فضلا عن أنها تتناول المولود قبل ولادته وذلك مثل حسن اختيار الزوجة من النواحى المختلفة ، ثم اختيار أحسن الأسماء للمولود ، والاهتمام به من حيث الرضاعة والفطام والتربية من المهد إلى اللحد. أما التربية بمعناها العام (الوضعى) والعقلية فتشمل الجوانب الجسمية ، والعضلية، والانفعالية ، والاجتماعية والخلقية ؛ ولهذا فالتربية الإسلامية لصيقة بالطفل منذ مولده ومهتمة به قبلها ، وهى الأساس الأول لاندماج الطفل فى حياة الجماعة حيث تمثل ميلا طبيعيا من الإنسان.

والإسلام بهذا الاعتبار يشكل النشء ، ويغرس فيهم القيم الفاضلة ، والعادات الطيبة ويقدمهم إلى تربية أخرى يقوم الكبار بتوجيههم إياها ،بناء على فهمم الواعى للإسلام وحرصهم على تشرب شريعته.

ومن هذا المنطلق فإن الدين قوة من أعظم قوى البشر ، وهو مرجع عام لكشف ما يشتبه على العقل من غوامض الأمور ، وهو "مستقر السكينة ، وملجأ الطمأنينة . به يرضى كل بما قسم له ، وبه يدأب كل عامل حتى يبلغ الغاية من عمله وبه تخضع النفوس إلى أحكام السنن العامة فى الكون ، وبه ينظر الإنسان إلى من فوقه فى العلم، والفضيلة، وإلى من دونه فى المال والجاه اتباعا لما وردت به الأوامر الإلهية".

وتنبع أهمية التربية الإسلامية من واقع أنها:

- ❖ تعنى بتربية الطفل و الراشد ، والمرأة والرجل، وتتولى تربيتهم ورعايتهم منذ ميلادهم وتوجههم فى حياتهم الدينية و الدنيوية ، وما ذلك إلا لاتصافها بالواقعية "فالإسلام يصاحب الفرد ليس فى كافة مواقف الحياة فحسب، بل طيلة الليل و النهار فى المأكل و المشرب ، والمنام و اليقظة ، والسر والعلن، و العمل و الفراغ ، والصحة والمرض، و الجهر و الصمت ، و الرضا و الغضب".
- ❖ تعالج الفطرة الإنسانية بصورة شاملة، ودقة متناهية، فهى تعالج روح الإنسان، وجسده ومشاعره، وتعامله ككل واحد، وكيان متكامل ، لا تعالج جانبا، وتهمل اخر. وهى لهذا تمتاز بالشمول. تقوى العقيدة، وترسخ الإيمان، وتؤكد صلة الإنسان بربه، إذ تبعده عن الخطأ، وتحميه من الانحراف، وتبين له الحسن والقبيح، وتزيده طمأنينة و أماناً وترشده إلى التقوى.

❖ تعمل على تقويه روابط الإخوة فى العقيدة والإنسانية ، بينها وبين أبناء الوطن ، بل بين أبناء الجنس الإنسانى ككل.

❖ تعرف الفرد بالأحكام الشرعية ، والقوانين المرعية التى تصح بها العبادة ، وتصبح قربى إلى الله يؤجر عليها المسلم ، كما تسلم بها المعاملات من الاستغلال وعدم الأمانة إذا كانت موجهة إلى الله. تدعم جانب الاقتداء برسول الله (ﷺ) فى كل قول ، أو عمل أو شعور ؛ لأن قمة الإنسانية تتجلى فيه.

❖ تدعو إلى الفضائل ، وتدعم الأخلاق الحميدة ، وتؤكد العادات الطيبة فى نفوس النشء ، مما يمكنهم من خدمة المجتمع والنهوض به فى شتى مجالات الحياة ، ليصبح مجتمعا صالحا قادرا على أداء رسالته.

❖ تنمى فكر الفرد ، وتنظم سلوكه ووجدانه ، وتضبط علاقاته ، وتنظمها فى ضوء التشريع الإسلامى ، وتعلمه أنه مراقب من الله ، فإن لم تكن تراه فهو يراك. وهى بهذا تدعوه إلى الالتزام ، وتجسد فيه روح المسئولية.

❖ تبنى شخصية الفرد، وتسمو بقيمته، وترفع مستواه الإنسانى، ليكون جديرا بالأمانة التى حملها ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾.(الأحزاب: ٧٢).

وقد واكب الدين تطور الإنسان. وكان التوحيد هو دعامة تلك الأطوار كافة فى جميع الحضارات الكبرى، حيث كان الإيمان بالأرواح شائعا فى جميع الأمم البدائية، وأن الأمم التى جاوزت هذا الطور إلى أطوار الحضارة، وإقامة الدول لا تخلو من مظاهر العبادة الطبيعية أو عبادة الكواكب على الخصوص. وفى طليعتها الشمس و القمر. والسيارات المعروفة، وأن عبادة الأسلاف تتخلل هذه الأطوار المتتابعة على أنماط تناسب كل طور منها حسب نصيبه من العلم والمدنية.

ويحكى القرآن الكريم طرفا من هذا التطور المقنع فى سورة الأنعام ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الأنعام : ٧٤) ثم يتدرج من الكواكب، إلى القمر ، إلى الشمس. إلى أن يقول : ﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام : ٧٩).

ولا يزال الإنسان " يعرض العقيدة بعد العقيدة على الإنسان ولا نعلم أنه عرض عليها حتى اليوم قديما معادا ، أو جديدا مبتدعا هى أوفق من عقيدة القرآن وأوفق ما فيها أنها

غنية عن الاختراع والامتحان ، وأنها على شرط العقيدة الدينية من بنية شملت ملايين الخلق ، وثبتت معهم وحدها فى كل معترك ، يوم خذلتهم كل قوة يعتصم بها الناس.

والدين ضرورة فردية يتحتم على كل مسلم أن يعرف دينه ويتعلم أحكامه وشريعته ويتأمل آيات ربه ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الرعد : ١٩). فاعتبرت الآية من لم يعلم بما أنزل على محمد (ﷺ) بمثابة الأعمى. وهو بهذا الاعتبار مسئولية شخصية.

والدين ضرورة اجتماعية ، لأنه ينظم حياة الناس فى البيع والشراء ، والأخذ والعطاء ، ويحدد العلاقات التى تحكم نظام الحياة ، ويضع دستورا بعيداً عن الهوى والغرض ، ويتحرى العدل والإنصاف ، ويؤكد جانب الإخاء والمساواة. ويلخص هذا " الدين المعاملة" حديث شريف ، لأن المعاملة عامة للإنسان والحيوان والنبات والجماد ، أما العبادة فهى خاصة بالفرد ، وإن تعددت للصالح العام.

والدين فى حقيقته ليس عقيدة فحسب ، أوكهنوتا ، أو شعيرة من الشعائر ، بل هو منهج إلهى قادر على إعداد الإنسان العصرى إعداداً يؤهله لأن يكون خليفة الله فى الأرض ، يحمى العرض ، ويعمر الأرض ، ويحفظ النفس ، ويكسب المال ، يهذب الخُلق ، ويحفظ الخلق. يعمل لدينه ، وينمى دنياه.

والدين جانب مهم من جوانب الثقافة ، لأن المفاهيم والمعارف والمعلومات والقيم الدينية ، بل كل ما يعزى إلى الدين يعد عاملا مؤثرا فى حياة الفرد وسببا فى قربه من المجتمع أو بعده عنه.لأنه يساعده على تشرب قيم المجتمع من جوانبها الثقافية المتعددة ، والسلوكيات المطلوبة لهذا المجتمع.

وقد شرع الله تعالى الدين على أساسين هما :

<u>أولهما :</u> إقامة الدين.وهو توحيد الله وطاعته ، والإيمان برسله وكتبه واليوم الآخر ، وسائر ما يكون المرء مسلماً بإقامته.

<u>ثانيهما :</u> أن لا نختلف فى هذا الدين. ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ۚ ﴾ (الشورى : ١٣)

والدين - عند المسلمين - من الأمور المسلم بها ، ولذا فإنه لم يطرح عندهم على

بساط البحث ليحدد كمفهوم ، بينما طرح فى العالم الغربى ، واختلفت الآراء فى تفسيره تبعا لاختلاف المذاهب والمدارس التى ينتمى إليها أصحابها.

فهو فى رأى أصحاب المذهب الوضعى ، وفرويد - اختراع محض ، خلقته الرغبات البشرية المرفوضة لكى يجد جنة خيالية لحركة حرة من غير عائق.

وهو فى رأى من يرى الفصل بين الكنيسة والحكومة – التوجيه الروحى للأفراد.

وهو فى رأى أصحاب علم النفس - معتقدات وعمليات شعورية ترتكز على شخصية الإنسان وما بداخله من دوافع ومؤثرات.

وهو فى رأى أصحاب علم الاجتماع - معتقدات وممارسات شعورية ترتكز على عوامل اجتماعية ، أو عنصرية ، أو طائفية.

وهو فى رأى كارل ماركس وأتباعه إن الأديان أفيون الشعوب ، وأن الناس يقبلون على الدين لأنه يخدرهم ، ويلهيهم عن شقاء الحياة.

وواضح من هذه الآراء - وما يمكن أن يقال فى هذا الصدد - أنها تمثل اتجاهات أصحابها وميولهم ، ومنفعتهم وهو -كأى كلام صادر عن البشر - لا يخلو من القصور وعدم الشمول.

وليس عرض هذه الآراء من باب المقارنة ، لأنه لا يمكن وضع هذا الذى قيل أمام دين منزل من عند الله ، يلبى صميم الفطرة بالإحساس بالله ، والإدراك بوجود خالق لهذا الكون ، إذ الكون كله مفطور على عبادة الله.

ويمكن القول: إن الدين الإسلامى هو الذى نزل به محمد (ﷺ) وعقله من وعاه عنه من صحابته ، ومن عاصرهم ، وجرى العمل عليه حينا من الزمن بينهم بلا خلاف ولا اعتساف فى التأويل ، ولا ميل مع الشيع.

والدين الإسلامى بهذا الاعتبار دين العقول القادرة ، لا دين العقول السادرة ، دين الفطرة لا دين الهوى ، دين الواقع لا دين الخيال ، دين الصراحة لا دين الخيال ، دين العزة فى الخضوع لله ، لا دين الذلة فى الخضوع لغير الله. دين مصلحة الجميع ودين مصلحة المجموع ، دين الدنيا والآخرة ، لا دين واحد منهما ، دين الحق لا دين الباطل.

وهو أسلوب من أساليب التكيف ، إلا أنه يختلف عن الأسلوب العلمي فى التكيف فى كونه يحسب حساباً لأمور لا تدخل فى حساب العلم ، ومن هنا كان أسلوب التكيف

الدينى أشمل وأرحب من أسلوب التكيف العلمى ؛ لأنه، أى الدين الإسلامي رصيده من الناحية الإنسانية، يكفل له القدرة على التعامل مع من فى الكون وما فيه، تعاملاً يؤاخذ فيه الإنسان.

والدين الإسلامى دين يستوعب الكون بأسره بمن فيه وما فيه. جاء بالعقيدة الثابتة ووضع الدستور، وشرع الشرائع ، وسن القانون ، ورسم المنهج و أرسى القيم وأكد المبادئ واهتم بالفرد ورغب فى الجماعة ، وخطط للتربية. فهو ليس زائداً عن الحياة ، بل هو لا غيره. نظام هذه الحياة ، وقوامها فى كل ما يتصل بالوجود.

ثانيا : الحاجة إلى الدين :

إذا كانت الحاجة هى أن يكون الموجود على حال يفتقر فيها إلى ما هو ضرورى لبلوغ غاية ما ، سواء كانت تلك الغاية داخلية أم خارجية ، معلومة لديه أم مجهولة - فإن الحاجة إلى الدين ، والضرورة إليه تبدو من واقع أنه منهج إلهى ، وشريعة سماوية، ودستور خالد. صادر من إله حق ، عالم بأحوال الخلق . وهذه الحاجة ضرورة تربوية، "لأن التربية لاتعنى مجرد إكساب الناشئ كما معرفيا : صغر أم كبر ، بسط أم عقد ؛ وإنما تعنى بالدرجة الأولى - بالإضافة إلى ذلك - إكساب الناشئ من السمات ، والقيم، والعادات ، والميول ما يحيله من مجرد كائن حى : يأكل ويشرب، ويتناسل، وينام وغير ذلك من العمليات الحيوية إلى إنسان يفكر ويتخيل ، ويتصور، ويخطط، ويدبر، ويبدع، ويبتكر. من مجرد كائن يغدو ريشة فى مهب ريح قوى الطبيعة إلى إنسان له من الإرادة ما يمكنه من تسخير هذه القوى بما فيه مصالحه ومنافعه".

وتبدو الحاجة إلى التربية الدينية خاصة فى عصرنا الحاضر ، حيث تحقق كثير من التقدم المادى فى مجال العلوم والتكنولوجيا ، وأصبح الإنسان فى حاجة إلى إشباع الجانب الآخر من حياة الإنسان لكى يكون هناك توازن بين المادة و الروح ، ويتحقق اتصال الفرد بالمجتمع ، والمجتمع بالفرد ؛ ذلك " أن هناك إحساساً بحاجة الإنسان منذ أن وجد على الأرض إلى أن يرتبط بقوة حامية منقذه، تدفع عنه قسوة الحياة، وتحميه من طغيان الطبيعة وعنفوانها..

وهذه الحاجة فطرية عند الإنسان، حتى عندما نمت المجتمعات، وقامت الحكومات فالإيمان بالإله الحامى القادر - أمر فى أعماق النفس الإنسانية ، وإن اختلف الفهم فى مفهوم الإله و تصوره.

وتبدو الحاجة إلى التربية الدينية من الناحية الاجتماعية، حيث يحقق الدين كثيرا من الانسجام الاجتماعى بين الناس. ونلمس هذا الانسجام بين أبناء الدين الواحد حينما يجتمعون، إذا فهموا الدين فهماً صحيحاً.

ويمكن القول إن حاجة البشر إلى الدين ترجع إلى العديد من الأسباب. أبرزها ما يلى :

١ - إن كثيرا من الناس -من منطق الولاء لعقيدة أو مبدأ - يضعون لأنفسهم أسلوبا لحياتهم، ونظاما لمعيشتهم، وهدفاً لمسعاهم. وقد يكون مرد تلك الفلسفة إلى نفسه أو إلى غيره، وتتأرجح تلك الفلسفة بين الصواب والخطأ، والقبول والرفض فيصاب الفرد بالحيرة والقلق .فيأتى الدين، ويضع الأسلوب الأمثل، والنظام السليم، ويوجه إلى الهدف الحقيقى ويقضى على هذا التخبط، ويجنب الفرد مشاق التجربة فى الحياة ليصل به إلى الاستقرار والطمأنينة . فعقيدة الإسلام تنظم الحياة تنظيماً سليماً متساويا، وافيا بالمنفعة، قائماً بالفضيلة، بعيداً عن الخلط والفوضى من حيث الدين والدنيا.

٢ - إن الإنسان يحتاج فى كثير من الأمور إلى توضيح الغامض منها، وبيان اللبس فيها وخصوصا فى الأمور التى لا تعتمد على العقل البشرى من مسائل التشريع التى تتعلق ببعض الجوانب المهمة من حياة الإنسان مثل الأسرة، من أمومة و زواج وطلاق، ونفقة...الخ ومثل الأمور الغيبية من جنة، ونار وحساب، وثواب وعقاب ... الخ، ذلك لأن العقل ليس حكما عدلا فى كل المواقف، وإن عدل فيها فمرده إلى كسب شخصى أو منفعة مقصودة، أو هوى ذاتى . إذ العدل عملة نادرة . وواقع الحياة يؤكد ذلك .

وتأتى ضرورة الدين هنا من واقع أنه يمد الإنسان بالمعلومات الصحيحة، والأحكام الحقيقية والتوجيهات المبرأة من الزيف والتشريع المطلوب، فضلاً عن الجوانب الغيبية.

٣ - إن الدين - باعتباره من عند الله - يبين للناس أسلوب التعامل مع الخالق بما يتناسب مع جلال الله وعظمته، ويوضح لهم كيفية عبادته، وإعلان الولاء له، بل وأسلوب التخاطب مع الله، وكيفية مناجاته سبحانه. وهذا التعامل الإلهى - بما فيه من عبودية مطلقة، واحترام لذاته القدسية — إنما يوحى للناس بأن تسرى روح الله فى التعامل مع الخلق إنسانا كان أو حيوانا أو كونا بأسره، احتراما مبنيا على أصول

مرجعية تبين للناس حدود هذا التعامل . والدين بهذه الإشارات قد مس العصب الرئيسى للحياة وهو أن الإنسان - سيد هذا الكون - إذا استشعر ذات الله فى كل تعاملاته المادية و المعنوية - انتظمت حياته ، واتجهت إلى مسارها الصحيح.

٤ - إن الدين — ناهيك عن الأمور الغيبية - مصدر رئيسى من مصادر الأخلاق ، والجوانب القيمة فهو يضع القيم الأساسية و الثابتة للناس التى تنفعهم مؤمنهم وكافرهم ، لأن فى غياب الصدق ، والأمانة ، والوفاء ، والود وسائر القيم الأصيلة ضياعا للإنسان ، وقضاء على أمنه واستقراره . كما أن المجتمع غير أمين فى تقرير بعض القيم الخلقية ، لأن المشرع الوضعى كثيرا ما يراعى مصلحة نفسه فقط ، أو المطالب العارضة.

٥ - إن الدين يبنى الشخصية ، التى لا تظلم ولا تُظلم ، ولا تسكت عن الحق وتعرف واجبها وتؤديه ، وتعرف حقها وتطالب به ؛ انساقا مع طبيعة الإنسان ، وفطرته الأصيلة.

٦ - إن الحقيقة التى يكتشفها العقل المحض لا قدرة لها على إشعال جذوة الإيمان الصادق. تلك الجذوة التى يستطيع الدين وحده أن يشعلها . وهذا هو السبب فى أن التفكير المجرد لا يؤثر فى الناس إلا قليلا ، فى حين أن الدين استطاع دائما أن ينهض بالفرد ، وأن يبدل الجماعات من خلال المناهج الدينية ، التى لها سطوة التأثير ، وقوة الضغط على الأفراد والجماعات.

٧ - إن الناس لتتلهف على دين يتفق وحاجتهم ومصالحهم الدنيوية، ولا يكون قاصرا على إرضاء مشاعرهم وإحساسهم، إنما يريدون أن يكون هذا الدين وسيلة لأمنهم وطمأنينتهم في الدنيا والآخرة . وليس هناك دين تتوافر فيه هذه المزايا كلها بشكل رائع سواء الإسلام. أنه ليس مجرد دين فحسب، بل إن فيه حياة الناس ؛ لأنه يعلمهم كيف يحسنون التفكير ويحضهم على فعل الخير، وصالح الأعمال ؛ وذلك سرعان ما شق طريقه إلى القلوب والإفهام. وخلاصة القول إن الدين ضرورة أساسية، لا غنى عنه للفرد أو الجماعة ؛ لأن الحياة لن تستقيم إلا إذا التزم الإنسان به وطبق شريعته ، ونفذ قيمه.

ثالثا : وظيفة الدين:

إذا كانت الوظيفة هى العمل الخاص الذى يقوم به الشئ أو الفرد فى مجموعة مرتبطة

الأجزاء ، ومتضامنة بعضها البعض - فإن الدين يؤدى وظائف عديدة للفرد و الجماعة من حيث إن الإنسان سيد هذا الكون ، وهذه الوظائف تقدم للإنسان ما يساعده على القيام بمهمة التكليف " فالإنسان مخلوق مكلف ، يؤمن أن ارتفاع الإنسان وهبوطه منوطان بالتكليف ، وقوامه الحرية والتبعة . فهو بأمانة التكليف قابل للصعود إلى قمة الخليقة ، وهو بالتكليف قابل للهبوط إلى أسفل سافلين. وهذه هى الأمانة التى رفعته مقاما فوق الملائكة وهبطت به مقاما إلى زمرة الشياطين. ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (الأحزاب : ٧٢)

ويمكن عرض أبرز الوظائف التى يؤديها الدين للفرد و الجماعة فيما يلى :

(أ) في الجانب الاجتماعي :

١ - يحقق الاستقرار الاجتماعى ، وذلك بما ينظمه من أمور خاصة بالأسرة وما يتصل بها. ولعل من أهمها التشريعات الخاصة بالزواج و الطلاق والميراث ، وما يتعلق بهما من خطوبة ومهر ونفقة ، وسكن ، وعدة ، وحضانة ، وتعدد الزوجات . ومنها التشريعات الخاصة بالمعاملات كالبيع و الشراء ، والشفعة ، والرهن ، والوصية وغير ذلك.

٢ - يحقق الاستقرار الاجتماعي وذلك باشتماله على القيم والفضائل الروحية والتى هى بالتأكيد أساس الحياة المادية . فتعاملات الناس المادية بالبيع والشراء ، والقرض والهبة وتكوين الشركات ، وإنشاء المؤسسات ، واستخدام البعض للبعض من مالك وأجير وغير ذلك من صنوف المعاملات التى لا حصر لها فى الحياة - لا يمكن أن تبرم وتتم إلا إذا استندت إلى القيم الدينية التى تحض على الأمانة ، والصدق ، والطهارة والوفاء بالوعد واحترام العقود ، وأداء الحقوق ، واليقظة للواجب ... إلى غير ذلك.

٣ - يحقق الاستقرار الاجتماعى وذلك بالدعوة إلى العمل – أيا كان هذا العمل - وتحرى الإتقان ، والإجادة فيه ، طالما أنه لم يدخل فى الحدود التى جعلها الله محرمة واعتبار هذا العمل نوعا من العبادة لله ، بل انه يعتبر فى قمة العبادة إذا ابتغى المرء به وجه الله عن أبى هريرة -(رضي الله عنه) - قال : قال رسول الله (ﷺ): "لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحدا ، فيعطيه ، أو يمنعه" .(متفق عليه). ومعلوم أن العمل هو قوام الحياة ، ولا حياة بدون عمل.

٤ - يحقق الاستقرار الاجتماعى من جهة العمل حيث إنه الإيمان صامتا وناطقا ومجسدا. وعلى قدر ما يعمل المسلم ويقدم من الجهد والجهاد فى سبيل الله ليصلح من أمر نفسه ومن أمر الجماعة - تكون له الحسنى فى الدنيا والآخرة.

٥ - يحقق الاستقرار الاجتماعى ، من جهة أن الدين أداة رئيسية فى التماسك الاجتماعى فهو يجمع المؤمنين به على هدف واحد ، ويرسخ فيهم قيم التعاون والوحدة ومراعاة الجار حتى لو كان غير مسلم ، ومشاركة الآخرين فى السراء والضراء والانتصار للضعيف " انصر أخاك ظالما أو مظلوما . قالوا يا رسول الله: عرفنا كيف ننصره مظلوما ، فكيف ننصره ظالما. قال : ترده عند ظلمه .قال تعالى ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

٦ - يحقق الاستقرار الاجتماعى ، وذلك بالمحافظة على مال اليتيم ، بل وتنميته والترغيب فى كفالته والإحسان إليه ، و إلى المستضعفين من المؤمنين . قال (ﷺ): "أنا وكافل اليتيم فى الجنة .هكذا (وأشار بالسبابة و الوسطى وفرج بينهما)" (رواه البخارى والترمذى).

(ب) - في الجانب النفسي :

١ - يحقق الاستقرار النفسى ، إذ إن النفس البشرية السوية، تميل إلى أن تتميز فى جوانب الحياة المختلفة فتحب الصحة ، وتميل إلى التفوق ، وترغب فى الغنى وتهوى الجاه و وتعشق السلطة ، وتجرى وراء الشهرة ، ولا يتحقق كل ذلك مع كل الناس فيرى البعض منهم أن حظه قليل فى الدنيا وأن الحياة لم تواته بكل ما يطلب ، فيصاب بالتمزق النفسى ، والصراعات الداخلية . ومعروف أن النفس جوهر روحانى محرك للبدن.

والدين فى كل هذه المواقف يحقق للإنسان توازنا نفسيا عن طريق ما يسوقه من علاج نفسى ، وتوجيه إلهى ، صادر من الخالق للخلق ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (الملك : ١٤). ولعل من قبيل تحقيق الاستقرار النفسى الآية الكريمه : " ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (الزخرف: ٣٢). ومنه أيضا قول رسول الله (ﷺ): "يا أيها الناس ! اتقوا الله وأجملوا فى الطلب ؛ فإن

نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها ، وإن أبطأ عنها . فاتقوا الله ، وأجملوا فى الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم" (رواه ابن ماجه).

وتبرز وظيفة الدين النفسية فى العصر الحاضر من حيث إن وسائل الترفيه المتعددة والإنجازات التكنولوجية المختلفة أصبحت هدفا لكل إنسان، ولكن يعز استحواذ بعضها على بعض الناس ، وفى حمى الدين تخف وطأة الحياة ، وتهون أمور الدنيا ، وتصبح هذه المظاهر أمرا ثانويا ، وبعيدة عن الطلب. ويبدو الحرمان من كل ذلك ، أو بعضه من قبيل الثواب لا من قبيل العقاب فى الدنيا.

٢ - يحقق الاستقرار النفسى لأن أهم خاصية للإسلام أنه عقيده ضخمة ، جادة فاعلة خالقة منشئة ، تملأ فراغ النفس و الحياة ، وتستنفذ الطاقة البشرية فى الشعور والعمل فى الوجدان و الحركة ، فلا يبقى فيها فراغ للقلق ، والحيرة ، لا للتأمل الضائع الذى لا ينشئ سوى الصور والتخيلات.

ومعنى هذا أن الإسلام لا يحب من المسلم أن يترك نفسه لنفسه ، حتى لا تتحول تلك الخلوة إلى إهدار لطاقته ، بل يوجهها إلى الله ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ (البقرة: ١٥٢). ﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ (الرعد: ٢٨) .﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ (الإنسان: ٢٥).

٣ - يحقق الاستقرار النفسى ، وذلك لأن الإيمان بالله الواحد الأحد إيمانا صافيا نقيا يحرر النفس من سيطرة الغير والخوف منه فهذا الغير الذى يخشى منه لا يملك من أمر نفسه شيئاً . فهم ﴿ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ﴾ (الفرقان: ٣)

ويصاحب ذلك إحساس بالذات ، واعتزاز بالنفس ، وقوة فى الشخصية ، واثبات لدوره فى الحياة، ويشعر - من منطلق العدل والمساواة والإخاء - أنه لا يفضله أحد فى بشرية إلا بمقدار ما يقدم من نفع وفائدة مقرونة بالتقوى. فالخوف يقتل العقل ويقضى على الإبداع ، أما الحرية فهي تثير ذلك وتنشطه.

٤ - يحقق الاستقرار النفسى ، وذلك لأن الدين يشبع عند المرء حاجته إلى الولاء لفكرة أو جماعة ، أو عقيدة . وهذه الحاجة فطرية عند الإنسان. فهو اجتماعى بنشأته وفطرته يحب الجماعة ، ويشعر أن وجوده متوقف عليها ، وهو يميل - أيضا - إلى

أن يرتبط بجماعة تسبغ عليه معتقداتها وتزوده بعاداتها وتقاليدها وهو بالتالى ينتمى إليها بالولاء والإخلاص . والمرء فى إطار الجماعة تسبغ عليه حمايتها.

وهكذا الدين يعطى هذا الإحساس بالولاء . وعملية الانتماء هذه لها آثارها النفسية على الفرد . والولاء لله الواحد الأحد هو قمة الولاء ؛ بمقضى ملكيته للدنيا والآخرة.

(ج) في الجانب الروحي :

١ - الروح ما به حياة البدن.وما جاء به الإسلام هو حياة البدن الحقيقة . والاستقرار الروحى فيه يقوم على الاعتقاد وقوة الإيمان بالله ، والاعتزاز به ، ومراقبته فى السر والعلانية والإيمان بملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الأخر ، وبما بعد الموت من البعث و الحساب و الجنة و النار والثواب والعقاب ، وغير ذلك مما يتصل بالعقائد.

٢ - الاستقرار الروحى يتم عن طريق الدعوة إلى الحب - فمن أحب لله ، وأبغض لله وأعطى لله ، ومنع لله - فقد استكمل الإيمان (رواه أبو داود)

(د) في الجانب الفكري :

الفكر هو إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها ، وهو يتحقق عن طريق :

١ - أن الدين يضع حدودا فاصلة للمجالات التى يمكن للإنسان أن يمارس فيها نشاطه الفكرى باعتباره مطالبا بالتفكير . ولهذه الحدود ثلاث فوائد :

الأولى — أنه أراح الإنسان من الخوض فيما لا طائل وراءه ولا يمكن أن يفيد منه شيئا . ومما لا يمكن أن يصل فيه إلى شيئ . فما ورد عن الألوهية و الجنة و النار ، والحساب والثواب والعقاب ، وغير ذلك إشارة للإنسان أن يبدأ بعد ذلك ، لأن البحث فى هذه الغيبيات : أصلها وكنهها ، وما تشمل عليه أمر فوق طاقة العقل البشرى . وواجب الإنسان حيا لها الإيمان بها من حيث إنها حقيقة مؤكدة.

الثانية — أن يجعل الحياة مسرحا للخيال . فحين يسمع المؤمن أن الله قد ادخر له ، ما لا عين رأت ، و لا أذن سمعت ، و لا خطر على قلب بشر ، يجول بفكره وخياله مصورا هذه الجنة ، وقد تحمس للعمل فى الدنيا ، واستجمع كل قوته لعمل الخير ؛ حتى يحظى بتلك الجنة الموعودة . وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴾ (السجدة : ١٧). وبهذا يظل المؤمن في حالة استنفار دائم للعبادة.

الثالثة - أنه - أي الدين - أعطى إشارة البدء فى التفكير فى كل المجالات التى يمكن أن تفيد الإنسان ، وتجعله يشعر فى قرارة نفسه بتكريم الله له ، من حيث إن كل ما فى الكون مسخر له، ليقر فى النهاية بالمدبر الأعلى لهذا الكون وهو الله . والتفكير المؤدى إلى الإنجاز وإثبات الشخصية ، وتنميتها وغير ذلك — مطلب نفسي ضروري ، يعزز الثقة بالنفس ، ويدعم رغبة البقاء فى الحياة . والاستقرار الفكرى بهذه الصورة مدعاة للإبداع العقلى ، والابتكار المتجدد ، ثم الإنجاز العلمى . وهذا الإبداع والإنجاز من شأنه أن **يحقق هدفين فى غاية الأهمية هما :**

الأول : تعميق الإيمان بالله الواحد ، وزيادة الالتصاق به إلها خالقا ، وربا مبدعا. جديرا بالخضوع له قلبا وقالبا ؛ لأن العبادة لا تكون إلا مع المعرفة بالمعبود، والخضوع له.

الثانى : تحقيق مزيد من الرفاهية والسعادة للبشر من خلال ما أبدعه العقل ، وما توصل إليه الاختراع . ويبقى بعد ذلك كله أن من المهام الأساسية للدين — أيا كان هذا الدين — أنه القوة الدافعة للعمل والإنتاج ويزيد المنتج دقة وإحسانا . فهو يقف وراء كل عمل جيد ، ويؤكد على كل اتجاه شريف للعمل و العمالة ؛ لأن المطلب الأساسي من العامل السوى — هو توخى رضا الله . واستحضار الرقيب الذى لا يغيب أبدا من حيث هو موجود فى حاضرة ذهنه . والله سبحانه - هو الغنى المعطى والقوى القادر. وعطاؤه ومنعه ليس فيه هوى الأفراد وتقلباتهم ، والله هو الذى يمهل عباده علهم يغيرون ما بأنفسهم . من هنا يكتسب العطاء من الله صفة الثبات حيث يعطى المؤمن و الكافر ، ولهذا كان صاحب العقيدة الثابتة أكثر الناس التزاما بمبادئ دينه ، يطبقها بأمانة فى عمله مهما تضاءل العائد المادى منه ، لأنه يؤمن بأن المقادير كلها فى يد الرحمن . وإذا كان معيار المفاضلة بين الناس يتمثل فى التقوى انطلاقا من الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (الحجرات :١٣) — فإن التقوى ليست فى القلب فقط ، بل هى إلى جانب ذلك عمل بالجوارح لوقاية الإنسان نفسه من النار . وهذه الوقاية لا تتحقق إلا بالأعمال وكثرة الإنجاز فى الدنيا والدقة فى أداء هذا العمل، لأن الخلافة فى الأرض لا تستمر إلا بذلك، ورحم الله عبدا جعل نطقه ذكرا، وصمته فكرا، ونظره عبرة، وحركته تعبدا، وسلم الناس من لسانه ويده . ومعروف أن العمل،

وما يتفرع عنه وما ينتج عن إنجازه فيه ما يدعو إلى زيادة الإيمان ، والتأكد من عظمة الله فى كونه . أما الذين يدعون الإيمان باللفظ والإعلان عنه دون العمل به – فإنهم محسوبون على الإسلام و المسلمين دينا وعددا وقد يكونون سبة للإسلام ، وعارا على الانتماء إليه.

ومن مهمة الدين – أيضا أنه يؤكد فى نفس الفرد الرغبة فى تقديم الخير للناس أقارب أم أباعد ، سواء كان هذا القرب أو البعد فى الزمان ، أو المكان ، أو الجنس ، أو الملة ، أو السن وهذا الاتجاه من الفرد يبعده عن الأنانية ، أو الفردية ،ويقربه من الجماعة ، لأن الإنسان بفطرته أميل إلى الجماعة فى الأعم الغالب . ولعل مما يستنفر الناس إلى تطبيق ذلك ، حديث رسول الله (ﷺ) "خير الناس أنفعهم للناس ". وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (الحج : ٧٧) .

وجدير بالذكر أن تقديم الخير للناس لا يمكن أن يتم إلا فى إطار قيمى مستمد من الدين وليس من عند أحد ، لأنه ليس هناك حق لأحد ما – مهما كان – أن يفرض قيمه على الناس إذ أن قيما بهذا الشكل قاصرة ، وعاجزة ، ومشكوك فيها ، لأن ندية البشر تأبى ذلك ، مهما أحس هؤلاء بالتميز ، أو الصفوة وكثيرا ما ينتهى ما فرضوه بانتهاء حياتهم.

ويمكن تلخيص ما تقدم أن مهمة الدين تكاد تنحصر فى جعل الفرد المسلم مقبلا على ما يلى :

١ - زيادة الرغبة فى العمل ، والتجويد فيه كما قال (ﷺ) :" إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه . مبدءًا من الصلاة حتى أقل عمل يقوم به الفرد. وإذا كان قياس الغائب على الشاهد مبدأ إسلاميا معروفا – فإن العمل فى الآخر له المكانة الأولى : من أبطأ به عمله لم يسرع به حسبه . وزيادة الرغبة فى العمل و التجويد فيه – يفيد فى شيئين مهمين : متعة إشباع الذات بالنجاح - ثم ما يؤجر عليه من قبل المولى عز وجل ، باعتباره عبادةً تجر نفعا : دينيا ودنيويا.

٢ - القيام بواجب الخلافة فى الأرض . والخلافة ليست بكثرة الكلام والثرثرة ، وإنما بالعمل المعمر ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا ﴾ (هود : ٦١) . والتعمير فى الأرض

يقتضى الإنجاز المادى واللامادى ، وكل ما من شأنه أن يقيم حضارة ، ويؤصل قيما ، فضلا من التزاوج والإنجاب وما يترتب عليه من رجوع النسل إلى الله ، إن لم يكونوا كلهم فعلى الأقل بعضهم يعبدونه – تعالى – ولا يشركون به شيئا .

٣ - تقديم الخير للناس كل الناس ، وليس للمسلمين فقط ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ (المزمل : ٢٠) والخير على هذا النمط أسلوب دعوة وإقناع ، ووسيلة توثق العلاقات الإنسانية . فضلا عن أنها المدخل الصحيح للقلوب المؤمنة وواجهة مشرقة لرسالة الإسلام ، والمؤمنين بها .

٤ - إسعاد الناس ، ووسائله متعددة ، منها : الكلمة الطيبة " و الكلمة الطيبة صدقة " وبيان الحلال والحرام ، والفلسفة التى تكمن وراء ذلك ؛ إذ ليس المقصود منها التضييق على الناس ، ومنعهم من الاستمتاع بمباهج الحياة ، وإنما الهدف منها الصحة العضوية والنفسية للإنسان ، ووضع حد للفرق بين الإنسان والحيوان بما يتمتع به هذا الإنسان من قدرة على ضبط النفس وكبح جماحها ، ومعرفة مالها وما عليها ، لأننا لا نعرف حيوانات سائمة تفرق فى رعيها بين ملكية صاحبها ، وملكية الآخرين ، ويدخل فى مسألة إسعاد الناس الجنة و النار ، والثواب والعقاب . وتجنيب المسلم كل ما من شأنه أن يعود بالضرر عليه فى الدنيا والآخرة ؛ إنما هو فى ذاته إسعاد له ،كما يدخل أيضا - فى هذا الإطار إعمال العقل ، للتوصل إلى الإنجاز الحضارى الذى يسبغ على الإنسان راحة وأمنا ، ويشيع فى جوانبه الرحمة والمودة . ويقف خلف ذلك إيمان بالله ، وخضوع لجلاله و عظمته .

وأيا كان الأمر فإن الدين بوظائفه العديدة يحقق ما نزل من أجله ، من حيث إنه يلبى حاجة كل إنسان أقبل على دين الله باقتناع وإيمان . وهذه الحاجات وتلك المطالب تختلف باختلاف الأشخاص ، كما تختلف باختلاف الميول و الرغبات و الزمان و المكان . ووظيفة الدين أن يستوعب كل ذلك دينا ودنيا : للفرد والجماعة بصورة تليق بالإنسان المؤمن بالله ، وتتناسب مع منزلته عند خالقه ، ومن منطق أن الدين يمد الإنسان بالقيم والآداب والمعايير والمعلومات والأحكام ، التى تضبط حركته ، وتربطه بمجتمعه ، وتوثق علاقته بخالقه .

رابعا : أهداف التربية الإسلامية :

يبدو أن أهداف التربية الدينية الإسلامية فى مراحل التعليم العام أهداف نسبية لأنها

ليست كأى مادة دراسية يمكن الحكم عليها ، من حيث تحقيق أهدافها من خلال الاختبارات التى تجريها المدرسة . ومهما كانت قوة هذه الاختبارات وقياس المعلومات لدى التلميذ - وهى ضرورية وحتمية فى العملية التعليمية - إلا أنها ليست هى المحصلة النهائية من هذه المادة ؛ وإنما الأهم من ذلك أن تؤثر هذه المعلومات، وتلك الأحكام الشرعية ، والمعايير الأخلاقية فى سلوك الطالب ، إلى الحد الذى يطبقها فى حياته العامة ،ليس فى الجانب المظهرى أو الشكلى أمام الناس ؛ وإنما - أيضا - فى تغلغل تلك المعلومات فى كيان التلميذ ، بحيث تصبح موجهة لسلوكه فى السر والعلن - ورقيبه على كل تصرفاته فى الإطار السليم الذى بينه الإسلام.

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن هذه الأهداف - مهما تجمعت فيها من عناصر القوة - لا تغنى الفرد المسلم من محاولة تحقيق هذه الأهداف بعد انتهاء المرحلة الثانوية بحيث تصبح ملازمة له طول حياته وذلك لأن الدين الإسلامى متعدد الجوانب ، متشعب الفروع. والإنسان المسلم - فى حياته اليومية - تعترضه بعض المواقف التى يرى فيها ضرورة الرجوع إلى الدين - وهى تختلف من شخص لآخر - وهو مطالب بأن يرى وجه الحق فيها ، كما أن مواقف الحياة ذاتها قد تجعله يركن إلى الدين ، والبحث فيه ؛ ليحقق لنفسه الراحة والطمأنينة .

ولعل السبب فى ذلك هو " أن الإسلام ليس برنامجا إصلاحيا ، ولا دعوة أخلاقية ، ولا حيلة من حيل الحكم ، أو تدبيرا من تدابير السياسة ، ولا كان نبيه رجلا إقليميا ، ولا زعيما وطنيا ؛ وإنما هو منهج إلهى كامل للدين و الدنيا . من عند الله لا من صنع البشر "

ومع هذا فإنه لا يمنع من تحديد الأهداف فى المجال التعليمى ، لتقديم العقائد والمعارف والسلوكيات التى تفيد التلميذ فى حياته . والتربية الدينية هدفها الأول الإنسان . وإذا كان القرآن الكريم قد ذكر الإنسان بغاية الحمد ، وغاية الذم فى الآيات المتعددة ، وفى الآية الواحدة فلا يعنى ذلك أنه يحمد ويذم فى آن واحد ، وإنما معناه أنه أهل للكمال والنقص بما فطر عليه من استعداد كل منها . فهو أهل للخير والشر ، لأنه المقصود بالتكليف . والتكليف يتطلب تحكيم ما يريده الدين منه ، أو ما لا يريده .

ويبدو من هذا أن الهدف الأول من تدريس التربية الإسلامية ، ولكل منتم لهذا الدين هو تعميق الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله و اليوم الآخر ؛ لأن هذا الإيمان هو الموجه الأول للإنسان بحيث يكون سلوكه ترجمة لهذا الإيمان . من كان يؤمن بالله واليوم الآخر

فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر من آمن جاره بوائقه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت . كما جاء فى الحديث الشريف عن رسول الله (ﷺ) . وليس الإيمان بالتمنى ، ولكن الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، كما قال رسول الله (ﷺ) . ومعلوم أن سلوك الإنسان ترجمة لما يؤمن به .

إن إمكانية تمرد الإنسان على شريعة ربه أمر وارد ، ولكنه بعد أن يحيد مؤقتا ، ربما يعود فيسلك السلوك السوى . ومن هنا ؛ فإن من أهداف تدريس التربية الإسلامية . إمداد المتعلم بما يمكن إمداده من القوانين الإلهية ، والأحكام الشرعية ، لتكون بمثابة المعيار الصحيح يعود إليه حين تلتبس عليه الأمور ، كذلك من أهداف تدريس هذه المادة - إن جاز التعبير لأنها ليست مادة دراسية بالمعنى المتعارف –إعداد المتعلم إعدادا يتمكن به من الرجوع إلى أمهات الكتب الدينية ، حين يفتقد وجود هذا المعيار فى نفسه .

ويبدو أن تحقيق الهدف النهائى من تدريس التربية الإسلامية – أمر لا يدخل فى عداد المستحيلات ، لأن الهدف النهائى والحقيقى هو الالتزام الكامل بشرع الله وحدوده . ويبدو أن هذا الالتزام قد يتعارض مع طبيعة البشر ، باعتبارهم ضعفاء أمام المواقف الحياتية ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء : ٢٨) ، وندر من لا يخطئ ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴾ (فاطر : ٤٥) ، فضلا عن أن العقيدة – وموطنها القلب - لا يطلع عليها أحد إلا الله ﴿ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ (النحل : ١٠٦) ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ (الحجرات : ١٤) . ومن هنا يمكن القول: إن تحقيق الهدف من تدريس التربية الإسلامية إذا أينصرف إلى الجانب التعليمى ، فإنه من الممكن أن يتعدى ذلك إلى الجانب الإيمانى وهو أمر لا تطوله عملية التقويم التى يخضع لها . الجانب التعليمى ؛ إذ لا تلازم بين المعرفة والإيمان ، أو بين المعرفة والعمل ، وأيضا لا تعارض بين ما هو راهن ، وما هو مرغوب فيه لأن فهم تلك الفجوة يثير الدافع فى الفرد ، لكى يشغل نفسه بأنشطة التعلم ، كما يفيد فى تقدير الحاجات التعليمية و سواء أكان مؤداه بواسطة المتعلم أم بأى واسطة أخرى .

ويغلب على أهداف التربية الإسلامية الأهداف الممتدة ، وهى التى تلازم الإنسان أينما كان ، وفى أى زمن . وقد يسقط الهدف المعرفى فى الطريق ، ولكن الهدف

الوجدانى باق أبدا . فمعرفة المسلم الفروض ، والنوافل مثلا جانب تحصيلى و لكن التحصيل لا يعنى تحقيق الهدف . فقد يعرف كيفية الصلاة ، ولكنه لا يصلى ، وقد تتحقق لدى المسلم مهارة القيام بالشعائر . ولكنه لا يؤديها . وحتى إذا أداها يمكن ، أن يكون هذا الأداء أداءً شكلياً . والأحاديث فى ذلك كثيرة : "رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش " . " وليس للإنسان من صلاته إلا ما عقل منها " . ورب صدقة ، أو حج ، أو عمل ظاهره عبادة ، ولكن لا ثواب عليه . فقد يكون رياء أو غير ذلك . والعبرة بالنية ، " إنما الأعمال بالنيات ، ولكل امرئ ما نوى ... إلى آخر الحديث.

وبناء على ذلك فإن الهدف المتوقع تحقيقه على المدى القريب - فى التربية الإسلامية - هو الهدف التحصيلى، وقد يصاحبه هدف وجدانى، ولذلك " فإن العبارات التى تصاغ بها أهداف التعليم ، عادة ما تستخدم مصطلحات مثل : يكتب، يحل ، يقارن ، والتى ينبغى أن تحدد بوضوح ... ومثل هذه الأهداف الواضحة المعالم يمكن أن تتلاءم مع أى عوائد تعليمية بما فى ذلك التذوق والاستحسان ، وليس مجرد الأداء ... ويفكر المتمرسون فى وضع الأهداف بأساليب فيها إضافة " إلى حد ما " لأن ما ينبغى أن يكون ، يتعذر الوصول إليه بالمعنى الحقيقى.

وتحقق التربية الدينية أهدافها إذا راعى منهجها خصائص التلاميذ فى مختلف المراحل التعليمية بحيث يكون مناسبا لأعمارهم، وملبيا لحاجاتهم ومطالبهم : لأنهم المستفيدون منه وكذا المادة المقدمة لهؤلاء التلاميذ، بحيث لا تقل عما يمكن أن يصل إليه التلميذ بنفسه أو بوسائل التربية الأخرى مثل المسجد، أو أجهزة الإعلام، أو نادى المسلم الصغير ، أو غير ذلك كما لا تزيد عن مستواهم بحيث تدفع التلميذ إلى الإعراض عن دروس التربية الدينية ، ثم الأوضاع الثقافية والاجتماعية التى يعيش فيها هذا التلميذ ، بحيث يتضمن المنهج بعضا من القضايا أو المشكلات الدينية المطروحة، والتى يمكن من خلالها استثارة هذا التلميذ إلى البحث والتأمل ، ومحاولة إيجاد الحلول لها ليدرك فى النهاية أن دين الله مجال رحب يمكن أن يجد الإنسان فيه نفسه ، روحا وعلما، وخلقا، وسلوكا وإشباعا لما يمكن أن تتطلع إليه النفس البشرية.

ويمكن القول: إن أهداف التربية الدينية الإسلامية تنحصر فى بناء الشخصية المسلمة وإعدادها إعدادا مبنيا على أصول الإسلام وقواعده بحيث تتمكن من التفرد والاستقلال وتتجنب عوامل الضعف والتمزق ، وتصبح حياة المسلم حيزا يتجلى الله فيها بالحق والخير

والجمال أو بمعنى آخر إيجاد المسلم العابد بمفهوم العبادة بمعناها العام . وهذه الأهداف يجب أن تضع التلميذ ونموه ، والمادة المقدمة ، والمشكلات المعاصرة فى المقام الأول .

ويتفرع عن هذا عدة أهداف . أبرزها ما يلى :

١ -تحقيق الوحدة الفكرية القائمة على وحدة العقيدة . والوحدة الفكرية من أقوى نماذج الوحدة، لأنها قائمة على العقل، وإعمال الفكر، بالنظر فى الدلائل، والتدبر فى العواقب .

٢ - كشف الكامن الفطرى الدينى المتأصل فى النفس البشرية ، وإتاحة الفرصة له، لكى ينمو فى الاتجاه الصحيح. وفطرة البشر تطلب ديناً تستمد منه ما هو ألصق بمصالحها وأقرب إلى قلوبها ومشاعرها. والإنسان قادر على بلوغ الكمال إذا ما وجد من العناية والتربية ما يساعده على ذلك .

٣ - ترسيخ عقيدة التوحيد لدى النشء بما يتناسب مع مظاهر النمو المختلفة ، بحيث يحل الإيمان واليقين محل التقليد والمحاكاة .

٤ - تكوين الفكر الإسلامى الواضح فى ذهن الأفراد، وذلك فى ضوء فلسفة الإسلام نحو الكون والحياة والناس دون نظر إلى خلافات مذهبية أو طائفية .

٥ - تأكيد حرية الفكر، واستقلال العقل فى النظر، ودعم استقامة الطبع، وما فيه من إنهاض العزائم إلى العمل، ودفعها إلى السعى فى الحياة .

٦ - تنمية النواة الأولى لمرحلة التجرد بحيث يتوجه المسلم بعمله كله إلى الله لا إلى المقاصد الذاتية، أو الأغراض النفعية، أو الطموحات الشخصية. وقوام هذا التجرد، الحب لله والكره لله ، والعمل لله.

٧ - زيادة اتصال النشء بالقرآن الكريم: حفظا وتلاوة، والتدبر فى معانيه، والوقوف على أحكامه، والرجوع إليه لإسعاد النفس البشرية، والقرب من الله وتهذيب النفس، وتربيتها على الكمالات .

٨ - وقوف التلميذ على الأحاديث النبوية الشريفة. وما فيها من أحكام، و آداب، ومثل عليا .

٩ - الاقتداء بسيرة الرسول (ﷺ)، وسير الأئمة العظام من المسلمين الذين كانوا علامة بارزة فى التاريخ الإسلامى. أدبا، وعلما، وخلقا، وسلوكا للوقوف على الجوانب المختلفة لتلك الشخصية، والتأسى بهم فى النواحى التى يميل إليها النشء .

١٠ - إمداد التلميذ بالمعلومات الدينية الخاصة بالعبادات والمعاملات وغيرها ليتسنى له ممارسة تلك العبادات، وأداء نسكها بالطريقة السليمة ، والاندماج فى حياة المسلمين.

١١ - تنمية القيم الخلقية عن طريق المصادر الأصلية للتربية الدينية وهى : القرآن الكريم والحديث النبوى بما فيها من العقائد ، والعبادات ، والسير ، والتهذيب ، والقضايا التى تهم الإنسان .

١٢ - تزويد النشء بطائفة من الحقائق الدينية التى تساعدهم على تثبيت العقيدة ، وعلى مقاومة التيارات المغرضة ، ومغريات الخروج عن القيم الروحية ، وعلى المزيد من فهم أسس المجتمع ، والعلاقات بين الناس ، وعلى تعرف العالم الإسلامى ، وما بين أبنائه من صلات.

وقد انتهت لجان تطوير المناهج إلى وضع الأهداف العامة للتربية الإسلامية لمرحلة التعليم الأساسى وهذه الأهداف هى :

١ - يحفظ المعلومات والنصوص الخاصة بالعقيدة، والرسل، والرسالات، وأركان الدين.

٢ - يتذكر المعلومات الخاصة بالعبادات كما وكيفا، وما يلزم لأدائها.

٣ - يتذكر مع - الفهم - النصوص الموضحة لعلاقة الفرد بربه ، وبغيره ، وبأسرته وبمجتمعه.

٤ - يعرف تطور الأمة الإسلامية من حيث التكوين ، والتراث ، والمثل .

٥ - يتعرف على بعض الشخصيات الإسلامية

٦ - يتجاوب مع الأحداث تجاوب الواثق بنفسه ، وبغيره ، لإيمانه بمنهج ربه.

٧ - يقدر أهمية المنهج العلمى فى الانتفاع بروح الدين واتجاهاته التى تدفع إلى المعاصرة والإصرار على التقدم.

٨ - يتخذ من مظاهر الكون دليلا على قدرة الله وعظمته ، ويربط التربية الإسلامية بالمواد الأخرى.

٩ - يعتقد فى ضرورة الربط بين الدين ووسائل المعرفة الأخرى مما يعينه على تفسير ظواهر الطبيعة.

١٠ - يحب أداء واجب الجماعة فى تقدير واحترام ، مقدراً لحرمة المال العام .

١١ - يؤمن بضرورة الدفاع عن أرض الإسلام والمسلمين ، ويعرف أن الإسلام يحث على الانتماء للوطن ، ومكارم الأخلاق .

١٢ - يحب العمل فى سبيل الله .

أما فى المرحلة الثانوية فإن الهدف من تدريس التربية الدينية بالإضافة إلى ما سبق ما يلى :

١ - القضاء على ظاهرة الاهتزاز الدينى لدى المراهقين من خلال حالات الشك التى قد تساورهم.

٢ - دعم ظاهرة اليقظة الدينية لدى طلاب تلك المرحلة ، وتوجيهها إلى المسار السليم.

٣ - ترسيخ القيم الدينية التى تناسب مرحلة نمو هؤلاء الطلاب.

٤ - تهيئة هذا الطالب من الجانب الدينى إلى الدخول فى جماعة الراشدين.

٥ - مناقشة بعض القضايا المعاصرة ، ومعالجتها معالجة مقنعة ، وبيان وجه الحق فيها.

خامساً : طبيعة الدين الإسلامى :

الدين الإسلامى خاتم الأديان ، وقد سبقته رسالات أخرى ، كانت إرهاصات لهذا الدين.

ولعل حكمة الله اقتضت أن يعالج الإنسان من قبل ربه شيئا فشيئا ، فكان تسلسل الأديان كل منها يفتح الطريق للآخر، ويمهد له، تمشيا مع سنة الله فى التطور ومع الناموس الطبيعى للحياة .

وكان المجتمع البشرى قد أعدته الحوادث الماضية إلى رشده، فجاء الإسلام يخاطب العقل ، ويستصرخ الفهم، ويشركه مع العواطف والإحساس فى إرشاد الإنسان إلى سعادته الدنيوية والأخروية . فرفع كل امتياز بين الأجناس البشرية، وقرر لكل فطرة شرف النسب إلى الله فى الخلقة، وشرف اندماجها فى النوع الإنسانى. ودعا إلى البصيرة فى الدين وإقامة العدل وتحرير الأرقاء، وحفظ العهود والمواثيق والصدق فى القول ، والسداد فى العمل، والبعد عن الخديعة، والغش ، والنصيحة لله ولرسوله .

معنى هذا أن الدين الإسلامى دين شامل لشتى مظاهر الحياة الدينية والدنيوية، حيث حدد وظيفة الفرد، وأكد دور الجماعة، وتناول الحياة كلها، والكون بأسره، وجعل السيادة فى هذا الكون للإنسان، وفى مقابل هذه السيادة حمله الله الأمانة.

ولما كان الدين الإسلامى منهجا إلهيا فقد يكون من المتعذر تحديد طبيعة هذا المنهج تحديدا شاملا ؛ لأن طبيعة الشئ ما هى إلا مجموع ما يتميز به هذا الشئ من المظاهر والخصائص التى تبرز الخواص النوعية له ، كطبيعة الحياة ، وطبيعة النفس ، وطبيعة الفرد والمجتمع . فطبيعة الشئ -إذا - هي سر نموه وتغييره وحركته.

وتتجلى طبيعة الدين الإسلامى فى ثلاثة مظاهر : مظهر إلهى ، ومظهر إنسانى ومظهر كونى ، والمحصلة النهائية لتلك المظاهر كلها مجتمعة تكون طبيعة هذا الدين وفيما يلى عرض لتلك المظاهر .

المظهر الأول : **الوحدانية** : وهى تفيد نفى الأشكال والنظراء ولا تستعمل فى غير الله . وفى الصحيح عن النبى (ﷺ) أنه قال : " من قال لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله - حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل - وهى لب هذا الدين وأساسه ، ولهذا احتلت مركز الصدارة فى القرآن الكريم منذ بدء الدعوة المحمدية . وأكد القرآن على هذه القضية باعتبارها البداية الأولى لتحرير الإنسان من نفسه ومن غيره .

فالولاء لله الواحد يحمى الفرد من الذل والمهانة ، ويجعله فى موقف القوى . والعبادة الخالصة لله تبعد الفرد عن عبادة العبد ، وكذا عبادة النفس ، لأن وقوع الفرد فى أسر هذا أو ذاك هو الذل بعينه . وتحرير الفرد من نفسه ومن عبد مثله ليست منفعته قاصرة عليه وحده فقط ، بل إن فائدته تتعداه لتعم الجماعة بأسرها ، إذ أن الخوف يحطم الفرد ، ويبدد طاقته ويعوقه عن الانطلاق ، ويحرمه من الإبداع.

والوحدانية ترفع شأن الإنسان ، وتسمو بقيمته وهى بداية العقيدة الصحيحة إذ أن العقيدة الصحيحة هى الضابط الأمين الذى يحكم التصرفات ، ويوجه السلوك ، ويتوقف على مدى انضباطها وإحكامها كل ما يصدر عن النفس من كلمات أو حركات ، بل حتى الخلجات التى تساور القلب ، والمشاعر التى تعتمل فى جنبات النفس ، والهواجس التى تمر فى الخيال هذه كلها تتوقف على رسوخ العقيدة وصدقها .

والتربية الدينية من هذه الجهة ليس مهمتها فقط أن تلقن النشء " لا إله إلا الله " وإنما تعمل على أن يترجم هذا المعتقد إلى سلوك يمارسه الفرد فى حياته اليومية مع النفس ومع الغير.

وعقيدة التوحيد تعطى لكل شئ حياة ، ولكل شئ معنى فهى تربط الإنسان بأصله وبغايته معا ؛ انطلاقا من أركان الإسلام الخمسة : فالجهر بالعقيدة وهى الشهادة بأن لا

إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله يجعل للكون بأكمله معنى ، إذ يتجلى المطلق فى النسبى على شكل إشارات ورموز . وهى السبيل لتمييز الظاهر الحقيقى من اللاحقيقى ، وشطرها الأول " لا إله إلا الله" ، وشطرها الثانى " محمد رسول الله" ، هما ربط كل شئ فى الطبيعة والتاريخ بمصدر وغايته : بالله ورسالاته وآياته . عد إلى ذاتك تجد الوجود كله مختصرا فيك.

إن الطبيعة والبشر تماما ككلام القرآن هم ظهور لله، وتجل لعظمته ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (الإسراء : ٤٤).

والصلاة هى المشاركة الواعية من الإنسان بهذا التسبيح الذى يربط كل مخلوق بخالقه .

والصوم إيقاف طوعى للإيقاع الحياتى ، وتوكيد لحرية الإنسان بالنسبة للأ " أنا" ولرغباتها.

والزكاة ليست تسولا ، وإنما هى ضرب من العدالة الداخلية ، أعطيت صيغة المؤسسة ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ (التوبة : ١٠٣).

والحج إلى مكة لا يجسم الحقيقة العالمية للأمة الإسلامية فحسب ، بل إنه يحيى فى داخل كل حاج الرحلة الداخلية نحو مركز ذاته .

وخلاصة القول: إن الإسلام دين الوحدة بين القوى الكونية جميعا. فلا جرم هو دين التوحيد: توحيد الإله، وتوحيد الأديان جميعا فى دين الله، وتوحيد الرسل فى التبشير لهذا الدين الواحد منذ فجر الحياة ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ (المؤمنون: ٥٢) كما أنه دين الوحدة بين العباد والمعاملة، والعقيدة والشريعة، والروحانيات والماديات، والقيم الاقتصادية والقيم المعنوية، والدنيا والآخرة والأرض والسماء. فهو دين متكامل من جميع نواحيه ليس للإنسان فحسب بل للكون كله .

وما من مسلم يدين بصورة جسدية للإله الواحد الأحد الذى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ (الشورى : ١١) والإنسان مخلوق يتوقع أن يكون صورة كاملة من الصفات الحسنى فى مثلها الأعلى . محبة وكرم ، وعلم ، وعمل ، ومشيئة ، ومجد ، وعظمة ، وفتح وإبداع ، وإنشاء . وكل صفة من هذه الصفات مطلوبة من الإنسان على غاية ما يستطيع . ذلك هو الإنسان فى عقيدة الإله الواحد الذى لا أول له ولا آخر .وذلك هو الإنسان فى عقيدة النبى الصادق الأمين. نبى يدعو إلى رب العالمين.

وتبدو عقيدة التوحيد الخاصة فى علاقة العبد بربه حيث الاتصال المباشر ، بلا واسطة وبلا وسيلة . إنسانا كان أو غيره ، لأن الوحدانية منزهة عن الشريك والمعين . ومن هنا فلا حجر على مؤمن فى اتصاله بربه قربا وعبادة . ومن ينصب نفسه واسطة بين الخالق والمخلوق فهو فى نظر الدين كذاب ودجال يستخف بعقول الناس ، ومن يتقبل هذه الشعوذة من الناس فإنما ألغى عقله ، وأوقف تفكيره وعطل الأداة الحيدة التى تميزه عن غيره من المخلوقات .

وإذ كان هناك من المؤمنين من اختارهم الله - تكريما منه وتفضيلا - كالأولياء والصالحين فإن منفعته لا تتعداه إلى غيره بل هو فى مجال الأسوة فقط ﴿ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ (الطور : ٢١) . حتى تظل الوحدانية منزهة نقية ، بعيدة عن الشرك والشريك .

المظهر الثانى : المظهر الإنسانى تبدو طبيعة الدين الإسلامى من الجانب الإنسانى فى محاور متعددة لأن الإسلام قدم لنا كمسلمين كل المفاهيم والقيم والتفسيرات لمختلف قضايا المجتمع الإنسانى ، والأخلاق والنفس على نحو يناسب الطبيعة البشرية ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (الملك : ١٤) . عن سليمان رضى الله عنه . قال : قيل له قد علمكم نبيكم (ﷺ) كل شئ ، حتى الخراءة . قال أجل ! نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول ، وأن نستنجى باليمين ... الخ (مسلم رقم : ٢٦٢) . فيه السماحة والبشر ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (البقرة : ١٨٥) ومن قبول الاضطرار والمغفرة عند الإساءة ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة : ١٧٣) ﴿ إلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ (النحل : ١٠٦) والتوبة من الذنب دون يأس ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الزمر : ٥٣).

ولما كان المقصود بالرسالات السماوية عموما هو الإنسان فإن الإسلام قد لبى حاجات هذا الإنسان ومطالبه بشكل يعبر عن طبيعته ، ولم يخرج به عن الحد الذى رسمه الله له ، ليمهد له بأن يكون خليفة فى الأرض .

وتتعدد جوانب الإنسان. فمنها الفطرى، والروحى، والاجتماعى، والسياسى والاقتصادي وهذه الجوانب ليس بينها حدود فاصلة، بل هناك تداخل بين جانب أو أكثر . ومحاولة الوقوف على طبيعة هذه الجوانب فى الإنسان بالشكل الذى رآه الإسلام يساعد

من يتصدى لتدريس التربية الدينية ، أن ينفذ إلى أعماق النشء ، ويحق الأهداف من تدريسها .

أ ـ الجانب الفطرى :

والفطرة تعنى الجبلة أو الخلقة التى يكون عليها كل موجود فى أول خلقه. وقيل: إن الفطرة هى الإسلام ، أو هى ما أخذه الله على ذرية آدم من الميثاق، وهى تعنى قبول ما يتفق مع النفس السوية ورفض مالا يتفق معها . ففطرة الإنسان السوى - حتى ولو كان كافرا - تقبل العدل، وترفض الظلم، تقبل الإنصاف، وترفض المحاباة، تقبل المساواة ، وترفض التميز . تقبل الصراحة، وترفض المواربة. تقبل الشجاعة وترفض الجبن . "ما من مولود إلا ويولد على الفطرة". فكل مولود ابن فطرته التى تتحرك بحتم داخلى وبتوجيه ذاتى فيها، إلى غايات نموها. وكمالها: عبوديتها لله بالتقوى ، وعبودية الإحسان.

والفطرة بهذا المعنى مزيج من العقل والعاطفة . كل جانب منها يؤازر الآخر . وهى عند " ديكارت " استعداد لإصابة الحكم ، والتميز بين الحق والباطل .

وقد واجه الإسلام فطرة الإنسان بأسلوب المصارحة ليس فى مجال ممارسة الحياة اليومية فحسب، وإنما فى أمور العقيدة ، وصلب الرسالة حيث نهى الرسول (ﷺ) عن الجدل فى بعض الأمور مثل معرفة كنه الله تعالى ، فأمر الصحابة إذا قادهم الشيطان إلى التفكير فى الخلق ، ثم إلى التفكير فى الخالق بحيث يجعلهم يتساءلون . هذا الله قد خلق الخلق . فمن خلق الله ؟ أمرهم (ﷺ) عندئذ أن يستعيذوا بالله من الشيطان ، وأن يقول كل منهم: آمنت بالله ففى صحيح مسلم ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) : "لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق . فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل: آمنت بالله". ذلك أن الإحاطة بذات الله تعالى أمر يخرج عن طاقة البشر، ويستعصى على العقل الإنسانى فهمه . وكما أن الله قد خلق البشر وجعل لهم طاقة بدنية محدودة ، فكذلك جعل لعقولهم حدودا لا يمكن تجاوزها ، ولذلك قال تعالى ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٨٥) وقال تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (الأنعام : ١٠٣) .

وحين تصفو فطرة الإنسان ، وتسمو إنسانيته ، وتبعد عن نفسها المفاهيم الخاطئة والأقنعة الزائفة يصبح بمقدورها الشعور بقاهر تنساق نفسه بالرغم منها إلى معرفته ، ولم يفض عليه مع هذا الشعور عرفان بذات ذلك القاهر ، ولا صفاته.

وكما أن فى فطرة الإنسان أن يؤمن بوجود أشياء تصل إليه عن طريق الحواس . كذلك فى فطرته أن يؤمن بأشياء لاتصل إليه عن طريق الحواس . وتلك مزيته الكبرى على عالم الحيوان.

والإنسان أكرم على خالقه – جلت حكمته ، وعزت قدرته – من أن يكلفه دون أن يمده بمقومات واستعدادات إدراك هذا التكليف ، واستعدادات نهوضه بمهامه وتبعاته ثم استعدادات الحساب على قدر التوفيق فى امتحان التكليف وابتلائه . التكليف هو القدرة على الاستماع إليه ، ثم القدرة على القيام به ، ثم المواجهة الواعية للمساءلة والحساب ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾ (البقرة :٢٨٦). والحاسة الأخلاقية المغروسة فى صميم جبلة الإنسان وفطرته هى الأصل فى هذا التكليف ﴿ **فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ** ﴾ (الروم : ٣٠). ومعنى هذا أن الشريعة لا تحكم بوجود الخير إلا ما يوافق الفطرة التى فطر الناس عليها ولا يوجد الشر إلا فيما يخالفها ، بل أن المعروف ما تعرفه – وظلت تعرفه –الفطرة الإنسانية وترى فيه لنفسها الرشد والسعادة من المكارم والفضائل والحسنات . وإن المنكر ما تمقته – وظلت تمقته – الفطرة الإنسانية وتؤدى به إلى الرذائل والخبائث والسيئات.

والدين الإسلامى بهذا الاعتبار يعترف بدوافع الفطرة عند الإنسان ، ينميها ويقويها ويجعلها مطلوبة جميعا . إنه يريد للإنسان أن يأكل ويشرب ويأمره بذلك أمرا ﴿ **وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوٓا** ﴾ (الأعراف: ٣١) ويأمره أن يقضى ضرورة الجنس " فمن رغب عن سنتى فليس منى" ويبيح له أن يمتلك ، وأن يقاتل ، وأن يبرز وأن يختار الأيسر " ما خير بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله (ﷺ) لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل " (صحيح البخارى حديث ٢٣٢٧) وقوله (ﷺ) لأبى موسى الأشعرى ومعاذ بن جبل – رضى الله عنهما – حينما بعثهما لليمن : يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا "ولن يستطيع أن يبنى ويعمر ويمشى فى مناكب الأرض ، ويستغل طاقاتها المزخورة ، ويتعرف على قوانين الكون ، وينتفع بها إلا أن يكون قوى الكيان ، قوى الدوافع مقبلا كل الإقبال على الحياة.

بـ الجانب الروحى :

وتتحقق تلك الخاصية من الوجهة الدينية أن يتوجه المسلم فى كل عمل يعمله ، أو نية تعتمل فى صدره إلى الله تعالى . والمسلم من هذه الجهة إنسان ربانى ، إذا جند نفسه لله

وجردها من كل ما يعوق حركتها ، وربطها برباط المصلحة . وهو بهذا الاتجاه يحقق معنى العبادة فى معناها السامى ، والعمل فى توخيه رضا الله ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات : ٥٦) والعمل فرع من العبادة .

وتكمن قوة هذا الجانب فى التربية الإسلامية أن المسلم إذا أنكر ذاته ولم يربط علاقاته بالناس برباط المنفعة ، وارتفع بنفسه عن مفهوم " العطاء مقابل الأخذ " لأصبح كل المسلمين فى جانب المعطى . وهو هدف لا يمكن تحقيقه،من خلال مسلمين أداروا وجوههم للدنيا من أجل الدنيا ، وإنما أقبلوا عليها من جهة الدين ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنعام : ١٦٣).

وتتحقق طبيعة الدين من جهة أنه لا ينسى الدنيا. وهو ما تعبر عنه التربية الحديثة بالغرض النفعى أو الإعداد للحياة .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه لا رهبانية فى الإسلام ، ولا تفرغ للعبادة وترك العمل . وفى المقابل ليس من الإسلام فى شئ ما هو دنيا فقط ، بحيث يصبح هم الفرد جمع المال، وإشباع الشهوات ، والتمتع بأطايب الحياة ، ولكن المسلم الحق هو الذى يجمع بين الدين والدنيا ليحقق خلافة الله فى الأرض وعمارتها ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (هود : ٦١). والعمارة الحقيقية لهذا الكون لن تتحقق إلا بالجمع بين الدين والدنيا، ومحاولة الوصول إلى تطبيق القيم المطلقة قدر الإمكان .

ويمكن القول: إن الجانب الروحى هو ذلك الجانب المعنوى الذى يتعلق بتطبيق الشريعة الإسلامية الخالدة . فمثلا حينما يؤثر المسلم أخاه المسلم نقول: إن روح الإيثار هى السائدة . وحينما يواد المسلم أخاه المسلم لله نقول إن روح المودة هى السائدة بين المسلمين وهكذا . والجانب الروحى بهذا المعنى رباط قوى يجمع المسلمين على الحب والإخلاص، لأن الروابط المادية التى تجمع بنى البشر بعضهم ببعض قد تكون روابط هابطة. فرباط المنفعة أساسه الأخذ والعطاء، وهو الحد الأدنى لبقاء العلاقة، وتزيد هذه العلاقة أكثر إذا كان جانب الأخذ أكثر. حينئذ يحافظ عليها هذا الطرف أكثر من الآخر. أما رابطة عصبة الروح ففيها معنى التسامى بالإنسان، والارتفاع عن المألوف. وتكتسب هذه العلاقة قوة أكبر وأبقى إذا كانت خالصة لله. ومعنى هذا أن الإنسان الروحى هو الذى يأخذ المعارف العقلية، فيوقع بينها تأليفات وازدواجيات، ويستنتج منها معانى شريفة، ثم إذا استفاد بنتيجتين مثلا ألف منهما نتيجة أخرى و لا تزال تتزايد كذلك إلى غير النهاية.

أما رابطة الجنس واللون والغنى وكل الأشكال العارضة ، والتى تخرج عن ذات الفرد وطاقته فهى رابطة ضعيفة تحمل فى ثناياها إهدار قيمة الإنسان من حيث هو إنسان ، وتحطم معنى المساواة التى يتطلع إليها الإنسان حتى لو كان يدين بدين سماوى أو غير سماوى .

وعصبة الروح أو عصبية الروح من المعانى التى لا تجد قبولا لدى البعض – مسلمين وغير مسلمين – كما توحى بالتخوف من المؤمنين بها ، بل قد يثور بعض الناس ضد هؤلاء وضد اتجاهاتهم .

والواقع أن عصبة أو عصبية الروح إنما كانت سببا فى إحياء قوميات وشعوب فقدت كيانها ولا أدل على ذلك من الكيان الصهيونى الذى اعتمد ويعتمد فى بقائه واستمراره على تأصل جانب الدين عند اليهود ، وإشعال عصبية الروح عندهم . وحينما يأتي المسلمون ويمارسون هذا الذى يمارسه غيرهم يفسر ذلك بأنه تعصب ممقوت ، واتجاه غير حضارى ، مع إنه فى الأصل دعوة إلى الوحدة والتمسك.

وتجدر الإشارة إلى أنه " ما من أمة فى الدنيا تهتم بلغتها ودينها اهتمام اليهود بهما فاليهود يعتبرون الدين واللغة الركنين الأساسين لدولتهم ، ولذلك نجد التعليم الدينى مسيطرًا على أنظمة التعليم المختلفة سواء كان التعليم الرسمى الذى تشرف عليه الدولة أو التعليم شبه الرسمى ... وقد عبر عن ذلك أحد عمداء الجامعة العبرية حين قال : " أن اكبر كمية فى الدراسة هى الثقافة العبرية الكلاسيكية ، كما هو معبر عنها فى التوراة ، وفى الأدب العبرى القديم والحديث ، وهذا هو الحبل المشترك القوى والإنسانى الذى يوحد جميع اليهود ويكون لهم تقاليدهم المشتركة ، وقد خصص لهذه المواضيع بين الثلث إلى نصف وقت التدريس .

وحينما يؤخذ الجانب الروحى فى الاعتبار فى مجال الدراسة فإنما يقصد به حماية المؤمن وغير المؤمن ، لأن فى استيعاب هذا الجانب وفهمه ، وتطبيقه صمام أمان للفرد والمجتمع ، إذ يمنع تسرب الأفكار الدخيلة ، ويصد التيارات الوافدة ، ويصون العقل من الخرافات المدسوسة.

إن الإسلام اعتمد على رابطة الروح والعقيدة كأساس لإيمان المؤمن و لأن فيه قوة للمسلمين باعتبارها رابطة إنسانية محضة ، إذ تميز الإنسان عن الحيوان ، كما أن فيها عزة للمسلمين لأنها تلغى الفواصل التى اختلقها البشر ، واستخدموها بهوى وأنانية. وفى

الحديث الشريف " ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية " .

فبقاء القرآن على وجهه العربى يجعل المسلمين جميعا على اختلاف ألوانهم من الأسود إلى الأحمر كأنهم فى الاعتبار الاجتماعى ، وفى اعتبار أنفسهم جسد واحد ، ينطق فى لغة التاريخ بلسان واحد . ومن ثم يكون كل مذهب من مذاهب الجنسية الوطنية قد زال عن حيزه، وانتفى من صفته الطبيعية ، لأن الجنسية الطبيعية التى تقدر بها فروض الاجتماع ونوافله إنما هى فى الحقيقة لون القلب . لا سحنة الوجه.

والتأكيد فى التربية الإسلامية على جانب الروح يخلق فى النشء ولاء لعقيدة التوحيد ، ويحميهم من التفكك والضعف ، ويبعد عنهم مخاطر التعصب الممقوت الذى لا سند له إلا الشهوات والطموحات الذاتية ؛ إذ أن الإيمان الحقيقى هو ذلك الإيمان النقى الخالص البرئ من التعصب والبعيد عما لا سند له من الدين .

جـ الجانب الاجتماعى :

ويظهر فى أن حاجة بعض الناس إلى البعض الآخر صفة لازمة فى طبائعهم ، وخلقة قائمة فى جوهرهم ، وثابتة لا تزايلهم ، ومحيطة بجماعتهم . ولم يخلق الله تعالى أحدا يستطيع بلوغ حاجته بنفسه دون الاستعانة ببعض من سخر له . فأدناهم مسخر لأقصاهم . وأجلهم ميسر لأقلهم . والمتأمل فى الجانب الاجتماعى يجد أن هناك تداخلا بين الجوانب المختلفة فى الإنسان. فقد يكون الجانب الاجتماعى اقتصاديا أو العكس ، انطلاقا من وحده الإنسان والتى هى بدورها صورة من وحدة هذا الدين وتكامله . ولعل من أبرز طبيعة الجانب الاجتماعى ما يلى :

(١) **العلم:** هو الإدراك مطلقا ، تصوراً كان أو تصديقاً ، يقينا كان أو غير يقينى . وجوهره الكشف عن العلاقات الضرورية بين ظواهر الأشياء ، وشرطه أن يتضمن درجة كافية من الوحدة والتعميم . وهو الأداة التى يستثمر بها الإنسان ما استخلفه الله فيه من موارد الأرض ، وهو أساس الحياة الدنيا على الطريق الواضح الذى يقودها إلى الحياة الآخرة وهو من مسائل تثبيت الإيمان وتقويته ، ولذلك دعا الإسلام إليه . ولا تكاد تخلو آية من آيات الكتاب الكريم من إشارة أو توجيه إلى التفكير والتأمل.

قال أبو الدرداء : " الناس عالم ومتعلم . ولا خير فيما بين ذلك . وهو إلى جانب ذلك حاجة نفسية من حاجات الإنسان " .

ولاشك أن الإنسان كلما تعمق فى العلم، وأدرك الكثير من أسراره كشف له ذلك عن قدرة الخالق العظيم واجتذب العقلاء إليه ، يتساوى فى ذلك كل علم أعمل الإنسان فيه عقله ، ووجهه إلى الجانب المفيد من الحياة : دينا ودنيا .

ومع أن الإسلام قد ترك الباب مفتوحا لكل طالب علم حسب ما يميل إليه ، إلا أنه فى حالة ضرورة علم ما فى حياة المسلمين ، يتوقف عليه حياتهم ، وليس بين المسلمين من يعلمه - فقد أدخله الإسلام من باب فرض العين ، انطلاقا من قاعدة "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب " . وتقر العقيدة الإسلامية إن الله رب الإنسان قد خلق القوى فى هذا الكون كله لتكون له صديقا مساعدا متعاونا . أما سبيله إلى كسب هذه الصداقة فهو أن يتأمل هذه القوى ويتعرف عليها ، ويتعاون معها . وإذا كانت هذه القوى تؤذيه — أحيانا - فإنما تؤذيه ، لأنه لم يتدبرها ولم يعرف الناموس الذى يسيرها.

ومعنى هذا أن التفكير فريضة إسلامية ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (آل عمران : ١٩١،١٩٠). ولا تعارض بين العلم والإسلام بل إنه اكبر مناصر للعلم وأعظم محرض على اكتسابه . ولعل من أصول الكمال فى الشريعة التأكيد على فضله والدعوة إليه ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (الأعراف : ١٨٥) . ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النمل : ١٥). ويتبين من تلك الآيات وغيرها أن العقل الذى يخاطبه الإسلام هو العقل الذى يعصم الضمير ، ويدرك الحقائق ، ويميز بين الأمور ، ويوازن بين الأضداد ، ينتصر ويتدبر ، ويحسن الأذكار والرواية وهو أمر نسبى ، خاصة إذا قيس بعلم الله المطلق ولاسيما فى الجانب الغيبى ، أما الكون فمفتوح أمامه يستبطن ما فيه بقدرة الخالق جل وعلا .

(٢) الواقعية والمثالية : تعبر الواقعية تعبيرا صادقا عن طبيعة هذا الدين ، وطبيعة من أرسل إليه . فمن أساء إلى الفرد أو الجماعة أباح الإسلام له أن يأخذ بحقه ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ و نظرا لأن الإنسان خليفة الله فى أرضه فالأولى بهذا الإنسان أن يتشبه

بمن أستخلفه فى العفو والتسامى ليكتسب القرب من الله : ولذا جاءت تكملة الآية ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (الشورى : ٤٠) خوفا من أن يفلت زمام القصاص فى الوصول إلى حقه ، فيصبح ظالما بعد أن كان مظلوما .

والقرب من المثالية فيها تماسك المجتمع ونجاحه ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت : ٣٤) . والمثالية هى وصف لكل ما هو كامل من نوعه . نقول : التنظيم المثالى ، والعدالة المثالية ، والمواطن المثالى . وهى المقابل للحقيقة والواقعية .

(٣) التسامح : وهو احتمال المرء - بلا اعتراض - كل اعتداء يقع على حقوقه الدقيقة بالرغم من قدرته على دفعه . ويتميز الإسلام بالتسامح ، ويرى فيه تساميا بالإنسان بل ويحض الإسلام عليه ليس بين المسلمين بعضهم البعض ، وإنما بين المسلم وغير المسلم وكان تسامح الإسلام والمسلمين الأوائل - وهم فى أوج قوتهم - سبباً فى دخول الناس الدين أفواجا ، وإقبال الناس عليه من كل فج عميق ، بل كان تسامح المسلمين فى معاملاتهم سببًا فى انتشار الإسلام، ولعل في موقف الرسول (ﷺ)حين دخل مكة فاتحا، وخاطب أهلها قائلا: ما تظنون، إنى فاعل بكم ؟ قالوا: خيرا . أخ كريم ، وابن أخ كريم . قال (ﷺ) أذهبوا فأنتم الطلقاء.

وتسامح الإسلام يأتى من منطلق القوة من واقع أنه لا يسمى تسامحا إلا إذ استند إلى أكثر من بديل له أو عليه . فإن كان له فبها ونعمت ، وإن كان عليه فهو الضعف بعينه ، وهو ما ليس مقبولا .وفى ظل عدم توازن القوى يغيب التسامح بل ويصبح مدعاة لنقص العهود ، وعدم الالتزام بالمواثيق . ومن هنا كان مغزى الآية الكريمة ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ (الأنفال : ٦٠).

(٤) ربط القول بالعمل: المسلم كيان واحد ، وشخصية متكاملة ، ووحدة واحدة من القول والعمل ، فلا انفصام بينهما ، بل إن الفصل بينهما فيه إثم كبير . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ . (الصف : ٣،٢) ويقول (ﷺ) : الإيمان أمانة ، ولا دين لمن لا أمانة له.

وتأكيد الإسلام على عدم الفصل بين القول والعمل إنما هو من باب احترام الفرد لنفسه ، واحترام الآخر له - صديقا أو عدوا ، ذلك لأن الصدق مع النفس هو بداية

الشجاعة الأدبية ، والبطولة الحقة ، والصدق مع الغير هو بداية الثقة بالنفس ، والإعلان الحقيقى لتماسك الشخصية ، وقوة الإرادة. وفوق هذا كله هو إيمان بالله القوى وتحرر من المخاوف الدنيوية التى تحاصر ضعاف الإيمان فتجعلهم يقولون ما لا يفعلون .

ونظرا لأن الإسلام يعرف للكلام خطورته وأهميته فى توجيه أمور الناس — اقتضت حكمة الله أن يسجل على الإنسان ما يتفوه به ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (ق : ١٨) . وكأن المؤاخاة التى تمت بين المهاجرين والأنصار ، تحت رعاية رسول الله (ﷺ) - كانت تجسيدا عمليا لمفهوم الإيثار من جانب الأنصار ، وما يعبر عنه ذلك بتطبيق وحدة المسلمين فيما بينهم ، لا بين القول والعمل فقط .

(٥) **المساواة** : قرر الإسلام المساواة ، وجعل ما دون الله الخالق الواحد يستوون فى أنهم دونه . وهم فى هذا وحدة . وهذه الوحدة لا تمنع تغايرهم ، ولا تفاضلهم من جراء ما يمنحه لهم .

إنهم متساوون أمام الخالق بالخلق ، وبالفطرة . فالرقيق والحر ، و المرأة والرجل ، والفقير والغنى ، والصغير والكبير ، والمغمور والنابه ، والأبيض وما سواه ، والذمي والمسلم - كلهم متساوون فى قوانين الخلق وأمام سنة الحياة ، وبمعنى آدمية الإنسان ومن هذه المساواة لا يسلم المسلم قياده لغير الله ، ولا يركع ، ولا يسجد إلا له . فليس المال أو السلطان ، أو الجنس ، أو غيرها من بواعث القوة مما يتيح لأحد أن يكون له فضل على غيره ؛ وإنما الفضل بالتقوى . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾ (الحجرات : ١٢) . وما دام سلطان الله موجودا - وسلطانه موجود إلى الأبد - فليس هناك سلطان لأحد. ومن هذا المنطلق يصبح الطريق مفتوحا أمام المؤمنين بالله لكى يتفاضلوا بفضله أو يتنافسوا على طاعته بغير قهر ، أو نفاق.

د. الجانب السياسى :

لم يحدد الإسلام أسلوبا معينا من أساليب الحكم اعتمادا على أن عقل المسلم وظيفته الأساسية تقديم البدائل المختلفة لما يكفل قوة المسلمين ، ويرعى مصالحهم ويحميهم من التفكك. ويحفظ لهم وحدتهم أمام أعدائهم . ولم يترك الباب مفتوحا ليبدأ المسلمون من فراغ وإنما أعطى بعض الإشارات ليتخذها المسلمون دعائم أساسية فى إقامة نظام

حكمهم. ولعل أبرز هذه الدعائم : الأمانة ، والقوة ، والعدل ، والشورى وفيما يلى تفضيل ذلك .

(١) **الأمانة** : ليست دعامة أساسية لمن يقومون بالحكم فقط ، وإنما هى عامل مشترك بين كل المسلمين كل فى تخصصه ، وكل فى عمله ، وكل فى أدائه ، وكل فى محاسبة نفسه على اختلاف مستويات الفرد والجماعة اجتماعيا ، ثقافيا ، دينيا ، اقتصاديا ، لأن الأمانة إذا أديت بمستواها الأفقى مع مختلف الناس والرأسى فى عمر الإنسان من طفولته إلى المراهقة إلى الشباب والنضج ، إلى الشيخوخة أفرزت شعبا جديرا بالاحترام .

وإذا كانت الأمانة هى أداء ما يؤتمن عليه الإنسان أيا كان هذا الشئ ، وإذا كانت هى لازمة لكل مسلم فانها ألزم للحكام باعتبارهم محط الأنظار ، وأساس القدوة الصالحة . وصلاحهم صلاح للرعية بدءا من الأب إلى كل رئيس ثم إلى كل حاكم . كلكم مسئول عن رعيته . ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا** ﴾ (النساء : ٥٨) ومن الأمانة ألا يكتم المسلم شيئا فيه مصلحة للمسلمين من علم ، أو أدب ، أو خلق أو تهذيب ، أو نصيحة.

(٢) **القوة** : الإسلام دين الحق . والحق – غالبا – محارب ومكروه . وإذا كان الحق فوق القوة فلا بد للحق من قوة تحميه . والقوة التى يتغياها الإسلام قوة شاملة . بدءاً من الفرد إلى الجماعة " المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف "

وتتعدد القوة فى عصرنا الحاضر . قوة فى الصحة البدنية ، والصحة النفسية. قوة فى المال والعلم . قوة فى أدوات القتال ، ووسائل الحرب . ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ** ﴾ (الأنفال : ٦٠). قوة الريادة ، والقيادة. وبجميع هذه القوى المختلفة القوة فى الدين. والقوة فى الإسلام ليست قوة غاشمة : تقتل وتدمر ، وتهدم وتخرب ، وتقطع الشجر وتجرف الأرض ، وتتشفى بمنظر الدماء ؛ وإنما هى قوة موجهة لصالح الفرد و الجماعة وتتم وفق معايير إنسانية وإسلامية.

أما من جهة الفرد فهى لا تطحن أفرادها ، ولا تدوسهم ، بل على العكس تجعلهم فى المقدمة تحميهم وترعاهم. فضعيف المسلمين - على أى مستوى من الضعف - هو أول من يؤخذ فى الحسبان ، ويراعى فى الاعتبار . والإسلام بهذا الاتجاه مس جانبين فى غاية الأهمية :

أولهما - أن احترام الضعيف قيمة أساسية فى المجتمع الإسلامى فالفقير ، والمريض والجاهل ومن على شاكلتهم أناس مسلمون قبل أى اعتبار آخر ومسئولية الأخذ بيدهم مسئولية حتمية وواجبة .

وثانيهما - وهو الأهم - أن هذا الاتجاه من المسلمين حيال هؤلاء الضعفاء يعد ضربا من الإثارة والحماس لهم على أن يرفعوا من مستوى أنفسهم ، ويتلاشوا أسباب ضعفهم ليكونوا بعد ذلك قوة أخرى تضاف للمسلمين الأقوياء . والمسلمون بهذا الوضع يحققون معنى العزة المرجوة ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (المنافقون : ٨)

وأما من جهة الجماعة فإن الإعداد للحرب الدفاعية ، أو الوقائية جانب لم تغفل عنه الشريعة الإسلامية لحماية دار الإسلام ، وحريات المسلمين ، " رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها " . والقوة المتعددة فى ميادين الحياة المختلفة للفرد والمجتمع هى سند قوى للجانب السياسى للدولة الإسلامية ، وبدون تلك القوة تصبح الواجهة السياسية ضربا من الكلام ، وشعارا بدون مضمون .

وإذا كان الإسلام فريدا فى دعوته فهو فريد فى قوته ، وهى قوة التقوى . يبدو ذلك واضحا فى وصية عمر بن الخطاب لجيشه الذى يحارب جبهة الفرس " إن تقوى الله أفضل العدة على العدو فكونوا أشد احتراسا من المعاصى فإن ذنوب الجيش أقوى عليهم من عددهم ؛ وإنما ينتصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم يكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا فى المعصية كانت الغلبة لهم ، والهزيمة علينا ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد : ٧) وقوة المسلم فى عصرنا - إلى جانب ما سبق يزيدها تماسكا أمام ما تدفعه الحضارة الغربية من مغريات مادية يراد بها أن يكون المسلم عبدا لمظاهر الترف ، وينسى واجبه الأصلى تجاه دينه ، وتجاه دنياه .

وأيا كان الأمر فإن المطلوب من المسلم القوى أن تسعفه قوته ، كما أن المسلم الضعيف عليه أن تسعفه حيلته .

(٣) العدل : وهو إنصاف كل الناس بمقتضى الشريعة ، وإقرارها على الأقوياء و الضعفاء مع ضمانات الاستماع الحسن للمتخاصمين والمساواة بينهما وتعجل النظر ، وتغليب العدل على الهوى واعتبار هذا الحق فوق أى سلطان - مهما بلغ - لأن العدل

سلطان الله وهو ضرورة واجبة يلتزم به كل من تولى ولاية تتعلق بمصالح الجماعة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ (النساء : ٥٨) ولا تزال هذه الأمة بخير ما إذا قالت صدقت وإذا حكمت عدلت ، وإذا استرحمت رحمت . وقوله (ﷺ) أيضا " أحب الخلق إلى الله إمام عادل ، وأبغضهم إليه إمام جائر " . والتاريخ يؤكد أن العدل أساس العمران كما أن الظلم خراب للديار . وبئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد.

(٤) **الشورى :** تعد الشورى من أهم المعالم الأساسية فى طبيعة الحكم فى الإسلام . وهى أن يطرح ما يخص جماعة المسلمين . وما فيه منفعتهم على أهل الحل والعقد . وأهل الحل والعقد هم أهل الثقة والخبرة . الثقة فى أنهم لا يمالئون فى الدين ، ولا يراؤن الناس أملا فى مأرب أو وسيلة لتحقيق هدف . والخبرة فى انهم أهل للعمل الموكل به إليهم ، تمرسوا فيه وخبروه ، بل جودوه وأتقنوه . وتوافر البعدين قوة موجهة وركيزة مطلوبة . ويبدو أن فى وجودهما تلاقيا للأجيال المختلفة ، ضمانا لسلامة المسيرة . والشورى هى صمام الآمان للفرد تحميه من الجموح ، والتسلط ، وصمام أمان للجماعة يحميها من الوقوع فى السلبية ، والانقياد الأعمى.

وتأتى ضرورة الشورى من جهة أن الرأى الواحد عرضة للخطأ ، فضلا عن أنه يتناول الموضوع من زاوية واحدة ، وينسى الزوايا الأخرى . من هنا كانت آراء الآخرين تغطى ما أغفله الرأى الواحد.

وكما لم يحدد الإسلام نظاما للحكم ، كذلك لم يحدد أسلوبا لتنفيذ الشورى لأن المهم مضمونهاسواء فى صورة برلمان أو فى صورة لجان ، أو مجلس نيابة أو غير ذلك من صور تنفيذ الشورى بالتفاهم ، والمشاركة وتبادل الرأى وبهذا يظل باب الاجتهاد فى الشورى مفتوحا حتى لا يقع المسلمون أسرى نظام بعينه ، يحول بينهم وبين كل تطور مرغوب وضرورى .والتاريخ الإسلامى ملئ بالمواقف والأحداث التى تصور الشورى ، والأخذ بها تطبيقا لما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) . قال تعالى : ﴿ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾ (آل عمران : ١٥٩) ﴿ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾ (الشورى : ٣٨) ومما روى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أنه قال : لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هـ - **الجانب الاقتصادى:** من طبيعة هذا الدين أنه أوجب على الأمة الإسلامية إيجاد الوسائل التى بها يتحقق العمران وتوفر أسباب المعيشة للناس ، وتوفر للمواطنين - مسلمين وغير مسلمين - ما هم فى حاجة إليه من الغذاء والكساء ، والعلاج والدواء ، وما فى حكم ذلك حتى الخدمة لمن لا يستغنى عنها : كالعاجز والمقعد. ولا يكون ذلك لمجرد إبقاء الحياة ، بل يجب أن يبلغ الكفاية . وقدر الكفاية ما يحقق مستوى كريما من المعيشة .

ومعنى هذا أن يتكفل المجتمع الإسلامى بغير القادرين على العمل لأسباب أهمها العجز والشيخوخة والمرض وأصحاب العاهات الجسمية والعقلية . فلهؤلاء حق على المجتمع والمجتمع علية واجب تجاههم ، طالما أن الإسلام أعطى العمل قيمة فى المجتمع وحث كل قادر عليه بل جعل الجزاء والمركز الذى يصل إليه الفرد فى المجتمع مرتبطا بما يؤديه من عمل لصالح المجتمع .

المظهر الثالث: المظهر الكونى :

يعد الكون بما فيه من شمس وقمر وليل ونهار ، وبحار وأنهار ، وأرض وسماء ، وحيوان ونبات ، وجبال وأودية وغير ذلك مما يضمه هذا الكون الرحيب - بعدًا ثالثا لطبيعة هذا الدين الإسلامى الحنيف . وهذا المظهر مجال لفكر الإنسان ، و ميدان يسجل العقل الإنسانى فيه درجات القرب من الله ، لأن الكون كله آية من آيات الله ، ودليل على قدرته . فهو مثير للتأمل ، ومدعاة للتفكير ، وباعث على إعمال العقل ﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾** ﴾ (الغاشية :١٧,١٨,١٩,٢٠).

وإذا كان القرآن الكريم هو كتاب الله المسطور فإن الكون كله هو كتاب الله المنظور وإذا كان القرآن هو كتاب هداية فإن الكون بما فيه من إحكام وتدبير دليل عملى على عظمة الخالق . ومهمة الإنسان أن يحقق الانسجام بين الكتابين ، وأن يصل ما بين نزل من السماء وبين ما وجد فى الكون باعتبار وحدة المصدر هو الله .

ويمكن القول: إن الطبيعة الإلهية ، والطبيعة البشرية ، وطبيعة الكون تكون فى مجملها طبيعة هذا الدين الذى ارتضاه الله لنا دينا ﴿ **إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ** ﴾ (آل عمران : ١٩).

وما سبق عرضه من طبيعة الدين يمكن الخروج منه بما يلى :

(أ) أن الكون وإبداعاته ، وأنظمته واتساقاته معيار صادق يمكن الرجوع إليه فى تدريس التربية الدينية ، وتوظيف المواقف المختلفة والأحداث المترابطة لترسخ المفاهيم والقيم لدى النشء . ولا يتأتى ذلك لكل مدرس ؛ بل لمن أوتى حظا من الثقافة العامة .

(ب) أن هذا الكون ليس وليد الصدفة ، وإنما هو من خلق الله وإبداعه . ولو كان وليد الصدفة لكانت مجريات الأحداث فيه تتم كيفما اتفق.

(ج) أن كل ما فى هذا الكون مسخر لخدمة الإنسان وما عليه إلا أن يأخذ بالأسباب لتعمير الأرض . وسيادة الإنسان على هذا الكون مرهون بقدرته العلمية والتأمل فى أحداثه التى لا تنتهى .

(د) أن طبيعة التربية الدينية ترتبط بالمجردات والمعنويات ، وهى مرحلة يصل إليها المتعلم غالبا بعد سن المراهقة فضلا عن الغيبيات التى تمثل صلب العقيدة وأساس هذا الدين ولكن هذا لا يمنع من تقديم المناهج المجردة قبل ذلك ؛ انطلاقا من أن المناهج لها مستويات متعددة فى الفهم

(هـ) أن الإنسان لم يخلق عبثا فهو مسئول عما يصدر منه فى هذه الحياة مسئولية كاملة وانسحابه من المسئولية يجرده من الإنسانية ويصبح كبقية المخلوقات . وهذا ينافى طبيعته .

(و) أن طبيعة الدين تمس أول ما تمس فطرة الإنسان . وهى بذلك تمثل جوهر هذا الإنسان وأساسه بحيث لا يمكن إغفاله أو إبعاد الإنسان عنه ، ومن ثم يتحتم الاستعانة بكل الوسائل التى من شأنها أن تعين هذا الإنسان على تعلم الدين وتشرب مفاهيمه وقيمه منذ ولادته . وهذه الطبيعة تمثل إرهاصات نجاح تدريس التربية الإسلامية .

إن التربية الدينية تخاطب فى الإنسان استعداداته وقدراته الكامنة فيه . وهى بذلك لا تعمل فى فراغ ، وذلك من حكمة الله حتى لايضل الإنسان أخاه الإنسان . ومن هنا فالطفل مهيؤ لأن يستقبل منهج الله ، وصالح لأن يكون خليفة الله فى الأرض وفق ما أراده الله . وبالتالى فإن إمكانية تحقيق أهداف التربية الدينية أمر ميسور إذا ركزت على تلك الاستعدادات وأتاحت لها الفرصة لتخرج إلى حيز الوجود ، انطلاقا من تنوع تلك الاستعدادات ، وتوزيعها على البشر ، بشكل يضمن استمرار الحياة.

(ز) إن مادة التربية الدينية ليست مثل باقى المواد الدراسية الأخرى ، لأن بعض ما يتصل بالدين يصعب إخضاعه للنظريات والقوانين التى يصل إليها البشر ، وعليه فليس ما هو صالح لمادة دراسية أخرى يصلح للتربية الدينية . فمثلا : الآيات القرآنية – بمقتضى العقل والفطرة – لا يمكن بأى حال من الأحوال النظر إليها نظرتنا إلى قصيدة شعرية . والأحاديث النبوية لا يمكن وضعها موضع خطبة أو قطعة أدبية ، لأن الأمور التعبدية أعطاها الله أوزانا إلهية ، لا نستطيع نحن البشر إدراكها ، فضلا عن أن التربية الإسلامية تتخطى بعد التحصيل إلى أبعاد أخرى ربما لا تتوفر فى غيرها .

(ح) إن مادة التربية الدينية حين تتعامل مع المعلومات والمعارف الدينية تتعامل معها من جهة ارتباطها بقيمة أو ارتباطها بشعيرة ، أو نسك وهذه القيمة إما فردية أوجماعية ، ومن هنا فإن مادة التربية الدينية تتعامل مع القيم والفضائل الإنسانية فيه ، وهذا يستدعى التبكير بتلك التربية ، وعدم إرجائها إلى أن يتكون لدى الطفل معرفة المفهوم أو معرفة الأسرار التى سيكشف عنها فيما بعد ، لأن هذا الطفل فى النهاية طفل بشرى يعايش الجماعة ، ويتفاعل معها .

(ط) إنه إذا كان التوحيد هو أساس هذا الدين وقوامه وهو فى الوقت نفسه غيبي – فإن المدخل الطبيعى لليقين لهذا التوحيد يأتى من خلال الطبيعة البشرية ،والطبيعة الكونية . وعن طريق تقديم أبرز المواقف البشرية وأبدع الآيات الكونية – يصبح من السهل على النشء التسليم بوحدة الإله وعظمته . وقد أصبح من السهل تقديم تلك النماذج بالأساليب المختلفة ، والعروض المتعددة ، واستغلال الجانب العلمى فى تلك الأداءات ، خاصة فى ظل تقدم التقنيات الحالية.

(ي) إن السنن الربانية ، والتشريع السماوى لا يخالفان الفطرة البشرية ، ولا يتعارضان معها ، بل يتسقان معها لتصبح منطقة جذب للمقبلين على الله ، و العارفين بعظمته .

(ك) إن الإسلام نظام حياة اجتماعية قوامها الأخلاق الدينية التى تيسر للمسلم الاندماج مع الجماعة والتفاعل معها ، و التمسك بها بفاعلية وإصرار .

(ل) إن الإنسان فى نظر الإسلام صاحب رسالة سامية إذا قام بها استحق أن يكون خير إنسان فى خير أمة ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ (آل عمران : ١١٠) .

(م) إن مصادر المعرفة ثلاثة هى : الوحى ، والعقل ، والحس ، أو التجربة .

سادسا : المنهج والمجتمع :

يمكن للمنهج أن يؤدى أدوارًا ووظائف اجتماعية . منها ما يلى :

١ - إنه الوسيلة المنظمة الأولى للتربية ، وأداة المجتمع فى تحقيق أهدافه.

٢ - إنه السبيل لإعداد الفرد لمجتمع معاصر ، بكل مقوماته ، ومجتمع المستقبل بكل آماله وتطلعاته.

٣ - إنه المادة التى يتم صنع الأفراد عليها ، فى إطار المجتمع السوى بحيث تتكامل شخصياته ، وينمو نموا سليما ، فى الاتجاه الصحيح.

٤ - أنه يزيد من طاقة الإنسان على العمل والإنتاج ، بما يحمل من معلومات ومعارف وقيم وآداب تجدد نشاطه ، وتدفعه إلى العمل والإبداع.

٥ - أنه يمثل نقطة انطلاق للمتعلم المتميز ، الذى يختار مسير حياته على أساس من الكشف والتبصر ، بعيدا عن معوقات المستقبل.

٦ - أنه يحمى المجتمع من أن يذوب فى ثقافات المجتمعات الأخرى ، التى لديها القدرة على توجيه ثقافات الآخرين.

وتجدر الإشارة إلى كل منهج دراسى يقدم للطالب يعد منهجا إسلاميا ، طالما أنه خلا مما يتعارض مع الشريعة الإسلامية ، انطلاقا من القاعدة الشرعية التى تقول: إن الأصل فى كل شيء الإباحة . ولعل منهج التربية الإسلامية هو أول المناهج التى تعمل على تحقيق الوظائف السابقة ، وغيرها ؛ لأنه ليس كبقية المناهج الدراسية الأخرى التى لها بداية ونهاية ؛ إذ أنه له بداية وليس له نهاية ؛ لأنه مناط الإنسان فى قربه من الله يعلق عليه الآمال طول حياته ، من حيث انه ملازم للإنسان فى حياته كلها يعدل من قيمه ، ويغير من سلوكه إذا أدرك شيئا منه قد فاته. والإنسان بهذا التعديل يضيف رصيدا إنسانيا للمجتمع ، لأن هذا التعديل سينسحب على كل مجال يكون الإنسان طرفا فيه . وهو بهذا الاعتبار أساس نجاح المواد الدراسية الأخرى.

والمجتمع فى حاجة ملحة إلى إنسان عرف منهج الله ، وأدرك أسراره ، وألم بوظائفه وفهم أهدافه ، فتشبع بهذا المنهج ، وأصبح حياته وسلوكه. ولعل السبب فى ذلك ما يلى :

١ - غلبة الاتجاه المادى لدى كثير من الناس ، والرغبة فى امتلاك معظم الأدوات والمستحدثات العصرية ، والإقبال على التمتع بأطايب الحياة ، وملذاتها ، حتى لو

كان ذلك على حساب القيم الدينية ، أو الأخلاقيات الاجتماعية المتعارف عليها لدى الأسوياء من الناس. ومهمة التربية الدينية ألا تحارب هؤلاء الذين ينمون أنفسهم ماديا وألا تقتل فيهم هذه الطموحات الدنيوية ، والآمال الواسعة التى يريدون أن يحققوها لأنفسهم ولذويهم . لكنها إلى جانب هذا تغرس فى نفوسهم قيمة التوازن ، لأن التربية الإسلامية لا تعمل على تقوية جانب عند الإنسان على حساب جانب آخر ، بل إنها تعطى كل جانب منه قيمته وحقه من الرعاية ، دون تعطيل لقدراته وإمكاناته الموهوبة له وتعمل أيضا على تمكين الإنسان من أن يقوم بدوره فى هذا الكون ، وأن يشيد ، ويبنى ، وأن يقيم حضارة ، ويستغل كل ما يستطيع من مصادر البيئة من حوله ، وفى نفس الوقت يرتبط بالله ولاءًا ، وطاعة، وانتماءًا . وبهذا التوازن تتكامل النفس الإنسانية وتتقدم الحياة ، لأن الإسلام كما يأمر بالروحانيات فهو أيضا يأمر بالماديات . ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ (القصص : ٧٧) .

٢ - الاتجاه السلبى لدى بعض الناس . فبعض المواطنين يرى كثيرا من المواقف التى تحتم عليه أن يكون طرفا إيجابيا فيها إلا أنه يؤثر السلامة بالبعد عنها ، والدخول فيها . ليس فى موقف الحياة المحيطة به ولكن فى موقف الحياة المحيطة بأسرته وأهله وأقربائه . ومهمة التربية الدينية أن تنشئ هذا المواطن على أنه شريك فى الحياة مع بنى جنسه يؤثر فيهم ويتأثر بهم ويتفاعل معهم ، وينفعل بهم وأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والنصيحة الخالصة أمر فرضه الدين وأن خير الناس أنفعهم للناس . عن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان . (رواه مسلم)

٣ - غياب قيمة الانتماء لدى بعض المواطنين ، بسبب أن المجتمع لا يلبى كل تطلعاته المادية وغير المادية ، وآماله الطموحة فى الثراء وفى المركز الاجتماعي . والمجتمع حين لا يلبى ذلك يحاول المواطن بشتى السبل أن يعمل حيله فى الهرب من أداء ما عليه من حقوق لهذا الوطن وينسى أنه حينما يمد يده ليأخذ فإن عليه حقا وهو أن يمد يده ليعطى ؛ لأن حب الوطن يتطلب التضحية ؛ والمعايشة .

بلادى – وإن جارت على – عزيزة ❖ وأهلى – وإن ضنوا على – كرام

ومهمة التربية الدينية أن تعمق الإيمان بالله ، والانتماء إليه إلها واحدا . وانتماء المسلم لدينه يكون لديه الولاءات المتعددة . ولاءه لأسرته ، وولاءه لعمله ، وولاءه لبلده الصغير ثم ولاءه لهذا المجتمع الكبير . وفى هذا إعزاز للفرد والمجتمع .

٤ - خلط القيم الأصيلة بالقيم الدخيلة . ولعل سبب ذلك سيطرة تحقيق المنفعة الخاصة وطرح المعانى الحقيقية المصاحبة لهذه المصلحة ، وأصبحت الغاية تبرر الوسيلة أيا كانت هذه الوسيلة . فأضحى الحب — حب الشهوه والمنفعة ، والالتزام بالكلمة تخلف والنفاق معاصرة " والطيبة خيبة " والوفاء لا مدلول له إلا فى قواميس اللغة ، والتراخى فى العمل رجولةً . ومهمة التربية الإسلامية أن تقدم القدوة الصالحة التى تحث على الصبر ، وتدفع إلى العمل ، وتأمر بالمعروف وتشجع على الإبداع والابتكار وتتحلى بالأمانة والوفاء . وتقدم المواقف والخبرات التعليمية وفقا لروح العصر الذى يعيش فيه التلاميذ وتوعيتهم بحاجاتهم الأساسية ، وموقف الإسلام مما وراءها من أهداف سامية.

٥ - وجود المرجعية التى يتم الاحتكام إليها حين تختلط الأمور ، ويصعب التمييز بين الحق والباطل ، والخير من الشر .

ومما سبق يمكن القول: إن مناهج التربية الإسلامية ينبغى أن يكون لها دور كبير فى تفهم طبيعة المجتمع ، بحيث تتمكن هذه التربية من احتواء الاتجاهات الخلقية التى تتعارض مع مبادئ الشريعة الإسلامية السمحة ، وردها إلى وضعها الطبيعى فى سلسلة الأخلاق الإسلامية ، الأمر الذى يفرض على هذه التربية أن تعمل على **ما يلى:**

أ - أن تساعد التلاميذ على فهم الإسلام وسماحته بحيث يتضمن المنهج توضيحا لمعنى الإسلام وخصائصه والسمات التى تميزه عن غيره ، كما ينبغى أن يهتم المنهج بتوضيح سماحة الإسلام ، وبأنه دين يدعو إلى الحرية الفكرية ، فلا يقف عند حد العبادات فقط بل إنه دين ودنيا .

ب - أن تقدم الشخصيات الإسلامية وعلى رأسها المصطفى (ﷺ) للاقتداء به فى كل قول أو عمل أو شعور .

جـ - أن تساعد التلاميذ على فهم بيئتهم المحلية الاجتماعية ، بحيث يعمل المنهج على إبراز ما في بيئتهم من قيم ومثل عليا ، وعادات ، وتقاليد لابد من مراعاتها والمحافظة عليها .

د - أن تساعد هذه التربية التلاميذ على تكوين تصور إسلامى صحيح للكون والإنسان والحياة وأن الوجود كله خاضع لماسنه الله تعالى ليقوم كل مخلوق بوظيفته دون خلل أو اضطراب.

هـ - أن تعمل على تقوية روابط الأخوة فى العقيدة والإنسانية بينها وبين أبناء الوطن وقبل هذا وبعده ترسيخ الإيمان للخالق سبحانه ومعرفة منزلته فى الكون.

(٦) الجانب العقدى : حيث يجب أن تركز عليه المدرسة على اختلاف مراحلها، بل يجب أن يعمق — أيضا — فى المرحلة الجامعية . ليس من قبيل معالجة التربية الدينية له فقط، وإنما من قبيل مساهمة كل مدرسى المواد الدراسية الأخرى خصوصا المواد العلمية منها، وذلك بالإفادة من الدروس المعملية التى يقوم بها التلميذ أو يشاهدها، وتوظف تلك الدروس كلما سمحت بذلك واتسع لها الوقت، لأن التلاميذ فى مرحلة التعليم العام أكثر اقتناعا بالمشاهد المحسوسة.

وإذا كان من المسلمات التربوية معرفة المجهول من المعلوم ، والمجرد من المحسوس والغائب من الشاهد - فإن منهج التربية الإسلامية - بإسهام معلمها - لابد أن يتضمن تأكيد العقيدة فى نفس المسلم ، خصوصا فى المرحلة الثانوية التى يكون الطالب فيها فى مرحلة المراهقة ، ووصل إلى درجة من النمو العقلى ما يمكن أن يثبت فى ذهنه العقيدة الدينية الإسلامية ، ليس فقط عقيدة الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر ، وإنما كل ما يتصل بهذه العقيدة من قيم مطلقة ، بحيث يتجاوز هذا الطالب مرحلة التعرف إلى مرحلة الممارسة الفعلية .

ويتم عرض العقيدة فى كتاب التربية الإسلامية أو على لسان المعلم عن طريق إقامة الدعوى ، والبرهنة عليها ، وبسط مذاهب المخالفين ، ثم تفنيدها ، بإثارة العقل واستنهاض الفكر ، وبيان نظام الكون وما فيه من إحكام وإتقان ، وتآخ بين العقل والدين ، بحيث يدخل الحوار فى الإطار الذى رسمه القرآن ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل : ١٢٥) بهدف إقرار الحق ، واليقين المطلوب .

(٧) الجانب الأخلاقى : ويأتى التأكيد على الجانب الأخلاقى من جهة أن رسول الله (ﷺ) أعلن أنها الغاية من بعثته: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" و" النمو الأخلاقى هو الغاية القصوى من العمل المدرسى كله ".

والأصل الأول لهذه الأخلاق هو التقوى . وهى فضيلة أراد بها القرآن إحكام ما بين الإنسان والخالق ، ولذلك تدور هذه الكلمة ومشتقاتها فى أكثر آياته القرآنية الاجتماعية . والمراد بها أن ينفى الإنسان كل ما فيه ضرر لنفسه أو ضرر لغيره لتكون حدود المساواة قائمة فى الاجتماع لا تصاب فيها ثلمه ، ولا يعزيها وهن . إذ الخلق فى الإسلام ليس استكانة ولا ضعفا ، بل هو القوة العادية .

والخلق بهذا المعنى يختلف عما تواضع عليه أهل هذا العصر ، لأن له محكا ثابتا وهو القرآن الكريم فقد سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها كيف كان خلق رسول الله(ﷺ) فقالت : كان خلقه القرآن . أما الخلق بمعناه الوضعى وهو " تطبيق مستويات السلوك التى يقبلها مجتمع من المجتمعات ، ويعتقد أنها عنصر أساسى لحياة الجماعة فهو بهذا المعنى يتغير بتغير المجتمعات حتى لو كان هذا التغيير غير متلائم مع الدين أو الطبع السليم . والأخلاق بهذا المعنى هى دراسة سلوك الإنسان كما هى موجودة بالفعل وليس من جهة ما ينبغى أن تكون ثم هى أخلاق نسبية فقوانينها ، ومبادؤها ليست مطلقة ، كما زعم العقليون من أمثال " كانت " ، بل إنها تتغير بتغير ظروفنا وأحوالنا وتراكيبنا العضوية.

إن الخلق صفة النفس الإنسانية . وهو نظام معقد ينمو ببطء شديد ، ويتألف من تضافر مجموعة من العوامل الكثيرة المتعددة . منها ما هو خاص بالفرد ، ومنها ما هو خاص بالمجتمع . وتدخل فيها مركبات كثيرة كميول الفرد واتجاهاته وعاداته التى شب عليها ، وعواطفه التى تكونت نتيجة مروره بمجموعة من المواقف والخبرات السارة أو المحزنة التى أشبعت حاجاته أو حرمته نعمة الإشباع المريحة أو المؤلمة.

ويمكن ترسيخ الأخلاق لدى الناشئة عن طريق التربية الإسلامية بالاعتماد على جانب القدوة الصالحة ممن يأخذون على يديه هذا النوع من التعليم . فليس من المعقول أن يعلم المعلم تلاميذه على الصدق ، والأمانة ، أو أى قيمة خلقية ثم يظهر هو بعكس ما يقول ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف : ٣) .

وليست هذه مهمة معلم التربية الدينية وحده بل مهمة كل فرد يتاح له أن يحتك بهذا التلميذ ويتعامل معه ، لأن المجتمع كله شريك فى التربية ويسهم فيها ، بدءا من الأسرة إلى المدرسة ثم إلى المجتمع الكبير المحيط به .

(٨) التأكد على الجانب المساير لأحداث العصر: ويقصد به صلاحية هذا الدين لكل زمان ومكان ، وقدرته على مسايرة العصر. فإذا كان الإسلام لم يقنن للاجتهاد،

ووسائل علمه ، تنشيطا لحركيته ، وإلحاحا لمجال بحثه – فقد حدد هدفه وهو الالتزام بأصول الشرع ، وتوخى سد الفراغ بما يحقق المصلحة العامة سلبا بدرء المفسدة وإيجابا على تحقيق النفع العام ، وعلى أساس حماية مصالح الفرد ولكن لا على حساب المجموع وعلى المجتهد ألا يغتر بما تقره الحضارة الحديثة ، والنظم المختلفة من مبادئ ومناهج وإلا يكون هدفه تقريب الإسلام من هذه المستحدثات ، فإن الإسلام دين له منابعه وله غاياته . وعمل المجتهد هو رد الأمور الناشئة إليه وحده ، لاجره إلى الفلسفات الإنسانية المختلفة وسواء أكان الاجتهاد فرديا أم جماعيا فإن مرجعه واحد من أمرين :

أولهما - قياس الأشباه على أشباهها ....وذلك قول عمر رضى الله عنه لأبى موسى" "أعرف الأشباه والأمثال ، وقس الأمور عند ذلك "

ثانيهما - رعاية مصالح الخلق ، وتقرير ما يجلب لهم النفع والخير ، ويدفع عنهم الأذى والشر . فالمجتهد فى الواقع أداة لتجديد الشريعة الإسلامية بمسايرة ما يستجد من الأشياء لاحكامها دون أن يحيد عن أصول التشريع . فهو يستنبط الأحكام وفق أدلتها الشرعية ومقاصدها التشريعية التى هى البحث عن مصلحة الإنسان ومصلحة الجماعة كلها، والتى اتفقت الأديان والمذاهب والأيديولوجيات على ضرورة حفظها وهى العقيدة، والنفس والعقل والنسل ، والمال.

والتركيز على هذا الجانب يجعل النشء يفخر بالانتماء إلى هذا الدين ويرسخ عقيدة الإيمان فى نفسه من جهة صلاحيته لكل زمان ومكان ، مع مراعاة أن عملية التجديد هذه ليست متاحة إلا لمن يعرف ماضيه كما يعرف حاضره . ومن يتصدى للحديث فى هذا الدين لابد أن يملك أولا أدوات هذا الحديث وإلا كان كلامه ضربا من التخريف.

(٩) التركيز على الجانب الاعتدالى: ويقصد به الوسط ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة : ١٤٣) أى عدلا والوسط من كل شيء أعدله : فالإسلام يدعو إلى الاعتدال والتوسط فى كل أمور الحياة حتى فى الأكل والشرب . ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ (الأعراف : ٣١).

والتوازن فى كل شئون الحياة هو القاعدة الكبرى فى التربية الإسلامية ، ذلك لأن الإسلام يرى أن الغلو كالتفريط و كلاهما يخل بمصلحة الفرد، كما يخل بمصلحة المجتمع على حد سواء ، وبالتالى فلا يستطيع الفرد أو المجتمع أن يحقق رسالته فى هذه الحياة ،

مع أن للمسلم وللمجتمع الإسلامى مهمة سامية هى عمارة الأرض ، طبقا لمنهج الله الذى خلق الإنسان وكرمه ليحقق بذلك خلافه الله فيها.

فهو أى الإسلام يجمع بين الجسد والروح ، والدنيا والآخرة ، والماديات والمعنويات والعقيدة والدولة ولكن فى توازن عادل .

وتأتى أهمية التركيز على هذا الجانب من جهة أن الحياة المعاصرة مليئة بالمستحدثات العلمية والحضارية التى من شأنها أن تستهوى الشباب والشيوخ معا بل وتجبرهم على استخدامها . ويعرف النشء أن الإسلام دين الفطرة وأنه لا يتعارض مع رغبات البشر إلا فى حدود ما حرمه الله بقصد الحفاظ على الإنسان ، ووقايته من نفسه وشهواته — هو فى حقيقته ضرورة تربوية .

وفى المنظور القرآنى ليس الإنسان هو خليفة الله على الأرض فحسب ، ومسئول عن الطبيعة وتوازناتها على المستوى العالمى ، ولكن عقيدته هى مبدأ علمه ، وقوانين مجتمعه. فلا الاقتصاد ولا العلم ولا الفنون تستطيع الانفصال عن العقيدة التى تحدد لها غاياتها الإلهية والإنسانية. فالحياة بجميع أبعادها تجد فى الله وحدتها ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ ﴾ (الحديد : ٣)

ويتصل بالجانب الاعتدالى التوازن بين فرض العين وفرض الكفاية صحيح أن بينهما علاقة وثيقة من حيث أن كلا منهما يؤثر ويتأثر بالآخر . فالصلاة مثلا وهى فرض عين إن أديت على الوجه الأكمل ظهر أثرها فى فرض الكفاية — كالجهاد — مثلا . من الممكن أن تكون المحافظة على الصلاة سببا فى أن يكون المسلم محبا للجهاد ، مخلصا فى القيام به و بحيث يمكن أن يصل إلى درجة فرض العين ، أو أكثر ، لأن إهمال فرض العين إنما يعود على الفرد نفسه من الناحية الواقعية ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴾(النجم : ٣٨) أما إهمال فرض الكفاية فضرره يعود على الأمة الإسلامية بأسرها ، ولذا فإنه فى حالة ضعف المسلمين يصبح فرض الكفاية بمثابة فرض العين لكى ينهض المسلمون بمستواهم فى مجال القوة ، والعلم والجهاد والتماسك الاجتماعى ... وغير ذلك مما تفرضه الضرورات التى تحيط بالمسلمين من كل فروع العلم والمعرفة والفن والمهارة وتفوق فى كل هذه الميادين .

وليس معنى هذا أن يتراجع فرض العين ، ولكن يسير فى نفس الخط مع فرض الكفاية لأن حياة المسلم الصحيحة كلها عبادة بما يستوجبه معناها بالفهم الصحيح ، بل إن تطبيق فرض العين بوعى وإخلاص بداية انطلاق لإبداع المسلمين ، وتقدمهم ، وإثبات

وجودهم فى الحياة وغياب هذا التطبيق بداية الرهبنة و العزلة عن الحياة . وهذا ما يرفضه الدين ويأباه.

ومعنى هذا أن اتصال العقيدة الإسلامية بمناشط الحياة اليومية المختلفة هى السبيل الوحيد لإحداث التوازن فى الحياة ، عن طريق جعل الجانب الروحى والسعى من أجل المعاش معنى واحد ، أى أن الروح ليس هو تجاوز المادة ، أو العمل ؛ وإنما هو طريقة فى ممارسته.

(١٠) الوعى بالجانب المتميز : ويقصد به ما يميز المسلم عن غيره ، كما تميز الإسلام عن غيره من الأديان الأخرى . ونظرا لأن هذا الدين خاتم الأديان ، ومن آمن به فقد استوفى جماع ما فى الأديان السابقة فإن " المسلم يتميز عن غيره من البشر ، لأنه يحمل رسالة سامية هى تحقيق خلافة الله فى الأرض ، وهذا التميز يأخذ طابع الشكل، كما يأخذ طابع المضمون فمن جانب الشكل يتميز المسلم بالرجولة والخشونة . ومن هنا فإن الإسلام يحرم كل ما يحد من هذه الرجولة ، أو يؤثر فيها . ومن ذلك أنه حرم على الرجال الأشياء التى يتحلى بها النساء : كالذهب ، والحرير

كما حافظ الإسلام على رجولة الرجل حافظ على أنوثة الأنثى حتى يتفرغ كل منهما لرسالته (لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال).

والإنسان المسلم، كما يتميز فى الشكل، فإنه يتميز فى المضمون أيضا. فالمسلم يحس بكرامته عند الله وبمكانته فى الملأ الأعلى، وبمركزه القيادى فى هذا الكون. وهذا كله يجعله يشعر بذاته، لأنه يشعر بانتسابه إلى الله تعالى، وبارتباطه بكل ما فى الوجود فيحيا عزيز النفس أبيا بعيدا عن الشعور بالتفاهة والضياع ، والفراغ.

وتأتى أهمية التركيز على هذا الجانب من جهة أن بعض المسلمين تفوتهم الآن عملية التفرقة بين الجنسين ، وذلك بدعوى المدنية والحضارة ، حتى كادت الفواصل بين الذكورة والأنوثة تنعدم . وتفهم كل منهما لدوره ووظيفته فيه احترام لذاته أولا ، ثم لدينه ودنياه ثانيا لأنه لا يصح إلا الصحيح .

والصحيح أن تتميز الشخصية المسلمة ، لأن المسلم قيمه فى ذاته ، وهو قيمة اجتماعية وقيم اجتماعيا . وهو قيمة اجتماعية بخلقه وعمله . هو قيمة اجتماعية بخلق التقوى وعمل الإحسان . وهو قيم اجتماعيا بأنه يمثل قيما عليا فى الجماعة ، وبأنة أسوة،

وبأنه داع إلى الخير، آمر بالمعروف ، ناه عن المنكر ، وبأنه مدافع عن حدود الإسلام الشريفة التى ينعم الإنسان فى رحابها بإنسانية ، بتسامى إنسانيته.

وليست عملية التميز هذه بدعة من المسلمين ليعطوا لأنفسهم ما ليس فيهم ، وليتبؤوا مكانا هم بعيدون عنه ، ولكنه طلب من الله . فمثلا فى موضوع الزواج : يقول تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ ﴾ (البقرة : ٢٣١) . فمقياس التميز بالإيمان ، ولم يقتصر هذا التميز على جوانب الحياة اليومية العادية بل شمل أيضا جانب الجهاد فى ميدان القتال ، فلم يسو الله بين المؤمن وغيره ، بل اعتبره بمثابة إنسانيين بعد التخفيف فى بداية الدعوة الإسلامية ؛ إذ كان الواحد منهم بعشرة من الكفار ، إلى أن نزلت الآية ﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الأنفال : ٦٦) . بل تمتد عملية التميز هذه إلى الاعتماد على صفاء المسلم، ورأيه فى تقرير بعض ما يتصل بالشريعة من حيث الحل والحرمة حتى وإن أبدى بعض المسلمين ارتياحا لهذا الذى يشغل المسلم " استفت قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك " وتعى هذه الحقيقة بعض الدول ، فتربى أبناءها على الاستعلاء والتميز ، مما يعطيهم الإحساس بالثقة والتفوق ، فى الوقت الذى يتغاضى فيه المسلمون عن هذه الحقيقة .

ويمكن القول: إن هذا المخلوق المسلم مزود بطاقات . من أبرزها طاقة المعرفة وطاقة الإرادة الضابطة ، وطاقة القوة الفاعلة المتضمنة فى معنى الخلافة ومقتضياتها وطاقة الصراع والقدرة على التوجه إلى الله ، وتلقى كلماته ، وتتبع هداه ، والقدرة كذلك على الاستقرار والاستمتاع .

١١ — العمل على تكوين العادات : وتبدو أهمية العادة من حيث " إن فضائلنا هى عادات مثلما تكون رذائلنا عادات ، بل إن الحياة برمتها — ما دام لها شكل محدد — لا تزيد عن كونها كومة من العادات العملية والانفعالية والفكرية التى انتظمت فى نمط خاص لخيرنا وسعادتنا أو شقائنا وضررنا.

ويتم تشكيل العادات الطيبة من الطفولة ، فيؤمر مثلا — بالصلاة ، والصيام — إن أمكن — لسبع سنين ، ويضرب على تركها لعشر ، ليس ذلك فى مجال العبادات فقط وإنما فى شتى مجالات الحياة حتى يعتاد الطفل على تلك العادات الخلقية والسلوكية ، فإذا

ما وصل الطفل إلى مرحلة المراهقة ، وحاول أن يقف أمام تلك العادات وقفة إيجابية كان له من الرصيد السابق ما يعينه عل ترسيخ تلك العادات ولعل مما يساعد على ترسيخ العادات الطيبة لدى الطفل والمراهق القدوة الصالحة ، والنموذج الواضح .

" إن ٩٩٪ ، أو ربما ٩٩٩ فى الألف من نشاطنا آلى صرف نؤديه بالعادة البحتة منذ أن نستيقظ من نومنا فى الصباح إلى أن نأوى إلى فراشنا كل ليلة " .

" إن التربية هدفها تشكيل السلوك ، والعادات هى المادة التى يتشكل منها السلوك ، وإذن فالعادات هى لحمة التربية وسداها " .

والنتيجة الأولى التى تترتب على ذلك أن تكون ركيزة اهتمام المعلم الأولى أن يغرس فى التلميذ أنواعا من العادات التى تكفل له أكبر قدر من الفائدة والنفع مدى حياته وليس هناك مصدر نستقى منه تلك العادات الطيبة أفضل من تراثنا الدينى بمصادره المختلفة .

١٢ — غرس قيمة العمل : إذ يهتم الإسلام به ، ويدعو إليه . والآيات كثيرة تقرن الإيمان بالعمل للدلالة على أن أى عمل يقوم به الفرد لابد ان يؤمن به ، لأن الإيمان به هو الوسيلة الوحيدة لإجادته وإتقانه والعمل الذى يقوم به الفرد لابد أن يكون عملا مفيدا وصالحا ، له عائد للفرد والجماعة فالله سبحانه وتعالى حين يقول ﴿ **وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ** ﴾ (التوبة : ١٠٥) فإن هذا العمل الذى يراه الله ورسوله والمؤمنون لابد وأن يكون على مستوى عال من الجودة والإتقان ، والعائد منه لابد وأن يتناسب وجلال هذه الرؤيا .

وقد طالب الإسلام بالعمل كل قادر عليه ، وقرر أن لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت . ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝** ﴾ (الزلزلة : ٧ ، ٨) . ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ** ﴾ (النجم : ٣٩). وأباح لكل واحد أن يتناول من الطيبات ما شاء أكلا وشربا ولباسا وزينة ولم يحظر عليه إلا ما كان ضارا بنفسه ، أومن يدخل فى ولايته ، أو ما يتعدى ضرره إلى غيره ، وحدد له فى ذلك الحدود العامة بما ينطبق على مصالح البشر كافة . فكفل الاستقلال لكل شخص فى عمله ، ووسع المجال لتسابق الهمم فى السعى فى الحياة.

إن الإسلام لا يعد العبادة فيه مجرد إقامة الشعائر ، وإنما الحياة كلها خاضعة لشريعة الله فتوجهها بكل نشاط فيها إلى الله ومن ثم تعد كل خدمة اجتماعية ، وكل عمل من أعمال الخير عبادة . قال (ﷺ) : الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله ، أو القائم

الليل الصائم النهار . فليس صحيحا إن العبادات فى الإسلام هى الفرائض وحدها وإنما كل سلوك المسلم ، وكل فعل نافع يقوم به عبادة . " إذا قامت الساعة وفى يد أحد منكم فسيلة (زرع صغير) فليغرسها ، فإن استطاع ألا تقوم الساعة حتى يغرسها فليغرسها ، فله بذلك أجر " .

والعبادة عمل يشترك الجسم فيه إلى جانب الروح . فالصلاة – وهى عنوان العقيدة ولباسها – حركة جسم متطهر إلى جانب حركة روح متطلعة تحاول فى خشوعها أن تتصل بالله • وهى لا تصح بأحد العنصرين دون الآخر .... والصيام امتناع جسمى عن الطعام والشراب ، وتحمل للجوع والعطش إلى جانب تقوى المشاعر ، وانطلاقة الروح ، ولا يصح بأحد العنصرين دون الأخر . والمدرس حين يقوم بعمله حركة جسم فى النطق والأداء وحركة روح فى الإخلاص ، وحب لتحقيق الهدف . وبلغ الإسلام من الحرص على العمل والتأكيد على ممارسته ، أن جعل له ثوابا عند الله . حتى لو أن ما ترتب على هذا العمل ، لم يكن واردا فى ذهن صاحبه ، حين قام بهذا العمل ؛ لأن فلسفة الإسلام فى العمل إنما هو الإفادة : إفادة للفرد ، وإفادة للمجتمع ، وإفادة للكون بمن فيه وما فيه. عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ): "ما من مسلم يغرس غرسا ، أو يزرع زرعا ، فيأكل منه طير ، أو إنسان ، أو بهيمة ، إلا كان له به صدقة" .

وتكمن نظرة الإسلام إلى العمل فى أن ثوابه على الله ، حين يتوجه به العبد إلى ربه. كما أن فيه حماية لهذا العبد من الإحباط الشديد ، أو خيبة الأمل ، لأن الواقع يؤكد أن الإنسان إذا قدم معروفا لآخر، ولم يحفظ له هذا الجميل ، بل وربما أنكره أسقط في يده وقد يحمله على أن يمسك عن التعامل مع الآخرين ؛ والتوجه بالمعروف ، أو بالعمل إلى الله ، يجنب الفرد مما يمكن أن يصيبه فى مثل هذه الحالات.

الفصل الثالث

بعض المعالم الأساسية للتربية الإسلامية

يتناول هذا الفصل بعض المعالم الأساسية التى يمكن أن يتخذها المعلم خلفية ثقافية أساسية له ، وهو يتصدى للتدريس . ولما كانت الغاية من التربية الإسلامية "هى إيجاد الإنسان العابد لله عز وجل الصالح للإنسانية جمعاء ، وذلك من خلال مكونات واضحة وعملية تربوية سليمة تفرز لنا ذلك الإنسان القرآنى قولا وعملا فإنه من المفيد عرض ما يتصل بأسسها وخصائصها ثم ما يتصل بذلك . وفيما يلى توضيح لذلك.

أولا : مصادر التربية الإسلامية

هناك مصادر عديدة للتربية الإسلامية . منها ما هو ثابت وأساسى لا يتغير بتغير الزمان والمكان، ومنها ما هو متغير بتغير الزمان والمكان، ويمكن عرض هذه المصادر باختصار فيما يلى :

١ - القرآن الكريم: وهو المصدر الأساسى الثابت لتربية المسلم، من حيث إنه يتضمن القواعد الأصلية للسلوك الإنسانى ، كما يتضمن القيم والآداب والمعايير الاجتماعية للمسلم . وإذا كان الله - سبحانه - قد مدح رسوله الكريم بقوله : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ (القلم : ٤) فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرآن، بل كان قرآنا يمشى على الأرض ، بمعنى أنه (ﷺ) كان النموذج الإنسانى ككتاب الله.

قال (ﷺ) : إن الله أنزل هذا القرآن آمرا وزاجرا وسنة خالية ، ومثلا مضروبا. فيه نبؤكم . وخبر ما كان قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضى عجائبه . هو الحق ليس بالهزل، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج (ظفر وفاز) ومن قسم به أقسط ، ومن عمل به أوجر ، ومن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم ، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ، ومن حكم بغيره قصمه الله.

والقرآن الكريم منه المكى ومنه المدنى . فالمكى ما نزل فى مكة ونواحيها قبل الهجرة

طول مدة مقامه (ﷺ) فى مكة ، وهى اثنتا عشرة سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوما . من ١٧ رمضان سنه ٤١ إلى أول ربيع الأول سنه ٥٤ من ميلاده (ﷺ).

والمدنى ما نزل بعد الهجرة إلى المدينة المنورة. وقد نزل على سبعة أحرف ، والمراد بها سبعة أوجه من المعانى المتفقة بالألفاظ المختلفة ، نحو : أقبل ، وهلم ، وتعالى وعجل وأسرع . ولعل من أبرز المكى مسألة الألوهية ، ومن أبرز ما نزل بالمدينة مسألة التشريع. والقرآن الكريم هو كلام الله الموحى إلى النبى (ﷺ) الذى عبر عن نفسه بالنور فى قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾. (المائدة: ١٥،١٤) ويعنى هذا أن جوانب الهداية من القرآن الكريم هى محور التدريس والإطار الذى يدور حوله المدرس من خلال ما يستشف منه.

٢ - السنة : هى ما صدر عن رسول الله (ﷺ) من قول ، أو فعل أو تقرير . ولم يختلف الفقهاء فى كون السنة المصدر الثانى للتشريع بجانب القرآن الكريم ، وأنه يجب الأخذ بها والعمل بمقتضاها ، متى صحت وثبتت عن رسول الله (ﷺ) . مثل : عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) " من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له " قال أبو سعيد روى الحديث فذكر رسول الله (ﷺ) أصنافا من المال حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل.

وقالوا : الاعتصام بالسنة نجاة . وكتب عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - إلى عماله بتعلم السنة والفرائض واللحن أى اللغة ، وقال ، إن أناسا يجادلونكم - يعنى بالقرآن - فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله . وقال الشافعى : ليس فى سنة رسول الله (ﷺ) إلا اتباعها.

إذا كانت هناك بعض الخصوصيات للرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره بشرا كالأكل ، والشرب ، والنوم ، والمشى ، والقيام فإن ذلك لا يمنع من التأدب بآدابه باعتبار ما يصدر عنه إنما هو من تأديب ربه له . " أدبنى ربى فأحسن تأديبى " . ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ﴾ (الأحزاب : ٢١) وهذان المصدران أساسان فى التربية الإسلامية فيما فيه نص . أما المصادر التالية فهى مصادر متغيرة.

٣ - الإجماع : إذا كان الإجماع يقصد به " اتفاق جميع المجتهدين من أمة محمد (ﷺ) فى عصر من العصور على حكم شرعى " - فإنه يمكن اعتبار اتفاق جماعة المسلمين على أمر يهتم بتربية المسلم ، ويعطيه صفة التميز مصدرا من مصادر التربية الإسلامية ، إلا إذا كان فيه مخالفة لشريعة الله.

٤ - العرف : وهو ما استقرت النفوس عليه ، بشهادة العقول ، وتلقته الطبائع بالقبول ، وهو ما اعتاده الناس من معاملات ، واستقامت عليه أمورهم . وقد دل عليه قوله (ﷺ) : "ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن " و لأن فى مخالفة العرف الذى يعده الناس حسنا حرجا وضيقا . وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (الحج : ٧٨) وليس من العرف ما اعتاده بعض الناس من شرب الخمر ، أو لعب الميسر أو رقص الرجال مع النساء فى الأفراح ، أو كشف العورة فإن ذلك عرف فاسد ، ومن هنا فإن الشرط فى العرف ألا يخالف دليلا شرعيا ، ولا قاعدة شرعية ، ولا حكما ثابتا لا يختلف باختلاف العصور والأحوال. ومعنى هذا أن ما تعارف عليه الناس من آداب وأخلاق وقيم يعد مصدرا من مصادر التربية ويعول عليه فى تنشئة النشء بشرط ألا يعارض مبدءا أو أصلا من أصول الشريعة.

٥ - أراء الصالحين والعلماء ، والمشتغلين بهذا الفن ممن يوثق فيهم ، ويؤمن جانبهم ، ويطمئن إلى رأيهم فى تربية أولاد المسلمين . ومعروف أن هذه الآراء لا تأتى عفوا ، وإنما لابد لها من رصيد من العلم و الخبرة ، إلى جانب الاستئناس بما فى كتاب الله ، وسنة رسوله (ﷺ) . انطلاقا من الحديث الشريف " من سن سنة حسنة ، فله خيرها وخير من عمل بها إلى يوم القيامة ...الخ ".

وقد حفظ لنا التاريخ الإسلامى وجهة نظر الكثيرين من المسلمين فى مجال التربية مثل : على بن أبى طالب ، عمر بن الخطاب ، وغيرهم ممن أعطاهم الله شفافية فى النفس ، وقدرة على سبر النفس الإنسانية ، وحكمة فى التعامل مع الناس ، كما اهتمت الدراسات التربوية الحديثة باستخراج أهم الجوانب التربوية من التراث الإسلامى ، وما خلفه الأوائل من علماء المسلمين أمثال : العبدرى ، الغزالى والقابسى ، والإمام الشاطبى وابن سحنون ...الخ .

ثانيا : أسس التربية الإسلامية :

يقصد بالأساس ما لا بد منه فى أى مجال من قول ، أو عمل ، بحيث يترتب على إهماله خلل أو نقص الكمال فيما هو أساس فيه ، أو هو كل أمر يؤصل للبحث أو المناظرة فى إحدى المسائل - يجب أن يعد أساسا لها.

والإسلام دين سماوى، وأخر الأديان على الأرض، نزل أساسا لهداية الإنسان وتنظيم علاقاته المختلفة بكل جوانب الحياة ، وليس من هدفه بيان كيفية زراعة أرض ما، أو بناء عمارة ، أو تصميم سيارة ، ولكنه أرشده إلى الأساس لكل ذلك وهو العلم.

ومعنى ذلك أن كل ما جاء به هذا الدين خاصا بالإنسان يعد أساسا لحياته ، بحيث يترتب على السلوك الموافق لهذا الدين نجاح له ، واطمئنان لسعيه ، كما يترتب على تجنب السلوك المرضى لهذا الدين خلل فى حياة الإنسان، ومن هنا فإن الأسس التربوية فى الإسلام كثيرة ومتشعبة بتشعب الحياة نفسها. وهى مع كثرتها وتشعبها مترابطة متكاملة لا انفصام بينها ولا تعارض بين جوانبها، بل إن هذه الكثرة وذاك التشعب يؤدى إلى تمام التكامل.

وتبدو فاعلية هذه الأسس، وقوتها - على سبيل المثال - فيما لو تراخى المدين عن أداء ما عليه لغيره فإنه يترتب عليه آثار عديدة . منها: تراجع القادر عن مشاركة غير القادر وحقد الأخير على الأول وتجمد رأس المال، وزيادة عدم التماسك الاجتماعى ، وشيوع الأنانية ...الخ.

ويبدو أن كل شئ فى التشريع الإسلامى معلل بالخير للناس ، والحرص على مصالحهم. وتلك حجة الله فى تشريعه ، ومرفأ الأمان لعبادة ، وتلك رحمته بين خلقه ، وعدم تحقيق ذلك يترتب عليه آثار شتى على الأنشطة الإنسانية.

ونظرا لتعدد أسس التربية فى الإسلام فإنه يمكن ذكر أهمها فيما يلى:

أولا : الأسس التشريعية للتربية الإسلامية :

التربية الإسلامية ليست نابعة من فراغ ، والمسلمون حين يمارسون حياتهم اليومية من مأكل ، ومشرب ، وملبس ، وتعامل مع الآخرين ، لا يأتون بكل ذلك وغيره مما يتصل بأنشطة حياتهم من عند أنفسهم . وإنما يستمدون ذلك من شريعتهم ، حيث تنظم علاقاتهم وتضع لكل أمر حكمه الشرعى المناسب له ، والوارد العمل به.

وإذا كانت الشريعة الإسلامية تتضمن أحكاما اعتقادية ، وهى المتعلقة بذات الله وصفاته ، وبالإيمان برسله واليوم الآخر وغيره ، وأحكاما تهذيبيه ، وهى التى تتعلق بالعبادات والمعاملات مثل الصلاة ، والبيع فإن هذه الجوانب كلها تسهم فى تربية المسلم، ويمكن أن نستشف منها بعض الأسس التالية التى تفيد فى عملية التربية.

١ - التزام التربية بالشريعة الإسلامية ، ونصوصها الثابتة فى كل موقف من مواقف الحياة. فمن ترأس قوما ، وساس أمورهم بالشورى والعدل والمساواة ، وغير ذلك مما يعين أمر الجماعة فقد تربى تربية إسلامية . ومن تناول طعامه بيمينه ، وأكل مما يليه فقد تربى تربية إسلامية. ومن قابل أخا بوجه طلق ، ومن عامل جارة بالمودة والاحترام فقد تربى تربية إسلامية : وهكذا فى كل أمور الحياة . وهذا الالتزام ليس قيدا على المسلم ؛ وإنما هو لخلق مجتمع مثالى ، ينعم فيه الجميع بجمال النظام ، وسيادة الاستقرار ، وضمان الحقوق ، والشعور بالسعادة . ومعنى ذلك أن نصوص الشريعة الإسلامية ليست نصوصا جامدة مكانها بطون الكتب ، أو أدمغة الفقهاء والمتخصصين ، وإنما مكانها حياة الناس ومعاملاتهم . ولا تربية يعتد بها ، إذا لم يطابق السلوك أصول الشريعة الإسلامية.

٢ - المرونة فى تطبيق ما ليس له نص شرعى ، انطلاقا مما روى عن أبى ثعلبة ، أن رسول الله (ﷺ) قال : إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحدد حدودا فلا تعتدوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها ؛ ليسلك كل مسلم طريقه على حسب هذا المنهاج المبين . فهو أمين على ضميره فيما يختاره من أحكام الدين التى شرعها الكتاب إجمالا ، ولم يذكر تفصيلات الأمثلة عليها.

وهذه المرونة أساسها التيسير على الناس ، وعدم التضييق عليهم، فى معاملاتهم الدينية والدنيوية . ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (البقرة : ١٨٥) ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾ (المائدة : ٦) ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة :٢٨٦) . ومعنى هذا أن الشريعة الإسلامية لا تمنع من إحداث تغيير فى بعض صيغ الأشكال والأوضاع تبعا لما يعترى الحياة البشرية المتجددة دائما من تطورات ، إذا ما حوفظ على الجوهر الثابت لهذا الدين وهو الكتاب والسنة ، وعرض الشئ على قواعد التشريع ، وصحة الأحكام ودلائلها : والتدقيق فى مدى صلاحية هذا الشئ لجماعة المسلمين.

٣ - التزام النفع للفرد والجماعة . فإذا كان الإسلام قد أكد على حفظ الأرض والعرض والنفس والمال ، والدين فإن أى مساس بها أو واحدة منها يخرج الإنسان من دائرة التربية الإسلامية . فمن شرب خمرا ، أو كان عميلا على بلده ، أو استعمل ماله فى الربا أو حصل به ما ليس بحقه فقد ألحق الضرر بنفسه ، وببلده وبغيره ، ويعد بهذا

السلوك خارجا عن التربية الإسلامية ، كما يعد مخالفا للشريعة التى التزم بها.

٤ - فتح باب الاجتهاد . وهو اتفاق المجتهدين من أمة محمد (ﷺ) بعد وفاته على حكم شرعى . وقد علم القرآن الكريم المسلمين الاجتهاد و الاستنباط ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ ﴾ (النساء : ٨٣) . والاجتهاد بهذا المعنى أصل من أصول التشريع الإسلامى ، ودعوة إلى الفكر والتأمل لمن كان أهلا لذلك . فمن كان لديه سعة فى العلم وغزارة فى المادة ، ومعرفة تامة بأنواع الأدلة الشرعية ؛ بحيث ييسر على الناس ولا يضيق عليهم - فليعرض نتاج فكره واجتهاده على المسلمين ، وأجره على الله.

ثانيا : الأسس الفكرية للتربية الإسلامية :

التفكير عمل عقلى ونشاط عام ؛ يشمل التصور والتذكر والتخيل والحكم والتأمل. والتفكير فى الإسلام ضرورة دينية وفريضة إسلامية ، فضلا عن أنه خاصية إنسانية . وهو يستهدف الوقوف على ما فى الكون من آيات تربط الإنسان بربه ، وتسمو به إلى درجات عالية. وهذا التفكير يستند إلى مجموعة من الأسس أبرزها ما يلى :

١ - إن البلوغ والعقل شرطان أساسيان لمطالبة المسلم بالتزام الإسلام و آدابه ، وعقائده وليس معنى ذلك التخلى عن المسلم قبل ذلك ، وترك الحبل على الغارب له ، بل طالب الإسلام الأبوين والمجتمع الإسلامى أن يهيئا الطفل لمرحلة التكليف الشرعى ، حتى لا تكون هناك طفرة فى حياته ، بحيث تعد امتدادا لما سبق . وهذا الامتداد قائم على الفهم والتفكير السليم ، على أن يبدو ذلك فى عاداته وتقاليده وآدابه ، لا عن تقليد، أو محاكاة ، وإنما عن فكر . وإعمال عقل.

وإذا كانت التربية تستهدف تنمية الإنسان من جميع نواحيه — فإن هذه التنمية لا يمكن أن تحقق الهدف منها إلا إذا اتخذت العقل رائدا لها ، والتفكير أساسا تستند إليه. وإذا كان الإنسان هو موضوع التربية ، فإن قيمة المصدر التربوى يمكن أن تقاس بمدى احترامه للعقل حيث إنه هو الأداة التى بها يفهم ، ويتأمل ، ويفكر ، ويتعلم. ومن مزايا القرآن الكريم الكثيرة ، ميزة واضحة ، تلك الميزة هى التنويه بالعقل ، والتعويل عليه فى أمر العقيدة وأمر التبعية والتكليف ، ولا تأتى الإشارة إليه عارضة ، ولا مقتضبة فى سياق الآية بل هى تأتى فى كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة . وتتكرر فى كل

معرض من معارض الأمر والنهى ، التى يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله ، أو يلام فيها المفكر إذا أهمله ، وقبل الحجر عليه ، ولا يأتى تكرار الإشارة إلى العقل بمعنى واحد من معانيه التى يشرحها علماء النفس، بل هى تشمل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها، وخصائصها ، وتتعمد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص ومناسبتها " .

٢ - أن يتخذ المسلم القرآن الكريم بداية ونهاية لتفكيره، حتى يطمئن إلى أن لتفكيره إطارا محددا يحميه من الانزلاق إلى ما فيه مظنة الخطر، ويحفظه من التبلد والجمود . يقول (ﷺ) فيما رواه الشيخان : " خيركم من تعلم القرآن وعلمه" فتعلم القرآن: حفظا وفهما وتدبرا لمعانيه ومدارسته، والوقوف على نواحى الإعجاز فيه هو السبيل لحسن الاستفادة منه تربويا. ومعنى ذلك أن القرآن الكريم ليس مسألة حفظ فقط، وإنما المسألة فيه أنه أساس لكل إيمان وأخلاق، وجوهر كل علم وعمل، وفوق هذا كله أنه مصدر إثارة للعقل أن ينشط، وباعث للذهن أن يتأمل : بحيث يعرف الإنسان العناصر الكلية لهذا الوجود وهي : الإنسان، والحياة، والكون . وتلك ينابيع المعرفة كلها.

إن الإسلام اعتبر التفكير من سمات العقلاء، وأبرز القرآن بشكل واضح أن الكون بكل ما فيه من أرض وسماء، وما فيهما، وما بينهما من إنسان وحيوان ونبات وجماد لم يخلق ليستفيد منه الإنسان، ثم يولى ظهره إليه بعد ذلك، وإنما في مقابل هذه الإفادة وهذا التسخير عليه أن يتأمل ويتفكر، حتى يقدم لخالق هذا الكون الإقرار بعظمة الألوهية ووحدانيتها المبني على الإيمان واليقين ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الجاثية: ١٣).

والتفكير في الإسلام ليس مقصورا على المظاهر المادية الكونية، وإنما يمتد التفكير أيضاً إلى القيم التي أرساها هذا الدين الحنيف، حيث تشيع جو الراحة والطمأنينة لدى الفرد ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم: ٢١).

ومعنى هذا أن ذوى الألباب عليهم فريضة التفكير، وأن يفهموا الدين على أنه ليس ركونا إلى غيبيات غامضة، أو انسياقا وراء مشاعر مبهمة، وكأن الإيمان فكر قاعد والإلحاد فكر متحرك، أو أن الإنسان المؤمن يستكين للمجهول، أما الآخرون فسيكتشفون الأسرار، ويبحثون عن المعرفة.

إن الحياة العصرية لا تعرف الهوادة . والأمة التي لا تقدر إعداد العقول حق قدرها مقضي عليها لا محالة، ولن تجديها البطولة مهما استطالت، ولا الدماثة الاجتماعية مهما ارتقت، ولا حضور البديهة مهما توقدت، ولا انتصارات البر والبحر مهما تكاثرت فليس بنافعها ذلك كله في رد عادية القضاء، ذلك لأن العاقل يقيس مالم ير من الدنيا بما قد رأى وسمع ، ويضيف ما لم يسمع منها إلى ما قد سمع، وما لم يصيب منها إلى ما قد أصاب وما بقى من عمره بما فنى، وما لم ينل منها بما قد أوتي.

٣ - أن المسئولية في الإسلام، مسئولية شخصية، وليس لأحد مهما كان، أن يتحمل تبعة غيره ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ ﴾ (الإسراء: ١٥) ﴿ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ (الطور: ٢١) ومن هنا فإن التفكير فيما يقدم عليه المسلم أمر ضروري تمليه المسئولية الفردية، إذ أن الإنسان في الإسلام مخلوق عاقل، ذو ضمير، مسئول يحاسب على عمله، ولا تلحق به جريرة قبل بلوغه وبعد انقضاء حياته ، وهذا التفكير المسئول لابد أن يأخذ الطابع الإسلامى، ويدور في فلك الشريعة.

٤ - أن الإسلام تكفل للمؤمن باستقرار اليقين، وبالطمأنينة الروحية في مواجهة الأطوار والتقلبات، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتفكير الموجه من قبل المولى عز وجل ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (آل عمران: ١٩٠) ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات: ٢١) وهذا وذاك يدخل في إطار الممكن من التفكير والتخلص من الطاقة الزائدة في ممارسة التفكير. فلا عبادة كالتفكير.

٥ - أن الإسلام قد ارتفع بضمير الإنسان شأوا بعيدا فى إدراكه للفكرة الإلهية ، والفكرة النبوية أو فكرة الرسالة ، والوحى من الخالق إلى خلائقه العقلاء ، فالله فى الإسلام هو اله الخلق أجمعين ، لا يفضل أحدا منهم على أحد بغير التقوى والصلاح . والنبوة فى الإسلام رسالة هداية وتعليم ، وبلاغ إلى العقل والضمير ، يقنع الناس بالبينات والآيات ، ولا يجعل الإقناع موكولا إلى التهويل بالخوارق والمعجزات . ومعنى هذا أن الإسلام قد أمد الفرد بالحقائق التى قد يصل إليها بعد جهد ومشقة ، لكى يبدأ بعد ذلك مرحلة الإنجاز والإبداع فيما يعود عليه بالنفع . ويعول على من

منح الثقة بالله وبالنفس أن يقدم المزيد ، ويطور نفسه ؛ لإثبات الوجود.

٦ - أن الإسلام ترك للناس حرية التفكير ، ولم يجبرهم على الإيمان به ، بل وضع أمامهم شريعته فى الوجود ، وفى الحياة الإنسانية ، على وجه خاص ، وناشدهم أن يحتكموا - فقط - إلى عقولهم الإنسانية فى الأخذ بها ، أو فى ردها ، ودفعها ، ولكن من غير تحيز فى ذلك ، أو تأثر بالعادة والمألوف ، أو بتوجيه سابق لفكرة معينة ، أو عقيدة خاصة . ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ (البقرة : ٢٥٦) ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ ﴾ (لقمان : ٢١). ومعنى ذلك أن الإسلام طلب من الإنسان التجديد فى التفكير، وإعمال العقل أملا فى الإيمان به سبحانه أولا ، وخوفا على مستقبله يوم القيامة ثانيا ، وقرر أن ﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ (الكهف : ٢٩) .

٧ - أن الإسلام اعتبر العبودية الحقيقية إنما هى لله وحده . والإسلام بهذا المبدأ حرر الإنسان من أخيه الإنسان ، بل حرره من كل ما سوى الله ، مهما كان سلطانه وجبروته . ومعلوم أن الإنسان إذا تحرر من الخوف والقهر أصبح الطريق مهيئا ليسهم فى الحياة . ويترك بصماته عليها . فالخوف يقتل الموهبة ، ويشل التفكير ، ويقضى على الإبداع.

وبناء على ذلك فإن من حق كل إنسان أن يفكر ،ويتأمل ، ويلاحظ ، ويمعن النظر بل اعتبر النظر أمرا واجبا ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ (يونس : ١٠١).

ومعنى ذلك أنه ليس فى الإسلام سلطان لمعبد ، أو كهانة على العباد ، لأن التوجه الحقيقى لا يكون إلا لله . ﴿ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ ﴾ (البقرة : ١١٥).

وإذا كان من حق كل مسلم أن يفكر - والتفكير يصيب ويخطئ - فإن الإسلام لا يلومه إذا أخطأ ، بل لا يحرم المجتهد من المثوبة والأجر . ففى الحديث " المجتهد إذا أخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران " متفق عليه.

٨ – إن التفكير الفردى والجماعى كلاهما مطلوب فى موقعه . فالتفكير الفردى فى مسائل الحلال و الحرام ـ مثلا ـ مرده إلى الشخص نفسه ، وهو الذى يقرر ـ لا سواه ـ حل أو حرمة ما يقدم عليه " استفت قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك". والتفكير الجماعى مطلوب فى موقعه مثل تقرير حكم شرعى يتصل بمصلحة الجماعة ، كأن يتصل هذا

الحكم بالمعاملات المالية ، أو الجهاد فى سبيل الله ، أو غير ذلك من المواقف الأخرى. والتفكير فى الحالين مرتبط بأصول الدين ، ومعالم الشريعة ؛ إذ ليس بينهما تعارض، ولكن كل واحد منهما رصيد للآخر يقويه ويدعمه، ويكمله. والهدف من الاثنين معا قوة الجماعة ، قوة بعيدة عن الارتجال والمصادفة.

٩ - أن يستند التفكير إلى الموضوعية. وهو التفكير الذى يخلو من الذاتية، ولا يتأثر بالأهواء الشخصية، بل يتحرى الدقة والحقيقة. ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾ (الحجرات : ٦) أو أن يرد إلى أصحاب الرأى والخبرة ، ومن لهم القدرة على الإسهام بالرأي ، وإصدار القرار ﴿ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (النساء : ٥٩) . وفى هذا حماية للفرد والجماعة من الشطط فى التفكير والبعد عن مزالق الشر.

١٠ - أن تستند التربية الاسلامية إلى العلم ؛ إذ أنه يقع فى المرتبة الأولى ، من حيث أنه أساس تقدم الفرد والمجتمع ، وأساس تدرج الفرد فى مدارج التربية الإسلامية أداء وسلوكا ، وصقلا للعقل ، وتهذيبا للوجدانات " روى مسلم عن أبى هريرة ، أن رسول الله (ﷺ) قال: "من سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله له طريقا إلى الجنة". وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله (ﷺ) : " من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين" (رواه البخارى ومسلم).

وإذا كان إسلام المسلم لا يصح إلا بالإقرار بوحدانية الله. وهذه الوحدانية لا يمكن التسليم بها إلا بالمعرفة الحقة لجلال الله وعظمته، والعلم ببعض أسرار كونه - وهذا الإقرار قمة الحقيقة المطلقة - فإن العلم بما هو دون ذلك، والمحسوسات منه أمر وارد، بل أمر حتمى ؛ لكى يعمق المسلم إيمانه . ويزيد رصيده عند الله بالعلم والاقتناع.

والحق يقال: إن الإسلام لم يجعل العلم مقصودا به فقط العلوم الدينية ، أو الشرعية بل إن ذلك فرع من فروع العلم، ولا أدل على ذلك من أن الله سبحانه ذكر العلم فى القرآن بأل الاستغراقية، ليشمل كل علم وصل إليه العقل البشرى و سواء أكان هذا العقل لمسلم أم لكافر ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٨٥) بل إن الآية سيقت بصيغة تستحث الهمم، وتستثير العقول، وتدعو إلى توليد المعرفة، واشتقاقها، بحيث لا

يصل إلى الدرجة التى يقول فيها : "لم يترك لنا الأولون شيئا نقوله" ، وإنما مهما وصل إليه الإنسان من المعرفة فهو قليل.

وإذا كانت العلوم الشرعية هى وسيلة بناء الإنسان ، فإن العلوم الطبيعية هى وسيلة بناء البيئة التى يعيش فيها الإنسان والحفاظ عليها فإن كليهما متمم للآخر ، يتكامل فيها ويتسق بينهما ، وينسجم وجوده ويتأكد دوره ، ويحقق وظيفته بهما فى هذا الكون.

يقول معاذ بن جبل فى التعليم والتعلم: تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة وهو الأنيس فى الوحدة ، والصاحب فى الخلوة ، والدليل على الدين ، والمصبر على السراء والضراء ، والوزير عند الأخلاء ، والقريب عند الغرباء ، ومنار سبيل الجنة يرفع الله به أقواما ، يجعلهم فى الخير قادة سادة هداة ، يقتدى بهم ، أدلة فى الخير . تقتفى آثارهم وترمق أفعالهم ، وترغب الملائكة فى صحبتهم.

ومن كل ما سبق يتضح أن تلك الأسس وغيرها مما يتصل بالفكر فى الإسلام تستهدف مصلحة الفرد والجماعة ، وتطورهما ، وتقدمهما ، وذلك بإعمال العقل ، وعدم تعطيله ، لأن فى إعماله تطويرا وتجديدا ، وفى تعطيله تخلفا وجمودا .

ويبدو من تلك الأسس أنها بقدر ما يظهر أثرها فى سلوكيات الفرد والجماعة بقدر ما يقال أنها أسس إسلامية ، وبقدر ما تبدو محفوظة فى الأذهان لا علاقة لها بالواقع بقدر ما يقال عنها أنها حبر على ورق.

والأمر الذى لا محل للخلاف فيه أن الإنسان قديما وحديثا مطالب بفهم القرآن والسنة ، ذلك لأن المسلم مأمور فى القرآن بالتفكير والتأمل والتدبير والاستقلال بذلك عن الآباء والأجداد ، وأخبار الزمن القديم ، وأئمة الدين فيه ، إذ ليس من المعقول أن يفكر الإنسان على نسق واحد فى جميع العصور ؛ إذ التفكير الصحيح مرآة كل عصر . وبدون تعصير التفكير يظل الوضع على ما هو عليه.

ثالثا : الأسس التعبدية للتربية الإسلامية:

تجدر الإشارة فى أن عبادة الفرد لربه بمعناها العام ويعنى بها كل عمل طيب صغر أم كبر ابتغى العبد به وجه الله يقصد بها منفعة الفرد ، ورفع درجة القرب له عند خالقه الأعلى . وهى فى مضمونها العام تطهير للعبد ، والتسامى به إلى مرتبة الملائكة المقربين . وهذه الأمور التعبدية لها مجموعة من الأسس أهمها ما يلى :

١ – أن يتوجه العبد بعمله إلى الله وحده . بمعنى أن أى عمل يقوم به العبد يبتغى به رضا الله – إنما يحسب له فى الأمور التعبدية . وهذا المعنى لصالح العبد . لأنه إذا قدم عملا ما لإنسان أو حيوان أو نبات أو أى شئ فى الكون كله - حبا لله لا طمعا فى رد جميل أو انتظارا لمعروف أو خدمه تقدم إليه عوضا عما فعل - فإن الله - وهو العادل - سيجازيه حسب نيته ، ويضاعف ما قدم فى الدنيا والآخرة . والمسلم إذا اتجه إلى هذا السلوك فإن له ثلاث فوائد . وهى :

الأولى : أنه يحمى المسلم من الحرج إذا قدم له معروفا من نوع ما ، لأن ما قدم إليه خلا من كل منفعة دنيوية كما خلا من الأمل فى انتظار الرد ، وهو بهذا تجاوز مرحلة المصالح المشتركة إلى التسامى بالنفس ، والتعالى بالإنسان ، لأن المن بالمعروف أمر يلحق الإهانة بالفرد ، فضلا عن أنه بعيد عن شرع الله.

الثانية : أن التوجه بالعمل لله وحده يفتح باب التنافس بين العباد للقيام به وحسن الأداء له ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (المطففين : ٢٦) وهو أمر محبوب للدنيا والآخرة.

الثالثة : أن التوجه بالعمل لله وحده يزيد من تماسك الجماعة ، ويتلاشى أسباب الحقد والحسد ، ويذيب عوامل الاتكال والكسل لأن الأجر من الله مضمون ، وفيه زيادة فى الرصيد الدنيوى والأخروى.

٢ - أن يذعن المسلم لكل ما أمر الله به فإذا كان هناك بعض الأمور التعبدية التى يرى فيها المسلم علة وفائدة - فان هناك من هذه الأمور ما لا سبيل إلى تفسيره ، ولا إلى الوقوف على علته . ويمثل هذا الأمر موقف عمر بن الخطاب حين أقبل على الحجر الأسود، وقبله وقال : والله إنى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك . ومعنى هذا قبول كل ما يتصل بالعبادة برضا واقتناع ، والانصياع لأمر الله ؛ انطلاقا من حسن الظن بالله ، وأنه - سبحانه - لا يفعل إلا الخير للإنسان ، ولأن الله - وهو المعبود بحق - قد شرع للناس كيفية عبادته ، وأسلوب التعامل مع جلاله وعظمته . وهذا التسليم المطلق - يبرز مدى إيمان المسلم ، ودرجة قربه من الله ، والإخلاص له والفخر بالانتماء لهذا الدين.

٣ - أن يستمر المسلم على عبادة الله ، والولاء له . ويقصد بذلك ألا تنقطع صلة العبد بربه حتى لا تفوته العناية الإلهية ويحدث خلل فى حياته . وبمقدار البعد عن الله بمقدار

ما يزداد الخلل والتفكك فى حياة الفرد والجماعة . ورحمة الخالق حاضرة فى كل وقت لأن تستوعب كل الذين يلجئون إليه ، ويعودون إلى رحابه.

ومعنى هذا أن استحضار الله مع العبد فى كل وقت يمنعه من ممارسة السلوكيات التى لا يقبلها المربى الأعلى وهو الله ، كما أن وضع الأسس التعبدية نصب عين الفرد تجعله فى حالة امتثال دائم لكل التوجيهات الربانية . والتى تظهر فى شكل سلوكيات وأداءات يقوم بها المسلم تلقائيا ، بدون تحذير أو تنبيه ، أو تفكير فيما يمكن أن يترتب على السلوك الطيب.

ويجب ألا يغيب عن الذهن أن الجانب التعبدى فى التربية ليس معناه الإشارة إلى تعطيل عقل المسلم ، وحجر التفكير عليه ، وإنما يعنى وضع أسلوب القربى والتعبد إلى الله أمام المسلم ، حتى لا يتعب نفسه فيما يصعب الوصول إليه بنفسه . والتسليم المطلق بما يقره الوحى ، هو أعلى درجات الإيمان.

٤ - أن يأخذ جانب اليسر فى العبادة . فلا يشدد المسلم على نفسه ، لأن الإسلام دين يسر وسماحة ولهذا فإن النبى (ﷺ) كان يكره السؤال فى أمور الدين ، والتشريع ، لأنها من علامات الجمود والتزمت ، ولأنها قد تدفع إلى التحريم والتضييق على الناس . لا تشددوا ولكن سددوا ، وقاربوا . إن هذا الدين متين ، فأغلوا فيه برفق ، ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه . وعنه (ﷺ) أنه قال : "إذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم".

٥ - أن يكون ملما بأمور دينه . وليس المراد منه العلم بالأصول والفروع التى تمكن المسلم من أن يكون فقيها فى دينه ، يفتى الناس فى قضاياهم ومشكلاتهم، ويجيب عن كل تساؤلاتهم ؛ وإنما المراد أن تكون عبادة المسلم قائمة على أساس من الفهم الصحيح والاعتدال المطلوب، وفى الوقت نفسه بعيد عن الإفراط والتفريط، والتشدد والجمود. عن سفيان بن عبدالله الثقفى قال: قلت يا رسول الله: قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحد غيرك قال: "قل : آمنت بالله ثم استقم" . (أخرجه أحمد فى مسنده) . فالمطلوب التفقه فى الدين لا الفقه فى الأحكام.

٦ - أن ينأى المسلم بنفسه عن الغفلة . والغفلة هى أن يغلق الإنسان قلبه أمام أى وجه من وجوه الخير — بعلم أو بغير علم — سواء أكان هذا الخير للمرء نفسه ، أم لغيره . ويتمثل ذلك فى تعطيل القلب عن أن يفقه ، والعين أن تبصر ، والأذن أن تسمع.

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴾ (الأعراف : ١٧٩).

ويمكن أن يتفادى المسلم هذه الغفلة بذكر الله . وليس معنى ذكر الله بالنسبة للعبد أن يكتفى فيه باللسان فقط ، بل لا بد له من رصيد من الحب ، قبل أى شئ ، لأن تكرار اسم المحبوب فيه التلذذ بذكر اسمه أولا ، ثم التفانى فيه بعد ذلك ، بطاعته ، واستحضار ذاته فى كل أمر من أمور حياته ، والعمل على إرضائه ، والقرب منه . ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴾ (الأعراف : ٢٠٥).

٧ – أن يدرك المسلم أنه خليفة الله فى الأرض . وهذه الخلافة لا تأتى لمن طلق الدنيا ، وبعد عنها ، وحصر نفسه فى دائرة ضيقة من العبادة ، يكتفى فيها بالقليل منها ، ويظن أنه قد عبد الله ، لأن الخلافة ليست هى مجرد تواجد الفرد فى الدنيا ، ثم يرحل عنها ، وإنما هى خلافة تعمير ، وبناء للنفس والكون معنويا وماديا.

إن على المسلم أن يدرك أنه إذا كانت السيادة والهيمنة لله وحده على هذا الكون فإن الأولى بخليفته أن يحقق لنفسه هذه السيادة - وشتان بين السيادتين - على جزء من هذا الكون ، يقيم فيه شرع الله ، ويقدم النموذج المثالى لخلافة الإنسان فى الأرض بحيث يصبح ميزانا للمفاضلة بين الملكية الحقيقة لله ، والملكية المؤقتة للإنسان.

إن الخلافة الحقيقية لله على الأرض هى التى تجمع بين الحسنين : تعمير النفس بالإيمان بالله الواحد الأحد ، وانسحاب هذا الإيمان على كل ما فى الوجود ، حتى يصبح نقطة التعامل مع أصغر ، وأكبر شئ فى الوجود ، ثم التعمير المادى بشتى مجالاته ، وفى مختلف أوجه النشاط الإنسانى ، ليتحول هذا العمران بعد ذلك لسان تسبيح ، ورمزا للعبادة الفعليه للخالق المعبود ، ودليل على جديه العمل ، وإقامة العمران.

إن لقب الخليفة لله لا يتصف به إلا من كان أهلا للقيام بمسئوليات تلك الخلافة والنهوض بها . و من هنا فإن الخلفاء الحقيقيين قليلون.

٨ – أن يدرك المسلم أنه بالعبادة يستثمر وقته، و ينمى نفسه، ويكسب من القيام بها، وان الله يجازيه على ذلك . ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ (النجم : ٣٩ ، ٤٠) ومعنى هذا أن العبادة ليست مضيعة للوقت ، كما أنها

ليست خسارة عليه من الناحيتين : الدنيوية والأخروية ، إذ أن الله سبحانه قد تكفل بنجاح سعى المؤمن وتحقيق الفلاح له ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (المؤمنون : ١، ٢) والفلاح - مدركا أم غير مدرك - مسألة تكفل الله بتحقيقها للعبد، عوضا له عما فاته فى أمر عبادته ، والامتثال لطاعته ، لا يحس بها إلا من أحسن الظن بالله ، وازداد يقينا بأنه هو الرازق المتين.

ويجب أن يدرك المؤمن أن عبادته - مهما كثرت - لا تضمن لصاحبها الجنة خصوصا إذا تعاظم عمل الخير أمام عينيه ، وإنما عليه أن يدرك أن تفضل الله عليه ، هو الذى يتوقف عليه المثوبة والأجر من الله ؛ لأن نعم الله على العبد لا يساويها شكر ، ولا يقف أمامها عبادة مهما كانت ، ولا تقارن بحمد ، مهما كان خالصا.

وإذا وقر فى ذهن المؤمن أن عبادته لله تعود عليه وعلى مجتمعه ، وأدرك أنه المنتفع الوحيد من هذه العبادة - كان ذلك أدعى له أن يجود عبادته ، ويتقن عمله ، ويتخذ كل الأسباب التى تقربه من ربه ، وتيسر له الخلاص من وساوس النفوس ، وهواجسها ، وفى النهاية تجعل الجنة مأواه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ (الكهف : ١٠٧، ١٠٨) وظاهر الحال أن عبادة الفرد تعود عليه وحده ، ولكن الناظر إليها بموضوعية ، يرى أن فائدتها تعم الآخرين أيضا.

إن الذين جربوا التعامل مع الله وفهموا المغزى الحقيقى لهذا التعامل ، أحسوا قيمة السعادة بالنعم من الله . وإذا تأخرت هذه السعادة والتوفيق مؤقتا ، فإنما بغرض أن يستشعر المسلم لذة القرب من الله ، فضلا عما فى هذا التأخير من زيادة الأجر ، وحسن المثوبة من المنعم جل وعلا.

٩ – أن يكون هناك مراجعة مستمرة من المسلم لنفسه ، لأن حساب النفس للنفس اصدق وآمن من حساب الغير . وهذه المراجعة تتم وفق أصول ثابتة من القرآن والسنة ، كما تعتمد على جهاز لا يمالئ فى الحق ، ولا يتستر على باطل ألا وهو القلب " يقول عمر بن الخطاب(ﷺ) فى صدد محاسبة النفس : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم "

وهذه المراجعة مؤداها أن المسلم يحاول – قدر إمكانه – أن يكون قريبا من الله ، من حيث القيام بعبادته على الوجه الذى يرضى بها ربه . وقرب العبد من الرب يعطيه قوة

الالتصاق بالناس ، والتعامل معهم على أساس من الحب لله ، كما يعطيه القدرة على فهم الكون والوقوف على أسراره.

إن الإسلام عقيدة إنسانية تربط المسلم بخالقه ، وتبين له أصول الحلال والحرام ثم تدع له الحرية التامة بعد ذلك فى اختيار التفاصيل الموقوتة على حسب الأزمنة ، والمصالح وعلى علاقات الأمم والحكومات ، فى شتى مناحى الحياة السياسة ، والاقتصادية والثقافية ، والعسكرية . والإسلام بهذا الاتجاه قد أعطى للمسلم قوتين :

١ - قوة تعبدية : بينها المشرع الأعلى ؛ لتملأ فراغ النفس ، وتقربها إلى خالقها وتحفظ للنفس توازنها ؛ لتكون منطلقا لحياتها الدنيوية.

٢ - قوة فكرية : تركها لعباده المؤمنين ، ليبدعوا بها حياتهم الدنيوية ، ويعدوا أنفسهم لخلافة الله فى الأرض بالتعمير ، ثم توثيق علاقتهم بمن خلقهم.

ثالثا : **خصائص التربية الإسلامية** :

التربية الإسلامية متضمنة فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، وهى ليست موجودة فى آية واحدة ، أو اثنتين ، وليست متضمنة فى سورة أو سورتين ، وإنما هى منتشرة فى آيات وسور كثيرة ، من هنا فإن تحديد خصائص هذه التربية لا يعدو أن يكون محاولة اجتهادية، وقد تقترب هذه المحاولة من الصواب، أو تبتعد. والمجتهد إن أخطأ فله أجر، وإن أصاب فله أجران . ويمكن تحديد هذه الخصائص فيما يلى :

١ - التربية الإسلامية تأخذ بيد المسلم، وتسمو به إلى مدارج الإنسانية فى معناها الأسمى، لأن الإسلام أعطى النفس الإنسانية - كما أعطى الجماعة كلها - حياة أفضل، وغاية أحق بالسعى إليها من غايتها . ليس متاع الحياة الدنيا غاية حياة الإنسان، لأن متاع الحياة الدنيا مؤقت وزائل ، أما الصالحات والعمل الطيب فهو الباقى ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (الكهف : ٤٦).

وليس معنى ذلك أنها تربية تجنح إلى المثالية، وتلفظ الطبيعة الإنسانية في شكلها العادى وإنما هي هذا وذلك.﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ (البقرة:١٧٨) . فالقصاص في المرتبة الدنيا . وهو مناسب للطبيعة العادية،

والعفو هو المرتبة السامية، وهو يتناسب مع تسامي الإنسان . وكلا الأمرين وارد ولا اعتراض عليه، إذ ليس المجتمع الإسلامي سوقا للتجارة، يتم الأخذ فيه مقابل العطاء وإنما هو أمة قبلتها الخير والتقوى، كما أن الإسلام رسالة عظيمة لا يقدم عليها إنسان يصدر في إعماله عن بواعث المنفعة والأنانية.

وإذا كان هناك من يتصور أن المثالية لا وجود لها فى عصر الماديات، فإن تصورهم هذا مبنى على أن إعاشتهم في يد البشر وأن أرزاقهم معلقة بعباده. وواقع الأمر أن تصريف شئون العباد لا زالت وستزال بيد من خلقهم (ﷻ). وهذا يعطى للإنسان مساحة واسعة من التسامى إذا رغب في ذلك.

والسمو بالإنسان ليس مقصورا فقط على جانب السلوك، والفعل، وإنما يتعدى ذلك إلى جانب الكلام . فمعظم الناس لا يكفون عن القول: جدا أم هزلا، مقبولا أم غير مقبول . هنا يحدد القرآن أن من صفات عباد الرحمن أنهم ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ (الفرقان: ٧٢) . لأن ذلك يعطيهم فرصة الإسهام في الحياة. أما من تركوا أنفسهم فى الخوض فيما يفيد ولا يفيد فقد ضيعوا وقتهم وفوتوا على أنفسهم الخير كله" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا، أو ليصمت" ويندرج تحت هذا التسامى، التسامى فى مجال الفكر، فى العلم والفن والأدب مما يضمن استمرار الحضارة الإسلامية، وإضافة الجديد إليها مهما عانى أهلها من ضعف.

٢ - التربية الإسلامية تنزل الناس منازلهم ، وتضع كل فرد فى المستوى المناسب له من الوجهة الاجتماعية ، قياسا على التفاوت فى الثروة والرزق ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾. (النحل : ٧١) .

ولما كان التعليم يمثل المدخل الطبيعى والغالب للتربية فإن الله لم يسو بين من يعلم ومن لا يعلم ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (الزمر : ٩).

وليس معنى ذلك أن الآية تصنف الناس درجات ، وتجعلهم طبقات ، بل تميز بعضهم عن الآخر ، فى الجانب العلمى . وهى إشارة إلى حمل الناس على التعلم ، فى أى فرع من فروع المعرفة ، وعلى أى مستوى — تمشيا مع أول آية نزلت فى القرآن ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤

عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ (العلق : ١ ، ٥) مع مراعاة أن مقياس الكرامة عند الله هو التقوى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ ۰ (الحجرات : ١٣) . وإذا كانت التربية الإسلامية تعتد بهذه الخصوصية فإن ذلك يرجع لسببين :

الأول : توفير جو الاحترام فى الأسرة المسلمة : الصغيرة والكبيرة ، على السواء. والاحترام مطلب فطرى فى الإنسان.

الثانى : إتاحة الفرصة لكل مسلم كى يرتفع بمستواه أيا كان هذا المستوى ، لكى يلحق بغيره ، وممن يظن أنه دونه.

٣ – التربية الإسلامية تربية توازن بين نوازع الروح ، و نوازع الجسد . عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى (ﷺ) يسألون عن عبادته (ﷺ) فلما أخبروا ، كأنهم تقالوها فقالوا : وأين نحن من النبى (ﷺ) ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ! قال أحدهم : أما أنا أصلى الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله (ﷺ) فقال : " أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى أخشاكم لله ، واتقاكم لله ، لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى " كما تقيم توازنا بين الدنيا والآخرة ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ (القصص : ٧٧)

ومعنى هذا أن التربية الإسلامية لا تضخم الجانب التعبدى على حساب الجانب المادى ولا المادى على حساب التعبدى ، بل تطلق جميع طاقاتها الفردية والاجتماعية والروحية والاقتصادية والعلمية ، دون إفراط ، أو تفريط . والجمع بين هذين الجانبين مدعاة لإمتاع النفس الإنسانية ، وإدخال البهجة عليها ؛ لأن الإسلام ليس دين الحرمان ؛ وإنما الاستمتاع الشرعى بنعم الله على عباده.

٤ – التربية الإسلامية تربية تستند إلى عقيدة شاملة ، تضع للناس مقياس الأعمال والأخلاق كما أنها (أى العقيدة) سند للروح تعتمد عليه فى شدائد الحياة، وقسطاس للآداب والعادات ترجع إليه فى قياس الأخلاق والأعمال ، فضلا عن أنها تعصم الإنسان من أكبر دواعى المرض النفسانى ، وهو باتفاق المذاهب يرجع إلى علة واحدة محيطة بجميع العلل وهى علة الانقسام الداخلى ، أو علة التصدع التى توزع النفس شيعا بين النقائض والأضداد ، و يفقدها الوسيلة التى ترأب بها صدوعها، وتعيد بها الوئام والألفة بين مقاصدها ونزعاته.

والتربية الإسلامية بهذا المعنى علامة تميز ، ودليل تفرد ، على قوة مرجعيتها ، و أصالة مصدرها ؛ ولهذا السبب فإن العقيدة الإسلامية هى التى منحت الشعوب المؤمنة بها القوة وهى فى دور العزة والبأس ، كما منحتها قوة الصمود وهى فى دور الضعف والجمود . وهى التى نراها اليوم رأى العين فى بعض القيم و العادات والتقاليد، التى تقف بقوة إزاء ما يفعله البعض ، متأثرا بالثقافة الغربية ، ويروج لها هذا البعض فى حياتنا اليومية .

٥ – التربية الإسلامية تربية رفيعة المستوى، بمعنى أنها لا تتعلق بالإنسان فقط من حيث إنه سيد هذا الكون. وإنما تتعلق بالحيوان والنبات والجماد، وهو كل ما فى هذا الكون، لأن الكون - وهو مسخر للإنسان -لم يغفل عنه الإسلام، إذا أشار إلى كيفية التعامل مع ما فيه والمواقف فى هذا الباب كثيرة . منها :

❖ دخلت امرأة النار فى هرة حبستها، لا هى أطعمتها، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض.

❖ إن الله تعالى شكر لرجل رأى فى الفلاة كلبا يلهث من شدة العطش ، فنزل الرجل إلى بئر فملأ خفه ماء ، ثم خرج فسقى الكلب.

❖ ما من مسلم يغرس غرسا ، أو يزرع زرعا ليأكل منه طير ، أو إنسان أو بهيمة إلا كان به صدقة.

من جمع دينارا ، أو درهما ، أو تبرا ، أو فضة ، ولا يعده لغريم ، ولا ينفقه فى سبيل الله فهو كنز يكوى به يوم القيامة.

وهذا التعامل الرفيع مع ما فى الكون يدخل فى دائرة العبادة الحقيقية للمسلم ، و التى بدورها تربية وتنمية (فالمسلم لا يعبد الله بلسانه فقط ، بل يعبد الله ذاكرا داعيا ، وببدنه مصليا صائما مجاهدا ، وبقلبه خاشعا راجيا متوكلا ، وبعقله متأملا متفكرا ، مستعملا جوارحه فى طاعة الله) ، وبعمله مسهما ونافعا له ولمن حوله ، وما حوله . ومعنى ذلك أن التربية الإسلامية تستوعب العالم بمن فيه ، وما فيه حيث حدد نمط التعامل ، وأسلوب المعالجة تحديدا يتناسب مع سيادة الإنسان لهذا الكون.

٦ - التربية الإسلامية تربية معالمها الرئيسية محددة . وهذا التحديد لم يقم به فرد أو أفراد لهم أهداف نفعية يريدون تحقيقها ، أو مصالح ذاتية ، يمكن أن تتحقق من خلالها ، كما لم تقم به فئة من الناس أحست بأنها صفوه مميزة عن غيرها ففرضت عليهم

آدابها ، وسلوكها وإنما الذى حدد سلوكية هذه التربية هو الله ، ورسوله ، وهذا يكسبها قوة الأداء ، وعزة السلوك ، وفخر الممارسة . والقرآن الكريم ملئ بالآداب الاجتماعية ، والممارسات السلوكية ومنها : قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (النور: ٥٨ ، ٥٩) كما حفلت الأحاديث النبوية الشريفة بالكثير من هذه الآداب. وإذا كان هناك بعض السلوكيات التى لم ينص عليها القرآن الكريم، أو السنة النبوية فإن القواعد العامة التى وردت بهذا الشأن تعد الإطار الإسلامى لكل مستحدث وجديد.

٧ - التربية الإسلامية تربية لها عصمة ثقافية . فقد جاء الإسلام فى أمة بدوية وكانت العلاقة بين قبائلها ، وزعمائها تقوم على الكلمة . فالكرم ، والمروءة ، والنجدة ، ونصرة الضعيف وإغاثة الملهوف، والصدق وغير ذلك من القيم التربوية كانت تمثل صلب القاموس الثقافى لتلك البيئة ، فلما جاء الإسلام استبقى منها ما وافق شرعيته وأصله ، واستبعد منها ما خلفها وأهمله فلا يزال أكرم الناس ، وأشرفهم قدرا فى المجتمع الإسلامى من يقال عنه أنه مسلم صادق الإسلام فى أعماله ومعاملاته ، ولا يزال أهون الناس وأرزلهم قدرا من يقال عنه أنه إنسان (ليس عنده إسلام) كما يجرى ذلك على الألسنة كل يوم وصف أرازل الخلق فى حكم هذا الدين ، وهم على الدوام أرازل الخلق بكل مقياس صالح ، وكل قسطاس قويم.

وقد تراكم الجانب الثقافى بمرور الزمن حتى أصبح رصيدا تربويا إسلاميا يستند إليه كل باحث ، ويرجع إليه كل دارس ، يوجهه ، ويظهر أثره فى سلوكه وأدائه . وهو فى كل الأحوال مفخرة تربوية ، لا وجود له فى عصرنا.

٨ - التربية الإسلامية تربية عالمية بجانب أنها إقليمية . وهذه الخاصية نابعة من طبيعة الإسلام ذاته من حيث إنه رسالة عالمية للناس أجمعين ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (الفتح : ٢٨).

وهذه الطبيعة هى التى كفلت للإسلام قوة الإشعاع والانتشار. وليست عالمية التربية الإسلامية نابعة من نظرة ضيقة متعصبة، و إنما لأن الذى رسم حدودها، وبين معالمها هو الله، حيث خاطب النفس البشرية، ووجهها، وأدبها من منطلق علمه تعالى بخباياها، وقدم رسوله (ﷺ) للناس كنموذج مثالى، وقدوة سامية؛ لما ينبغى أن يكون عليه المرء فى سلوكه، وآدابه.

وإذا كانت النماذج المثالية المادية فى الأعم الأغلب، يصعب الوصول إلى تحقيقها فى عالم الوجود - فإنها أشد صعوبة فى الجانب الإنسانى، لهذا يبقى رسول الله (ﷺ) النموذج العالمى الأمثل، مصدر استلهام، وأسوة فى الاقتداء، يتطلع إليه من تتلاشى فى نفسه عنجهية الجنس، واللون، والإقليم ليكون إنسانا عالميا.

ونظرا لأن التربية الإسلامية تربية عالمية فقد استحقت أمتها وصف الخيرية ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١١٠) لأن الخيرية هذه لم تأت من فراغ؛ وإنما أتت لما تملكه هذه الأمة من عناصر العالمية.

٩ - التربية الإسلامية تربية فيها الثواب والعقاب. فوجود الجنة، والنار والحساب يوم القيامة دليل على أن سلوكيات الناس وتصرفاتهم لا يمكن أن تمر بدون ضابط، وهذا الضابط فى الأعم الأغلب يحمل الناس لا على عدم الوقوع فى الخطأ، وإنما لأنه صمام أمان للفرد والمجتمع، وحماية للكل من الكل.

ورغم ورود عملية الثواب والعقاب فى التربية إلا أن جانب الثواب هو الغالب، على العقاب لكون العائد منه أى الثواب أكثر وأكبر وذلك قياسا على الآية الكريمة ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (الأنعام: ١٦٠).

ومعنى هذا أن من كان حريصا على الالتزام فى آدابه وسلوكه ودراسته يضاعف له الجزاء، ومن قصر فيه يكتفى بالردع المناسب، والتخويف المعقول، والتنبيه اللازم لضمان توفير الكرامة للإنسان.

وقد أباح القابسى الضرب للمعلم من مرة إلى ثلاث شريطة ألا يضرب وهو غضبان حتى لا يتحول الضرب انتقاما، لا أداة للتربية، وشريطة أن يسبقه محاولات من التأنيب واللوم والتقريع الإيجابى البعيد عن الكلام الفاحش والشتائم.

١٠ – التربية الإسلامية تربية صادرة عن حب لله ولرسوله ، واقتناع بما فى رسالة الإسلام فمن بدأ عمله باسم الله، ثم تناوله بيمينه، واستحضر ذات الله فيما يقول، وفيما يفعل مقتنعا بأن ذلك كله مردود إلى الله ورسوله، ثم هو يصدر ذلك عن حب واقتناع لا عن تقليد، أو مجاراة للغير - حينئذ يمكن القول أن تربيته إسلامية. والتربية الإسلامية بهذه الخصوصية – هى التى مكنت محمدا (ﷺ) أن يملك قومه، لا أن يملك قلوب فئة من المحبين المخلصين فحسب، بل أن يملك حياة مجتمع أصبح هو قاضيه، وقائده، وهو كذلك معلمه وهاديه، كما مكنت المسلمين من بعده - الذين انتشروا خارج الجزيرة العربية أن يكونوا هداة بأدبهم، ورسلا بسلوكهم، لأن ما كان صادرا عنهم كان صادرا عن حب واقتناع. والحب هو بداية الاقتداء بل التفانى فى المحبوب، والعشق فى طاعته. إن المحب لمن يحب مطيع .

١١ – التربية الإسلامية تربية تختص بأنها تنشئ لدى أبنائها شعورا بقمتها الفذة ، وإحساسا عميقا بأنها أفضل مما عداها " لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم ؛ حتى يأتى أمر الله " فإذا فقدت الأمة ثقتها فى نفسها ، وضعف اعتدادها بشخصيتها كان ذلك بداية الضعف . وقد سماه رسول الله (ﷺ) بالوهن الذى يصيب الأمم. " توشك الأمم أن تداعى عليكم ، كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ! قالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال: لا بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن فى قلوبكم الوهن ، قيل : وما الوهن يا رسول الله قال : حب الدنيا ، وكراهية الموت ".

وهذا الشعور بالثقة مصدره أن الإسلام هو فى الوقت نفسه دين الله. دين الخير والحق والسلام، دين استعلاء بالنفس، لا استعلاء بالغير أو على الغير. ﴿ **وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ (آل عمران : ١٣٩) ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾ (آل عمران : ١١٠).

١٢ – التربية الإسلامية تختص بأن أفرادها شخصيات مستقلة : لهم كيانهم المتميز، كما أن مجتمعهم مجتمع متميز ، ومعنى ذلك التحرر من سلطان الغير تقليدا ومحاكاة. فكما أن الله خلقهم ، وميزهم بالخلقة طولا وقصرا ووسامة ودمامة - فما عليهم إلا أن

يتميزوا بالشخصية " لا يكن أحدكم إمعة يقول : إن أحسنت الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت " وهذا التميز يعزى إلى أن لهم مرجعا ثابتا يحكمهم فى آدابهم، وسلوكهم ، وأخلاقهم وسائر أمور حياتهم - وهو الكتاب والسنة.

وقد فرضت التربية الإسلامية للمسلم أن يتخذ ما يراه ، ويقرر بنفسه أمور نفسه بعد أن يستفتى قلبه ، ويتحرى فيما يقرر طمأنينة نفسه ، بحيث يأخذ بالأحوط والأسلم. يقول (ﷺ) : استفت قلبك ، واستفت نفسك . البر ما اطمأن إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك فى النفس ، وتردد فى الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك.

ويقف فوق كل ما تقدم ، وأوله وآخره الإيمان بالله من حيث إن الإيمان بالله الواحد الأحد يمثل صلب الإسلام وعقيدته ، وجوهر هذا الدين وحقيقته ، لأنه الأصل الذى يشتق منه ما عداه من أصوله وفروعه ، ويبنى عليه ما يؤمن به المؤمن ، وما يسلكه ، فى حياته . وليس هناك ما يؤكد صدق هذه الحقيقة من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ (النساء : ١١٦)

والإيمان بالله الواحد لم يتصدر قمة العقيدة الإسلامية إلا لأنه يحقق كثيرا من المزايا للإنسان . ومنها ما يلى :

١ - أنه يجعل لمسعى الإنسان هدفا وغاية . فالناس بطبيعتها تحب الحياة ، وتتشبث بها ويدفعها إلى ذلك أكثر وجود الأولاد - قلوا ، أو كثروا - لتحقيق الحماية لهم والاطمئنان عليهم فضلا عن أن إحساس الإنسان بأن مسعاه يعود إلى أقرب الناس إليه ، يجعله يحرص على الاستمرار فى هذا السعى ، أما إذا افتقد الولد فإنه يمكن أن يبدد ما يملك ، أو يتقاعس فى السعى فى الحياة ، وبالتالى يقل مستوى التعمير فيها . أما إذا آمن الإنسان بالله إيمانا صادقا أحس أن جهده ، وعلمه موجه لله ، وبالتالى فإنه يستهدف فى حياته غاية من أسمى الغايات وهى التوجه إلى الله بعمله ومسعاه ، حتى وإن أنفق ما يسعى إليه إلى غيره ، لأنه مردود إليه يوم القيامة بضمان الله له. ﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ (آل عمران : ١٩٥).

٢ - أنه أى الإيمان بالله يجعل الإنسان يدرك بدهيات الحياة ، ومجريات الأمور . فالله هو الكمال المطلق فى كل شئ ، والناس فى هذا السلم درجات ، ولا سبيل أمامهم لبلوغ هذا الكمال . فكمال الله كمال مطلق ، وكمال الناس كمال نسبى . والإيمان

بالله يدفع المؤمن إلى القرب من هذا الكمال ، كما يستبيح العذر لنظيره المؤمن إذا أخطأ . فالكل شركاء فى الخطأ . فإذا استقام إيمان المؤمن على هذا النسق استمرت الحياة ، وتماسك المؤمنون فيما بينهم على الرغم مما يقع منهم من أخطاء ، لأن قيمهم مهما بدا فيها من الكمال فهى ناقصة ، وأخطاءهم فيما بينهم مهما تعاظمت فهى غير فاحشة.

والمؤمن إذا تفهم مجريات الأمور ، وطبائع النفوس ، ضمن لنفسه الاستمرار فى الحياة ، والتفاعل مع كل ما يدور فيها بوعى وإدراك.

٣ – أنه أى الإيمان بالله يجعل المؤمن يشعر بالعزة والكرامة . فإذا كانت العبودية الحقة لله وحده ، وليس لأحد مهما كان شأنه أن يتأله على غيره ، أو يتسيد عليه - فإن من حق هذا المؤمن أن يرفع رأسه أمام الكل ، ولا يطأطؤها إلا لمن جاء به إلى هذه الأرض وجعله خليفة له ، مثله مثل غيره من ملايين الخلفاء الذين حلوا ضيوفا عليها ، واستووا فى المسئوليات التى قسمها خالقهم عليها فيها.

ومعنى هذا كله أن التبعية الحقيقية هى تبعية لله وحده وهى تحقق للإنسان الشعور بالعزة والكرامة أما التبعية للغير فهى افتراء محض، ووهم كاذب وهى طريق المذلة والهوان.

٤ – أن الإيمان بالله يحمى المؤمن من الوقوع فى أسر الأساطير، والخرافات، والمعتقدات الباطلة . فالذين يروجون لمعتقد باطل، أو لأشياء لا وجود لها، أو لواقع مزيف، أو لخيال متوهم، أو لرؤيا مريضة يبغون من وراء ذلك تحقيق مكسب ذاتى، أوهوى شخصى - هؤلاء لا يحققون ذلك إلا فى غياب الإيمان الصحيح بالله تعالى، لأن فى تواجد هذا الإيمان طردا لمختلف الإدعاءات والأساطير. والفراغ من الإيمان طريق مفتوح للخرافات والأباطيل وكل ما يتنافى مع العقل.

٥ - أن الإيمان بالله يضع حدا فاصلا بين الطمع ، والطموح فى شتى مناحى الحياة . فبعض الناس لا يستطيع السيطرة على نفسه أو كبح جماحها، أو وضع معيار لمكاسبه مادية أم معنوية، مما يبيح لنفسه الحق فى تحقيق ما يريد حتى ولو كان ذلك على حساب الغير ، أو على حساب نفسه من إذلالها، أو إهانتها.

ويأتى الإيمان بالله عاصما للنفس ، ورادعا لها ، وحاميا أكيدا من المخاطر التى يمكن أن تنزلق إليها . ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (آل عمران : ١٠١).

ومعظم الذين يصابون بأمراض نفسية ، أو عقد شخصية هم الذين لم يستطيعوا أن يحققوا لأنفسهم شيئا ، أو طلبوا أكثر مما تسمح لهم به قدراتهم ، فأحسوا بالفشل والعجز. ولو أدركوا حقيقة ما طلبوا وقيمته ومستواه ، وتدخل العناية الإلهية فى تحديد هذا المقدار بعدل مطلق ، ومساواة تامة - لجنبوا أنفسهم تحميل الأمور أكثر مما تحتمل ، وطرحوا مقولة أن القدر يعاندهم ، أو يترصد خطاهم.

إن الإيمان الصحيح يضع الأمور فى نصابها ، فالطموح سنده العمل والمثابرة ، ثم الركون إلى الله ، يجازى بما شاء ، أما الطمع فهو ركوب الخطأ والصواب ، وسنده الشهوة وإشباع الرغبة ، وتجاوز الحق . ومع هذا لا يتحقق إلا ما أراده الله ، لأن الله لا يقع فى ملكه إلا ما يريد.

رابعا : وسائط التربية الإسلامية .

يقصد بوسائط التربية الإسلامية تلك الأجواء الذى يعيش فيها المسلم ، ويخضع فيها لمجموعة من المؤثرات التى توجه تفكيره ، وميوله ، وترسم له عاداته وتقاليده ، بحيث يمارس ذلك تلقائيا ، سواء أراد أم لم يرد. وتعد هذه الوسائط من أهم العوامل التى تشكل تربية الفرد ، سواء أكان صغيرا أم كبيرا ، لكنها مع الصغر أكثر. ونظرا لتلك الأهمية ، فمن المستحسن عرض أهم هذه الوسائط ومنها ما يلى :

١ — **البيت :** يعد البيت أول وسط يستقبل الإنسان فى هذه الحياة. وعلى قدر اهتمام البيت بالتغذية الصحية ، والتغذية الإسلامية ، بمقدار ما يستطيع هذا الإنسان مواجهة الحياة : صحيا ، وروحيا. وبمقدار السيطرة على المصادر السليمة التى يتم عن طريقها تلك التغذية بمقدار ما يقوى هذا الإنسان فى التغلب على مشاكل الحياة وصعوبتها. ويقع دور الأب والأم فى هذا الجانب فى المرتبة الأولى من حيث التوجيه ، والأسوة الحسنة . وعلى قدر ما يسلكان ويتصرفان بحكمة وأدب حسن ، وسلوك إسلامى بمقدار ما تنطبع فى ذهن النشء الممارسة الطيبة ، والسلوك المهذب.

والأخوة والأخوات أعضاء فى الأسرة ، وكذا الأجداد والجدات إذا قدر لهما أن يعيشا مع الأحفاد ، وهؤلاء وأولئك يسهمون فى التربية ، بل يؤصلون القيم والآداب التى غرسها الآباء. فالأخوة والأخوات يغرسون قيم أقرانهم ، وسلوك أعمارهم من حيث الثقة بالنفس ، والمروءة والنجدة والبطولة ، وسائر القيم التى تتمشى مع روح الشباب ، وقوته. والأجداد والجدات يؤصلون جانب الرحمة ، ومطالب الشيخوخة وبذلك تتآزر الأجيال ،

ويعيش النشء ، وقد تواصلت فيه قيم الماضى والحاضر وتبلورت فيه ملامح المستقبل ، وكل ما يؤهله لأن ينجح فى حياته فيما بعد.

٢ – **المدرسة** : ازداد دور المدرسة كوسط تربوى بعد أن تخفف البيت من وظيفته فى التربية إن لم تكن هى القائمة بالدور الأكبر فى هذه العملية ، بعد أن امتص سوق العمل جهد الآباء والأمهات ، الأمر الذى دفع الأب والأم إلى الركون إلى المدرسة بدءا من الحضانة حتى مراحل متأخرة من العملية التعليمية . والمدرسة وسط أكبر من البيت ، يتجمع فيه الأقران من مختلف البيئات والطبقات ، والمهن والحرف . وهم مع أنهم يتلقون تعليما موحدا ، إلا أن خلفياتهم مختلفة ، ووجهات نظرهم متباينة . والمدرس فى المدرسة يكاد يكون أول المؤثرات التى تتعامل مع التلميذ ، ثم بعد ذلك إدارة المدرسة وجو المدرسة ككل من حيث الطلاب ، والمناهج الدراسية ، والأنشطة التى يمارسها هؤلاء الطلاب . من هنا فإن التربية المدرسية لكى تؤدى دورها المنوط بها فإن اختيار العناصر البشرية التى يتعامل معها هذا الطالب ينبغى أن يخضع لمجموعة من المعايير والضوابط الدينية والتربوية ، لأنهم فى النهاية هم قدوة الطلاب ، ونموذجهم الأمثل.

ويأتى بعد اختيار المدرس المنهج المدرسى بما يتضمنه من أهداف ومحتوى ، وطريقة وأنشطة مدرسية ، ووسائل تعليمية وتقويم . فهذا المنهج هو صلب العملية التعليمية ، ومن هنا فإن نجاح العملية التعليمية رهن بكفاءة هذا المنهج ، ومضامينه التربوية . يتساوى فى ذلك منهج العلوم الطبيعية ، ومنهج العلوم الاجتماعية . ومعلوم أن المدرس هو المنفذ الحقيقى للمنهج ، وهو الذى يوجه مساره - مهما كان مستواه - إلى الهدف المطلوب.

وتجدر الإشارة إلى أن المدرسة الآن توجه اهتمامها إلى الجانب التعليمى أكثر من الجانب التربوى . ويقاس مستوى المدرسة بمقياس الجانب التحصيلى للتلميذ ، أما ماعدا ذلك فلا أهمية له . صحيح أن المدرسة تقدم تربية للتلميذ لكنها تربية محدودة ، ومن هنا فلا غنى عن البيت كمصدر للتربية الأمينة ، فضلا عن الوسائط الأخرى . والمتوقع من المدرسة أن تهتم بالجانب الوجدانى ، خاصة حب القيم ، والجانب المهارى ، إلى الجانب التحصيلى.

٣ – **المسجد** : يحظى المسجد فى الإسلام بمنزلة عظيمة ، حيث يلتقى فيه المسلمون ، وقد تفرغوا كلية لله الواحد ، وتركوا الدنيا وراء ظهورهم ، واقبلوا على الله ليربوا أنفسهم على هديه وشريعته. صحيح أن المسجد فى بداية الدعوة الإسلامية كان المنطلق لكل

عمل يقوم به المسلمون ، ولكنه الآن تقلص دوره وأصبح مكانا للعبادة فقط ، ومع ذلك فهو فرصة المسلم من حيث مراس النفس ، وتربيتها ، والأخذ بأفضل ما لدى رواد المسجد من فضائل وقيم وآداب . ويؤم المسجد الصغير والكبير ، الرجل والمرأة وتتلاقى فيه الفئات العمرية، ويتعهد كل منهم الآخر بالتوجيه ، والنصح ، والإرشاد لأن المسجد هو بيت الله فى الأرض ، من دخل فيه فقد تحتم عليه الالتزام بما أمر به صاحب البيت من آداب وقيم ومعايير.

والمسجد مكان للحوار والمناقشة ، وطرح للمشكلات الدينية التى تواجه المسلمين فى يومهم وغدهم. والمسلمون حين يسمعون ذلك، يثرون خبرتهم، وينمون ثقافتهم ويعدلون سلوكهم، لأن ما يسمع خال من المنفعة، والزيف، كما يسنده الإخلاص والتقرب إلى الله.

ويمكن للمسجد أن يؤدى دوره فى عملية التربية إذا تم ما يلى :

أ - إذا ارتبط الطفل بالمسجد فى وقت مبكر ، حين يعوده أبوه على ذلك . والعادة الطيبة مطلب رئيسى للتربية.

ب – إذا زود المسجد بإمام لديه من الثقافة الدينية والثقافة العامة ما يسمح له بالرد على تساؤلات الأطفال والشباب والشيوخ بأمانة وصدق ، يساند ذلك السمعة الطيبة وحلاوة اللسان.

جـ - إذا توافر بالمسجد مكتبة إسلامية تحبب القراءة إلى كل من دخله . وأضعف الإيمان أن يكون به عدد من المصاحف ، تربط المسلم بخالقه ، وتشغله بصاحب هذا الكتاب، وذلك المسجد.

د – إذا أدى بعض الخدمات التى يمكن أن تستقطب المسلم اليه ، بحيث يرى فيه نفعا وفائدة ، كفصول التقوية، فى المواد الدراسية أو إقامة الندوات ، أو فض الخلافات ... الخ.

هـ -إذا استخدم الاستخدام الفعال للإسلام والمسلمين ، وابتعد عما يشوب رسالته من تحقيق نفع ذاتى ، أو هوى شخصى.

و - إذا رأى المسلم فيمن يؤمه فى المسجد، نماذج صادقة، وقدوة حسنة، وصحبة مشرقة، يتطابق قوله، مع فعله ، داخل المسجد وخارجه، وتتحقق فيه محصلة القيام والركوع والسجود والخضوع لله مع العمل لخدمة الناس فى معيشتهم.

ز – إذا رفع خطيب المسجد ضغوطه على المصلين الحاضرين ، ووجه عتابه إلى من لا يتردد على المسجد.

حـ - إذا أعد المسجد إعدادا طيبا من حيث نظافته ، وسلامة جدرانه ، ودورات مياهه وكل ما يساعد المصلى على التردد إليه ، والإطالة فيه أكبر وقت ممكن ، مفضلا إياه على أماكن اللهو والتسلية.

٤ - **جماعة الرفاق :** تعد جماعة الرفاق من الأوساط التربوية التى لها تأثير قوى وفعال على النشء ، فالطفل يؤثر فى نظيره . والمراهق يعلم ويتعلم من قرنائه . والأنداد يميل بعضها البعض ، والأشباه مع الأشباه . وواقع الحياة يرينا أن النشء - وكذا الكبار إلى حد ما يبدون فى شكل جماعات تآلفت فيما بينها ، وجمع بينها رباط مشترك . ووحدت بينها الرغبات والميول ، حتى يمكن القول: إن تعرف الجماعة يمكن من خلال واحد منها . ويؤكد ذلك الحديث الشريف " المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل " .

ويتعدد انتماء المرء لأكثر من جماعة . فهو فى المدرسة له أصدقاؤه ، وفى الحى الذى يعيش فيه له أصدقاؤه ، وفى النادى له أصدقاؤه ،وفى الأنشطة التى يمارسها ، أو يميل إليها له أصدقاؤه . وقد ينتمى لجماعة من أهله المقربين ، أو الأباعد ، وقد ينتمى إلى شلة واحدة، أو جماعة واحدة ، وقد يكون منطويا فلا يكون له إلا أسرته الصغيرة وبعض من يثق فيهم . من هنا فإن واجب الأسرة من الناحية التربوية أن تهتم بما يلى :

أ – أن تختار - بذكاء وحكمة - الصديق الذى يصاحب ابنها بحيث يطمئنون إليه وإلى سلوكه واستقلال الشخصية بما لا يتعارض مع تعديل المسار للتربية الصحيحة.

ب – أن تلاحظ تصرفات الأقران بطريق غير مباشر ، حتى إذا بدا منهم ، أو من بعضهم ما يسئ إلى التربية ، بادرت بتعديل ما يصدر عنهم إلى المسار التربوى الحقيقى أو إبعاد ابنها عنهم.

ج - أن يكتسب أحد أفراد الأسرة ثقة المجموعة ، أو من يحل محله ، حتى إذا أحس الأقران أن هناك مشكلة تواجههم، باحوا بها إلى هذا الذى يثقون فيه. وتوزيع الأدوار فى التربية أمر وارد.

د – أن تطرح بعض الموضوعات أمامهم ، والتى قد يتوقع أنها إحدى المشكلات التى تواجههم . والفطنة هنا مطلوبة ؛ حتى لا تحدث أثراً عكسياً.

هـ - أن يتم الاحتكام إلى الدين فى كل الموضوعات التى تواجههم ، وطرح رأى الدين فيها ، بحيث يصبح الدين فى نظر النشء هو المحك الأساسى لكل تصرف يقومون به ، وبذلك يزدادون ثقة فيه ، والتصاقا به.

و – أن يتأكد لدى النشء أنه هو الثروة الحقيقية لأسرته ، وأن كل الاهتمامات الأخرى تتضاءل بجانبه ، حتى إذا جاء النصح والتوجيه بعد ذلك قابله بالرغبة والقبول.

ز – أن من يتصدى لهم بالحوار والمناقشة فى موضوع ما بينهم يشترط فيه القدرة على الإقناع ، والقدرة على امتصاص ما يطرأ عليهم فى خلال ذلك ، بحيث يخرج فى النهاية ، وله الغلبة عليهم بالحجة والدليل ، وإلا اهتز أمامهم كل توجيه صادر من الكبار.

حـ - أن يستغل ميل الأطفال إلى القصص ، فيقوم الأب والأم بحكاية القصص الهادفة والمثيرة ، والتى تتضمن أبعادا تربوية ، لما لها من مردود قوى عليهم.

ط – أن تكون الأسرة موضوعية فى أحكامها ، بحيث لا يتحول حبها لأبنائها ، إلى ممالأة لهم على غيرهم ، خاصة إذا ما نجم خلاف بين أبنائها ، وأبناء غيرهم ؛ ليبقى فى ذاكرة الكل أن لا شئ يعلو على الحق . والحق أحق أن يتبع ، وإلا نمت الأنانية واستباحوا السطو على حقوق الآخرين.

٥ – **نادى المسلم الصغير :** تجدر الإشارة على أن النوادى الأخرى لها بريق لا يقاوم من جانب الكثيرين من الناس رغم التكاليف الباهظة لعضويتها ، ومع ذلك فإن عليها إقبالا شديدا ، ولعل السبب فى ذلك أن التشبه بما هو أجنبى أو بما يقال عنهم الصفوة مقبول ومحبب إلى الناس ، بل يروج له ، بدعوى المدنية والحضارة. كما قد يكون وراءه بعض الاتجاهات المغرضة . ومنها بطبيعة الحال ما يتنافى مع الدين.

أما نادى المسلم الصغير فأغلب أعضائه من الصغار - إن لم يكن كلهم - وهو يهئ هؤلاء الصغار تهيئة مسلمة، قوامها تحفيظ القرآن الكريم، والأحاديث النبوية وبعض المحاضرات التى يلقيها المهتمون بتربية المسلم الصغير، كما تتضمن هذه التهيئة إقامة الندوات، وعمل المسابقات الدينية، وكذا القيام ببعض الرحلات.

والنادى فى هذا كله يتوخى إعداد النشء - بنين وبنات - إعدادا دينيا ، ودنيويا مع التوجيه لكليهما ، ويبدو أن أعداد نوادى المسلم الصغير ليست بالكثرة التى بها

تستوعب كل الراغبين فى الانضمام إليها ، وهى على أى حال وسط ينمى فى الطفل الإحساس بالدين ، ويربى فيه بعض القيم التى يمكن أن تكبر معه وتصبح سلوكا من سلوكياته ، ويمكن أن يكون ذا أثر على القيام بأدواره التى يمكن أن تسند إليه فيما بعد.

وقد تؤدى الأندية الأخرى بعضا من التربية الإسلامية إذا تحرى القائمون عليها شرع الله ومنهجه ، لكنها فى الأعم الأغلب تجنح إلى الجانب الترفيهى ، وهو أمر لا يمكن ضبطه طبقا للشريعة الإسلامية . وإذا تم ضبطه فإن ذلك يكون فى أضيق الحدود لكن الضابط لكل ذلك هو سلطة الأسرة ، ودورها الرقابى على الأولاد.

٦ – **الكتاب:** لازال الكتاب - ونحن فى القرن الواحد والعشرين - محتفظا بوظيفته الأصلية ، وهى تحفيظ القرآن الكريم ، وتلقين الأطفال بعضا مما يتصل بأمور دينهم عن طريق أحد الفقهاء فى القرية أو المدينة . ورغم أن الكتاب وسط تربوى قليل الفائدة فى عملية التوجيه ، إلا أن عملية حفظ القرآن أو شيئا منه قد يترك هذا الحفظ شيئا من الأدب والتربية فى نفسه ، ولو فى مرحلة تالية من حياته.

والملاحظ أن أعداد الكتاتيب قد بدأت تقل لمزاحمة المدارس الابتدائية فى التعليم العام والمعاهد الدينية ، فضلا عن أن كثيرا من الآباء يفضلون لأبنائهم وبناتهم الالتحاق بالتعليم العام ، وفوق ذلك أن الفقهاء الذين يتصدون لعملية تحفيظ القرآن الكريم قد قل بديلهم بعد بلوغهم مرحلة الشيخوخة ، أو الممات.

وإذا كان هناك بعض المساجد ، وبعض الغيورين على حفظ القرآن يقوم بهذه العملية لصغار الحى ، فإنها مجهودات فردية ، ولئن غلبها الحماس اليوم فربما تفتر غدا ومهما يكن من أمر فإن الكتاب - بإمكاناته الضعيفة - وسط تربوى يعلم النشء شيئا ما من أمور دينهم . وما لا يدرك كله لا يترك كله .

٧ - **الجانب الإعلامى :** تؤدى وسائل الإعلام المختلفة دورا مهما فى عملية التربية ، لأنها حين تركز على جانب ما فإنما ترسخه فى أذهان النشء ، بحيث يمكن القول إنها تصل إلى درجة قريبة من اليقين ، ويدخل فى هذا : الإعلام المكتوب من صحف ، ومجلات ودوريات ، وكتب ، والإعلام المسموع : من راديو ومسجلات صوتيه" ، وأشرطة.

ولعل الإعلام المرئى هو أخطرها ، وأشدها تأثيرا ليس على الصغير فقط ، وإنما على

الكبير أيضا . ومنه التلفاز، والسينما ، وأشرطة الفيديو ، والإنترنت وكل ما يتعامل مع حاستى السمع والبصر.

ومن كل ما تقدم يمكن الخروج منه خاصا بتربية النشء ما يلى :

١ - أن البيت هو الأساس فى عملية التربية ، وأن قدوة الأب والأم لأولادهما ضرورة حتمية . وحبذا لو كان من الأقارب من يقوم بمثل ذلك.

٢ - أن البيت هو مركز إمداد الطفل بالقيم . وهو أمر لا يقل بأى حال من الأحوال عن عملية التغذية الصحية . والتوازن بين المطالب البيلوجية والنفسية أمر ضرورى.

٣ - أن دور المدرسة قوى وفعال فى التربية من منطلق أن التلميذ يعايش مدرسيه وأقرانه فترة طويلة . فالكل يعلم الكل ، فى ضوء الضوابط التربوية.

٤ - أن المناهج الدراسية يتحتم مراجعتها بين الحين والحين ، خوفا من أن يكون فيها ما يتعارض مع الدين ، فضلا عن تحقيق جانب المعاصرة.

٥ - أن الأنشطة المدرسية ينبغى التحكم فيها ، بالقدر الذى يحقق الهدف من التربية ومراعاة ممارسات الطلاب ، فى الأنشطة المختلفة.

٦ - أن يعود النشء منذ الطفولة على الارتباط بالمسجد سواء أكان ذلك عن طريق البيت أم المدرسة ، حتى ينشأ محبا له ، متعلقا به.

٧ - أن تلاحظ جماعة الأقران التى تحيط بالتلميذ ، ومعرفة ما إذا كانت فى صالحة أم لا لخطورة تأثير القرن على نظيره.

٨ - أن يتم الإعلان عن نادى المسلم الصغير بالقدر الذى عليه أى ناد آخر ، ولا مانع من التقريظ به ، وأن يراعى القائمون على الأندية الأخرى حق الله فى رعايتهم للنشء فهم مسئولون منهم وعنهم.

٩ - أن يشجع على حفظ القرآن الكريم ، والإعلاء من الوسط الذى يتم فيه التعلم تنشيطا لهذا الاتجاه . ولا مانع من تقديم بعض الحوافز المادية.

١٠ - أن تلتزم وسائل الإعلام بالإطار العام الذى حدده الإسلام ، وأن تدرك أن أى عائد مادى من أى شئ يتصل به لا يمكن أن يصل إلى مرتبة تربية النشء ، والحفاظ عليهم من كل ما يسئ إليهم خلقيا وأدبيا ؛ لأن القنوات الفضائية ربما تخفى وراء ما تقدم أهدافا مغرضة.

١١ - تجويد العملية التعليمية ، وتطويرها بصفة مستمرة ، بما يضمن جودة المخرجات التعليمية لأن التعليم الفقير ، لا يقدم إلا مواطنا ضعيفا ، عرضة للاختراق من أى جانب.

خامسا : بعض الأبعاد التى تساعد على التربية الإسلامية الصحيحة .

إن الإسلام باعتباره دينا عاما لكل الناس ، وشاملا لجميع الخلق قد زخر بالعديد من الوسائل التى تسهم فى تربية المسلم ، بحيث تغطى الواحدة منها ما غاب عن الأخرى وبحيث يكون المسلم فى حلقة متصلة من المواقف الإسلامية ، يأخذ الجرعة بعد الجرعة. وهو فى كل هذه المواقف إنسان نام متسام . وقد طالب الإسلام كل مسلم العمل بكل ما من شأنه أن يربى الأجيال ، ويرفع من إنسانيتها لتصل إلى درجة تكرم الله لها ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ** ﴾ (الإسراء : ٧٠) . ولعل من أهم هذه الوسائل ما يلى :

١ - تحرى الأصالة والشرف فى اختيار الزوجة ، قال (ﷺ) : " إياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء " . رواه الدارقطنى . وقد أثبت العلماء أن الصفات الخلقية والخلقية تنتقل عن طريق الوراثة . وإلى هذا أشار القرآن الكريم فى استنكار المستنكرين لمريم ﴿ **يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا** ﴾ (مريم : ٢٨).

وتأتى ضرورة الأصالة والشرف من جهة أن الزوجة ليست مشاركة للرجل فى تربية الأولاد فحسب ، وإنما هى راعية فى بيت زوجها ، ومسئولة عن رعيتها بنص الحديث الشريف كما أنها أكثر التصاقا بطفلها وأشد تأثيرا عليه . ومن هنا يتحتم أن تكون على مستوى يسمح لها أن تكون أما ومربية ، لأنها تتعامل مع أسمى المخلوقات فى الوجود ، حيث تقدمه إلى ربه ، وإلى الناس أجمعين كدليل يشهد لها على حسن التربية ، وقمة الإسهام فى الحياة ، والجدارة فى القيام بوظيفتها . إن زوجة الرجل سكنه ، فإذا هممت بنكاح امرأة فسل عن أهلها ؛ فإن العروق الطيبة تنبت الثمار الحلوة.

٢ - تحرى الجانب الدينى فى حالة الزواج ، لأن الزوجين إذا كانا على اتصال بالله بحيث يراعيانه - سبحانه - فى كل ما يتصل بتربية أولادهما كان ذلك كفيلا بامتداد رعاية الله لهما ولأولادهما حفظا ، وشمولا برحمته سبحانه . عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال : " تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها . فاظفر بذات الدين ، تربت يداك " .

يؤكد ذلك أيضا قول المصطفى (ﷺ) : " الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة ". وصلاح المرأة يجنب الأولاد المتاعب التى يلاقونها فى حياتهم ، لأنها اتخذت منهج الله أساسا لتربيتهم ، كما تجنب الأب المعاناة التى تلاحقه من جراء تصرفات الأبناء ، وتعطيه الفرصة لأن يتفرغ فى عمله ويبدع فيه.

لقد أصبحت تربية الأبناء فى عصرنا مصدر حيرة وقلق للوالدين، وليس هذا فحسب بل مصدر حيرة وقلق للمؤسسات التربوية والتعليمية ؛ لأنها إن أفلحت فى جانب فشلت فى آخر، بسبب عجزها عن الإلمام بكل الظروف المحيطة بهؤلاء الأبناء وليس هناك أقدر، ولا أكثر حكمة من الوالدين خاصة الأم.

إن صلاح المرأة ليس أمره مردودا إلى كونها متعة لزوجها فقط، بل إن له عائدا تربويا يتمثل فى ترسيخ القيم الفاضلة، والآداب الإسلامية الرفيعة لدى الأبناء، وبالتالى فإن إسهامها فى المجتمع، يبدو أكثر فى أن هؤلاء الأبناء مصدر إشعاع لذويهم ، وعامل استقطاب، وقدوة لأقرانهم، كما أن له عائدا اقتصاديا يتمثل فى قدرة الزوج فضلا عن الأولاد – على الإنتاج والإبداع بسبب توافر الظروف المساعدة فى البيت ، إلى جانب الخلفية القيمية التى ينطلقون منها لعملهم وأداءاتهم . ومعنى هذا أن تحرى الجانب الدينى لدى الزوجة ، إنما ينبع من كونها سكنا للزوج وحرثا له ، كما أنها شريكة حياته ، وربة بيته ، وأم أولاده ، فضلا عن ذلك فهم يرثون عنها كثيرا من المزايا والصفات ، وبالتالى فإنهم امتداد لها من حيث هذه المزايا وتلك الصفات ، إلى جانب رؤيتها للحياة ، معتمدة فيها على شريعة الله ، تنشئهم عليها ، وتربيهم على أساسها.

٣ – غرس عقيدة الإيمان بالله لدى النشء، فالإيمان بالله هو الأساس الذى ينطلق منه تصور الإنسان لنفسه وللكون، وللحياة، ولرب الكون والحياة والإنسان. وهذا التصور إذا فسد فسدت الحياة كلها من ورائه، حيث يفسد العمل، ويفسد الخلق وتفسد العلاقات. إن صحة هذا التصور هى التى تعرف الإنسان بسر وجوده وغاية حياته، وما وراء حياته، حيث يؤمن أنه يعيش لغاية كبرى هى خلافة الله فى الأرض ورضوانه وجنته فى الآخرة.

ويجب أن يتأكد أن غرس الإيمان بالله الواحد وسائر عقيدة التوحيد ليست وسيلة للتربية، وإنما هى أساس وشرط ضرورى ، وبدونها تنتفى صفة الإيمان عن المؤمن ، أما الإيمان بما بعد ذلك فهو وسيلة للتربية، فمن أمن بدوره فى الحياة أخذ بالأسباب الموصلة

إلى هذا الدور . ومن آمن بعمله – أيا كان هذا العمل – وهيأ نفسه له من حيث الإعداد والإتقان والجودة ، وعرف أن دوره فى عمله هذا - صغر أم كبر - إنما هو إسهام فى الحياة - فقد تربى على هدى الله وسنة رسوله . " اعملوا فكل ميسر لما خلق له ".

٤ – توجيه النشء بالحكمة والنصح . " وهى التربية التى تعتمد على وسائل الإقناع الفكرى المنطقى المؤيدة بالحجج والبراهين المثبتة للحقائق ، وتكون الحكمة باتخاذ الأساليب الملائمة للحالة النفسية والفكرية التى عليها المستهدفون بالتربية ".

كان (ﷺ) مبلغا عن ربه ، الواحد الأحد ، فاتبع نفس الطريق التوجيهى الذى فصله ذلك الحكيم المطلق فى كتابه العظيم ، فجاءت كل تعاليمه أيضا تتلاءم والظروف والبيئات والملابسات ، ولم ينطق إلا ما اقتضته المناسبة وما وافق الجو وما من شأنه أن ينفذ إلى مسارب القلوب مباشرة.

وقد حمل الإسلام الآباء تبعة توجيه أولادهم ، وحسن تربيتهم . قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ (التحريم : ٦).

وتبدو التربية بالحكمة القائمة على الإقناع - مثلا - فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ﴾ (النساء : ٨٦) . فالآية تثير الجانب الإنسانى فى الإنسان حين يكرم المسلم أخاه عليه أن يرد التحية بأحسن منها، فإن لم يكن ، فعلى الأقل من باب المعاملة بالمثل أن يرد التحية بمثلها مهما كانت الفوارق الدنيوية بينهما.

وأما النصح فى التربية فهو أمر وارد ، ولكنه يختلف باختلاف الزمان والمكان وبشرط أن لا يسبب الحرج للغير فلا يمكن – مثلا – أن يكون النصح على ملأ من الناس . ومن هنا شاعت المقولة المعروفة " النصيحة على الملأ فضيحة " .

والنصح والتوجيه كما يكون للكبير يكون للصغير . فالنبى (ﷺ) قال لعمر بن أبى سلمه، وكانت يده تطيش فى الصحفة: "يا غلام سم الله، وكل بيمينك ، وكل مما يليك". (البخارى ومسلم).

والتربية بهذا الاعتبار عملية مشتركة بين المسلمين جميعا . كل يناصح أخاه ويفتح له أبواب الخير، ويرشده إلى ما ينبغى أن يكون . والناصح الأمين يؤجر على نصحه ؛ لأنها عبادة . قال (ﷺ) لعلى بن أبى طالب (ﷺ) وهو يحثه على الحكمة والرفق والأخذ بالتى هى أحسن : "فلأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم".

٥ - تحرى الحلال ، والابتعاد عن الحرام فى كل شئ. فالإسلام يخلى بين الفرد وبين جهده ، وكفاحه لاكتساب ما يعيش عليه بطريق حر ، ويعتبر كل ما يكتسب بعرق جبينه وكد يمينه ملكا مشروعا له . هذا فى جانب ، وفى الجانب الآخر هو يقيم حدود الحلال والحرام فهو إن كان يملك ما اكتسب من ثروة إلا أنه يجب أن يتحرى الحلال ويبعد عن هذه الثروة ، ولو مثقال ذرة بطريق الحرام ، لأنه إن فعل ذلك أثر على تربية من يشاركونه معيشته ، " كل جسد نبت من حرام فالنار أولى به " إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا . وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ (المؤمنون : ٥١) . ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ ﴾ (الطلاق : ٢ ، ٣).

ومعنى هذا أن من أنفق على نفسه وعلى أسرته من حرام ؛ لم يسلم هو وأولاده من عقاب الله . وليس معنى العقاب هنا نزول الآفات والمصائب عليه ، بل إن الله سبحانه يجريها عليه وعليهم بطرق متعددة : منها أن ينزع الله البركة منهم فى أعمارهم ، فى مستقبلهم ، فى صحتهم ، ويكفيه أن الله يحرمه من الاستجابة لدعائه .

٦ – **القدوة الحسنة :** تعد القدوة الحسنة وسيلة مهمة من وسائل التربية . والإنسان فى بداية طفولته يحكمه جانب التقليد والمحاكاة. فإذا كان المحاكى قدوة تأصلت فى النشء القيم والآداب والاتجاهات والميول الجديرة بأن تتبع ، ثم ترسخ فيما بعد حين يشب هذا النشء ويدرك ما أخذه من القدوة . ومن هنا يتأتى دور الأب والأم وكذا كل المحيطين بهذا النشء من جهة أن كلا من هؤلاء يتحتم عليه أن يفعل السلوك السوى ؛ إذ قد يكون هو الشخص المقتدى به (ﷺ).

ويعد رسول الله (ﷺ) قدوة المقتدين ، لأنه النموذج الأمثل للبشرية ، حيث إن حياته وسيرته هى النهج السليم ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ (الأحزاب : ٢١).

وتعد سيرة الصحابة والتابعين ومن برع فى أى مجال من مجالات الحياة نموذجا لتجسيد القدوة الحسنة للمجتمع المسلم ، لأن المثال الحى الذى يتحلى بجملة من الفضائل السلوكية يعطى غيره قناعة بأن بلوغها من الأمور التى هى فى متناول القدرات الإنسانية . فمما نشهده فى مجال التربية أن كثيرا من الناس يرون بعض الأمور مستحيلة الوقوع ،

لأنهم لم يعالجوا قدراتهم للقيام بها ، فإذا شاهدوا غيرهم يفعلها أخذوا يطوعون قدراتهم حتى يكسبوها المهارات المطلوبة لذلك العمل بالمعالجة والمحاكاة والتدريب.

وتزداد قوة القدوة الحسنة ، وقدرتها على التأثير إذا دعمت بالممارسة الفعلية من جانب القدوة ، إذ يحس الفرد المحاكى ارتباط الكلام بالفعل ، والنظر بالتطبيق بحيث يمكن أن يؤدى به إلى التعميم ، أما إذا انفصمت العلاقة بين ما يقال وبين ما يرى حينئذ يمكن أن تؤدى إلى فقدان الثقة ، وطرح جانب القدوة ، وقد يؤدى ذلك إلى اتخاذ القرين السوء مثلا له ، أو ملجأ يلوذ به.

ومعنى هذا أن القدوة أشد فعلا فى النفس من النصيحة . والتعليم المقصود لا يكون قوى الأثر إلا بمقدار مطابقته لسيرة الأفراد الذين يكونون بيئة الطفل الاجتماعية.

٧ – **إثارة الانتباه :** واستقطاب الفكر ، وحمل العقل على أن ينشط ، وذلك عن طريق طرح بعض الأمثلة التى تحتاج إلى شئ من التفكير والفطنة ؛ رغبة فى قدح الذهن وإعمال الفكر ، واختبار الذكاء.

قال (ﷺ): "إن من الشجر شجرة، لا يسقط ورقها، ولا ينقطع نفعها، وهى مثل المسلم . حدثونى ما هى ؟ قال ابن عمر: فوقع الناس فى شجر البوادى، ووقع فى نفسى أنها النخلة، ولكن ابن عمر استحى أن يجيب احتراما لكبار الصحابة . ولما اخبره إياه بهذا فيما بعد ، قال له : لأن تكون قلتها أحب إلى من حمر النعم " .

٨ – **التكرار:** تتعامل مادة التربية الإسلامية – أكثر مما تتعامل – مع القيم والمعايير والآداب. وتعاملها مع المعلومات إنما يستهدف منه العائد القيمى ، ولذا يراعى التكرار كأسلوب من أساليب ترسيخ تلك القيم.

ولعل فى تكرار الصلاة خمس مرات فى اليوم والليلة ، وتكرار الصوم مرة كل عام وقد يكرره المسلم من تلقاء نفسه عشرات المرات فى السنة الواحدة، وكذا تكرار الحج أكثر من مرة فى العمر - لعل ذلك من باب حملها على الطريق القويم، حتى إذا زلت النفس مرة ما وجدت فى العبادة التالية ما يذكرها، فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله(ﷺ) قال: الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان - مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر . (رواه مسلم وغيره).

والمنهج المدرسى فى التربية الإسلامية يصعب فيه وضع حد فاصل بين قيمة وقيمة ،

لأن فروع التربية الإسلامية : عقيدة ، وعبادات ، أو معاملات ، أو سيرة ، أو تهذيبا تتداخل فيما بينها ، وفى المستهدف منها ، بحيث يمكن القول أن قيمة الأمانة - مثلا - قد تتواجد فى كل تلك الفروع وغيرها ، من هنا فإن التكرار أمر مطلوب ووسيلة واردة فى التعامل مع النفس الإنسانية.

وإذا كان التكرار فى الأمور العقلية يمكن أن يتحول إلى عمل آلى — فإنه فى الأمور الدينية يمكن أن يتحول إلى عمل تلقائى ، تقبل عليه النفس بحب ورغبة ، إذا تشربتها وأصبحت جزءا من تكوينها.

٩ — الترغيب : الترغيب من الوسائل التى استقطب الإسلام بها أبناءه إلى فعل الخير ودفعهم بها إلى فعل السلوك الذى يحبه الله ورسوله ، ووضع أمام المسلم الهدف الذى تميل إليه النفس وتهواه ، حتى تندفع إليه بحب ورغبة ، فضلا عن الانتفاع بالجزاء الذى أعد لهذا العمل ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (النور : ٥٥) وقول النبى (ﷺ) : "إن الله يحب مكارم الأخلاق ، ويكره سفسافها".

والترغيب يخاطب النفس ، ويستميل الوجدان ، ويؤثر على المشاعر ، وينقل النفس من حال إلى حال . وقد فطن إليه المسلمون فى بداية حياتهم فاستخدموه سلاحا لخدمة أغراضهم ، وتحقيق مآربهم سواء أكانت هذه الأغراض شخصية أم جماعية . وقد برز هذا بشكل خاص فى الجانب السياسى ، أو المذهبى وهو بهذا الاعتبار سلاح ذو حدين . فهو كما يستخدم للبناء يستخدم للهدم . ويمكن أن يستغل الترغيب فى الجانب التربوى إذا اعتمد على الإقناع والمنطق ، واللجوء إلى الحقائق التى أقرها القرآن ، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ (الكهف : ١٠٧ ، ١٠٨).

والترغيب يفيد مع الصغير والكبير ، كل على حسب فهمه ، وقدرته على تصور الأشياء . وعلى قدر أهمية المرغب فيه ، وقيمته ، يندفع الإنسان إليه . وهذا أمر طبيعى مع البشر ، فهم مع الإفادة ، والمنفعة وجودا وعدما.

ويبدو أن هناك بعض الناس ممن تغلغل الإيمان فى قلوبهم ، وتمكن حب الله ورسوله

منهم لا يصدرون أعمالهم من واقع المنفعة ، أو الإغراء بما يعود عليهم من الفائدة وهؤلاء هم الذين يتعاملون مع الله بالأدب الربانى ، حيث يعتقدون أن الآداب الإسلامية صادرة عن الوحى الإلهى : أصولها ، وأساسها ، والتى لابد منها لكى تعلن الشخصية الإسلامية عن نفسها : مظهرا ، ومخبرا ، قولا وفعلا.

١٠ – الترهيب : الترهيب وهو التخويف من الإقدام على شئ ليس مرغوبا فيه . وهو الوجه الثانى للترغيب ؛ إذ أنهما وجهان لعملة واحدة هى حمل الناس على أداء عمل ما ، أو حملهم على ترك المرغوب عنه .

وقد يكون اكثر فعالية من الترغيب ، لأن الإنسان إذا استحضر العقاب على العمل ووعى ما يترتب عليه فإنه - فى أغلب الأحوال - يتراجع عن أداء هذا العمل " إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن " .

والترهيب كوسيلة تأديبية لابد أن يتناسب مع ما هو له ، وإلا انقلب إلى تمرد وانحراف كما أنه يعتمد أيضا على الإقناع وتقديم المعونة أولا ثم الوعيد بعد ذلك . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (الحجرات : ١١) .

إن الإلمام بالطبائع البشرية طفولة ومراهقة وغيرهما أمر ضرورى تفرضه عملية التأديب، وإن عمليتى الترغيب والترهيب كميزان فى التربية ينبغى أن يمارسا بحكمة ورشد، فكما أن البعض يجدى معه الترغيب، فالبعض الآخر لا يفيد معه إلا الترهيب .

العبد يقرع بالعصا .. والحر تكفيه المقالة

والقرآن الكريم يعرض - عادة - الترغيب والترهيب فى سياق واحد لكى يعطى للعقل فرص الموازنة والاختيار . وهذا يتفق مع ما يقرره القرآن فى أن من حق كل إنسان أن يقرر ما يراه هو ، لأنه هو الذى يتحمل مسئوليته لا غيره ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾(فاطر : ٧).

وتبلغ التربية الإسلامية إلى الهدف منها إذا وصلت إلى المرحلة التى يعلو فيها ضمير الإنسان ويصبح سوطا على النفس ، وضابطا للهوى ، وحكما على كل شر ومسيطرا على كل أداء " إن الزاجر قوة فى الإنسان إذا تكامل كان نعمة ورحمة ، وهدى له. فيه

يستقيم حاله ، فيكون الصدق شعاره والإخلاص بابه ، والطاعة خصاله . فالزاجر بهذا المعنى واعظ فى القلب يدل على خوف العبد من وعيد الله ورجائه فى وعده تعالى، وفى الأثر "ازجر المسيء يتوب المحسن".

١١ - سد باب الذرائع : تحتل وسيلة سد باب الذرائع مكانا مهما فى التربية الإسلامية وهى تنطلق من مسلمة قوامها قوله تعالى ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء : ٢٨) إن الشيطان يجرى من ابن أدم مجرى الدم " . فالإنسان معرض للضعف والفتنة وغلبة الشيطان عليه ، ولهذا حال الإسلام بينه وبين المقدمات التى توصله إلى التردى فى الفاحشة والوقوع فى المعاصى ، وحتى فى جانب العقيدة يحرص المسلم على تجنب كل ما من شأنه إثارة القلق والبلبلة ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (الأنعام : ٦٨).

وإذا كانت الوقاية خير من العلاج فى الجانب الصحى فإن الابتعاد عن كل ما فيه شبهة الحرمة هو خير علاج لتربية النفس ، ذلك لأن النفس إذا ألفت شيئا ما يمكن أن يتحول إلى عادة ، وبالتالى يصعب التخلى عنه : ومن حام حول الحمى يوشك أن يواقعه.

وقد رتب الفقهاء والأئمة ، وفى مقدمتهم على بن أبى طالب وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما أحكاما على المقدمات باعتبار ما يفضى إليه من نتائج. فقد روى الدار قطنى فى سننه أن عليا رضى الله عنه قال لعمر ، وقد ذاكره فى حكم شارب الخمر : إذا شرب سكر ، وإذا سكر هذى ، وإذا هذى افترى - أى قذف - وعلى المفترى - أى القاذف - ثمانون جلده فحد عمر شارب الخمر ثمانين جلده ، فجعل على شارب الخمر ثمانين جلده ، وأقره ، وعمل بقوله عمر رضى الله عنهما ، ذهابا إلى أن شربها مقدمة من نتائجها القذف . وحد القاذف ثمانون جلده.

وسد الذرائع ليس وقفا على جانب المعاصى ، وإنما يشمل - ضمن ما يشمل - كل ما من شأنه أن يشكك الإنسان فى دينه حين يترك نفسه للوسائل الإعلامية الأجنبية المختلفة خصوصا إذا افتقد جانب الحصانة الإيمانية التى تمكنه من تفنيد ما يسمع ، وما يقرأ انطلاقا من القاعدة الشرعية التى تقول : دع ما يريبك إلى ما يريبك.

ومعنى هذا إن التربية الإسلامية لا تستهدف الحصار على المسلم بقدر ما تستهدف

المحافظة عليه ، لأنها تدرك جيدا طبيعة النفس البشرية ، والبواعث المختلفة التى تحركها سواء أكانت هذه البواعث من داخل النفس أم من خارجها.

وليس هناك أقوى فى سد باب الذرائع من وصايا رسول الله (ﷺ) الجامعة - ومنها بطبيعة الحال مجال التربية ردا على أسئلة فى مواقف مختلفة لا تغضب . قل آمنت بالله ثم استقم . كف عليك لسانك.

١٢ - التربية من خلال الجماعة : تبدو التربية الجماعية فى الإسلام ملتصقة إلى حد كبير فى جانب العبادات . والعبادات فى الإسلام ليس الهدف منها القرب من الله الخالق فقط ، وإنما هى أيضا قرب المسلمين بعضهم البعض . ودا وتراحما ، وتماسكا وحبا وإن كان قرب المسلمين بعضهم البعض داخل فى القرب من الله . وهذا القرب قرب فى العادات والتقاليد والأخلاق ثم قرب فى شتى مظاهر الحياة عامة . ويحكم التربية هنا قوله(ﷺ) : "مثل الجليس الصالح مثل بائع المسك ، إن لم ينلك منه أصابك من ريحه ومثل الجليس السوء مثل نافخ الكير ، إن لم تصيبك ناره ، أصابك شرره " ويمكن عرض بعض هذه مظاهر.

أ – **صلاة الجماعة** . وهى تتكرر خمس مرات فى اليوم والليلة فى الفريضة ، وهذا التكرار يعطى للمسلم فرصة المراجعة ، وتعديل السلوك ، بناء على ما يقوله فى صلواته ، وما يشاهده من سلوك الصالحين من الجماعة . فالكل يتعلم من الكل يأخذ العادات المقبولة ، وينبذ العادات المرزولة.

ب – **صلاة الجمعة** . وهى مرة واحدة كل أسبوع ، والمجتمع فيها - فى العادة - أكثر من الجماعة المفروضة فى اليوم والليلة ، وفرصة الاحتكاك بالمسلمين الآخرين - صغارا وكبارا واردة ، كما أن مشاهدة النماذج الطيبة ، والاستماع إلى خطبة الجمعة ومراقبة بعض الأعمال الخيرة التى تتم فى هذا اليوم - وسائل فعالة تساعد المسلم على أن يتأدب بآداب القرآن ؛ لأن كل ما يتم فى هذا المجتمع لا يمكن أن يخرج عن الإسلام وآدابه.

جـ - **صلاة العيدين** . وهى تتكرر مرتين فقط فى العام . وإذا كان العيد يعنى الفرحة فإن الفرحة تطرح نفسها للتساؤل . ما الفرحة فى الإسلام ؟ لا شك أنها تسلية للنفس ، وترويح للقلب ، والخروج عن المألوف الآلى . ويخرج المسلم من هذا التساؤل بأنها الفرحة المنضبطة ، التى تتم فى إطار الدين وقيمه ، وآدابه السمحة ، وفرصة لتسوية

الخلافات التى تنشأ بين الأفراد ، الجماعات ؛ لأن المناسبة ربما تجعل الإنسان يراجع نفسه مراجعة مبنية على الصفاء والإخلاص.

د – **صلاة الجنازة** . وهى لا زمان لها ولا مكان . فإذا كان العيد يعنى فرحة الاندماج فى الحياة ، والإقبال على الدنيا - فإن صلاة الجنازة تمثل وقفة للمسلم يراجع فيها نفسه ويحاول أن يعدل سلوكه بعدها مع الله ، ومع الآخرين.

إن ميزان الدنيا والآخرة يعدل نفسه فى مثل هذه المواقف التى يمر بها المسلم ، حيث يربى المسلم نفسه بما يمكنه من الإمساك بطرفى الدنيا والآخرة . وتعديل السلوك فى مثل هذا الموقف أمر وارد وإن تأقت ، أو تأخر.

هـ - **الصيام والحج** . فالصيام ميدان لتربية النفس ، والسيطرة عليها ، والحج تجمع إسلامى على أوسع نطاق . الكل يكتسب التربية ، والسلوك السوى من الكل . وهو بمثابة نقل العادات الطيبة التى وصل إليها المسلم عبر تاريخه فى زمان ومكان معينين إلى أقرانه من شتى بقاع الأرض . ويمكن القول أن العبادات الإسلامية – تستهدف – ضمن ما تستهدف – تربية المسلم و ترفيع مستواه فى كل الأنشطة الإنسانية على أساس من الإفادة من شعائره ونسكه.

١٣ - الصوت العالى للحق : يحث الإسلام أتباعه على الشجاعة ، والجهر بالحق ، ويقرر أن الرزق والأجل بيد الله ، ولا دخل لأى عبد - مهما كان - فيهما ، والسبب فى ذلك الخوف من ضياع الحق - خصوصا حقوق الضعاف - بين الناس. ومن أجل ذلك دعا الإسلام إلى تربية النشء على هذا الأساس ، حتى يصبح سلوكا عاديا بينهم فإن لم يكن من كل المسلمين ، فعلى الأقل من معظمهم ، لأن تربية بغير هذا الشكل إنما هى تربية على مظاهر النفاق والضعف.

وقد تربى المسلمون على الشجاعة مصاحبة للاحترام ، وعلى الجهر بالحق مصاحبا للآداب . خطب عمر بن الخطاب ذات يوم فقال : أيها الناس من رأى منكم فى اعوجاجا فليقومه . فقام أحد الحاضرين وقال له: والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناك بسيوفنا فأجابه عمر بقوله : الحمد لله الذى جعل فى المسلمين من يقوم اعوجاج عمر.

وخطب مرة أخرى فقال : أيها الناس لا تغالوا فى مهور النساء . فردت عليه امرأة وقالت : أيعطينا الله ، وتحرمنا يا عمر ! فقال عمر : أصابت المرأة وأخطأ عمر !!

والحق بعد فطرى فى الإنسان يرتاح له إذا صنعه ، فإن لم يستطع صنعه أتعبه و أقلقه وأصبح صوته كابوسا يقض مضجعه ، إلى أن يضطر إلى الإعلان عنه.

ومعنى هذا أن الإسلام يطلب من أاتباعه أن يربوا أبناءهم - ذكورا وإناثا - على الشجاعة ، لأنها تعبر عن الإيمان العميق بالله ، ونضج الشخصية ، والاعتداد بالنفس ، وهذا يتطلب إتاحة الفرصة للأبناء أن يروا النماذج الصالحة ، وأن يمارسوا هذا السلوك مرارا وتكرارا أمامهم بطريقة طبيعية ، لا أثر فيه للافتعال فضلا عن تفادى عوامل الضغط والكبت ، والسخرية . وليست التربية أن يرتفع صوت الحق مع الغير وللغير فقط ، وإنما تتضمن أيضا إحقاق الحق مع النفس ، وتربية بهذا الشكل كفيلة بأن تفرز رجالا مثل عمر ابن الخطاب وغيره . صعد عمر بن الخطاب المنبر . وكان مما قاله : " والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد ، وما أنا أحق به من أحد . والله ما من المسلمين إلا وله فى هذا المال نصيب ولكنا على منازلنا من كتاب الله تعالى ، وقسمنا من رسول الله .فالرجل وبلاؤه فى الإسلام ، والرجل وقدمه فى الإسلام والرجل وغناه فى الإسلام ، والرجل وصاحبه . والله لئن بقيت لهم ليأتين الراعى بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى فى مكانه.

سادسا : بعض الفروق بين التربية الإسلامية وبعض التربيات الأخرى .

تجدر الإشارة إلى أن التربية بصفة عامة وليدة جهد إنسانى مشترك ، لأن الإنسان فيه من روح الله . وعناية الله مع عبده ، توجهه وتعلمه وتربيه ، فلم يتخل الله عن عباده ، ولن يتركهم وحدهم ، وإنما كان معهم برسله على تعاقب الأيام ، معلمين وموجهين ، وهؤلاء الرسل قد بلغوا رسالات ربهم إلى عباده ، وهذا التبليغ قد ترسب فى أعماق الأجيال جيلا بعد جيل ، وهذه الأجيال بعضها قد التزم بمنهج الله ، والبعض الآخر تخفف منه ، من هنا فإن الفرق بين التربية الإسلامية والتربيات الأخرى ليس فرقا قاطعا ، وإنما هو فرق نسبى خصوصا منها ما يتصل بالرسالات السماوية . وقبل عرض هذه الفروق يحسن أن نضع الاعتبارات الآتية :

١ – أن التربية الإسلامية تستند إلى دستور سماوى صادر عن الحق تبارك وتعالى، إن لم تكن كلها فعلى الأقل قواعدها الأصيلة، أما التربيات الأخرى فتستند إلى نظريات علمية، تفند اليوم ما أقر بالأمس، كما تستند أيضا إلى ديانات أخرى كتابية وغير كتابية.

٢ – أن التربية الإسلامية تستند إلى دين هو خاتم الأديان ، أحاط بكل ما يتصل بالإنسان، ووجهتها التربية الإلهية ، بينما التربية الأخرى تستند إلى ديانات أصبحت منسوخة بحكم شمولية وعصرية الدين الخاتم ، ومن ثم يكتنفها الإسلام ويستوعبها،

وإن اكتسبت مكانها فى الاتساع، وزادت فى العدد، وشغلت مساحة واسعة من العالم.

٣ – أن مصدر التربية الإسلامية محفوظ وموثوق به ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ (الحجر : ٩) أما مصدر التربيات الأخرى فإن كثيرا من الشكوك ، وعلامات الاستفهام تدور حولها . الأمر الذى يمكن أن يقال : إنها وضعية.

٤ – إن التربية الإسلامية تربية كلية للفرد والجماعة ، أما التربيات الأخرى فهى تربية جزئية ، تعالج جانبا وتنسى جوانب أخرى . ولماكان العالم اليوم يمثل وحده واحدة ، خصوصا بعد زيادة وسائل الاتصال بين بعضه البعض ، واصبح التأثير والتأثر أمرا واردا ، ولا يمكن إغفاله ، خصوصا على المستويات التى لا تستند إلى خلفية ثقافية إسلامية تحميها من الميل إلى هذا أو ذاك.

أبرز الفروق بين التربية الإسلامية وغيرها من التربيات الأخرى : يمكن عرض أبرز الفروق بين التربية الإسلامية وغيرها - وهى نظرة اجتهادية -

ومن أهم هذه الفروق ما يلى :

١ – أن التربية الإسلامية انفردت بين التربيات الأخرى أنها تتخذ من " التوحيد أساسا لكل ما صاغه الإسلام للمسلمين من تشريعات واضحة ، وحدود صريحة، وقوانين نافذة تعادلت فيها الحقوق والواجبات، وتساوى فيها الجهد والجزاء، وكفلت فيها ضمانات المعيشة المادية وضمانات العدالة القانونية و تكاملت فيها عناصر البقاء والاستمرار " .

ومعنى التوحيد هنا أن يضع الإنسان خالقه أمامه فى كل سلوك يسلكه ، أو أمر يريده أو نية يتجه إليها ، أو موقف يتطلب منه الانحياز للحق ، خوفا من الواحد الحق.

٢ – أن التربية الإسلامية ليست الحرية فيها حرية مطلقة ، يمكن للفرد أو الجماعة فيها ممارسة أى نشاط ، وإنما الحرية فيها حرية مقيدة ، سواء أكانت حرية شخصية ، أوجماعية أو حضارية ولعل المجتمعات تزداد فيها الحريات كلما ازدادت القيود والالتزامات والتبعات :﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ (التوبة : ٧١).

فالمؤمن للمؤمن صمام أمن ،وأداة توجيه ، وقوة تطبيع اجتماعى على التربية الدينية السليمة. وليست هذه الحرية وقفا على المؤمنين بعضهم البعض ، بل تتعدى إلى الأعداء. فقتل الشيوخ والنساء والأطفال مثلا - فى ميدان القتال أمر لا يبيحه أدب الإسلام بعكس ما تمارسه كثير من الدول الآن فى حروبها العسكرية ، من التشفى من رعايا الوطن المحتل بحجة الحفاظ على الأمن وما يجرى فى فلسطين والعراق اليوم خير شاهد على غلظة القلب وبشاعة عمليات القتل والتخريب ، ومعنى ذلك أن الحرية التى كفلها الإسلام حرية كفيلة حقا بالحفاظ على إنسانية الإنسان وتلتقى مع طبيعته الخالصة ، وواقع قيم الإسلام.

٣ – إن التربية الإسلامية تربية ملتزمة بالآداب والقيم الإسلامية بعكس التربيات الأخرى ومنها على سبيل المثال - التربية التى تبرر كل وسيلة لتحقيق وحدتها ولو تم ذلك عن طريق سلطة مطلقة ، لحاكم جبار ، لا يقيم وزنا للمعايير الإنسانية أو الخلقية ، مستخدما أسلوب المصلحة والمنفعة فقط ، وقد يحمد بما يفعل ، ويضرب به المثل ، ويأساليبه الملتوية بسبب خصومته الواضحة لقيم الدين ومكارم الأخلاق.

وإذا كانت بعض العقائد الأخرى تأخذ بهذه القاعدة نفسها فى مختلف الشئون السياسية والعلمية والمالية وغيرها من الشئون التى تحقق لها غاية من غاياته مهما كانت حقيرة - فإن الإسلام يتربع على قمة المجد فى مراعاة الحق والعدل والفضيلة.

وقد جاء فى البرتوكول الأول من بروتوكولات حكماء صهيون : أن السياسة لا تتفق مع الأخلاق فى شئ ، والحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسى بارع ، وهو لذلك غير راسخ القدم على عرشه ...

لابد لطالب الحكم من الالتجاء إلى المكر والرياء ، فإن الشمائل الإنسانية العظيمة من الإخلاص والأمانة تعتبر رزائل فى السياسة . وهكذا تبدو التربية الإسلامية تربية ملتزمة بالحق والعدل والفضيلة ، أما التربية اليهودية فليست كذلك.

٤ – أن التربية الإسلامية تتفرد بأنها تتعامل مع الإنسان من حيث هو إنسان مخلوق لله لا حيلة له فيما هو عليه ككونه أبيض، أو أسود، أو أصفر أو أحمر، غنيا ،أو فقيرا ... الخ وبغض النظر عن دينه، أو جنسه، أو عرقه أو أصله ، أو لغته.

والإسلام بهذا الاعتبار لا يقر التفرقة العنصرية كما لا يقر محاباة الرجل وإهمال الأنثى أو العكس، وبالتالى فإن من تشبع بتلك القيم ، واعتناقها عن إيمان ويقين عامل الناس

بالمساواة ، من منطلق الأخوة بين البشر أجمعين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ (الحجرات : ١٣) وعامل الناس بالتقدير والاحترام . قال (ﷺ) " ليس من أمتى من لم يجل كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه " . والمعاملة بهذه الطريقة هى نتاج تربية إسلامية تعود عليها المسلم منذ طفولته ، ورأى فيها ترجمة حقيقية لما تأدب عليه من أدب الإسلام ، بحيث أصبحت هذه المعاملة نشاطا تلقائيا ، لا شبهة فيها للافتعال أو التكلف الهابط.

وتبدو هذه الحقيقة دليلا واضحا ، لا تحتاج إلى بيان ، حين يصطف المسلمون أيا كانوا - فى صلاتهم بعضهم بجوار البعض . الأسود بجانب الأبيض ... الخ بدون تأفف أو تبرم ، كما يعد العدول عنها إيماءة جاهلية . وأبرز مثال على ذلك أن أبا ذر - وهو عربى من غفار - تغاضب مع بلال الحبشى - مولى أبى بكر رضى الله عنه ، وكان أبو ذر وبلال صاحبين ، وتطور النزاع بينهما إلى أن أخذت أباذر الحدة فقال لبلال : يا ابن السوداء فشكاه بلال للنبى (ﷺ) ، فقال رسول الله لأبى ذر : "طف الكيل ، أتعيره بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية.

والعصر الحالى ، وما سبقه ملئ بصنوف التفرقة العنصرية ، لا بين المواطن والأجنبى فقط وإنما حتى أبناء الوطن الواحد.

٥ – إن التربية الإسلامية تربية تتفق مع الجانب الفطرى فى الإنسان ، بحيث إذا خاطبت فيه هذا الجانب استجاب وأطاع ، ما لم يجبر على غير ذلك ، أو يقع تحت ضغط مؤثر يصعب التخلص منه . **ويمكن عرض بعض نماذج منها :**

أ – أن البنت إذا نوديت بغير جنسها ، استشعرت الإهانة والتهكم ، كما أن الولد إذا نودى بغير جنسه ، كان ذلك كذلك . وبالمثل فإن احتلال أى الجنسين لموقف الآخر يعتبر عملا غير مقبول ، ولهذا كان حديث رسول الله (ﷺ) : " لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال " فخالف جانب الفطرة فى الإنسان وبناء على ذلك فإن المخالفة فى هذا الجانب تحتاج إلى دعاية إعلامية ضخمة لكى تضمن لها النجاح وهو نجاح موقوت سرعان ما يتلاشى وينتهى ، تحت ضغط نداء الفطرة ، وغلبة الطبيعة الإنسانية.

ب – أن الطفل الرضيع ينشأ وينشأ معه الإحساس بالملكية ، بدءا من اهتمام والديه واللعب التى تقدم إليه حتى أكبر الملكيات ، فإذا جاءت بعض الاتجاهات الوضعية

وحرمت الفرد من هذه الملكية ، والتعويض عنها بالملكية العامة ، كان اهتمامه بها أقل ورغبته فى تنميتها أضعف ، إلا أن يؤخذ بسلطان القوة ، ويعامل كالآلة ، وبهذا ينتقل من أدب الإنسان الاختيارى إلى الأدب الآلى القهرى ؛ الذى يطبع الأفراد بطابع واحد ويصبحون نسخة مكررة ، يمشى على الأرض.

جـ -أنه رغم التقدم فى الزمان والمكان فى القرن الحادى والعشرين - وحتى ما بعده - بقرون - فإنه لا يمكن تغيير نظرة الرجل إلى المرأة، ولا المرأة للرجل فى أن كلا منهما مكمل للآخر، ﴿ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ (النبأ : ٨) ومن هنا فإن غيرة الرجل على أهله : زوجةً، و أما، وأختا، وعمة، وخالة ... الخ أمر وارد. والتربية الإسلامية تدعمه وتقويه بنص ما جاء فى الحديث الشريف، بل تصعد جانب الغيرة لتصل إلى القريب والبعيد ، حتى تنتهى إلى الغيرة على الوطن ككل، ويتصل بتلك الغيرة أيضا غيرة الرجل على رجولته . ومنها - على سبيل المثال - استنكاف الرجل أن يكون كلا على زوجته حتى ولو كانت غنية ، ويبدو ذلك إذا تربى منذ طفولته على احترام ملكية الأنثى لمالها وحقها فى التصرف فيه . ومهما حاولت بعض التربيات الأخرى ومنها الغربية على سبيل المثال - قتل قيمة الغيرة ، وذلك بالتشجيع على الاختلاط بين الجنسين فى سن مبكرة والتمرس على مشاهدة التزين من جانب المرأة ، وكشف بعض أجزاء من جسمها - فإن جانب الفطرة فى الإنسان يطفو بين الحين والحين على شكل جرائم ترتكب بسبب المرأة أو غيرة المرأة على نفسها ، وذلك بالرجوع إلى تغطية نفسها.

د – أن التربية الإسلامية تراعى النفس الإنسانية من حيث المخالفة والاعتدال . فهى لا تقطع الطريق أمام المخالفين ، بل تترك لهم فرصة المراجعة بتربية أنفسهم بأنفسهم ، أو التأثر بغيرهم ، كما أن الاعتدال ليس مطلقا " كل ابن آدم خطاء . وخير الخطائين التوابون".

٦ - إن التربية الإسلامية تكاد تنفرد عن التربيات الأخرى من حيث أن البيت هو أهم طريق لتنشئة الطفل تنشئة سليمة " فإذا كان الأب مسئولا عن تغذية طفله ماديا ، فلا يهمله حتى يتعرض جسمه للهزال أو للمرض ، أو للموت . فهذه التغذية لا بد للأب أن يتحرى مصدرها فقد نهى (ﷺ) عن استرضاع المرأة الحمقاء حتى لا يتعدى حمقها إلى الطفل فيتسرب إلى نفسه الذكية مع لبنها فيلوثها بما يشوه جمالها ، ويغير

من طبيعتها ، إذا كان ذلك كذلك فهو مسئول عن تغذيته روحيا ، فلا يجوز له أن يهمله حتى لا يتعرض لما هو أشد خطرا من هزال البدن ، وهو مرض القلب.

ومن هنا كان أمر الآباء لأن يدربوا أبناءهم على طاعة الله ، وأداء فرائضه منذ بلوغهم سنا يقبلون فيها التعليم ، وهى السابعة ، والتشديد عليه إذا بلغوا العاشرة ، كما جاء فى الحديث " مروا أولادكم بالصلاة لسبع و اضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم فى المضاجع". والأمر بالضرب هنا ليس مقصودا به التعذيب أو التنكيل، ولكن لإشعار الصبى والصبية بمدى جدية الأب فى طلبه للعبادة، وغضبه من عصيانه فى ذلك . والأم شريك الأب فى المسئولية، فهى راعية فى بيتها، ومسئولة عنه كما أكد ذلك النبى (ﷺ).

وليست مهمة الأب والأم فى التربية قاصرة عليهما من لحظة الميلاد ، بل إنها تمتد قبل زواجهما من حيث اختيار كل منهم للآخر . يقول (ﷺ) : " تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء " . وقد سئل سيدنا عمر رضى الله عنه عن حق الولد على والده فأجاب : "أن ينتقى أمه ويحسن اسمه ، ويعلمه القرآن".

٧ – أن التربية الإسلامية تنفرد بأنها تريد الخير للناس جميعا . ومنطلقها الأساسى أن الإسلام يغرس فى بنيه حب الخير للناس جميعا، والرغبة الملحة بأن يخرج الناس من الظلمات إلى النور، والوصول إلى المشارف الحضارية الراقية، والرغبة الملحة أيضا بأن يذوق الناس معهم ما ذاقوه من إيمان منح قلوبهم الطمأنينة والسعادة والرضا، وبأن يشاركوه فى الإفادة من العلوم الدينية والمعارف الأخلاقية، وطرق تنظيم الحياة ليطبقوها، فيسعدوا بها، وبأن يسيروا معهم متعاونين متآزرين متآخين لتحقيق أكبر قدر ممكن من التقدم الحضارى الذى خصهم الإسلام به فى مختلف المجالات الإنسانية الفكرية والنفسية والسلوكية والمادية. والخير الذى يريده الإسلام لكل الناس خير فى مجالات الحياة كلها، سواء أكان نفعه دينيا أم دنيويا بعكس ما يحدث فى بعض المجتمعات. حدث أن أخطأ رجل أسود يوما ، فدخل كنيسة من كنائس البيض، وكان القسيس يعظ، ويتحدث، فلمح هذا الوجه الغريب بين الحاضرين، فلم يملك إلا أن اخرج ورقة مطوية أرسلها إليه، فلما فتحها الرجل الأسود وجد فيها: عنوان كنيسة السود فى الشارع كذا ..!!!

ومعنى هذا كله أن هذه الفروق الموجهة للتربية الإسلامية وغيرها ، إنما يعود إلى صنع الأفراد ، وحدهم ، لأن الدين عند الله الإسلام . فمن أسلم وجهه لله ، والتزم بالآداب

الإسلامية ، فقد تربى على نهج الإسلام ، و إن انتمى إلى غيره ، ومعروف أن الإسلام وضع المبادئ الكلية ، وترك الأمر بعد ذلك لمن يسن سنة طيبة ، كما أعطى الفرصة للإفادة من الغير ، انطلاقا من انفتاح الإسلام ، وتقبله لما يرضى الذوق السليم ، ويرتضيه العرف العام طالما كان ذلك داخلا فى إطار الشريعة السمحة .

سابعا : الإنسان العبد كمخرج من مخرجات التربية الإسلامية .

إذا كان للتربية الإسلامية غاية واحدة وهى إيجاد الإنسان العابد لله عز وجل الصالح للإنسانية جمعاء ، بحيث يمكن القول : إنه إنسان قرآنى قولا وفعلا – فما المكونات التربوية لهذا الإنسان العابد ؟

تجدر الإشارة إلى أن مفهوم الإنسان العابد ليس هو المقيم إقامة قليلة أو كثيرة فى مسجد ما ، بين ركوع ، وسجود ، وذكر ، ينتظر الإعاشة من غيره - قرب أو بعد ؛ وإنما العابد الحقيقى الذى تربى على منهج الله وشريعته وطبع على الالتزام بالواجب ، وأحس بالجلال والرهبة من الله تعالى وسيطر على هوى النفس ومطالبها وتوافر فيها ما يلى :

١ – الانتباه واليقظة لما حوله ومن حوله ، فليس المؤمن غافلا وإنما المؤمن كيس فطن .

٢ – التعامل مع الحياة ، والتفاعل معها ، بحيث يترك المؤمن بصماته عليها ، على أن يتوجه بهذا التعامل وذاك التفاعل إلى الله واهب الحياة . فإذا كانت تعاملات الحياة متعددة ومختلفة فإن كلا منها يؤدى وظيفة لا تؤديها الأخرى ، لأنها سنة الله فى كونه ، فكل ميسر لما خلق له. وعلى هذا فلا يستهين المسلم بعمله مهما كان طالما أثبت ذاته فيه ، وأتقنه ، وجوده.

٣ – العبادة الحقيقية لله . وهى تعنى فى جوهرها الإسلامى كل قول ، أو فعل ، أو عمل يؤدى خيرا للفرد ، أو للجماعة ، كما تعنى فى المقابل البعد عن كل قول ، أو فعل أو عمل ينتج عنه شرا للفرد ، أو للجماعة . وليس معنى هذا أن يتملص الإنسان من العبادة المفروضة عليه من صلاة ، وصيام ، وزكاة وحج .. الخ بدعوى هذا المفهوم ولكن عليه أن يؤدى هذا وذاك لأن العبادة المفروضة التزام لله ، وفرض له سبحانه ، وحق الله لا فصال فيه ، أما ما بعد ذلك فهو القيام بواجبات الجماعة المسلمة إزاء فضل الله على من وهب استعداد فطريا فى أى جانب من جوانب الحياة ، لأن الأخوة الإسلامية تقتضى أن يجود المسلم على غيرة من منح الله عليه . ومع ذلك فقد أخذ الله على نفسه عهدا على مكافأة من يقدم على فعل المكرمات طالما توخى بهذا الذى يقوم به وجه الله والإخلاص له ، والشكر على ما وهب.

٤ – الأمانة فيما وكل إليه . وليست الأمانة هى أداء ما اؤتمن عليه الإنسان من قول أو عمل فقط فى أدنى درجاتها، ولكن الأمانة المقصودة تعنى ممارسة الأمانة ، والقيام بها فى أعلى مراتبها . فأداء العمل بأمانة ، أمر مطلوب، ولكن الأكثر قبولا منه هو أن يتقن هذا العمل، ويجوده؛ ليصل به إلى درجة الكمال المميز، لأنه صادر من إنسان مميز عند الله وهو المؤمن . والأمانة اسم جنس تشمل كل أنواع الأمانات. فالعبادات، والمعاملات، وممارسة كل أنواع المهن والحرف أمانة . والتربية الإسلامية إذا أفرزت إنسانا بهذه الطريقة، ذلل الله له كل صعب، وفتح له مغاليق ما استعصى ، حتى إنه يمكن أن يقول للشئ كن فيكون.

٥ – العزة بالله ولله وفى الله . فالتربية الإسلامية لا بد أن يظهر أثرها فى سلوك المؤمن وبغير ذلك تصبح هذه التربية تربية لفظية، وقوة معطلة أساء استخدامها هذا الشخص، وضيع على نفسه فرصة خسر فيها من عدم الاعتصام بالله ونسب إلى هذا الدين من غير أن ينتفع به.

فالعزة بالله تعنى الإيمان المطلق بالعزيز الواحد ، وأن من استند إلى تلك العزة لا يمكن أن يشعر بالمذلة ، أو المهانة ، وحتى وإن وجه إليه ذلك من غيره فإنما هى مذلة الفانى للفانى ، والمهانة من المهين ، و العدم لا يصدر عنه إلا العدم ، وبالتالى فإن الاعتزاز بالله يطمس كل معالم الإهانة من غير الله.

والعزة لله هى فى جانب المؤمن عزة له ، لأنه أى المؤمن خليفة لله العزيز الذى لا يغلب . والخليفة للعزيز يأخذ عزة من استخلفه . والعزة فى الله تعنى أن يتمتع الإنسان بنعم الله وفضله من غير منة ولا إراقة لماء الوجه بل إن المولى سبحانه يطالب المؤمنين به ، ويأمرهم بأن يسيروا فى الأرض ويستخرجوا منها ما يشاؤون ليدركوا فضل الله على عبادة بشرط أن يحافظوا على أنفسهم ، لأنهم عباد الله ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ (الأعراف : ٣١). فالنهى عن الإسراف ليس خوفا على نعمه سبحانه أن تنفد ، وإنما النهى يتوخى سلامة المؤمن بدنيا ؛ حتى يعطيه فرصة العبادة لله . ومعروف أن البشر يعيرون بعضهم البعض كما يمنون عليهم - وهى ذميمة من جانب الخلق ، حميدة من جهة الخالق - لكن الله يسعد بخلقه حين يراهم مقبلين على نعمه ، راغبين فى الاستزادة منها .

٦ – ضبط النفس : المؤمن اليوم يتعرض لاختبارات عديدة فى كل لحظة . والحياة

المعاصرة حافلة بكل صنوف المثيرات ، والمنبهات ، وكل ما يساعد الإنسان على الإقبال على الدنيا ، والنهم منها ، بدرجة يمكن فى كثير من الأحيان أن يضعف هذا الإنسان أمام الحرام فيها : أكلا وشربا ، ومتعة ومستحدثات عصرية.

والمؤمن الحق مطالب بضبط النفس وأن يضع حدا لتلك المتعة ، الحلال منها بطبيعة الحال خصوصا إذا كانت إمكاناته المادية أقل من أن تصل إليها . وإذا كان المؤمن مطالبا بأن يكون لديه طموحات عديدة فإن هذه الطموحات تكاد تنحصر فى إثبات الذات . وإثبات الذات فى الجانب الإيمانى أولا ، ثم يلى ذلك إثبات الذات فى المجال الذى فرده الله به ، كان يكون متفردا فى العلم ، أو فى الأدب أو فى السياسة ، أو فى الاقتصاد ، أو فى الخلق ... الخ والمؤمن بهذا الاعتبار اصبح ضابطا لنفسه ، حاكما على شهواته ، مغلبا جانب روح الله فيه . أما إذا تملكت أهواؤه فيه ، وسيطرت شهواته عليه ، ومال إلى إشباع الجسد فإن جانب الحيوان فيه قد غلبه.

وقد كان أخوف ما يخافه رسول الله على أتباعه من بعده هو حب الدنيا بشكل يحطم توازن النفس ، ويضعف جانب الحب لله ، ولرسوله.

٧ – أن يعرف المؤمن حجمه الطبيعى ، فلا يدعى لنفسه صفة الوصاية على خلق الله ولا يتصور نفسه أن أصبح رسولا مسئولا عن رسالة ربه ، إلا بالقدر الذى حدده المولى جل وعلا. ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل : ١٢٥) ولا يتصور - مهما أدى من عبادة - انه قد ضمن لنفسه الجنة " إنى لا آمن مكر الله ، ولو كانت إحدى رجلى فى الجنة "

ومعنى هذا أن يرسخ فى ذهن المؤمن أنه عبد مطيع لله تعالى ، يجتهد فى ذلك ما استطاع ، ويرجو الله أن يكون قدوة لغيره، ومؤشرا إلى جانب الهدى والرشاد ومفتاحا لينابيع الخير عند الله سبحانه.

٨ - المشاركة كل المشاركة في الحياة المعاصرة . فإذا كان الإسلام صالحا لكل زمان ومكان فإن المسلم يجب أن يكون حاضرا في كل زمان ومكان : بعلمه، وفكره، ومعلوماته، ثم بعقيدته. وغيابه عما يدور حوله، يعنى أن عضويته في الجماعة المسلمة كعضو فى الجسم الإنسانى انتهى العمل به، وسقط من حسابه . وإذا كان المسلم يعيش ماضيه بوجدانه، يستلهم منه الثقة، والاعتزاز بالنفس، وقوة اليقين ويعمل على إحياء الذاكرة الإسلامية، بصحة إسلامه – فإنه ينبغى عليه أن يكون أكثر معايشة لحاضره،

وتقمصا بمستقبله، يتفهم كليهما، ويعى ما حوله: فاحصا، محللا، ناقدا، ليخترق المستقبل، وهو على يقين من صحة ما يخطط له. فالآمال لا تتحقق إلا من خلال حلم مدروس، وعلم صحيح، ونفس دؤوبة على العمل، وإصرار على بلوغ الهدف، ولو طال الأمد.

إن الحيـــاة لـزهـر بيـــنه شـوكـا ... فحطـم الشـوك حتى تقطف الزهـرا

لا تحسـب المجـد تمـرا أنـت آكلـه ... لن تبلـغ المجـد حتى تلعق الصـبرا

الفصل الرابع
دور الآباء والأمهات
فى دعم المنهج المدرسى للأطفال

يتناول هذا الفصل : دور الآباء والأمهات فى دعم المنهج المدرسى من الناحية الإسلامية من حيث صعوبة هذه التربية ودواعى الاهتمام بها ، وتميزها ، ودوافعها ومسئولية الآباء والأمهات تجاه هذه التربية ، ثم أبرز هذه الأدوار .

وفيما يلى بيان لهذه الجوانب :

١ – مفهوم الدور :

يبدو أن للدور استخدامات مختلفة . منها الدور التربوى ، فقد يقصد به مجموعة الأنماط السلوكية التى يتخذها الفرد، أو المؤسسة التربوية تجاه موقف ما، وفى إطار نسق اجتماعى محدد. وقد يقصد به المظهر المتنامى للمكانة. فالسير على الحقوق والواجبات معناه القيام بالدور على اعتبار أن المكانة هى مجموعة الحقوق والواجبات. ويقصد به هنا مجموعة الانطباعات التى يخرج بها المتعلم من خلال احتكاكه بالمنهج المدرسى قبولا ، وتعامله مع المدرس تفاعلا ، واستيعابه للمواقف التى تحيط به ملاحظا .

٢ – أسباب صعوبة تربية الأولاد :

تزايدت مسئولية الآباء والأمهات إزاء تربية أولادهم بمرور الزمن ، وزيادة التقدم العلمى والتكنولوجى، وتوافر وسائل الراحة والرفاهية، وكثرة الأجهزة السمعية والبصرية التى تلاحق حواس الإنسان منذ ولادته. فقد انتهى العصر الذى كانت تربية الأولاد فيه تكاد تنحصر فى تحفيظهم القرآن الكريم، أو شيئا منه، وكذا اطلاعهم على بعض الأحاديث النبوية وبعض ما كتب السلف الصالح فى مجال الدين، وكانت الكلمة المسموعة ، أو المقروءة مسيطرا عليها بحيث لا يصل إلى أذن الطفل، أو لا تقع عينيه إلا ما كان متوافقا مع دينه.

ومن هنا فإن مسئولية الآباء والأمهات فى ذلك الوقت كانت محدودة ، أما اليوم فإن المسئولية فى تربية الأبناء مسئولية كبيرة ، ومتشعبة ، بل لا يمكن السيطرة عليها بسهولة.

ولعل من الأسباب التى تجعل من تربية الأولاد عملية صعبة ما يلى :

أ – أن الطفل البشرى مخلوق عاقل ، له القدرة على اختيار البديلات ، من الإيمان أو الكفر ومن الحسن أو القبح ، ومن الخير أو الشر ... الخ . كما أن لديه من الأساليب والحيل ما يحقق له ، ولنفسه الرغبة التى يريدها ، حتى لو كانت مخالفة للمألوف من التربية ومتعارضة مع ما يراه الوالدان ، أو متعارضة مع ما يراه الدين.

ب – أن المخلوق البشرى مكلف من قبل الله سبحانه وتعالى بحمل الأمانة ، انطلاقا من قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (الأحزاب : ٧٢) مثله فى ذلك مثل الأب والأم تماما بتمام . ومسئولياتهما أن يهيئا طفليهما لحمل هذه الأمانة، إذ الأبوة، والأمومة فى بنى البشر ليست مقصورة على عملية الإنجاب فقط، إذ هى عملية مشتركة بين الكائنات الحية، وإنما يمتد عمل الأب والأم إلى التربية والتأديب حتى مرحلة البلوغ وبعدها بالمراجعة والنصح.

جـ - إن حب الآباء للأبناء، والعاطفة القوية إزاءهم، والتى ليست محل شك أو مساومة – قد تجعل بعض الآباء يميلون إلى التجاوز عن شرع الله فى تربية أولادهم، ويقدمون العذر لأنفسهم تجاه ما يفعلون مرة، ومرات، حبا فى إرضاء أبنائهم ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ ﴾ (التغابن : ١٥) ، وعدم التضييق عليهم، على اعتبار أن سعادة الأبناء يحب الآباء استشعارها ، ورؤيتها فى الأبناء.

د – أن الضغوط الواقعة على الطفل منذ ولادته كثيرة ومتعددة. بدءا من وسائل الإعلام إلى الحضانة، ثم المدرسة، والمجتمع. وهذه الضغوط فيها الخبرات المربية وغير المربية، ويعنى بالمربية هنا كل ما يتفق مع مبادئ الإسلام وروحه.

ولا شك أن المدرسة تؤدى دورا أساسيا و فعالا فى تربية الأبناء منذ التحاقهم بها. وجوهر المدرسة - فى الغالب - منهج مدرسى، لا بمعنى المادة المكتوبة فقط، وإنما بمعناه المسموع، والمقروء، و المسلكى مترجما فى سلوك أفراد المدرسة، ومن كل المتعاملين معها. وبمعنى آخر هو محصلة كل الخبرات التى مر بها التلميذ، على اختلاف مصادرها من المعلم والكتاب، والزملاء، والنشاط المدرسى، والقراءات الخارجية ، وما يصل إليه من وسائل الإعلام المختلفة.

ولما كانت عملية التربية ليست حكرا على جماعة ، أو فئة أو مؤسسة دون غيرها -

فإنه - مع ذلك - يبرز دور الآباء والأمهات جنبا إلى جنب مع دور المدرسة فى إعداد الأبناء إلى الحياة، وتربيتهم تربية تتفق مع ما يسود المجتمع من قيم وآداب إسلامية، من خلال ما تقدمه المدرسة من منهج دراسى بمعناه المتعارف عليه بين المتخصصين.

والطفولة هى جمال الحاضر، وشباب المستقبل، وخبرة الشيوخ السليمة فيما بعد، وهى - أى الطفولة - أمل الوطن والمواطن وسنده، فهم صناع الحضارة وعظماء التاريخ، ورواد العلم، و أداة التقدم. وبمقدار التربية السليمة المقدمة إلى تلك الطفولة، وهضمها وتمثلها والسلوك بمقتضاها يرقى المجتمع وينمو.

والآباء والأمهات هم مصدر توجيه رئيسى لهؤلاء الأطفال ، والوسيلة الأولى لبناء القيم لديهم، و" كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه "، وبمقدار الجهد المبذول فى تربيتهم والحرص على توعيتهم، والاهتمام بتوجيههم على ضوء من الكتاب والسنة، بمقدار ما يصبح هؤلاء الأطفال رصيدا قويا لأنفسهم ولدينهم ولأمتهم. وبمقدار التراخى والضعف فى أداء تلك الرسالة، بمقدار ما يزيد الخلل فى شخصيتهم ويصبحون نقطة ضعف كبيرة فى مجتمعهم.

وليس المسلمون بدعا فى هذا المجال حيث يربى المرء على دينه ، ويعرف - على الأقل - الأمور الجوهرية فيه . يصف أحمد الماوردى - وهو باكستانى - زيارة البابا جون بول الثانى لأمريكا عام ١٩٧٩ ، وبعد أن يصف الحفاوة التى قوبل بها يقول : " بعد التبخير، بدأت الصلاة ، وقد دهشت من عدد الذين يحفظون الصلاة بين شباب نيويورك. ولو أجرى امتحان فى سورة الفاتحة بين شباب كراتشى ، أو القاهرة أو دمشق لسقطت الأغلبية الساحقة " .

والمتأمل فى الآيات القرآنية التى وردت فيها ذكر الوالدين يجد أنهما قد ذكر بعد الأمر بعبادة الله الواحد الأحد ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (النساء: ٣٦) ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾ (الإسراء : ٢٣) . ولعل السر فى ذلك أن الوالدين - وهما السبب المباشر فى وجود الطفل - عليهما مسئولية تذكير الطفل وتربيته وتنمية الولاء عنده بالموجد الأول وهو الله سبحانه . والمؤشر لذلك هو طول مدة الحضانة ، والتصاق الطفل بوالديه ، بما لا يمكنه الاعتماد على نفسه إلا بعد سنوات . الأمر الذى يتيح الفرصة للوالدين أن يراجعا نفسيهما تجاه ما قدماه

لطفليهما، وتجاه ما تقدمه المدرسة، خصوصا بعد تدخل يد الأمريكان فى المناهج الدراسية بدعوى التطور والتحديث، وهى دعوة حق يراد بها باطل.

٣ – دواعى الاهتمام بدور الوالدين فى التربية الإسلامية :

ينبع الاهتمام بدور الوالدين فى التربية الإسلامية من الدواعى الآتية :

أ – أن من الأهداف المتوخاة من عملية تطوير التعليم بجميع مراحله " تأكيد الذاتية الثقافية العربية الإسلامية للشخصية المسلمة، من حيث إنها شرط لتأكيد النسيج الاجتماعى والوطنى. والتعليم سلاح فعال فى تجسيد هذه الذاتية الثقافية، وتنميتها، و إبراز أصالتها، لتدعيم وحدة المجتمع : كيانا وفكرا. والأسرة شريكة فى القيام بهذا الدور.

ب – أن بعض الآباء والأمهات قد يتصوروا أنهم بمجرد أن يلتحق أبناؤهم بالمدرسة أصبحت مسئولة عنهم من حيث التعليم والتربية، وأن دورهم أصبح أمرا ثانويا. وقد يزداد هذا الفهم قوة ورسوخا حين تكون المدرسة مدرسة خاصة، تقدم الخدمة التعليمية والتربوية نظير ما يدفع لها من مبالغ عالية، بل يتراجع دور الآباء فى التربية إذا ما كانت هذه المدرسة مدرسة داخلية، تتولى إعاشة التلميذ وتربيته. وعلى قدر ما يدفع الآباء تكون التربية. مثلها فى ذلك مثل أى سلعة، تسعر بمقدار جودتها.

جـ - أن التعاون بين البيت والمدرسة أصبح أمرا ضروريا لصالح الأبناء، وأضحى قيام طرف واحد بدون الآخر بهذه المسئولية عملية مستحيلة - مع وضع أطراف أخرى كالنادى، أو جماعة الرفاق... الخ فى الاعتبار - وذلك لأن الدفء الحقيقى والرعاية الحقيقية مكانهما البيت.

د – أن كثرة التيارات التى تقع على الشباب، والمطالب المادية المحضة ربما تؤثر عليهم، أو تستهويهم. وتربية الطفل من والدين مدركين هذه الأبعاد، ربما تحميه فيما بعد من الخطأ، وتعطيه قوة المقاومة، وعدم الاستسلام، لأن الخلفية الخبرية للإنسان لها دورها على سلوكه، و تأثيرها على توجهاته. وحصانة الانتماء عملية مطلوبة، تشعر الوالدين بالراحة والرضا.

٤ – تميز التربية الإسلامية :

يرى الإسلام أن تربية الأولاد مسئولية الآباء والأمهات بالدرجة الأولى، بل هى فريضة دينية، ورغم أن التربية بصفة عامة لها قوانينها المتعددة والمتشعبة بتعدد المواقف

الإنسانية وتشعبها ، حيث توجد التربية السياسية ، والتربية الاقتصادية ، والتربية النفسية ... الخ . إلا أن التربية الإسلامية أو الدينية هى الأساس لكل جانب من هذه الجوانب وغيرها ، بل هى المنطلق لكل جوانب الحياة . وبهذا المعنى تقف التربية الإسلامية على رأس كل تربية بعيدا عن التعصب أو التحيز للأسباب الآتية :

أ — أن التربية السياسية - مثلا - رغم إعداد المؤسسات والمعاهد القومية من حيث الطاقات البشرية المؤهلة والإمكانات المادية - عجزت عن تربية أفرادها وتحقيق الهدف منها، بضمان الولاء الحزبى الكامل لها بشكل مقبول، لأن المنتمين لها أرادوها وفى أذهانهم مكسب معين. فإذا ما تحقق هذا الكسب، استمروا فى عملهم، وأدوارهم بإتقان وجودة. أما إذا تغير المناخ، فسرعان ما يقلبون شخصيتهم، ويغيرون اتجاهاتهم تبعا للتيار السائد. وقد تحدد الأسرة الواحدة - فى التربية السياسية - أدوار أفرادها ليظل زمام المنفعة بأيديهم حتى إذا ما ضاعت تلك المنفعة من يد واحد منها انتهت إلى الآخر . وتربية بهذا الشكل لا تسمى تربية ، وإنما هى إعداد لموقف ما. والمكسب فيها هو الأساس: قد يكون الوظيفة، أو الشهرة ، أو المكسب المادى، أو التسلق إلى السلطة ... الخ، وربما تجد القيم الفاضلة مكانا لها فى تلك التربية ، أو لا تجد.

ب — أن التربية الاقتصادية - وهى مطعمة بقيم المنفعة والمكسب والخسارة - تجعل الحياة سوقا للتجارة، وتنمى روح الأنانية لدى الأفراد والجماعات، ما دامت المصالح موجودة . فإذا توافرت هذه المصلحة، راح الأفراد أو الجماعات يمارسون نشاطهم فيها بحرية كبيرة الكبير فيها يطغى على الصغير ، والغنى يستغل الفقير ، والبقاء فى الميدان للأقوى، يصبح الغنى هو سيد الموقف، مخالفا بذلك قاعدة إسلامية إنسانية مقررة وهى : تراحم المسلمين فيما بينهم ﴿ **نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ (الزخرف : ٣٢) من كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد عنده ومن كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له.

أما إذا استندت هذه التربية إلى قيم تحكمها و توجه مسار أفرادها فإن فى ذلك صلاحا للفرد والجماعة ، ودليلا على صدق الانتماء ، فقد ذهبت جولدا مائير - رئيسة وزراء إسرائيل الأسبق - للقاء البابا، ولم يكن عندها قبعة ، فرفضت أن تشتريها من روما حتى

لا تبدد رصيد إسرائيل من العملة الصعبة، ثم طلبت من شركة العال أن تحضر لها قبعة قديمة من منزلها فى القدس فى أول رحلة . ورغم ما فى الخبر من مغالاة ، إلا أنه مؤشر على الحرص على المال العام ، إلى جانب ضرب المثل أمام كل اليهود فى هذا الحرص.

ولما كان الإسلام أولى بأهله فى كل جانب من جوانب الحياة ، فإن التربية الاقتصادية فى غياب شرع الله تبدد أخوة المسلمين ، وتقضى على مختلف الوشائج بينهم ، وتجلب الضرر للمسلمين بقدر ما تحقق المصلحة لغيرهم.

جـ - أن التربية الاجتماعية - منفردة - عاجزة عن تربية الإنسان كإنسان، لأن المجتمع -كما هو ملاحظ - إذا لم يستطع الوفاء باحتياجات المواطن تحول الانتماء لها - فى أغلب الأحيان - إلى قيمة لا رصيد لها من القلب أو العقل، بل يصبح هذا الانتماء مثار سخرية وتهكم من الآخرين . ومن هنا فإن توفير الحد الأدنى من المعيشة ضمان لولاء المواطن لوطنه ، وانتمائه له.

إن هجرة الكثيرين من أوطانهم ، وانقطاعهم عن الوطن الأم ، بل وإعلان الولاء والتبعية للوطن الجديد ، إنما مرده أن المجتمع ليس مكانا جغرافيا يقيم فيه الإنسان ويعيش معه آخرون ، بل لأنه لو كان كذلك لأمكن للكثيرين أن يستبدلوا بأوطانهم أوطانا أخرى بسهولة ويسر ، كما يستبدل الإنسان ملبسا بملبس ، وإنما الوطن مجموعة معقدة من العلاقات المتشابكة ، أساسها العقيدة والأسرة وما يصدر عنهما من قيم ومعايير. وبهذا يصبح المجتمع دار إسلام يأوى المسلم كما يأوى غيره من اخوته فى العقيدة ، وتربطهم به رابطة حب وجوار ، ويغار عليه من العدوان ، بل يضحى بنفسه فداء له إذا ما حلت به ضائقة. وكثيرا ما يضحى غير المسلم فى سبيل دار الإسلام ، لأنها دار أمن وأمان له، الأمر الذى يستوجب الدفاع عنها من المسلم القريب والبعيد.

إن الوطن - بمن فيه وما فيه ، تسنده عقيدة قوية وأسرة مترابطة - لكفيل بأن يحدث امتزاجا فى نفس المرء تجعله يقول قريبا مما قاله المصطفى عليه الصلاة والسلام مخاطبا مكة بعد أن شعر (ﷺ) أن أرض مكة ليست أرضا قابلة للدعوة الإسلامية قال : (والله إنك لأحب أرض الله إلى ، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت).

وتجدر الإشارة إلى أن خروج المواطن من وطنه لإشباع الحاجات المادية لديه إن هو إلا بعد مؤقت ، يزداد فيه الشوق و الحنين إلى الوطن ، ويتضاعف ارتباطه به . أما إذا كان

الخروج لعدم توافر القيم الفاضلة كالعدل والمساواة والأمان ... الخ ، فإن الرابطة تقل وربما تزول ، وقد تصبح الغربة غربة نهائية بالروح والجسد معا . ومن هنا فإن الأرض كمكان لمجتمع ما ، أصبحت مرتبطة بالعقيدة فى عرف اليهود ، فقد " أصدر حاخامات إسرائيل الكبار – لأول مرة – فتوى مؤداها أن أى تخل عن أجزاء من أرض إسرائيل خروج على الدين اليهودى ، وكفر بكتبه المقدسة نصا وروحا " .

د – إن التربية النفسية ليست ناشئة من فراغ ، و إنما هى محصلة لكل ما يحيط بالمرء من أمن وخوف ، ويسر وعسر ، وحب وكره ، وانتماء وجفاء ، وإشباع وجوع . وهذه كلها وغيرها قيم من القيم الإيجابية التى تؤكدها العقيدة الإسلامية . ولا يمكن أن توجد الصحة النفسية فى غياب هذه القيم مترجمة إلى عادة وسلوك .كما أن غياب الصحة النفسية يسبب شيوع القيم السالبة وتصبح الحياة كلها قلقا واضطرابا وتوجسا من الآخرين ، وهذا وغيره مما لا تقره العقيدة الإسلامية . عن عياض بن حمار - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله (ﷺ) : "إن الله تعالى أوحى إلى : أن تواضعوا ؛ حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد" .(رواه مسلم و أبو داود).

ومهما كان الأمر ، فإن كل تربية لا يمكن الجزم فيها بخلوها من أى أثر من الآثار الدينية - أيا كان هذا الدين - الأمر الذى يدعو إلى تقرير مسلمة قوامها أن التربية الإسلامية أساس لكل تربية ، وقاسم مشترك فى أى تربية يراها المجتمع ضرورة ملحة له بل إنها الضمان الوحيد لتأكيد الذاتية المسلمة ، والدولة المسلمة باعتبارها لازمة أساسية للمسلم.

٥ – دوافع التربية عند الآباء والأمهات :

لا يشك أحد فى أن الآباء والأمهات لا يدخرون وسعا فى تربية أبنائهم وتوجيههم إلى المسار الصحيح ، ولعل السبب فى ذلك ما يلى :

أ – أنهم مأمورون بنص الشرع بالقيام بواجبهم تجاه أبنائهم وذلك بتوفير الرعاية البدنية والدينية لهم ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ (البقرة : ٢٣٣) . وكذلك فيما ورد من أقوال للرسول الكريم : مروا أولادكم بامتثال الأوامر ، واجتناب النواهى . علموا أولادكم و أهليكم الخير وأدبوهم . رحم الله والدا أعان ولده على بره. أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن. إذا أفصح الصبى

فليعلمه لا إله إلا الله وإذا أثغر فليأمره بالصلاة . ويبدو نص الشرع فى تعليم الأبناء الصلاة - وهى عماد الدين - فى قوله تعالى ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ (طه : ١٣٢).

ب – أن الجانب الفطرى لدى الآباء والأمهات يدفعهم إلى تقديم كل تربية صحيحة ، وكل خبرة تربوية لأبنائهم بصدق وأمانة ، انطلاقا من مسلمة معروفة وهى أنه لا أحد يحب أن يفضله غيره - مهما كان - إلا الأب والأم ، فأن سعادتهما أن يريا أبناءهما أفضل منهما فى كل منحى من مناحى الحياة.

ويتصل بهذا الجانب الرغبة القوية من الوالدين فى استمرار وجودهما فى الحياة بامتدادهما فى أولادهما ، بقاء وتربية . وقد يكون أحد الأبناء صالحا ، أو يترك بصمة على الحياة ، فيكون لهما من ذلك نصيب . ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ (الطور : ٢١).

جـ - أن الطفل فى حاجة ملحة إلى رعاية الآباء والأمهات، والقيام بتربيته، فإذا فقد أحدهما أو كلاهما احتاج إلى معونة الكبار من حوله . ونظرا لأهمية تربية الطفل، فإن تربية اليتيم فى الإسلام لها الجزاء الحسن . قال (ﷺ): " أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا " (وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما) رواه البخارى.

وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون فترة الطفولة للوليد البشرى هى أطول فترة بحيث يتعذر على هذا الطفل الاستغناء عمن حوله ، كما هو المألوف فى عالم الكائنات الحية الأخرى وبالتالى يكون ملتصقا بوالديه ، لا ليتعلم الجانب الحياتى فقط ، ولكن ليتعلم الخلق ، والقيم الأصلية المرتبطة بالخلق الإسلامى.

ولما كانت الأخلاق **Morality** هى مجموعة العادات والآداب المرعية ونماذج السلوك التى تطابق المعايير السائدة فى مجتمع ما، فإن اكتساب هذه الأخلاق يؤدى دورا مهما فى التوافق النفسى والعلاج الاجتماعى. يقول (ﷺ): "من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة" . ويقول (ﷺ): "الغلام يعق عنه يوم السابع ، ويسمى ، ويماط عنه الأذى. فإذا بلغ ست سنين أدب (أى بدئ فى تأديبه). فإذا بلغ تسع سنين عزل فراشه . فإذا بلغ ثلاث عشرة ضرب على الصلاة. فإذا بلغ ست عشرة زوجه أبوه، ثم أخذ بيده، وقال : قد أدبتك وعلمتك، وأنكحتك . أعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا، وعذابك فى الآخرة".

د– أن الإسلام وضع حوافز سخية للآباء والأمهات الذين يحسنون تربية أولادهم ، وجاء بالتأكيد على البنت لدورها المستقبلى فى بناء الأسرة . فعن أنس رضى الله عنه عن النبى (ﷺ) أنه قال : " من عال جاريتين حتى تبلغا فقد جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين : وضم أصابعه" . وفى حديث آخر قال عليه الصلاة والسلام : " من ابتلى من هذه البنات (اليتيمات) بشئ ما أحسن إليهن كن له سترا من النار " باعتبار أنها صانعة الطفولة فيما بعد ، ذكرا كان أو أنثى.

٦ – المعوقات التى تحول بين الوالدين وتربية أبنائهم :

يبدو أنه رغم ما فى وضوح المعالم الأساسية لتربية الطفل المسلم أمام الوالدين إلا أن هناك بعض الأسباب التى تحول دون تحقيق هذه التربية ولعل من هذه المعوقات ما يلى :

أ – غياب الإلمام الكافى لبعض الآباء وبعض الأمهات بأسلوب التربية الصحيح من وجهة نظر الإسلام ، واعتمادهم على التقليد والمحاكاة ، ونقل خبرة تربية آبائهم لهم إلى تربيتهم أبنائهم ، أوترك عملية التربية للصدفة . ولو أدرك الآباء والأمهات خطورة الدور الملقى على عاتقهم ، لحملوا أنفسهم على معرفة كل ما يتصل بتلك التربية ، وتلك مسئولية الأم بالدرجة الأولى ، لأنها أكثر التصاقا بالطفل من الأب.

الأم مدرسـة إذا أعددتهـا ❖ أعددت شعبا طيب الأعـراق

ب – انصراف بعض الآباء والأمهات إلى مجالات عمل متعددة ، تقضى على معظم وقتهم وذلك بهدف تحصيل أكبر قدر من المال، واستغلال الوقت الباقى - بعد ذلك - للراحة. ونصيب الأولاد منه قليل، أو معدوم، اعتمادا منهم أن توفير الجانب المادى أهم من أى شئ آخر. وبعد توفير المطالب المادية، وإثبات الذات فى العمل لكلا الأبوين - يتعذر تعويض ما فات من تربية الأولاد.

دخل الحسن - على الرسول (ﷺ) - فلما سجد عليه السلام ، ركب الحسن على ظهره ، فأبطأ الرسول (ﷺ) فى سجوده حتى نزل الحسن . فلما فرغ من صلاته قال له بعض أصحابه : يا رسول الله : لقد أطلت السجود ، فقال : إن ابنى ارتحلنى فكرهت أن أعجله ، أى جعلنى كالراحلة فركب على ظهرى . ومعنى هذا أن الشرع يعطى الطفل الوقت الكافى . ولو كان ذلك للمداعبة والملاعبة ، حتى وإن تمت هذه الملاعبة من خلال العبادة التى يؤديها المسلم ، وذلك نظرا لأهمية الجانب الوجدانى لدى الطفل ، وتأثيره الفعال فى حياته بعد الطفولة.

جـ - عجز المؤسسات التربوية عن أداء رسالتها تجاه تربية الطفل ، وذلك بسبب تفرع سوق العمل فيها إلى كثير من المجالات نتيجة للتقدم الحضارى ، واستقطب إليه العامل من كلا الجنسين ومن مختلف الأعمار واتجه هذا العامل إلى المجال الذى يدر عليه عائدا ماديا أكبر وأكثر ، بغض النظر عن رغبته الحقيقية تجاه هذا العمل . وترتب على ذلك أن كثيرا من الناس يمارسون نشاطهم المهنى والحرفى بعيدا عن حب العمل وإتقانه وإجادته . ولعل من ذلك أن بعض المعلمين يجمعون بين التعليم والعمل فى أنشطة أخرى . هذا الوضع يجعله لا يؤدى دوره بصورة مرضية أو الانشغال بالدروس الخصوصية - مثلا - والتأكيد على التعليم أكثر من التربية.

ولما كان من هذه المجالات - كبرت أم صغرت - مؤسسات تربوية - وإن لم تأخذ لافتة التربية - تسهم فى إعداد النشء، وتؤثر فى تربيته ، ويؤخذ عنها الأدب والقيم، فأنها - ربما - تتجه إلى مسار غير مسار التربية، وتجنح إلى الجانب المادى وتوفير مستلزمات العيش الضرورية وغير الضرورية.

ولعل من هذه المؤسسات التربوية مدارس الحضانة التى زاد عددها بشكل ملفت للنظر وذلك بسبب ظروف اقتصادية واجتماعية وهى لا تتيسر لكل من هم فى سن الحضانة، وإذا توافرت فليس باستطاعة الكل أن يذهب إليها ، وإذا ذهب إليها فإن كل حضانة تربى بطريقتها الخاصة ، وقد تكون هذه التربية دخيلة على المجتمع الإسلامى ، ولا صلة لها بمعايير هذا المجتمع ، وربما يقوم بهذه التربية من ليس لديه خبرة فى هذا المجال ، فضلا عن هدفها التجارى . وقد اتجهت هذه المدارس أكثر إلى عملية التحصيل ، وأصبحت تقيس كفاءتها بمقدار نسب النجاح فيها ، ومقدار التعليم الذى تحققه . أما التربية فإنها تأتى فى المرتبة التالية . والمجتمع بما فيه من أمشاج متعددة وأنماط مختلفة يوقع النشء فى حيرة : أى السلوكيات يختار ؟ وما الأساس الذى يستند إليه فى عملية الاختيار هذه ؟

ولا يغيب عن البال فى هذا المجال المربيات التى تسند إليهن بعض الأسر تربية أطفالها. وهذه المربيات مهما كانت كفاءتها ، وأمانتها فإنها لا يمكن - بأى حال من الأحوال - أن تؤدى دور الأم ، مما يستوجب الحد من هذه الظاهرة ، أو على الأقل ملاحظة ما تقوم به تلك المربية .

وإذا كان الجانب الإعلامى يقوم بدور ما فى مجال تربية الطفل ، فإن الوقت المخصص لذلك فى الإذاعة والتلفزيون ضئيل، وكذلك فإن المساحة المخصصة فى الصحف

والمجلات قليلة . ولعل السبب فى هذا القصور من جانب المؤسسات التربوية الرئيسية أن كل مؤسسة ترى أن الأخرى هى المسئولة عن تربية الطفل ، وأن الدور الذى تقوم به كاف فى هذا المجال.

د – كثرة التحديات التى تواجه الآباء والأمهات فى سبيل تحقيق تربية إسلامية صحيحة. ولعل من أولى هذه التحديات أن التربية عملية مستمرة ، وتحتاج إلى نفس طويل وصبر كبير دون ملل أو كلل ، فى الوقت الذى استهلك العمل كل وقت الأب والأم فى البيت أو فى خارجه . كما أن الأسرة قد ضاقت فى حجمها إذ اقتصرت على الزوجين والأولاد القصر، كما ضاقت فى وظائفها ، بمعنى أنها لم تعد قط سوى سكن واستهلاك، وضاقت أخيرا فى سلطتها، وسلطة الوالدين - ولا سيما الأب - تأتى بعد ذلك نظرا لكثرة البعد الذى لا ينتهى عن البيت وقبل هذا وبعده الغزو الثقافى الذى يبدو فى وسائل الإعلام المختلفة من تلفزيون وإذاعة وسينما ومسرح وفيديو ، وقمر صناعى وإعلانات ، ومن جوانب أخرى كالتعليم ، وبعض الكتب والمجلات الثقافية ، كما تبدو التحديات فى بعض المفاهيم التى روج لها البعض . ومنها أن " الفرائض الدينية تخضع للحرية الفردية ، والحرية قيمة من القيم التى تتم ممارستها إزاء عدد من السلطات ، ومنها سلطة الدين . والحرية فى التجربة - وهى فى رأى البعض أسلوب لتكوين الشخصية ويمكن أن تمارس حتى بالنسبة للمحرمات والترفيه عن النفس ، وتفريغ الكبت الجنسى بالاختلاط المفتوح والتى يؤمن بها هذا البعض ، من أنها أصل من أصول التوجه التربوى".

ويكفى أن التلفزيون اليوم يتميز بالعدوانية ، فبعض البيانات الواردة من الولايات المتحدة الأمريكية - وهى العاصمة التلفزيونية - يرتج لها العقل ولا يقتصر ذلك على دولة بعينها ، ولكنه السمة الغالبة على تلفزيون كل دولة ويقدر أن الناشئ الأمريكى فى السابعة عشرة من عمره يكون قد رأى ٣٥٠،٠٠٠ إعلان خارج و٢٠،٠٠٠ من مشاهد القتل المتلفزة ، ومع ذلك فإن التراث التليفزيونى العدوانى ما زال مستمرا . وفى (بالى) بإندونيسيا ، كان من أثر الافتتان بأفلام الرسوم المتحركة فى التليفزيون أنه قاطع سير الطقوس الدينية فى المعابد.

٧ – مسئولية الآباء والأمهات تجاه تربية الأبناء :

يمكن القول : إن مسئولية الآباء والأمهات إزاء تربية الأبناء كثيرة ، ومتعددة ، لعل من أبرزها ما يلى :

أ – اختيار الزوجة الصالحة :

الزواج فى الإسلام رابطة قوية ، لأنه سكن ومودة ورحمة ، وهو بهذا الاعتبار منة من الله تعالى وفضل ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (الروم : ٢١) . ولا يتأتى ذلك إلا إذا كانت هناك ألفة بين الزوجين ، وهى تنشأ بوجود الانسجام بين الطرفين ، فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول : " الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف ".

والاختيار عملية مشتركة بين الاثنين ، ومن حق كل منهما قبول الآخر أو رفضه ، نظرا لأنه عقد حياة كاملة ، والاستمرار فيها هو الأساس ، أما فسخه فهو الطارئ . وتؤكد الأحاديث النبوية على الجانب الدينى فى عملية الاختيار ، لأنه المنطلق والأساس لكل مودة ورحمة ، ولكل تربية سليمة ، وبدونه يفتقد النشء كل مقومات الحياة ، ففاقد الشئ لا يعطيه.

وإذا كان الرسول (ﷺ) يقول : " تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس " فإن الرسول علية السلام لم يحدد ما فى العرق حتى يمكن حمله على كل جانب يتعلق بالإنسان " إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض ، وفساد كبير" خير "متاع الدنيا المرأة الصالحة".

إن الوالدين ، والأجداد والأقرباء عامة ، لا يورثون أبناءهم وأحفادهم وأقاربهم المال وحده، وإنما يورثونهم كذلك الاستعدادات : الخيرة والشريرة ، والاستعدادات الوراثية للصحة والمرض والاستقامة والانحراف، والحسن والقبح ، والذكاء والغباء ... الخ ، وهذه الصفات تلاحق الوارثين ، وتؤثر فى حياتهم ولا تتركهم من عقابيلها . وليست هذه الوراثة مطلقة ، ولكنها نسبية ، ومعيارها الأساسى الشخص نفسه . فبعض الأولاد يرفض الانصياع لما عليهم آباؤهم وأجدادهم ، بل منهم من يتفوق على الآباء أو الأجداد فى الخير أوفى الشر أو فى ما عدا ذلك . والتغيير فى الأفراد - كما هو فى الجماعات - أمر وارد ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد : ١١).

ب – رجوع الآباء والأمهات إلى ما جاء فى القرآن والسنة بصدد تربية الأبناء:

يرتبط الطفل بوالديه ارتباطا كبيرا ، وإن كان ارتباطه فى مراحل نموه الأولى بأمه أكثر. ويدل هذا التعلق على علاقات اجتماعية متبادلة بين الطفل وأمه فى بدء حياته . وكما يتعلق الطفل بأمه تتعلق الأم بطفلها أيضا ، وكما يسعى إلى جوارها تسعى هى إلى جواره ،

إن العلاقة بينهما علاقة متبادلة ، وينطوى التبادل على تفاعل وحب ثم يتطور التعلق وتتسع آفاقه خلال مراحل الحياة ، ويصبح فى كثير من نواحيه الدعامة الأولى لكثير من مظاهر الجماعة الصغيرة. ومثال ذلك التماسك الجماعى ، وأغلب ما تسفر عنه زيادة التفاعل الجماعى ، من أجل ذلك أصبح التعلق من أهم مظاهر التنشئة الاجتماعية.

ولما كان للأم والأب هذا التأثير البالغ فى حياة الطفل ، فإنه بمقدار التزامهما بالكتاب والسنة بمقدار ما تكون التنشئة سليمة وصحيحة . والسبب فى ذلك أن الإسلام هو منهج الحياة الوحيد الصالح ، لأن تصوراته ومبادئه وموازينه وقيمه وشريعته ، وأوضاعه وتقاليده صادرة عن الله سبحانه وتعالى.

من هنا ، فإن تمسك الأبوين بدينهما ، والحرص منهما على السلوك المطابق للإسلام أمام الطفل كثيرا ما يترك أثرا قويا - ولو بعد حين فى حياته ، وذلك من خلال حب الطفل وتسميته وملاعبته، ومداعبته، وتقبيله ونصحه، وحمايته من المؤثرات الخارجية، وبيان رأى الإسلام فيما يواجهه بما يتمشى مع نموه ، وبيان الأبعاد الأخلاقية الإسلامية والتربوية والاجتماعية والثقافية عموما.

ويقع العبء الأكبر من تلك المسئولية على الأم ، لأنه إذا كان المطلوب من الأب مسئولية توفير الإعاشة المناسبة للأسرة ، فإن الأم عليها عبء أكبر فى تربية الأبناء وقبل ذلك فى إعداد نفسها حتى يكون لديها القدرة على التوجيه والعطاء . فالجنة تحت أقدام الأمهات ، فهى تربى طفلا يتعود على عبادة ربه . ويعرف معنى العبودية الحقيقية لله سبحانه وتعالى ؛ لأن الجنة لا تعطى بدون مقابل. وعلى قدر العمل يكون العطاء . ومبدأ الثواب والعقاب أمر مسلم به فى السماء والأرض ، وفي التربية بصفة عامة.

جـ - القدوة الصالحة :

تعد القدوة الصالحة فى القول والعمل خاصة من الأبوين عملا تربويا فعالا ، ومؤثرا قويا فى الأبناء. وبمقدار تلقائية السلوك الصادر عن إيمان عميق، واتجاه ثابت - بعيدا عن التكلف والتعسف - بمقدار ما تتأصل فى أذهان النشء، وتصبح عملا آليا لا مجال فيه للفكر، أو إعمال العقل ، لأن صدوره من الأبوين بهذا الشكل يؤكد الثقة فى نفس الابن، ويبعد جانب الشك عنه.

إن ما يجرى فى الأسرة مجال واسع لتطبيق القدوة الحسنة فى مختلف مجالات الحياة ، فى الصلاة و الصوم ، والإنفاق ، والتعامل مع الجار ، والصدق ، والأمانة ، والبيع والشراء

.. وغير ذلك من المعاملات .فالطفل حينما يرى أمه ، أو أباه طرفا فى أى موقف من مواقف الحياة ويتحرى فيه جانب الحق ، ويرعى أمور دينه ، ويستمر على ممارسة كل ذلك أمام الطفل ، ينشأ على مثل ما رأى وسمع . وإلا وقع فى الشك والحيرة ، إزاء ما يرى ، وما يسمع.

والأسوة الأولى و الأخيرة هنا ممثلة فى الرسول العظيم ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب : ٢١) . والأسوة بمن أوحى إليه ، ومن علمه ربه - أولى بمن يجتهد فيصيب أو يخطئ.

ويرى البعض أن العوامل الوراثية ليست ذات أهمية فى تشكيل تصرفات أطفالنا ، ولكن هذه التصرفات ترجع بنسبة قد تصل إلى ٨٥٪ من تصرفاتنا نحن الآباء والأمهات مع أطفالنا ، وبخاصة علاقة الأم بطفلها ، فإنها هى وحدها العامل المؤثر ذو القيمة الملحوظة فى نشأة تصرفات معينة دون غيرها.

د – العدل والمساواة فى معاملة الأولاد :

الأسرة هى أول مجتمع يعيش فيه الطفل، ويتعلم منه عملية الأخذ والعطاء، الأخذ الحسى والمعنوى، والعطاء الحسى والمعنوى - وكلاهما لا فارق بينهما فى نظر الطفل، وهو يرقب ما يجرى حوله فى الأسرة خاصة إذا كان هناك أخوة له " فالأبناء لا ينسون أبدا أن أشقاءهم تميزوا عنهم، ومن هنا فإن العدل مطلوب بين الأبناء فإذا تحقق كانت هناك ألفة ومودة ، وإذا لم يتحقق كأن يكون هناك انحياز للولد أو البنت ، حلت الجفوة مكان الحب ، وحل البعد مكان القرب . ومن هنا فإن الرسول (ﷺ) يقول : "اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم" وقد قالها عليه الصلاة والسلام حين جاءه النعمان بن بشير وقال له : " إنى نحلت ابنى غلاما كان لى" ، فقال الرسول عليه السلام : " أكل ولدك نحلته مثل هذا ؟ فقال : لا" . فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : " فأرجعه ، فرجع ، فرد تلك الصدقة " وفى رواية (لا تشهدنى على جور).

والعدل بين الأولاد لا يساعدهم على أن يكونوا أسوياء داخل الأسرة فقط ، وإنما يمتد هذا إلى المجتمع ، حين يتحملون عبء المسئولية فيما بعد ، حيث يشعرون بالرضا النفسى فى كل مسلك يتحقق فيه جانب العدل ، ويصبح خلقا ملازما لا عارضا ، واتجاها أصيلا يدافعون عنه بكل قوة ، لأنهم تربوا عليه ، ورأوا فيه الراحة والطمأنينة .

وتجدر الإشارة إلى أن المفاضلة بين الأولاد ليست مقصورة على الجانب المادى وإنما تشمل العاطفة أيضا . صحيح أن العاطفة ميل قلبى لا دخل للعبد فيه ، ولكن على الأب

والأم أن يظهرا - على الأقل - بمظهر الحب المتساوى أمام الأبناء ، فلا يصدرا تميزا أو ميلا للبعض من أبنائهم دون البعض الآخر ، لما له من آثار على النفس.

هـ - توحد اتجاهات الأبوين فيما يتعلق بالتربية :

الطفل مسجل واع لما يدور حوله ، خاصة فيما يصدر عن الأب والأم . وهو يميل إلى من يحقق له رغباته ، ويلبى له طلباته ، سواء أكانت مرغوبة أم غير مرغوبة . وهو يحاول أن يستهدف من كليهما أو من أحدهما بوسائله الخاصة إذا لاحظ تضاربا فى الرأى ، أو اختلافا فى وجهات النظر.

ومن هنا ، فإن اتفاق الأبوين اتفاقا تاما فى تربية الطفل إنما يحقق أهدافا ثلاثة :

الأول - أنه يؤكد لدى الطفل صدق الرأى ، وسلامة التوجيه ، ويحميه من القلق والشك فيما كان من أمره . وحين يفهم أن والديه كانا يراعيان شرع الله فيما يصدر عنهما يزداد حبه لله ولرسوله ، وانتماء لشرع الله.

الثانى - أنه يحافظ على التوازن العاطفى الحقيقى تجاه الأب الأم ، وحينما يحتكم الطفل إلى نفسه بخصوص عاطفته تجاههما يحس بالتوازن الحقيقى فى هذه العاطفة ، لأنهما لم يتملقا ميوله ورغباته ؛ وإنما احتكما إلى الحق والعدل.

الثالث - أن هذا الاتفاق - فى الغالب - يخرج لنا طفلا سويا متوازنا . وقد لوحظ أن الأطفال الذين يتمتعون بروح قيادية هم فى معظم الحالات أطفال من أسر متفاهمة تسودها روح الحب ، فتقوم الأم دائما بمخاطبة طفلها ، والتحدث معه بلطف وحنان.

إن العلاقات الزوجية التى تتسم بالسواء ، تمكن الطفل من التوافق النفسى الصحيح ومن إشباع حاجياته ودوافعه بصورة سليمة فى إطار معايير المجتمع ، أما التنشئة فى إطار تصدع أسرى ، وخلافات زوجية تخلق شخصيات غير سوية تعانى من القلق وانعدام الأمن.

و - التركيز على الجانب الخلقى :

إذا كان الجانب الخلقى يمثل أساسا من الأسس التى تنطلق منها الأهداف التربوية فى العملية التعليمية ، فلا أقل من أن تكون نقطة البداية فى الأسرة بحيث تسعى إلى تكوين طفل مؤمن بربه ورسالات رسله ، يضع الإيمان بالله وبالرسالات السماوية فى قمة

اهتماماته . حيث يحافظ على أصول دينه ، وقيمه ، وسلوكياته ، ويجعلها أساس حياته . ويحمل أمانة الأخلاق الفاضلة ، ويظهرها فى نفسه ، وفى تعامله مع الآخرين ،ويتقبلها بقبول حسن ، وينافح عنها وهو يسلك مسالك القصد والاعتدال فى أمره كله ، فلا يغلو فى دينه ، ولا يتعصب فى مذهبه، ولا يتطرف فى رأيه ، بل يتصدى لما يصدر عن الآخرين من غلو ، وتعصب وتطرف بالحكمة وسداد الرأى .

وليس المقصود بالخلق هنا ما تواضع عليه المجتمع ، أيا كان ما تواضع عليه وإنما المقصود بالخلق ما كان داخلا فى إطار الدين الإسلامى ، واتفاقه مع خلق المسلم . والقرآن هو مصدر هذا الخلق ، وهو الذى يحدده.

وهنا يتأكد دور الأب والأم وكل المحيطين بالطفل من حيث التزام كل هؤلاء بالقيم الفاضلة وتحرى السلوكيات المدعمة لهذه القيم، بحيث " تخضع مسموعات الطفل ومبصراته التى ترد إلى مخه عن طريق العين والأذن لرقابة مضبوطة . إن كلمة بذيئة أومنظرا شاذا يكفى لأن ينحرف بالطفل عن الصراط المستقيم ، ويلوث أذياله إلى الأبد.

وتجدر الإشارة إلى أن التربية الخلقية من جانب الأسرة، ليس التركيز عليها من جهة المسلمين فقط ، وإنما من غير المسلمين أيضا ، فليست التربية الأخلاقية بالنسبة للرأى العام إلا فرعا من فروع التربية ، تتحمل مسئوليته الأسرة أولا ، والمدرسة ثانيا ، والتعليم الدينى إلى حد كبير . وهى تطابق مطابقة كافية الفضائل الأصلية الأربع وهى : التمييز ، والشجاعة والسيطرة على الذات ، والعدل . فالتمييز بين الحق والباطل وبين الواقع والوهمى، وامتلاك الشجاعة على الإقدام والمثابرة ، مهما كلف الأمر ، والسيطرة على الرغبات والمخاوف وفورات الغضب ، والنزاهة فى معاملتنا للآخرين ، ومعاملتنا لأنفسنا باحترام حق كل فرد كل ذلك يعلم من خلال لعبة كرة القدم ، وفى مراقبة تفاعل كيميائى ، وفى حل مشكلة، وفى ترجمة نص غامض ".

ز – الاعتدال فى العواطف :

يمثل الاعتدال فى العواطف قيمة أساسية فى التربية الإسلامية، وهى تطبق فى كل المجالات تقريبا، فى الأكل والشرب والملبس والإنفاق. وما يسرى على الجانب المادى يسرى أيضا على الجانب الوجدانى، فالعواطف الإنسانية - ومنها عاطفة الأبوة والأمومة - ينبغى أن يتم التعامل معها باعتدال، ويستوجب ذلك البعد عن التدليل والشدة فى تربية الأطفال.

والعاطفة المطلقة فى شتى مجالات الحياة لا قيمة لها إذا لم يساندها العقل ويفرض نفسه أى أن العقل صمام أمان لها . كما أن العقل بدون عاطفة يجعل الحياة خشنة لا تطاق وتفجر مواقف تثير الملل والسأم . أما تربية مزيجها الاثنان معها - العقل والعاطفة - فإنها تعطى للطفل الحب ، وتزوده بالحنان وتحميه من نوائب الزمان . ومعنى ذلك أن العواطف المشبوبة ، والحنان الزائد يؤديان إلى الخيال الجامح والشطط فى التصرف . ومن ناحية أخرى فإن العقلانية المحضة ومعالجة الأمور بطريقة خالية من العواطف ما هو إلا تحجر وجمود يرهق النفس ويدفعها إلى البعد عن الحياة ذاتها . إن نظام الحياة التى نعيشها تفرض - خاصة فى محيط الأسرة - عملية الجمع بين العقل والعاطفة معا ، فإذا اختل نصاب واحد منهما - تبعا للموقف نفسه - أدى إلى تربية مهزوزة ، ونشء سقيم . ومهمة الأب والأم معالجة هذا النظام بحساب.

وليس فى نظام تربية الأولاد حساب كمى ، ولكنه متروك للوالدين خاصة إذا كانا على قرب من الله ، واطلعا على تربية الإنسان المسلم ، ثم اعتمدا بعد ذلك على الجانب الخفى الذى أودعه الله للوالدين.

إن الاعتدال فى العاطفة مصحوبا بنداء العقل هو الذى دفع أسماء بنت أبى بكر إلى أن تقول لابنها : إن الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها ، بعد أن دخل عليها وقال لها : خذلنى الناس حتى ولدى وأهلى ، فلم يبق معى إلا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة والقوم يعطوننى ما أردت من الدنيا فما رأيك ؟ فقال : أنت والله يا بنى أعلم بنفسك ، إن كنت تعلم أنك على حق ، وإليه تدعو فامض له ،فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تمكن رقبتك يتلاعب بها غلمان بنى أمية ، وإن كنت أردت الدنيا فبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك ، وإن قلت : كنت على حق ، فلما وهن أصحابى ضعفت ، فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين ، كم خلودك فى الدنيا ؟ القتل أحسن . والله لضربة بالسيف فى عز ، أحب إلى من ضربة بالسوط فى ذل فدنا ابن الزبير وقبل رأسها وقال : هذا والله رأيى.

وإذا كان هذا هو موقف اعتدال العاطفة قبل الخطر ، وصدر من أم تعرف دينها ، فإن هناك موقفا يدل على اعتدال العاطفة أيضا بعد وقوع الخطر ، ويتوقع فيه الخروج عن المألوف ويتجلى هذا الموقف فى قول الخنساء : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته ، وذلك حين بلغها مقتل أبنائها الأربعة ،

وكانت قد أوصتهم من الليل بقولها : يا بنى إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين. والله الذى لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما هجنت حسبكم ، ولا غبرت نسبكم ، اعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية ، اصبروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون . فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، وجلت نارا على أرواقها ، فتيمموا وطيسها ، و جالدوا رسيسها ، تظفرون بالغنم والكرامة فى دار الخلد والمقامة . فلما أضاء لهم الصبح باكروا إلى مراكزهم وتقدموا واحدا بعد واحد ينشدون أراجيز يذكرون فيها وصية العجوز لهم حتى قتلوا عن أخرهم.

ومعنى هذا كله أن الاعتدال فى العواطف يخلق الرجال ، ويعدهم لمسئوليات الحياة ، أما التدليل أو القسوة فلا يؤدى إلا إلى الفشل. والمؤكد فى جانب الاعتدال هو قوة الإيمان، ومعرفة الحق ، ووضوح الرؤيا لدور الإنسان فى هذه الحياة.

ح – التدريب على حل المشكلات :

يرى البعض أن حل المشكلات هو أعلى أنواع التعليم عند الإنسان ، ولهذا الرأى قيوده وحدوده ، فنوع التعليم القائم على حل المشكلات يجب أن يسبقه ، ويكون أساسا ومقدمة له، إدراك المشكلات وتحديدها وصياغتها ، فإذا لم تكن البداية بإدراك وفهم وتشخيص للمشكلة ، فإنه من الصعب المضى فى تناولها ومحاولة حلها.

وتؤدى التربية المبكرة الصادرة من الأبوين دورا مهما فى تمرس الطفل على حل المشكلات لأنها تواجه الفرد - كلا حسب عمره - يوميا . وتوجيه الطفل منذ البداية على حل مشكلته هو الطريق لتنمية التفكير الصحيح ، وذلك من خلال الإفادة مما سبق أن تعلمه فى مواقف مشابهة أو مواقف جديدة.

إن تعهد الأبوين فى تربية أولادهما على مواجهة المواقف منذ الصغر ، إنما يحمل فى طياته الاستقلال المبكر والثقة بالنفس ، والشعور القوى بالذات ، واكتساب بعض المعلومات والمعارف والاعتماد على النفس وتحمل المسئولية.

ولا يحجر الإسلام على الآباء أو الأمهات أن يتخذوا ما هو ضرورى لتربية الطفل تربية تؤهله للتعامل مع عصره ، وتفتح أمامه الطريق للمستقبل المرغوب ؛ لأن الإسلام يحب من بنيه التفوق والقوة ، فالمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . فمن تمسك باستخدام السيف فى عصر الصاروخ عد متخلفا ، مكانه المتحف ، ومن تمسك بتعليم ركوب الخيل ومهارة الرمح فقد أخطأ فى فهم الإسلام . واستيعاب الإنسان للجو

المحيط به ، وفهمه للأبعاد المعاصرة هو الذى يفتح أمامه باب حل المشكلة أيا كانت هذه المشكلة : سياسية ، اقتصادية ، عسكرية ، اجتماعية ... الخ.

ولما كانت التربية هى الإعداد للحياة ، فإن هذا الإعداد ينبغى أن يكون من جنس ما برع فيه المعاصرون ، حتى لا يأثم المسلمون ، وسندهم فى ذلك عقيدة صافية وإيمان راسخ وهدف مطلوب تحقيقه.

ط - تنمية الذوق الإنسانى:

التذوق سلوك إنسانى ، يبدو فى كل مظهر من مظاهر الحياة ، فى الكلمة والموقف والتصرف ورد الفعل تجاه أى حدث ، وفى المأكل والمشرب والملبس والمسكن ، وهو فى كل هذه الحالات لا يصدر عن فراغ ، وإنما هو وليد تربية نماها الأبوان ، واتخذا مما هو موجود فى القرآن والسنة أساسا ينطلق منه ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ** ﴾ (الحجرات : ٢) فإن رفع الصوت واتخاذ أسلوب المماثلة مع الكبير : نبيا ، أبا ، أخا ، غريبا ، فيه خروج عن الأدب وتعد عن حدود اللياقة والذوق.

إن الطفل لديه استعداد للتعلم ،وهو يسلك وفق ما نشأه أبواه ، ومن خلال ما يرى من سلوكيات طبيعية طيبة يقبلها الذوق ، أو يمجها صاحب الفطرة السليمة .

والمتصفح لكتاب الله وسنة رسوله (ﷺ)، يجد قمة الأدب فى السلوك ، والذوق فى الأداء فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام : " لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما " حديث حسن . وفى رواية لأبى داود " لا يجلس بين رجلين إلا بإذنهما ".

وعن جابر بن سمرة رضى الله عنهما قال : " كنا إذا أتينا النبى (ﷺ)، جلس أحدنا حيث ينتهى". وغير ذلك كثير حفلت به السنة النبوية المطهرة.

إن تلك الآداب وتذوق ما فيها من سلوكيات لا يعرفها الطفل إلا إذا عرفها له أبواه ، ولن يتم ذلك إلا إذا استشعر الآباء والأمهات الثقة بما فى الإسلام من رصيد حضارى وتربية جديرة بالإنسان ، بدءا من الطفولة ، إلى ما شاء الله من العمر.

إن الفخر بالإسلام والانتماء إليه أمر يجب أن يعلنه الآباء والأمهات أمام الأبناء ، فخرا لا ينفصل عن السلوك ، وساعتها يتعزز إيمان الطفل بدينه ، والإصرار على السلوك بمقتضاه ويعرف أن إسلامه يمده بكل ما لا يؤاخذ عليه بين الناس ، ويعفيه من الحرج طالما استند فى ذلك إلى ما فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة.

ومهما يكن من أمر فإن للفن كما للعلم أثرا كبيرا فى التربية ، بل إن الفن والعلم فى التربية لهما أثران متتامان ، لا مندوحة فيهما فى تنشئة الأحداث وتثقيف عقولهم معا ، ولا غرو فى ذلك فإن الفن والعلم من أعلى نتاج المواهب الفكرية الإنسانية . فإذا تعهد المربى مواهب التلميذ العقلية بالعلم ، لزمه أن يتعهد بالفن عاطفته وقلبه ما دامت النفس الإنسانية كلا مشتبك المواهب والملكات ، وما دام شأن التربية قد تعهد هذا الكل المشتبك"

٨ – دور الآباء والأمهات فى دعم المنهج المدرسى :

وفى ضوء كل ما سبق يمكن القول : إنه لما كان من المعروف أن المنهج المدرسى هو كل الخبرات المربية التى تقدمها المدرسة ، وتشرف عليها سواء ، أكان ذلك داخل جدرانها ، أم خارجها ، ولما كانت التربية الإسلامية ليست مسئولية مدرسى التربية الإسلامية فقط ، بل هى مسئولية كل مدرس باعتبار أن الدين يدخل فى كل موقف ، أو مظهر من مظاهر الحياة ، ولما كان بعض الآباء والأمهات لا يزالون يحتفظون ببعض ما تعلموه عن دينهم فى أثناء تلمذتهم - فإن ذلك يؤكد أن هناك أدوارا يمكن أن يؤديها الآباء والأمهات تجاه المنهج المدرسى بصفة عامة ، والجانب التربوى منه بصفة خاصة.

ويؤكد المتخصصون فى مجال المناهج أن الأسرة تشترك مع المدرسة فى عملية تربية الأبناء بل هى الأساس فى ذلك ، حيث يكتسب الطفل أولى خبراته بما تشمله من مفاهيم وعادات واتجاهات واهتمامات ، ومن ثم يأتى دور المدرسة فى المراجعة وتعديل مجرى هذه الأمور ، وإصلاح الخاطئ أو غير المرغوب منها . وعلى ذلك فإن المسئولية مشتركة ، بل يمكن القول إنه لا يستقيم دور أى من الأسرة ، أو المدرسة فى غياب أى منهما ، أو إذا كان هناك تضاد أو تضارب ، بين الدورين.

وبناء على ذلك يمكن استخلاص أهم الأدوار التى يمكن أن يقوم بها الآباء والأمهات لدعم المنهج المدرسى ، ويمكن تصنيف هذه الأدوار طبقا لعناصر المنهج الرئيسية . وهى : الهدف ، والمحتوى ، والطريقة ، والوسيلة التعليمية ، والنشاط المدرسى ، والتقويم . ولعل من أبرز هذه الأدوار ما يلى :

أ – الهدف :

١ – ملاحظة تحقيق الهدف الوجدانى من القيم ، والاتجاهات ، والاهتمامات ، والآداب والمعايير الإسلامية المقبولة، والأحاسيس الروحية الأخلاقية للأسرة وللأمة

وللإنسانية لدى الأبناء باعتبار الآباء والأمهات أكثر التصاقا بهم من غيرهم . أما الهدف العقلى والهدف المهارى فخارج عن إمكانات بعضهم ، وقدراتهم ، وإن كان هذا لا يمنع من مشاركة الآباء والأمهات فيهما، انطلاقا من أن الآباء والأمهات يقفون فى مساعدتهم لأبنائهم عند مرحلة تعليمية ما ، بل فى كثير من المواد الدراسية.

٢ – التأكد من أن المضامين المعرفية التى تقدمها المدرسة لا تتعارض مع الأصول الثابتة فى الكتاب والسنة . وهذا الدور ليس مطلوبا إلا ممن قدر من أولياء الأمور على فهم هذا الجانب ، وإصدار الحكم عليه ، على ضوء من المفاهيم الإسلامية .

٣ – التحرر من خبرات التربية الماضية ، التى لا تفيد الأطفال شيئا فى حاضرهم أو مستقبلهم، انطلاقا مما هو معروف : علموا أولادكم غير ما تعلمتم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم .

٤ – دعم الاتجاهات السوية التى يتطلبها المجتمع الإسلامى كالانتماء ، والولاء ، وعدم التعصب والتحذير من القيم السالبة - وإن تفشت فى المجتمع - والمطالبة بالابتعاد عنها.

ب ـ المحتوى :

١ – مساعدة الأبناء فى تكوين الأحكام السليمة استنادا إلى المادة العلمية المناسبة ، التى تقدمها المدرسة ، والمنتقاة للدراسة والبحث.

٢ – مشاركة المدرسة فى تعليم الطفل دوره الاجتماعى : ذكرا ، كان أم أنثى ، ودعم احترام كل منهما للآخر ، وملاحظة الطفل فى أسلوب تفكيره ، وقراءته.

٣ – مراعاة الجانب التطبيقى لما تعلمه فى المدرسة ، والإشراف على مدى صحته ؛ لأن هناك بعض المفاهيم ربما تفهم على غير وجهها الصحيح.

جـ ـ الطريقة :

١ – مشاركة المدرسة فى تعليم الطفل البحث عن معنى كل شئ ، ودلالته بهدف فهم الحياة الإنسانية ، والطبيعة التى يمكن أن يعيش فيها ، وإبداء الرأى فيما يعرض عليه.

د – الوسيلة التعليمية :

١ – تنبيه الطفل إلى الملاحظة الدقيقة للوسيلة التعليمية التى تعرض عليه وإبداء الرأى فيها إيجابا أو سلبا ، ومعرفة كيفية الإفادة منها.

هـ ـ الأنشطة المدرسية:

١ – تشجيع الطفل على المشاركة فى الأنشطة المدرسية ، باعتبار أن هذا النشاط داخل فى العملية التعليمية ، يثريها ، وينميها ، وليس عملا ترفيهيا ، يضيع فيه الوقت . ويتمثل هذا التشجيع فى المشاركة فيها - إن أمكن - والإسهام ماديا ومعنويا.

٢ – توجيه الطفل إلى وجوب استغلال الوقت حتى ينشأ الطفل محبا لذلك " أحذركم عاقبة الفراغ ، فإنه أجمع لأبواب المكروه من السكر " فالفراغ أشد على الناس من محنة الخمر ، لأن إيقاع الحياة المعاصرة أسرع ، وتتطلب مهارة تعليمية أعلى.

و – التقويم :

١ – توجيه الطفل إلى التجويد فى الدرس ، والأمانة فى الامتحان ، والصدق فى الإجابة والفهم الجيد لما يقوم له ، والقدرة على توجيه الموقف لصالحه.

٢ – مساعدته فى تقصى الدقة فى ملاحظة الوقائع التى تتصل بما يقع تحت سمعه ، وبصره وسائر حواسه واستغلال تلك الحواس لصالح العملية التعليمية.

٣ – مساندة كل فكرة سليمة ، أو رأى صائب صادر من الطفل ، لأن ذلك يشجعه على ممارسة التفكير والاستقلال فى الشخصية.

وبعد : فإن كل ما تقدم بالنسبة لدور الأباء والأمهات فى دعم المنهج المدرسى يتطلب ما يلى :

١ - التأكد أن التربية الدينية الإسلامية هى الأساس الأول والأخير لكل تربية ، وسند الفرد والجماعة . وتحرى الجانب الإسلامى أمر تقتضيه الفطرة ، والمصلحة العامة.

٢ - أن العائد من التربية الإسلامية ، ومراعاتها مع الأطفال هو الاستثمار الأمثل.

٣ - إقامة توازن بين ما يقدم للطفل من جانب مادى وجانب روحى ، انطلاقا من الفطرة البشرية ، والترسيخ أن لكل شئ حدوده وضوابطه ، بل وقيمته.

٤ - الاقتراب - ما أمكن - من المنهج المدرسى ، ومعرفة مضامينه المعرفية والقيمية وملاحظة ذلك فى سلوك الأبناء ، وتعريف الأبناء بما تم مراجعته منه.

٥ - اتصال الآباء ، والأمهات بالمدرسة : مديرا ، ومدرسا ، و إداريا ، وكل من له صلة بالمدرسة ، لتستكمل عملية المراقبة للطفل ، وانضباطه ، والوقوف على قيمة التلمذة. وإذا كانت الملاحظة من أولى مبادئ العلم - فإن المعلومات عنها هى أقوى الأدلة فى اتخاذ القرار السليم.

٦ - الاقتناع التام بأن العملية التعليمية أكبر من أن يحقق الهدف منها طرف واحد، ولابد فيها من تنسيق التعاون بين كل المعنيين بها . وأول من يسعى إلى تحقيق هذا التنسيق هم الآباء والأمهات.

ويبدو أن العملية التعليمية الآن أصبحت بمثابة معركة حربية لا يمكن أن يحسمها سلاح واحد . لا الطيران وحدة ،ولا القوات البرية وحدها ، ولا المدفعية وحدها ، ولا الدفاع الجوى فقط ، ولا الإعلام فقط ؛ وإنما لا بد أن تشترك كل الأسلحة فى حسم المعركة . وبالتالى فإن وزارة التربية وحدها لا يمكنها القيام بالعملية التعليمية وحدها ، وكذلك، لا الأسرة وحدها ، ولا الدروس الخصوصية وحدها ، وإنما يتحقق الهدف منها من خلال مشاركة كل من له اهتمام بالعملية التعليمية. وهذا ما تمخض عنه مؤتمر تطوير مناهج التعليم الابتدائي المنعقد في القاهرة من : ١٨ -١٩٩٣/٢/٢٠م ، فقد أوضح عن عملية التغيير الشامل ، أنها تتطلب شركاء في هذا التغيير ؛ لأن العملية التعليمية وحدة متكاملة . وهم :

١ - **الأسرة** : وبالذات الأم ؛ إذ لابد من محو أميتها بمعناها المعاصر ، وهو الذي يتخطى الأمية الأبجدية ، إلى الوعى بمطالب العصر ومتطلباته من التربية.

٢ - **المعلم** : وهو قائد التغيير في المدرسة ؛ لأنه المنفذ الحقيقي للمنهج المدرسي الأمر الذي يتطلب إعداده وإعادة تدريبيه وتوجيهه ، المرة بعد المرة .

٣ - **القيادات التربوية** : وهي التي تعي الأهمية لعملية التطوير والتغيير ، لا لمجرد التغيير ولكن بهدف التجويد والإتقان ؛ انطلاقا من واقع العصر .

٤ - **التلميذ** : هو المستهدف من العملية التعليمية ؛ باعتبار أنه أمل الأمه ، وعليه يتوقف صناعة المستقبل للوطن.

٥ - **الجامعات والمعاهد العليا** : وهي التي تفرز النوعية المطلوبة للتدريس سواء من كلية التربية ، أو من الكليات الأخرى ، حتى لو لم يدخل مهنة التدريس.

٦ - **المجتمع** : بما فيه من ضوابط ومعايير تميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى ؛ انطلاقا من أن التربية عملية اجتماعية بالدرجة الأولى.

يتناول هذا الفصل نمو تلميذ التعليم العام ، وضرورة مادة التربية الإسلامية له والأمل المعقود على دراستها بالمنهج الدراسى . وفيما يلى بيان لهذه النقاط .

١ – التربية الدينية ومراحل النمو :

يعد التلميذ محور العملية التعليمية ، والمستهدف منها فى كل جوانبه : الجسمية ، والعقلية والروحية والانفعالية ، والاجتماعية . وإذا كانت التربية الإسلامية تهدف إلى تكوين إنسان متوازن فى شخصيته ، بحيث يتعلم أمور دينه ، وإلى جانب ذلك يجب عليه أن يتعلم ما ينفعه فى دنياه للحديث الشريف " ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ، ولا من ترك الآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه " - فإن ما تتضمنه هذه التربية ينبغى أن تراعى فيه التلميذ، ومراحل نموه حتى تجدى التربية الدينية ، ويتحسن مستوى السلوك المرتبط بقيمها. فمما يتصل بتربية الطفل فى الإسلام قال عليه الصلاة والسلام : " مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع ".

ومما يروى : "لاعب ولدك سبعا، وأدبه سبعا، وصاحبه سبعا ، ثم اترك حبله على غاربة". "الناس عالم ومتعلم ومن لم يكن عالما أو مستمعا فقد هلك ". "لا خير فيمن كان من أمتى ليس بعالم أو متعلم".

من الأحاديث السابقة يتضح أن التربية فى الإسلام بمفهومها الواسع الشامل يبدأ منذ لحظة الميلاد . أما بداية سن التعليم المنظم فتكون عند بلوغ سن العقل والإدراك والتمييز . وهذا السن يبدأ عادة بين السادسة والسابعة . وليس هناك ما يمنع من أن تكون قبل ذلك إن كان هناك ما يبرر، أو يقتضى ذلك من مصلحة أو منفعة ومن المعروف أن علم وظائف الأعضاء قد توصل إلى أن اكتمال نمو العين عند الأطفال يكون فى سن السادسة .

وتبدأ نظرة الطفل للدين نظرة موضوعية مادية . وتتضح تلك النظرة المادية فى إجابات الأطفال عند سؤالهم فى فكرتهم عن (الله) . إن (الإله) على حسب تصورهم عبارة

عن " رجل عجوز، له لحية طويلة ، يلبس لباسا أبيض اللون " وذلك من منطلق أن الأطفال الصغار - مثلا - يميلون لشدة التعميم . فيطلقون اسم بابا على كل الرجال ، لأن الخصائص المميزة الحاسمة للأبوة لم تتكون بعد ، وعلى عكس ذلك تلاحظ أن فكرة المراهق - وخاصة فى السنوات الأخيرة من مرحلة المراهقة - عن الدين تصبح فكرة ذاتية تأمليه ، منطقية ، فالمراهق يفحص الأفكار والمبادئ الدينية التى تلقاها فى طفولته من جهة ، ثم إنه من جهة أخرى يلتمس فى الدين مخرجا يحقق له الشعور بالأمن الذى فقده بسبب ما يعانيه من أزمات نفسية أو اضطرابات انفعالية.

وفيما بين الطفولة إلى المراهقة مراحل الارتقاء . تبدأ بأنواع من النشاط الحسى والحركى فى الطفولة المبكرة ، ويحل محلها بالتدريج قيام الطفل بالتصوير الداخلى للأفعال ، ثم يصل عن طريق اللغة إلى أعلى صور التفكير المنطقى . ويوضح الجدول التالى تلك المراحل:

م	الفترة	المرحلة	مدى العمر العقلى بالسنوات
١	الحسية الحركية.	١ - المرحلة الحسية الحركية.	٠ -٢
٢	فترة التمهيد للاستخدام والاستخدام الفعلى.	٢ - مرحلة ما قبل العمليات.	٢ -٤
		أ - مرحلة ما قبل العمليات الصورية.	
		ب - المرحلة الحدسية.	٢ -٧
٣	العمليات العيانية (الكمون).	٣ - مرحلة العمليات العيانية أو الواقعية.	٧ -١١
٤	العمليات الصورية (المجردة).	٤ - مرحلة العمليات الصورية.	١١.٥ -

ويلاحظ من هذا الجدول أن بياجيه رأى أن هناك مراحل أربع للارتقاء من الميلاد حتى المراهقة وهى: مرحلة الارتقاء الحسى والحركى ، مرحلة ما قبل العمليات التى تتقسم إلى مرحلتين فرعيتين هما : ما قبل تكوين المفهوم والمرحلة الحدسية ، ومرحلة العمليات العيانية أو الواقعية ومرحلة العمليات الصورية . ويمكن تفصيل ذلك فيما يلي .

١ – مرحلة الارتقاء الحسى - الحركى ، ويتراوح العمر العقلى فيها من صفر إلى عامين. وفى نهاية هذه المرحلة يصبح الطفل قادرا على تصور عالمه فى صور ذهنية ورموز، كما تصبح لدية القدرة على نقل سلوك شخص آخر فى غيابه ، أو على إعادته، وهى تمثل تقدما شديدا لأنها توضح أن الطفل قادر على تكوين صور للأحداث التى

يتذكرها ، وذلك عندما يريد الإشارة إليها فى المستقبل . ويتعامل الطفل مع بيئته المحيطة به بواسطة حواسه ، ويتعلم من خلالها تميز المثيرات ويكتسب اللغة ، وتفيد خصائص النمو فى هذه المرحلة الأمهات والآباء أكثر من المعلمين.

٢ — مرحلة ما قبل العمليات. وهى تنقسم إلى :

(أ) مرحلة ما قبل تكوين المفهوم . وهى من سنتين إلى أربع سنوات ، وفيها يميل الطفل إلى أن ينتقل من صفة جزئية معينة إلى صفة جزئية أخرى مكونا بذلك مستوى ما قبل المفاهيم التى تعتمد على التجريد . وأهم ما يميز هذه المرحلة تسارع النمو اللغوى للطفل لتتسع دائرة معارفه اللغوية من الكلمات والمصطلحات والجمل.

(ب) المرحلة الحدسية . ويتراوح العمر العقلى فيها من أربع سنوات إلى سبع . وفيها يرتقى العقل معتمدا اعتمادا كبيرا على إدراكاته الحسية السطحية لبيئته ... بمعنى أن نظرة الطفل تكون متأثرة بمجال الإدراك الحسى الذى يثبت فيه إدراكه على أحد أبعاد موضوع أو حدث مع استبعاد كل الجوانب الأخرى . وسميت هذه المرحلة بمرحلة ما قبل المفاهيم ؛ لأن المفاهيم لا تصل إلى درجة الدقة التى يحددها الكبار.

٣ — المرحلة العيانية الواقعية . ويتراوح العمر فيها بين سبع سنوات إلى احدى عشرة سنة. وفيها يكون استدلال الطفل قاصرا غالبا ، ووثيق الصلة بالخبرة الواقعية . وقد يستطيع أن يصوغ فى ذهنه فرضا يجعله يتقدم خطوة أعلى من الدليل الواقعى المتاح له ، إلا أنه يعتمد إلى حد كبير على الوقائع الإدراكية الحسية التى تتوافر أمامه . وطفل هذه المرحلة يصعب عليه التفكير فى المفاهيم المجردة ، ورغم ذلك يمكنه القيام بالعمليات المنطقية وعملية تصنيف الأشياء موجودة أمامه ، أو خبرات وممارسات سبق له المرور بها.

٤ — مرحلة التفكير الصورى ، أى الذى يهتم بصورة الفكر وبنائه بغض النظر عن مادته وتتراوح تلك الفترة من ١١ - ١٥ أو إلى مرحلة المراهقة.

ويبدأ التفكير المجرد فى الظهور . فالتلميذ لا يتعامل عقليا مع الأشياء التى يراها أو يسمعها ، أو يلمسها فقط ، ولكنه يتعامل مع أشياء أخرى غير موجودة ، بصورة فعليه عن طريق تخيل شكلها ، أو صوتها ، أو ملمسها ، فهو يفكر على نحو مجرد ، ويصل إلى نتائج منطقية دون الاعتماد على أشياء مادية محسوسة.

ويستطيع الأطفال فى التاسعة أو العاشرة من العمر التعامل مع مفاهيم تتضمن أشياء مثل الوزن والعدد والمساحة والمسافة أو الحرارة ما داموا يقومون بهذا فى وجود أشياء واقعية يرجع إليها . وتتضمن المفاهيم فهما لأمور مثل الحجم ، والكثافة ، والعدالة أو القسوة مما لم يكتمل تشكيلها فيما بعد وهى تتطلب مستويات أدق من الاستدلال مما يطلق عليه العمليات الصورية

وبناء على ما سبق فى مراحل الارتقاء للطفل يمكن القول : إن أى اتجاه أو أى دراسة علمية يمكن الأخذ بها ، والعمل بمضمونها إذا لم نجد لها نظيرا فى تراثنا الإسلامى ، حرصا على توجيه النشء عندنا كمسلمين على قواعد علمية ؛ لأن العلم ميراث مشترك بين الإنسانية جمعاء . أما إذا كان هناك فى تراثنا الدينى ما يساعدنا على تفهم هذا الشئ ، خاصة إذا كان صادرا عن الرسول (ﷺ) ، فإنه فى هذه الحالة يعتبر الأساس ، وما يتصل به هنا وهناك فمن قبيل الثقافة العامة التى قد توضع فى الاعتبار لتفسير أى موقف يتعذر فهمه من خلال تراثنا.

ويمكن أن تكون صورة التربية الدينية وفقا لما سبق - بالشكل التالى :

١ - إذا كانت نظرة الطفل للدين نظرة حسية حتى سن السابعة وما بعدها بقليل فإن التربية الدينية لهذا الطفل تبدو من خلال إظهار القدوة الحسنة فى البيت والشارع والمدرسة لكى يتأسى الطفل بتلك النماذج الطيبة ، ويتأكد دور البيت فى تلك الفترة ، لأن الطفل لا يخرج إلى الشارع ، ومنه إلى المجتمع الكبير إلا وقد أكمل تدريباته نطقا وحركة ، زيادة عن أن البيت يمثل مرضع هذا الناشئ الصغير لبنا كما يأخذ عنه سلوكه العفوى الذى سيؤثر عليه شابا وكهلا . ويعزز هذا الجانب وجود النماذج الطيبة فى المدرسة والمجتمع .

وتبدو التربية الدينية لهذا الطفل أيضا من خلال تحقيق تعاليم الدين والخلق السامى من طرف الآباء والأمهات ، فينمو الطفل ويحيا على العبودية لله ، ليس فى مجال العبادة فقط و إنما فى شتى مظاهر الحياة حتى الدعابة والمزاح . كان الرسول (ﷺ) يمزح ولا يقول إلا حقا.

وتتنامى التربية الدينية لهذا الطفل من خلال القصص والحكايات الخيالية التى تستثير هذا السن ، ومنها الإشارات والرموز التى تحمل معها بعض المفاهيم والقيم الخلقية ، ولئن وقف التلميذ عندها اليوم ، ولم يفهمها ، ففي القريب العاجل سيتذكر تلك

القصص ويستخرج منها العديد من القيم التى لم يكن قد توصل إليها قبل الآن . فكل خيال طائر يرسم مكانا فى الذهن يمكن أن يقام عليه فى المستقبل بناء ، لهذا يتحتم أن تكون تلك القصص والحكايات مختارة بدقة ، وهادفة بالدرجة الأولى.

إن الأطفال فى هذه المرحلة يتعلمون كثيرا من أمور الدين عن طريق المحاكاة والتقليد ، فهم عندما يرون الكبار يمارسون الشعائر بجدية فإنهم يميلون إلى تقليد خبرات الكبار مباشرة وبعمق ، دون عوائق لغوية أو مشاكل نظرية أو فكرية ... فهم فى أحيان كثيرة يصلون إلى معنى الشعائر الممارسة ، ومغزاها دون إيضاحات نظرية أو عقلية . وهذه المرحلة تكون الفرصة فيها مهيأة لحفظ الكثير من القرآن الكريم ، خصوصا وأن الأطفال فى هذه السن يتمتعون بموسيقى الكلمة الجميلة ، واللفظية الرقيقة ، لأن من المألوف بين الناس إن يحفظ الأطفال الأناشيد ، والمقطوعات الشعرية ، ويكتفى بتمتعهم بالموسيقى الشعرية ، دون التأكيد على جانب المعنى.

وإذا كان بعض المربين يرى " أن الأطفال فى الرياض ، وفى السنة الأولى الابتدائية يجب ألا يكون هدفهم من تعلم النظم وإنشاده فهم المعنى ، وإنما التمتع بموسيقاه ، فإن جاء فهم المعنى عرضا فبها ونعمت" - فالأولى والأجدر أن يشدد على جانب حفظ القرآن الكريم ، وبعض من الأحاديث النبوية ، وكل ما يربط الطفل بدينه ، ويجعله يتمسك به ، ويصر عليه.

٢ - المرحلة الثانية وتبدأ من السابعة ، وفيها يمكن للطفل أن يتعامل مع المفاهيم المرتبطة بالخبرة. ومجالات الخبرة فى العبادات والمعاملات مصدر غنى بالمواقف القيمة . فالصلاة نظام و أمانة ودقة ، وصدق ، وعزة أمام المولى ، ومساواة، وارتباط بالجماعة وغير ذلك من المفاهيم التى تؤخذ من العبادات والمعاملات، والقصص والسير ، خصوصا وإن " القوى العقلية تبدأ فى النضج من تذكر وتفكير وانتباه ولاسيما بعد سن التاسعة وتزيد قدرته على الانتباه الإرادى ، ويستمر هذا النمو حتى الحادية عشرة ".

وينبغى ألا نتردد فى تقديم المفاهيم المجردة إلى الطفل فى مرحلة الطفولة المبكرة ، أو المتأخرة ، لأن التردد سوف يمنعنا من نطق كلمات مثل : الخير ، والإحسان ، والعدل أمام أطفالنا بحجة أنها كلمات ذات مفاهيم مجردة . وعدم تقديم كلمات مثل هذه للأطفال يؤثر على نموهم الأخلاقى والوجدانى بصفة أساسية ".

إن المفهوم ينمو فى مراحل متتالية ، بل إن طبيعة المفهوم التنامى بمستويات متعددة حتى يصل إلى معناه الصحيح ؛ انطلاقا من أن لكل مرحلة خصائصها ومميزاتها . يكفى لطفل الخامسة مثلا أن يعرف أن الإحسان يعنى تقديم مبلغ من المال إلى فقير ، وفى مرحلة تالية يعنى ما هو أشمل من مجرد عطاء السائل .

ولعل من الطرق الفعالة فى تدريس التربية الدينية لهؤلاء التلاميذ التلقين والتقليد.فالتلقين هو طريق اكتساب التعاليم الدينية ، والمعتقدات والتقليد الذى يرمى إلى التوافق الاجتماعى هو الطريق إلى اكتساب القيم والعبادات . ليس تقليد التلاميذ للمعلم فقط ، بل تقليد التلميذ لزملائه الذين قد يصلون فى تأثيرهم إلى حد تأثير المعلم بالقدوة الحسنة.

إن هذا الجزء الزمنى هو أكثر فترات حياة الإنسان خصوبة . إن الطفل فى هذه الفترة ليس ملزما بالاستعداد للدراسة فيما يتعلق بزيادة تحصيله من المعارف والقدرات حتى يواصل دراسته بنجاح فحسب ، وإنما عليه أن يعيش حياة روحية خصبة . وتعتبر سنوات الدراسة فى الصفوف الأولى فترة كاملة للنمو المعنوى العقلانى والخلقى والبدنى والجمالى وهى لا يمكن أن تكون حقيقة واقعة إلا إذا كان الطفل يعيش حياة ثرية ، لا تقتصر على الاستعداد لاستيعاب المعارف فى الغد.

٣ - المرحلة الثالثة وهى مرحلة التفكير الصورى الذى يهتم بصورة الفكر وبنائه بغض النظر عن مادته وتبدأ عادة من سن الحادية عشرة ، وتقابل المرحلتين الإعدادية والثانوية ويصل التلميذ فيها إلى مرحلة المراهقة التى تعتبر مرحلة انتقال من الطفولة إلى الرشد.

ويعد البلوغ بداية التكليف من الناحية الشرعية . ومسئولية المدرسة أن تقدم لهذا التلميذ التكليفات الشرعية ، وكيفية أدائها والقيام بها ، ليتسنى له ممارستها مع أفراد الجماعة ويأخذ بالآداب الدينية وفق ما رسمه الدين . وهذه الآداب تتناول التغيرات الجسمية ، وما يتطلبه هذا البدن من حقوق ، والجوانب الاجتماعية حيث يتعلم آداب الجماعة فى الأكل والشرب والحديث والجلوس والمناقشة والأخذ والعطاء. وكذا الجوانب الانفعالية من الثقة بالنفس والاستقلال فى الشخصية والتحرر من الخوف ، ومعرفة الثواب والعقاب ، ثم الجوانب الخلقية من العادات والاتجاهات والعواطف والمثل العليا المشتقة من المعايير الدينية والاجتماعية .

وأيا كان الأمر ، فإن التربية الإسلامية الصحيحة بما تقدمه من إجابات علمية سليمة خالية من الخرافة والأساطير عما يثار فى ذهن التلميذ من أسئلة حائرة إنما ، تدرأ عنه صراعا قد يمزقه ، والمواقف التى قد تكون مصادر للضغط والقلق والصراع يمكن أن تذاب دون أن تترك آثارا مؤلمة ، وذلك بتبنى معتقدات خاصة . وفى التربية الإسلامية هذه المعتقدات . ويسود الإيمان التقليدى لدى من لم تصادفهم خبرة مؤلمة فى تربيتهم الدينية فى الطفولة ، ومن لم تعرض لهم بعد فى مراهقتهم خبرات هى من القوة بحيث تهز كيانهم النفسى وتصيبهم بالاضطراب ، إزاء التيار الطبيعى الهادى لشعورهم الدينى . فالواحد من هؤلاء يبقى شعوره الدينى ماضيا الهوينى فى نفس الاتجاه الطفلى ؛ حتى يصادفه من الحوادث ما يثير تأملاته ، أو يبعث ذكريات قديمة طفلية، أو حتى تتسع مداركه ومعارفه ، فيدفعه كل ذلك إلى مراجعة موقفه من الدين . وعليه فليس من السهل أن نفصل بين الإيمان التقليدى ، وبين الحماس والشك فصلا حاسما ، فما الفرق فى حقيقة الأمر إلا فرق فى الدرجة فحسب.

ويبدو من العرض السابق لمراحل النمو وارتباطه بالتربية الدينية أن مراعاة هذا الجانب أمر وارد فى المنهج ثم من قبل ذلك المعلم الذى يتصدى لعملية التدريس ، وتأتى أهمية هذا الأخير من حيث أن كلمته مسموعة لدى الطفل ، وتوجيهه هو الذى يرسخ فى ذهنه ، خاصة بعد أن تقلص دور الأسرة فى عملية التربية بصفة عامة . وربما يفوق التعلم فى الفصل المدرسى ، أكثر منه فى نطاق الأسرة.

ولئن كان قد تقلص دور الأسرة فى عملية التربية من حيث الجانب النظرى فإن دورها يؤازر دور المعلم فى جانب القدوة خاصة ، وأن الطفل فى مرحلته الأولى يأخذ الدين عن طريق المحاكاة والتقليد والتلقين . ومن هنا فإن الجانب التطبيقى لما يراه الدين أداة تربوية فعالة وذات تأثير قوى على النشء.

ولا يغيب عن البال أن للنمو الدينى وظيفة مهمة هى تحقيق التكليف المتواصل والتوسع المستمر فى الاستيعاب العاطفى للناس . ولكن كما يصاب المرء فى تطوره العقلى ، أو الانفعالى بالثبات عند مرحلة بعينها من مراحل النمو ، ثبوتا يعطل نضوج المرء ومواصلته رحلة النمو ، كذلك الحال مع النمو الدينى . فقد يبلغ المرء مرحلة الإحساس الملى ، ثم يثبت عندها ، فلا يسعه بعد ذلك إلا أن يتكيف لمن هم خارج دائرة ملته ولذلك كان التعصب الدينى أو التحامل الملى مظهرا لنضوج ناقص ، فإذا لم يتم معالجته كان أسلوبا قاصرا فى التكيف .

٢ – ضرورة مادة التربية الإسلامية :

المجتمع الحالى فى حاجة ملحة إلى إنسان عرف منهج الله وأدرك أسراره ، ألم وآمن بوظائفه وفهم أهدافه وتشبع بهذا المنهج ، وأصبح حياته وسلوكه . ولعل السبب فى ذلك ما يلى :

١ – غلبة الاتجاه المادى لدى كثير من الناس ، والرغبة فى امتلاك معظم الأدوات والمستحدثات العصرية ، والإقبال على التمتع بأطايب الحياة وملذاتها و حتى لو كان ذلك على حساب القيم الدينية ، أو الأخلاقيات الاجتماعية المتعارف عليها لدى الأسوياء من الناس.

وليس من مهمة التربية الدينية محاربة هؤلاء الذين ينمون أنفسهم ماديا ، أو تقتل فيهم هذه الطموحات الدنيوية ، والآمال الواسعة التى يريدون أن يحققوها لأنفسهم ولذويهم . وإنما هى إلى بجانب ذلك تغرس فى نفوسهم قيمة التوازن ، لأن التربية الإسلامية لا تعمل على تقوية جانب عند الإنسان على حساب جانب آخر ، بل أنها تعطى كل جانب منه قيمته ، وحقه من الرعاية ، دون تعطيل لقدراته وإمكاناته الموهوبة له وتعمل أيضا على تمكين الإنسان من يدرك دوره فى هذا الكون ، وأن يشيد ، ويبنى وأن يقيم حضارة ، ويستغل كل ما يستطيع من مصادر البيئة من حوله ، وفى الوقت نفسه يرتبط بالله ولاء ، وطاعة ، وانتماء ، وبهذا التوازن تتكامل النفس الإنسانية وتتقدم الحياة ، لأن الإسلام كما يأمر بالروحانيات فهو أيضا ليس ضد بالماديات.

٢ – الاتجاه السلبى لدى بعض الناس . فبعض المواطنين يرى كثيرا من المواقف التى يتحتم عليه أن يكون طرفا إيجابيا فيها ، ولكنه يؤثر السلامة بالبعد عنها ، والدخول ، ليس فى موقف الحياة المحيطة به ، ولكن فى موقف الحياة المحيطة بأسرته وأهله وأقربائه.

ومهمة التربية الدينية أن تنشئ هذا المواطن على أنه شريك فى الحياة مع بنى جنسه يؤثر فيهم ويتأثر بهم ، يتفاعل معهم ، وينفعل بهم ، وأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والنصيحة الخالصة أمر فرضه الدين ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ (النحل : ١٢٥) وأن خير الناس أنفعهم للناس.

٣ – غياب قيمة الانتماء لدى بعض المواطنين ، بسبب أن المجتمع لا يلبى كل تطلعاته المادية وآماله الطموحة فى الثراء . والمجتمع حين لا يلبى ذلك يحاول المواطن بشتى

السبل أن يعمل حيله فى الهرب من أداء ما عليه من حقوق لهذا الوطن ، وينسى أنه حينما يمد يده ليأخذ ، فإن عليه حقا وهو أن يمد يده ليعطى . ومن الممكن أن يتراخى فى أداء ما يأمر به الشرع.

ومهمة التربية الدينية أن تعمق الإيمان بالله ، والانتماء إليه إلها واحدا . وانتماء المسلم لدينه يكون لديه الولاءات المتعددة . ولاؤه لأسرته، ولاؤه لعمله ، ولاؤه لبلده الصغير ، ثم ولاؤه لهذا المجتمع الكبير . وفى هذا إعزاز للفرد والمجتمع.

٤ – خلط القيم الأصلية بالقيم الدخيلة . ولعل سبب ذلك سيطرة تحقيق المنفعة الخاصة وزيادة روح الأنانية ، وطرح المعانى الحقيقية المصاحبة لهذه المصلحة ، وأصبحت الغاية تبرر الوسيلة أيا كانت هذه الوسيلة . فأضحى الحب حب الشهوة والمنفعة ، والالتزام بالكلمة تخلف، والنفاق معاصرة " والطيبة خيبة " ، والوفاء لا مدلول له إلا فى قواميس اللغة والتراخى فى العمل رجولة ، وعدم إتقانه مهارة ، والمكسب بدون مجهود ذكاء.

ومهمة التربية الدينية أن توجد القدوة الصالحة التى تحث على الصبر ، وتدفع إلى العمل ، وتأمر بالمعروف ، وتشجع على الصبر ، وتتحلى بالأمانة والوفاء . " وتقديم المواقف والخبرات التعليمية وفقا لروح العصر الذى يعيش فيه التلاميذ ، وتوعيتهم بحاجاتهم الأساسية ، وموقف الإسلام مما وراءها من أهداف سامية ".

٣ – المتوقع من دراسة مادة التربية الإسلامية .

مما سبق يمكن القول: إن مناهج التربية الدينية ينبغى أن يكون لها دور كبير فى تفهم طبيعة الوضع المحيط بالتلميذ ، بحيث تتمكن التربية الدينية من احتواء الاتجاهات الخلقية التى تتعارض مع مبادئ الشريعة الإسلامية السمحة ، وردها إلى نصابها الطبيعى فى سلسلة الأخلاق الإسلامية . وينبغى أن تعمل تلك المناهج على :

١ – أن يساعد التلاميذ على فهم الإسلام وسماحته بحيث يتضمن المنهج توضيحا لمعنى الإسلام وخصائصه والسمات التى تميزه عن غيره ، كما ينبغى أن يهتم المنهج بتوضيح سماحة الإسلام و بأنه دين يدعو إلى الحرية الفكرية ، فلا يقف عند حد العبادات فقط ، بل إنه دين ودنيا . وفهم طبيعة الإسلام على حقيقته هو مفتاح النجاح فى أى عمل .

٢ – أن يساعد التلاميذ على فهم بيئتهم المحلية الاجتماعية ، بحيث يعمل المنهج على إبراز

ما فى بيئتهم من قيم ومثل عليا ، وعادات ، وتقاليد اجتماعية لابد من مراعاتها والمحافظة عليها. ومرونة الإسلام فيما لا نص فيه كفيل بتقديم الطالب لمجتمعه.

٣ – أن يعمل على إفهام التلاميذ أن القيم الإسلامية الخالدة ليس مجالها الجدل والمناقشات اللفظية وإنما مجالها الحقيقى حياتهم وتصرفاتهم وسلوكهم بحيث يمكن القول إنه لا فائدة منها طالما أنها بعيدة عن التطبيق والممارسة الفعلية . وفى حالة تطبيقها تبدو فعاليتها فى الحياة برمتها ومنها : التماسك الإسلامى ، والقوة الراسخة ، والوجه الحقيقى للإسلام والمسلمين.

٤ – أن يساعد التلاميذ على تكوين تصور إسلامى صحيح للكون والإنسان ، والحياة . وأن الوجود كله خاضع لما سنه الله تعالى ليقوم كل مخلوق بوظيفته دون خلل أو اضطراب.

٤ – الصعوبات التى تواجه التربية الإسلامية ووسائل التغلب عليها :

تواجه التربية الدينية - اليوم و كل يوم - صعوبات متعددة ، وتقف حائلا بينها وبين بلوغ الغاية من تدريسها. بل إن عملية التربية - فى شكلها العام - تواجه - أيضا صعوبات بسبب المناخ العام للحياة ، وتتصاعد هذه الصعوبات أمام التربية الدينية. ويمكن بيان أهم هذه الصعوبات فيما يلى :

١ – أن التربية الدينية - بمفاهيمها ، وتعاليمها وواجباتها - تضع الإنسان أمام نفسه ، وتوضح له الأمور على حقيقتها بدون تزييف أو تضليل . وليس أقسى على بعض النفوس من مواجهة الحقيقة . والسبيل إلى تفادى ذلك - فى نظر البعض - هو أن يدير الإنسان ظهره إلى الدين ويصم أذنيه عن كل ما يتصل به. وإذا كان الإسلام هو الحكم لكل تصرفات الإنسان - فإن الممنوع مرغوب ، كما هو شائع بين الناس.

٢ – أن التربية الدينية ترى أن لكل حق واجبا . وهذا يصدم النفس البشرية ، لأن النفس البشرية غالبا ما تجرى فى سبيل الحصول على حقوقها ، بينما هى فى المقابل تتراخى فى أداء واجباتها . وترسيخ العقيدة الإسلامية هو الضمان الحقيقى للنظرة الموضوعية لكل من هذين : الحق والواجب.

٣ – أن العصر الحاضر تتكاثر فيه المستحدثات العصرية التى لها بريق مثير ، وإلحاح لا يقاوم. والنفس البشرية فى سبيل الاستمتاع بكل مظاهر هذه المستحدثات قد تنسى الأمور الجوهرية فى الحياة ، وتتخذ هذه المظاهر هدفا لها ، وقد يترتب على ذلك أن

القيم - بصفة عامة، و الدينية بصفة خاصة - أصبحت أشد التصاقا بالجانب الاقتصادى. ومعروف أن الناحية الاقتصادية تصبح هى الموجه الأول لعملية القيم، حتى لو كانت هذه القيم تتجاوز الدين، وتتخطى معاييره. والتركيز على الجانب الروحى ربما يخفف من تجاوز هذا الاتجاه.

٤ — أن بعض الذين يتصدرون مكان الدعاة من المسلمين ليسوا على المستوى المطلوب من الاقتدار والكفاءة، فأثر ذلك فى نفوس النشء، وجعلهم يميلون إلى السلبية مع الدين. بل إن بعض هؤلاء الدعاة يعالجون مظهر الإسلام، لا جوهره، وقشوره لا مخبرة.

٥ — أن التلميذ افتقد جانب القدوة الصحيحة فى المجتمع ، سواء أكان ذلك فى البيت من الأب أو الأم أو فى المدرسة من معلمين وغيرهم ، أو فى المجتمع المحيط بكل ذلك . وليس الأمر قاصرا عند هذا الحد بل إن بعض المتدينين فى المجتمع قد يترك أثرا سيئا لدى غيره من الناس ، فيسئ إلى كل ما هو متدين وينسحب ذلك على الكل.

٦ — أن العملية التعليمية تعامل التربية الدينية كمادة دراسية ، يتم فهمها واستيعابها بهدف النجاح فى الامتحان. وهو أمر لا يتفق مع طبيعة التربية الإسلامية ، بل إنها تتراجع فى أهميتها المدرسية إذا ما تعارضت مع اللغة العربية بفروعها المختلفة ، وسائر المواد الأخرى. بحيث تشغل حصة التربية الإسلامية ، بمادة أخرى ، طلبا لزيادة التحصيل.

٧ — أن معلم التربية الدينية - وهو نفسه معلم اللغة العربية أحيانا - ربما لا تتوافر فيه الجوانب الفنية - هذا فضلا عن الجوانب الأخرى - التى تمكنه من القيام بعمله على أكمل وجه . فبعض المعلمين - مثلا - لا يستطيع قراءة آية من القرآن ، وإن قرأها فلا يقرؤها بالطريقة السليمة ، وإن قرأ الحديث صحيحا فربما وقف عند المعنى الظاهر فقط ، ولا يستطيع توجيه ما فيه من أحكام شرعية وغيرها . وإزاء تلك الظروف لا يحس التلميذ بغضاضة فى النفس حين يرى تقصيرا منه ، ولا يستبعد أن يستمرئ هذا التقصير ، خاصة إذا كان مثل هذا المعلم هو الذى يتعامل معه هذا التلميذ.

٨ — أن الكثير مما يتعلق بالتربية الدينية من الأمور المجردة يصعب على الصغير فهمه واستيعابه بالطريقة التى يتم التدريس بها هذا فضلا عن الأمور الغيبية التى تتطلب وعيا خاصا وقدرات تسمح بفهمها. ومعروف أن هذه الأمور المجردة لها دور فعال فى تنمية التفكير لدى التلاميذ.

٩ – أن بعض الجهات الأخرى التى كانت تسهم فى عملية التربية الدينية قد تقلص دورها إن لم يكن قد انتهى . ولعل منها الأسرة، والمسجد، والكتاب. وغياب تلك الجهات عن الساحة ضاعف من صعوبة تدريس التربية الدينية. وإذا كان المسجد يقوم بدور ما فى هذا الجانب فإن دوره محدود وموقوت.

١٠ – إنه فى الآونة الأخيرة زادت المنظمات والحركات الإسلامية فى مختلف الأقطار العربية الإسلامية، وقدمت معتقداتها - صوابا أو خطأ - للناس، واستقبلها المسلمون، خاصة الشباب بالحيرة والقلق، لاسيما وأن كل جهة من الجهات تدعى لنفسها الإسلام. وربما تجمد بعض الشباب فى معتقداته، ووقف فى مفترق الطريق ؛ لأنه لا يدرى أين الإسلام الصحيح بين هذه الإسلاميات.

١١ – أن الدين فى كثير من الأحايين قد يكون فيه تناقض وتحد لما هو قائم من قوانين وتشريعات ونظم . وليس هذا ذنب الدين فى شئ ، ولكنه ذنب من انحرفوا عن تطبيق تعاليمه . وهذا يمثل مشكلة أمام التربية الدينية التى يتعلمها التلميذ . فهو يتعلم ما الحلال وما الحرام ؟ ولكنه يجد المجتمع يخلط بينهما ، دون اكتراث أو اهتمام ، بل إنه قد يحل بتشريعاته ما حرم ، ويحرم ما حلل . ومن هنا تصبح التربية الدينية ليس لها التأثير المطلوب.

١٢ – أن بعض المتدينين ، أو المنتسبين إلى هذا - شبابا وشيوخا - قد فهموا معنى العبادة خطأ ، فأوقعهم ذلك فى بعض التصرفات التى لا تليق بهذا الدين ، ولا تتفق مع روح الإسلام.

فبعض الشباب فهم القرب من الله أنه كثرة الصلاة ، و إطالة المكث فى المسجد -ولا غبار فى ذلك أن أدى مطلوبات الحياة الأخرى منه بمستوى يليق بالإنسان المسلم لأن هذا العمل فى حد ذاته عبادة ، كما أنهم أهملوا صحتهم بل فرط الكثير حتى فى نظافة أجسامهم وثيابهم بحجة أن الله ينظر إلى القلوب وليس إلى الصور . وترتب على ذلك أنهم أهملوا أعمالهم ، وبدا عليهم الانكسار والذلة بدعوى أنه التواضع ، فضلا عن الصفرة التى تعلو وجوههم ، وأصبحوا شيوخا وهم شباب ، وعالة على أهليهم وذويهم ومجتمعهم مع أنهم قوة منتجة ، وضعافا بعد أن اضعفوا صحتهم.

وبعض الشيوخ فهم القرب من الله أنه الابتعاد عن الدنيا ، وانتظار لليوم المحسوب . وترتب على هذا الفهم أنهم أهملوا شئون أهليهم ، وتربية أولادهم ، وهجروا زوجاتهم

وعاشوا فى السلبية المطلقة ، وكأن الغفلة هى علامة المتدينين ، واللامبالاة هى القاسم المشترك بين هؤلاء وهؤلاء . وهذا مخالف لسنة الله فى تعمير الأرض ، والتعامل معها لصالحه.

والحق يقال : إن الدين دين عبادة بمعناها العام الذى يشمل كل مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ودين قوة ، ودين يقظة ، وإحساس بالمسئولية ، فالمؤمن كيس فطن.

١٣ – أن الفجوة قد اتسعت بين أقوال الناس وأفعالهم ، بين سلوك الناس وما يدعون الإيمان به مما أوحى إلى النشء ، وكثير من الشباب ، أن الدين ضرب من الخيال ، أو حلم لا يبدو له واقع ، وليس له فى مجال الحياة تطبيق.

١٤ – محاربة الإسلام وأهله من القوى الكبرى فى العالم . وهذه حقيقة مؤكدة ، أقرها القرآن الكريم ، فى قوله تعالى : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (البقرة : ١٢٠).

١٥ – التدخل الأجنبى فى مناهج التربية الإسلامية ، وبتر المعلومة الإسلامية ، وعدم تكاملها مع أن قضية المناهج وتطويرها يعد أمرا داخليا بحتا للدول والحكومات الإسلامية وغيرها. وقد حول التدخل الأجنبى هذه القضية إلى قضية عالمية ، فى ظل ثقافة العولمة، وبفعل أدواتها وأصبحت قضية ذات أبعاد ثقافية، واقتصادية وسياسية، بل وربما عسكرية إذا لزم الأمر ، وذلك بهدف تحقيق التوقعات المنتظرة على النشء من المسلمين ، من خلال التطوير المزعوم.

١٦ – السعى إلى إلغاء مادة الدين (التربية الإسلامية للمسلمين والتربية المسيحية للنصارى) وتقرير مادة الأخلاق، والتى تختلط فيها نصوص الكتاب والسنة، بعبارات التوراة والإنجيل وأقوال الفلاسفة، وربما حوى نصوصا من التعاليم البوذية.

وعلى الرغم من تعدد الصعوبات التى يمكن أن تقف حائلا أمام تحقيق التربية الدينية لأهدافها ، أو تمثل إعاقة لبلوغ الأهداف المرجوة فإن هناك بعض الإجراءات التى يمكن عن طريقها التغلب على تلك الصعوبات ، لا سيما وأن عملية التدريس نفسها والجو العام المحيط بتلك العملية يكشفان عن بعض الجوانب التى يسهل التغلب بها عليها.

وأهم تلك الجوانب ما يلى :

١ – **أن معلم التربية الدينية** - وهو فى الأعم الأغلب معلم اللغة العربية - عليه أن يقتنع بعمله ويقبل عليه بحب ، ويرغب فى أداء هذا العمل ليس من منطلق الوظيفة ولكن من منطلق إنها رسالة يبتغى بها وجه الله . وإذا أقبل على عمله من هذه الجهة فإن ذلك سيدفعه إلى إعداد نفسه الإعداد الذى يسمح له مباشرة هذا العمل من حيث إلمامه بالقرآن الكريم والحديث النبوى وبقية فروع التربية الدينية إلماما تقل فيه الأخطاء من جهته.

وإذا كان المعلم - وهو حجر الزاوية - معدا إعدادا نفسيا وعلميا، ودينيا، وظهر أثر هذا الإعداد بشكل أصبح معه قدوة، ونموذجا - فإنه يمكن القول: إن هذا المعلم لابد أن يترك أثرا فى نفوس تلاميذه، ويتوقع لأدائه النجاح، وبلوغ الهدف.

٢ – **أن معلم التربية الدينية** يجب أن يتصف بالحكمة ، والموعظة الحسنة والجدال الحسن والدعوة للخير ، والنصح الأمين **﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾** (آل عمران : ١٥٩).

٣ – **أن معلم التربية الدينية** ينبغى أن يستخدم أسلوب الثواب والعقاب فهو من الأساليب الطبيعية التى تستند إليها التربية فى كل زمان ومكان . فهذا الأسلوب يتمشى مع طبيعة الإنسان حيثما كان ، أيا كان جنسه أو لونه ، وعقيدته . فالإنسان يتحكم فى سلوكه ويعدل فيه بمقدار معرفته بالنتائج الضارة أو النافعة ، والسارة أو المؤلمة التى تترتب على عمله وسلوكه . والتربية الإسلامية تستخدم أسلوب الترغيب والترهيب لما له من أهمية بالغة فى التنشئة الصالحة لأبنائها . فأسلوب القرآن الكريم فى تصوير الجنة ونعيمها والنار بأهوالها وعذابها إنما هو أسلوب مناسب لطبيعة الإنسان.

٤ – **أن معلم التربية الدينية** ينبغى أن يستخدم الوسائل والأنشطة المدرسية ما أمكن . وإذا تعذر فى موضوع استخدام وسيلة تعليمية ما - فإن عليه أن يلجأ إلى تقريب المعنى المجرد فى صورة محسوسة ، وخصوصا فى المراحل التعليمية الأولى ، ليتأكد المعنى فى ذهن التلاميذ،كما أن عليه أن يستغل الأنشطة المدرسية فى دعم القيم الفاضلة لدى التلاميذ من خلال المواقف الحياتية ، ليربط بين المعنى ومدلوله ، ولأن القيم تكتسب ، ويتم تعلمها عن طريق تلك المواقف.

٥ – **أن التربية الدينية** ليست مسئولية معلم التربية الدينية وحده ، بل إن المجتمع كله شريك فى ذلك بدءا من الأسرة باعتبارها الحاضنة الأولى للطفل ، ثم المدرسة باعتبارها المؤسسة الأولى عن التربية وأخيرا المجتمع الكبير.

ومسئولية الأسرة أن تتعامل فيما بينها بالصدق والأمانة ، والتسامح ، والعدل وشتى القيم الفاضلة ، ليس هذا فحسب وإنما تقوم بدور التوجيه فى اختيار الأصدقاء ، فقد دلت الدراسات " على أن لها أثرا بالغا فى نمو الطفل النفسى والاجتماعى . فهو يؤثر فى قيمه وعاداته واتجاهاته " .

ومسئولية المدرسة أن تكون بجميع هيئاتها : إدارتها ، ومدرسيها ، ومعلميها قدوة صالحة فى التعامل ، ومناخا طيبا يجد التلميذ فيها بغيته من العدل ، والمساواة ، والاحترام.

ولعل التركيز على البيت والمدرسة من جانب أنه من السهل فيهما ضبط القيم ووجود النموذج الصالح فيشب الطفل وقد رأى أنه فى الإمكان تطبيق شرع الله فينشأ محبا لهذا الدين ، وكل ما يتصل به .

وإذا رأى أن هناك معايير مختلة فى المجتمع الكبير ، لا توجد فى البيت أو فى المدرسة فقد يتقبل هذا الخلل إلى حين ، ولكنه فيما بعد يمكن أن يسهم فى تعديل هذا الخلل. وما يسرى على هذا التلميذ يسرى على غيرة فتأتى التربية الدينية فتجد جوا مناسبا ، وأرضا خصبة ، وعقلا مهيئا لاستقبال دين الله.

٦ – **أن التربية الدينية** ينبغى أن تتغير النظرة إليها من قبل المسئولين ابتداء من الحضانة حتى نهاية المراحل التعليمية ، فالمدرسة - على أى مستوى - تنظر إلى مادة التربية الدينية نظرة هامشية وخصوصا إذا وضعت فى الميزان مع اللغة العربية ، أو غيرها من المواد الدراسية الأخرى ، ويبدو ذلك واضحا فى نهاية العام الدراسى ، حين يتم ضغط الجدول المدرسى وربما أول مادة يتم استبعادها هى مادة التربية الدينية ، ولا يخفى ما لهذا التصرف من جانب المدرسة على اتجاه وميول هذا التلميذ نحو تلك المادة ، وربما ينسحب ذلك على الدين كله. وتتغير نظرة التلميذ إلى تلك المادة فى أثناء العام الدراسى ونهايته . فأثناء الدراسة يرى التلميذ أن المعلم لا يطلب منه سوى حفظ بعض آيات القرآن ، وبعض الأحاديث النبوية ، ويتم تقويمه على هذا الأساس ، بل أحيانا يفاجأ التلميذ بدرجة أعلى مما يتوقع فى تلك المادة . وفى الاختبارات النهائية

يتم التصحيح بطريقة شكلية آلية. ويشعر التلميذ بكل ما يجرى حول هذه المادة فينطبع ذهنه بمظاهر الشكلية التى تحاط بتلك المادة، فيقل اهتمامه بها وإن اهتم فلن يتعدى الجوانب الشكلية.

وتتغير نظرة التلميذ أيضا من واقع أن المسئولين أو بعضهم ينظر إلى التربية الدينية نظرة إشفاق لا نظرة جد ، ونظرة مجاملة لا نظره تعقل.

والواقع أن هذه النظرة يمكن أن تتغير إذا تعاون البيت ، والمدرسة ، وركزا عليها باعتبارها مادة أساسية لوحدة الفكر ولوحدة الاتجاه ، وأداة رئيسية للتماسك الاجتماعى، فضلا عن التماسك الأسرى .

٧ – **أن مادة التربية الدينية** ينبغى أن تراعى مستويات نمو التلاميذ . والعامل الواضح الذى يؤكد مراعاة هذا الجانب عامل نفسى قبل كل شئ ، قوامه أن التعليم الدينى إنما يؤتى أثره إذا أحس المتعلم أنه يتصل بمطلب من مطالب نموه : الجسمى أو العقلى ، أو الاجتماعى ، أو العاطفى . فإذا لم يتناول حاجة من حاجاته كأن يعالج ناحية غريزية تضطرم فى أعماقه أو يجيب عن سؤال حول فكرة تحيره ، أو يتناول جانبا يهمه ، أو يعالج مشكلة اجتماعية تؤرقه - لم يتلقه تلقى من يشعر أن له وظيفة أساسية، وماسة فى حياته.

٨ – **الاتصال بالبيئة** وبما فيها من مؤسسات واستغلال ما فيها استغلالا ذكيا بهدف تحقيق أكبر قدر من الفاعلية فى هذا الجانب.

فمظاهر الطبيعة بما فيها من نبض الحياة ، وأسرار الكون من أهم المصادر التى يدعم بها المعلم العقيدة ، وتعززها كذلك وسائل الإعلام من إذاعة وتليفزيون وصحافة ووسائل طيبة فى هذا المضمار ، وبصفة خاصة إذا كانت هذه الأجهزة موجهة توجيها جيدا نحو تربية النشء تربية صحيحة . ومن الخطر البالغ ألا يكون هناك انسجام أو تكامل بين ما تقدمه المدرسة ، وما تبثه ، وتكتبه الأجهزة الإعلامية من برامج ، ومواد مكتوبة.

٩ – **أن كتب التربية الدينية** ينبغى أن تتضمن بعض القضايا ، أو الموضوعات المعاصرة والملحة التى تواجه الشباب فى حياتهم . وتعرض هذه القضايا والموضوعات عرضا علميا ومعها رأى المتخصصين فيها ، حتى لا يقع الشباب فى بلبلة يلجأ بعدها إلى من يفتون فى الدين بغير علم.

والواقع أن التعرض لمثل هذه القضايا فى كتب التربية الدينية أمر فى غاية الأهمية ، إذ أن الشباب فى هذه المرحلة تفتحت أمامهم أبواب السفر إلى الخارج . وهم فى تلك البلاد يواجهون تيارات فكرية عديدة ، وفرص عمل مختلفة ، وأنماط سلوك كثيرة ، ومكاسب مالية معقولة ، وفى الداخل يرى المستحدثات فى مجال العمل والقيم ، مثل الإكرامية (البقشيش) ، والسمسرة ، والعمل فى الملاهى والتأمين ، وشهادات الاستثمار واللامبالاة وغير ذلك . والتلميذ فى حاجة إلى رأى الدين فى كل ذلك . ويمثل التعرض لمثل هذه القضايا أيضا نوعا من الإثارة والجدل خاصة إذا كان المعلم مثقفا واعيا لأمور دينه. حينئذ يستطيع استقطاب هؤلاء التلاميذ إلى الدين ، والدخول فى حوزته.

١٠ – **أن كتاب التربية الدينية** ينبغى أن تتوافر له الجاذبية ، والإقناع العقلى والقلبى ، حتى يعيش فيه الطالب مستغرقا مشدودا إلى كل ما يعرضه ، وحتى يتأثر به التأثير الذى يرسخ فى أعماقه ويوجه سلوكه . ومصدر ذلك ما يقرره النفسيون من أن السلوك وليد العاطفة . والعاطفة وحدة عقلية كاملة . يقول " شاند " ملخصا طريقة نمو العواطف وتنظيمها : إن كل عاطفة تميل إلى أن تضيف إليها جميع الانفعالات والأخطار والنزعات التى تساعد فى الوصول إلى غايتها.

١١ – **أن تكون هناك بين الحين والحين** - حصة للمناقشة المفتوحة يتحرر فيها التلاميذ من قيود الحصة المدرسية ، ويترك المجال مفتوحا للتساؤلات المختلفة التى يحرج بعض التلاميذ من طرحها فى البيت أو فى المسجد ، وتتأكد أهمية هذه الحصة للطلاب المراهقين يضاف إلى ذلك جهد المدرسة فى استضافة أحد أقطاب الفكر الإسلامى ممن له تأثير فعال على النشء ، وقدرة على معالجة الأمور بالحكمة والموعظة الحسنة.

وأيا كان الأمر فلئن أدى البيت والمدرسة واجبهما تجاه التربية الدينية ، بحيث راعيا الجانب التطبيقى له . من تحر للصدق والأمانة ، والسلوكيات الطيبة فإن المجتمع الكبير - وهو محك التفاعل المستمر مع هذ الفرد المسلم - عليه أن يقلل من إحباطاته لهذا الإنسان، وذلك بالتعاون مع العملية التعليمية ؛ إذ ليس من مصلحة المجتمع أن يصطدم النشء بما يمكن أن يوجه طاقاته فيما يعد إلى الشر واقتراف الرذائل.

١٢ – **أن يستغل المناخ الحالى** للمجتمع ، بما يتوافر فيه من تيار إسلامى يهدف إلى الرجوع إلى الله والعمل بشريعته ، وذلك بتوجيه النشء إلى السمات الأساسية لطبيعة هذا الدين والتى تعصمه من الوقوع فى التيارات اليمينية أو اليسارية ، وفى نفس الوقت تعده الإعداد السليم الذى يتمشى مع سماحة الإسلام ومكانته.

١٣ – **التأكد بأن** لا يمكن الفضاء على الإسلام ،مثلما تم القضاء على النازية والفاشية والروح العسكرية اليابانية ، والبلشفية السوفيتية ؛ لأن الإسلام استطاع البقاء على مدى ١٤٠٠سنة تقريبا ، كما أنه العقيدة المهيمنة على ٥٧ بلدا . إنه - بحفظ الله - غير قابل للتحطيم.

٥ – علاقة التربية الإسلامية بالمنهج الدراسى :

تبدو علاقة التربية الإسلامية بالمنهج الدراسى فى صور متعددة ، وهذه العلاقة ليست حاسمة ، أو قاطعة ، ولعل السبب فى ذلك أن التربية الإسلامية تتعدد فيها المصادر التى يمكن أن تؤثر ، ليس فى النشء فقط ، ولكن فى الصغير والكبير . ومن هذه المصادر - على سبيل المثال - المسجد، وجماعة الأقران التى ينتمى إليها التلميذ ، والأنشطة الدينية التى يمكن أن تمارس خارج المدرسة ، وثقافة التلميذ نفسه ، والأسرة أحيانا.

ومن هنا يمكن القول: إن علاقة التربية الإسلامية بالمنهج المدرسى تمثل محورا واحدا ضمن محاور عدة تتداخل فيما بينها.

وعلى الرغم من ذلك فإن هناك علاقة من نوع ما ، قد تختلف : قوة ، وضعفا ، متفقة ومختلفة ، قلة وكثرة ، على بعض التلاميذ ، أو معظمهم . ويبرز شكل هذه العلاقة - ربما فى الصور الآتية :

١ – **علاقة تكاملية :** وتبدو تلك العلاقة فى بعض مظاهر التكامل بين موضوعات التربية الدينية ، وبعض المواد الدراسية الأخرى ، ومنها على سبيل المثال التاريخى الإسلامى حيث تدعم تلك الموضوعات إحداها الأخرى ، ويشعر التلميذ معه بوحدة المعرفة ،واتساق القيم ، مما يمكن هذا التلميذ من النمو المتوازى فى المواد الدراسية . ومن أمثلة بتر الموضوع الدينى وعدم تكامله إذا مررت بجماعة أقول لهم السلام عليكم . حل محلها : إذا مررت بجماعة ألقى عليهم التحية ومثل : الخصام لا يحبه الله ، ولا يحبه رسول الله . تحذف منه : ولا يحبه رسول الله " وهناك أمثل عديدة لهذا البتر.

٢ – **علاقة إثارة وتأمل :** وتبدو تلك العلاقة من خلال المعلومات المتناثرة التى يتلقاها التلميذ من المنهج الدراسى خاصة تلك التى تتصل بالعلوم الطبيعية ، ومنها - على سبيل المثال - خلق الإنسان ، والمعارف الكونية المستحدثة فى البر ، والبحر ، والجو ، ثم محاولة إيجاد العلاقة بين هذه ، وبين ما يقف عليه من تفسير لبعض

الآيات القرآنية ، ومعالجة الأحاديث النبوية ، وقد تنتهى هذه العلاقة - من بعض الطلاب - ولو فيما بعد - بالبحث والدراسة.

٣ — **علاقة شك وحيرة :** وتبدو هذه العلاقة من أن المنهج المدرسى ، يساعده المناخ العام المحيط بكثير من التلاميذ قد يميل إلى الجانب المادى فى الحياة — وغالبا ما يتم ذلك — فى الوقت الذى تركز فيه التربية الإسلامية على الجانب القيمى ، وقد يتباعد هذان الجانبان ويرى التلميذ نفسه ، وسطا بينهما حائرا بين الشك واليقين ، لا يستطيع أن يقرر إلى أيهما يرى نفسه .

وتجدر الإشارة إلى أن المنهج الدراسى شأنه فى ذلك شأن التربية الإسلامية من حيث إن فرص الاطلاع متاحة لتلميذ اليوم أكثر من الأمس ، وربما كان ما يطلع عليه ، ويقرؤه متقدما أكثر مما يتلقاه عن طريق المنهج الدراسى.

٤ — **علاقة سالبة :** وتبدو هذ العلاقة حين يعامل الطالب مادة التربية الإسلامية كغيرها من المواد الدراسية الأخرى من حيث التحصيل ، واجتياز الامتحان فى آخر العام ، وقد يتم النجاح فيها بأقل رصيد من المعرفة ، والاهتمام ، وربما ينتهى الطالب من دراسته فى مرحلة التعليم العام ، ولا يعلق بذهنه من مادة التربية الإسلامية إلا أقل القليل .

٥ — **علاقة ضبط وتوجيه :** ليست عملية الضبط والتوجيه للمنهج الدراسى صادرة من منهج التربية الإسلامية فحسب ، وإنما هى صادرة عن المجتمع كله ، باعتباره مجتمعا مسلما يهمه أن تكون متضمنات المنهج الدراسى متسقة مع عقيدته الدينية وبالتالى فإن بعض الصيحات التى تنادى - مثلا - بإدخال التربية الجنسية فى مناهج التعليم العام سرعان ما تتلاشى ، وكذا كل محتوى يتعارض مع قيم الإسلام ومفاهيمه السمحة .

ويمكن القول: إن هذه العلاقات وغيرها ، بشقيها : الموجب والسالب أمر وارد على اعتبار أن هناك فروقا فردية بين المتعلمين " إنما أنا (ﷺ) قاسم ، والله عز وجل معط " وهذه العلاقات تتوقف على المتعلم نفسه من حيث قبوله للتربية الإسلامية ، ووضعها موضع التنفيذ فى حياته أو الحماس لها فقط بعيدا عن السلوك . والأولى والأجدر أن تكون العلاقة إيجابية أكثر وأكثر.

نحو تصور مقترح لإيجاد بديل عن تصنيف بلوم مستمد من الحضارة العربية والإسلامية. يستهدف هذا الفصل عرضا مقترحا لتصنيف جديد فى مجال المناهج مستمد من ثقافاتنا العربية والإسلامية بدلا من تصنيف بلوم السائد فى مناهجنا الدراسية.

ولتحقيق هذا الهدف تم عرض الأبعاد التالية :

أولا : دواعى هذا التصور.

ثانيا : عرض بعض النماذج المتعارف عليها فى مجال المناهج الدراسية.

ثالثا : الخلفية التاريخية التى كانت وراء هذه النماذج.

رابعا : طرح التصور الجديد ، وهو - بطبيعة الحال - قابل للمناقشة.

وفيما يلى عرض لهذه الأبعاد :

أولا : دواعى هذا التصور :

انطلق هذا التصور من الدواعى الآتية :

أ - أن هناك إجماعا على هيمنة بعض النماذج الغربية فى ميدان المناهج منذ خمسينيات القرن الماضى ، كما أن هناك شبه إجماع على رفض هذه النماذج . وتجلى ذلك بصورة واضحة فى الندوة المشتركة بين مركز تطوير تدريس اللغة الإنجليزية ، ومركز تطوير التعليم الجامعى فى حلقة مناقشة الإبداع عن " بلوم وطرق تدريس اللغة الإنجليزية " بكلية التربية جامعة عين شمس فى الفترة من : ١١ -١٢/١٠/١٩٩٥م حيث ركز الحاضرون على ضرورة إيجاد بديل لتصنيف بلوم، كما تجلى أيضا فى مؤتمر " إشكالية التحيز " الذى عقد بالقاهرة فى عام ١٩٩٢م، وبالتعاون بين المعهد العالمى للفكر الإسلامى ونقابة المهندسين والذى عالج الموضوع من خلال الإطار الثقافى ، وفى هذا الإطار برزت النقاط التالية :

١ - أن النماذج الغربية أثبتت نفسها فى المجالات السياسية والاقتصادية ، غير أن لها جوانبها السلبية فى مجالات أخرى ، ولأن تلك النماذج مقطوعة الصلة بواقع شعوب

العالم غير الغربى فإنها تظل عاجزة عن التفاعل مع هذا الواقع ، أو على الإسهام فى تفسيره ، أو تغييره ، بل يؤدى أحيانا إلى تدميره.

٢ - أن هناك تفرقة ضرورية بين استثمار المنجزات والمكتشفات الغربية فى المجال العلمى المادى البحت ذات الصفة العالمية ، وتوظيفها فى البناء النظرى الذى يخصنا - وهو مسلك مشروع ومحدد - وبين تبنى القيم والرؤى الغربية فى المجالات الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية وهو المنهج الذى يحول اللحاق بالغرب إلى الالتحاق به والتبعية له ، وهى عملية لا تقبلها كثير من الشعوب مهما اختلفت خلفياتها الثقافية لأن ذلك يمس كيان هذه الشعوب ، وجوهرها.

٣ - أن هناك قاسما مشتركا بين عدد من الباحثين ذوى الشخصيات المختلفة ، فى الدعوة إلى الاستقلال الوطنى والحضارى ، والرفض للتبعية ، بعد أن ثبت التحيز للأنماط والقيم الغربية فى مختلف مجالات المعرفة الإنسانية ، وتنوسيت الأنماط العربية التى ربما لم تتضح معالمها. وقد تقبل هذه الأنماط فى مرحلة الاستعمار أو ما بعد الاستقلال ، أما وقد تم الاستقلال السياسى والعسكرى ، فالأولى والأحرى أن يتم الاستقلال التربوى.

ب - أن هناك اتجاها متناميا ظهر فى المؤسسات الأكاديمية الغربية اليوم ، يربط بين المعرفة والقيم الدينية . ففى الولايات المتحدة وحدها أكثر من ٥٠ مليون أمريكى ، يعتمدون فى تعليم أبنائهم على فلسفة تستند إلى أسس دينية ، مثل تبنى خلق الإنسان وهناك ٣٣٠٠ مدرسة أمريكية تعتمد فى مناهجها الدراسية على فكرة خلق الإنسان ويتبنى هذا الاتجاه ١٢ جامعة فى كاليفورنيا ، بالإضافة إلى عدة جامعات فى ولاية الينوى ، وبعض الولايات الأخرى. ولسنا أقل من هؤلاء فى ربط المعرفة الإنسانية بقيمنا الإسلامية. والتمسك بالعقيدة الدينية مظهر من مظاهر تماسك الشعوب ، بل وتميزها.

جـ - أن من يتصفح آيات القرآن الكريم يجد أن لفظ الجلالة (الله) قد تكرر صراحة (بمفهوم العصر فى تحليل المحتوى) ٢٨٦٣ مرة ، أما إذا أضيف إلى تلك التكرارات الضمائر التى تعود إليه سبحانه ، وكذا لفظ الإله فإن هذه التكرارات ستتضاعف. ومعنى ذلك أن الله سبحانه ينبغى أن يكون محور حياتنا وفى كل أنشطتها ، وفى توجهاتنا ، وفى تنشئة أجيالنا. وفى هذا المسلك تأكيد لمبدأ خلافة الإنسان فى الأرض واستثارة للإنسان : إبداعا وابتكارا لتحقيق ذاته ، واستمرار عملية البناء والتعمير.

د - أن تقسيم بلوم جعل الإنسان بداية مركبة من ثلاث جوانب: عقلى ، ووجدانى ومهارى مع أن الإنسان وحدة واحدة متكاملة . والتعامل معها يتم على هذا الأساس ثم بعد ذلك تبدأ عملية التفريع والتصنيف.

د - أن شعب مصر: مسلميه وأقباطه شعب مؤمن. ويتطلب هذا الأمر أن يقدم له ما يضمن استمرار هذا الإيمان، وترسيخه، وإن كان ذلك لا يتم عن طريق المنهج المدرسى وحده، لكن النماذج المستمدة من حضارتنا يمكن أن تسهم فى بناء الشخصية المصرية. فالمفردات والمفاهيم والقيم المتضمنة فى المنهج المدرسى تكسب الإنسان بعدا ربما لا يظهر أثره فى التو واللحظة، لكنها بما تحمل من مضامين ومعايير يمكن أن توجه سلوك الإنسان وتتحكم فيما يختاره لنفسه وللآخرين على المدى البعيد. فالكلمة الموحية والعبارة التى تتعدد دلالتها الحضارية تربط المتعلم بما تحمل من دلالات، وتشده إلى ماضيه، وتحفزه لان يختار ويفكر بطريقة قومه ما أمكن.

إن تربية الإنسان المصرى تتطلب جودته من الناحية التعليمية بالدرجة الأولى ، خاصة أن انتشار الطبق اللاقط (الدش) يشير إلى عمق الاهتمام باستقبال البرامج الوافدة من خلال الأقمار الصناعية وتؤثر تلك الأطباق على مشاهدى التلفزيون المصرى ، ومتابعة برامجه، حيث أشارت إحدى البحوث إلى أن ١٩٪ من الأسر المصرية محل البحث التى تمتلك تلك الأطباق لا تشاهد التليفزيون المصرى إلا نادرا ، ١٢٪ يشاهدون أقل من ساعة يوميا ، و٢٥٪ أقل من ساعتين ، وجودة الإنسان المصرى تسهم فيها العلوم الاجتماعية التى تقدم فيها القيم الإسلامية والمعايير الاجتماعية ، ثم تسندها العلوم الطبيعية التى تقدم له مهارات العمل والإنجاز فى الوظيفة.

و - أن أول مشكلة يمكن أن تواجه من يريد وضع الأهداف التعليمية فى تصنيفات هى كثرة الفئات التى يمكن جمعها فيها. فمن الممكن وضع هذه الأهداف فى مجموعة تضم الاحتياجات الحياتية للشخص، واحتياجات المجتمع، أو من ناحية أخرى مجموعة تضم المحتوى للعلوم المتشابهة، أو فى مجموعة تضم السلوك المرغوب فيه . وكل هذه الطرق تهتم بتنمية جانب ما وتهمل جانبا آخر ، فإذا وضعنا الأهداف فى مجموعات حسب المواد مثلا فإننا بذلك نرجح كفة المهارات الأكاديمية على حساب الصفات اللازمة لنمو الفرد كإنسان، وإذا وضعنا الأهداف فى تصنيفات مثل المواطنة للديمقراطية، أو الكفاءة الاقتصادية فإننا بذلك نعطى الأهمية للمتطلبات الثقافية، ونهمل السلوك الذى ينبغى أن ننميه فى الشخصية.

ز - أنه لا يوجد تصنيف واحد يمكن أن يغطى كل الوظائف المهمة من التربية، وأحيانا نجد هذه التصنيفات مرتبطة بعضها بالبعض الآخر بطريقة لا تقدم معايير واضحة لاختيار المحتوى المناسب أو حتى الاتجاه الاجتماعى، أو للكفاءات التى تنتج وفق التصنيف المحدد. ومعنى هذا أن النماذج المطروحة فى مجال المناهج، وتعمل فى العملية التعليمية - نماذج لا تلبى مطالب التربية بالشكل المطلوب وذلك لبعدها عن مجتمعنا ، وقيمه والآداب المرعية فيه .

ثانيا - بعض النماذج التى يتم التعامل معها فى الحقل التربوى:

أ ـ نموذج هيلدا تابا : Hilda Taba

تعرف الأهداف بأنها متداخلة مع الأغراض ، ولكن إذا قارناها بالأغراض يمكن أن نقول إنها جمل وصفية ظاهرة للكفاءات والصفات المميزة والتى يريدها البعض ، وهذه الأهداف يمكن أن تشتق من احتياجات المتعلم أو احتياجات المجتمع أو من أهداف التعليم ومن مصادرها أيضا المعلم ، وهذه هى التصنيفات :

أولا: المجال الانفعالى:

التقدير	Appreciation
اتجاهات	Attitu
اعتقادات	Belie
اهتمامات	Interest
قيم	Values

ثانيا : أ ـ المجال المعرفى:

١ - **المعرفة :**

أ - معرفة المصطلحات . ب - معرفة حقائق معينة .

٢ - **معرفة طرق التعامل مع المحددات :**

أ - معرفة التقاليد أو الأعراف السائدة .

ب - معرفة الاتجاهات العامة .

جـ - معرفة التصنيفات .

د - معرفة المعايير .

هـ - معرفة الطرق .

٣ – معرفة الاتجاهات العالمية فى مجال ما :

أ - معرفة المبادئ والتعميمات .

ب - معرفة النظريات والتركيبات .

ب - الفهم - المقدرة على استخدام المواد والأفكار :

١ - **الترجمة** . Translation

٢ - **التأويل** . Interpretation

٣ - **التقدير** . Extrapolation

جـ - التطبيق :

استخدام المجردات فى مواقف خاصة ومحددة .

د - التحليل :

أ - تحليل المكونات .

ب - تحليل العلاقات .

جـ - تحليل المبادئ التنظيمية .

هـ - التركيب :

١ - وضع المكونات مع بعضها بحيث تكون كلا متكاملا .

٢ - إنتاج اتصالات أو ارتباطات .

٣ - وضع خطة أو مقترحات .

٤ – استنتاج - استنباط علاقات مجردة .

و – التقييم :

١ - التقييم بناء على شواهد داخلية .

٢ - التقييم بناء على شواهد أو معايير خارجية .

وهذا التعميم سهل إلا إنه ليس مستوفيا لكل جوانب التعليم .

نموذج بلوم :

أولا : المستويات فى المجال الانفعالى :

١ - **التلقى** : **Receiving**

أ - الإدراك الواعى : وهو الوعى أو الإدراك للشئ ككل دون تحديد لمواصفات الشئ بدقة . مثال ذلك إدراك جمال فستان أو قطعة أثاث.

ب - الرغبة فى التلقى: ويقصد بها الرغبة فى تحمل مثير ما دون محاولة تجنبه - وفى هذه الحالة يكون المتعلم لديه الرغبه فى أن يلاحظ الظاهرة ويعيرها انتباهه. مثال ذلك أن ينتبه الإنسان عندما يتكلم الآخرون إليه فى حديث أو فى التليفون أو وسط جمهور من الناس، ومثال آخر على ذلك الرغبة فى تحمل الاختلافات فى الثقافات الأخرى والديانات الأخرى والسياسات المختلفة ... الخ.

جـ - الانتباه المنضبط أو المختار: ويعنى به الانتباه إلى مثير ما، وتقسيمه إلى شكل وخلفية. والانتباه أو الإحساس هنا مازال عاما دون تقييم. ومثال ذلك الاستماع للموسيقى مع التفرقة أو التعرف على حالتها (المزاجية) ومعناها مع التعرف على الإضافات التى تضيفها على آلة للقطعة ككل.

٢ - الاستجابة :

أ - الإذعان فى الاستجابة :

ويمكن أيضا أن نقول الطاعة فى الاستجابة ، أو المطاوعة ، أو المسايرة . ومثال ذلك : الرغبة فى مسايرة التعليمات الطبية ، أو طاعة قوانين لعبة ما .

ب - الرغبة فى الاستجابة : (وهى حب الشئ والحرص عليه) :

وهنا تجدر الإشارة إلى أن رغبة الطالب فى الاستجابة يجب أن تكون طوعا واختيارية . مثال ذلك رغبة الشخص فى التعرف طواعية على الموضوعات السياسية العالمية أو الموضوعات أو الأوضاع الاقتصادية ،فيقرأ عن طواعية وعن اختيار ، أو أن يتطوع الشخص لحماية الآخرين أو أن يأخذ على عاتقه مسئولية حماية صحته.

جـ - الإحساس بالرضا عن الاستجابة :

وهنا تكون الاستجابة مصحوبة بإحساس من الرضا والمتعة . مثال ذلك الإحساس بالمتعة فى وضع قطعة موسيقية يعبر بها عن نفسه أو عن صورة رسمها ، أو الإحساس بالمتعة من قراءة حرة ، أو الإحساس بالمتعة فى التحدث مع أجناس مختلفة ، أو أنواع مختلفة من الناس.

٣ - التقييم :

أ - التقبل : Valuing

ويقصد به الاستعداد لإعادة تقييم الإنسان لموقفه . ومن مثال ذلك الرغبة المستمرة

فى تطوير القدرة على الكلام والكتابة بطلاقة ، والنمو فى الإحساس بأن كل الناس أقارب.

ب - تفضيل القيمة :

ولا يتوقف هذا المستوى على تقبل القيمة ولكن يسعى الفرد لكى يتوحد فيها - يبحث عنها ويجرى وراءها . ومثال ذلك أن يأخذ على عاتقه مسئولية جذب مجموعة من الأفراد للتحدث فى القيمة . يتحدث عمدا عن مختلف وجهات النظر المتعارضة مع قيمه وذلك ليكون رأيا فيها . ومثال ذلك أيضا الاشتراك فى التنظيم من أجل إبراز الجهود الفنية المعاصرة.

جـ - التعهد - الارتباط :

والاعتقاد فى القيمة هنا يبلغ درجة اليقين - وهنا يظهر الولاء لموقف ما ، أو لمجموعة ما ، أو لقضية ما . ومثال ذلك التكريس لأفكار ومبادئ الديمقراطية ، أو اليقين والإيمان بقوة العقل وكذلك فى طريق الاختبار والمناقشة.

٤ - التنظيم :

كلما تقبل الإنسان القيم يصبح لديه قيم كثيرة ، ويصبح من الضرورى تنظيمها فى نطاق متسق.

أ - مفهمة القيم : Conceptualization

تكون فكرة عامة عن القيم ، وهنا يظهر مستوى جديد يسمح للفرد برؤية كيف ترتبط قيمه ما بما قبلها وهنا يأتى دور التحديد والرموز.

ومثال ذلك محاولة التعرف على خواص شئ فنى يعجب به الشخص . تكوين حكم عن مسئولية المجتمع للحفاظ على المصادر الإنسانية والبشرية.

ب - تنظيم مجموعة القيم :

ومن مجموعة القيم التى استقاها الفرد يمكنه أن يخرج بفلسفة عن الحياة . وفى حالات كثيرة فإن تنظيم القيم قد يؤدى استيعابها إلى تكوين نظام قيمى جديد معقد.

مثال ذلك الشخص الذى يزن السياسات الاجتماعية الأخرى بمقياس الرفاهية للشعب كله بدلا من وزنها بميزان فائدتها لمجموعة محددة أو وضع خطة لكى تزن راحته (وقت الراحة) مع متطلبات باقى الأنشطة التى يقوم بها.

٥ – مجموعة عامة : Generalized Set

أ - وهذه تغطى الاستعداد لإعادة تقييم وتغيير السلوك فى ضوء الشواهد ، أو الحكم على المشاكل والأمور من خلال المواقف والأهداف ،وفى ضوء النتائج أكثر من الحكم عليها فى ضوء أفكار ثابتة أو أفكار عاطفية.

ب - وصف الخصائص : وهنا يخضع الفرد اتجاهاته وسلوكه وعقائده وأفكاره للثبات الداخلى . مثال ذلك أن ينمى فلسفة ثابتة فى الحياة ، أو تنمية سلوك مبنى على أسس أخلاقية تتسق مع مثل الديمقراطية.

ثانيا : المجال المعرفى :

١ - المعرفة المحددة :

أ - معرفة المصطلحات : ويمكن أن تكون معرفة لفظية أو غير لفظية . ومثال ذلك تعريف المصطلحات الفنية بإعطاء وصفها أو خواصها أو صلاتها . ومثال آخر أن يؤلف أو يعرف مجموعة كبيرة من الكلمات ومعناها العام.

ب - معرفة حقائق معينة : وهى معرفة التواريخ والأماكن والأشخاص . مثال ذلك أن يتذكر الحقائق المهمة عن ثقافات معينة، أو أن يكون لديه معلومات هشة عن الأجسام العضوية التى يدرسها فى المعمل. ومعرفة الطرق والوسائل للتعامل مع الأشياء المحدودة . مثال ذلك معرفة طرق التنظيم و الاستذكار والحكم والنقد على شئ ما.

جـ - معرفة التقاليد أو الأعراف : مثال ذلك معرفة الأعمال العظيمة التقليدية من الشعر والروايات . أن يكون الطالب على دراية بأشكال الكتابة والكلام والاستخدام الصحيح لهما. معرفة الاتجاهات وسياقها : مثال ذلك فهم تطور واستمرارية الثقافة الأمريكية وانطباعاتها فى الحياة الأمريكية .

هـ - معرفة التصنيفات : معرفة التصنيفات والتقسيمات التى تعد أساسية بالنسبة لعلم ما مثال ذلك ، معرفة منطقة معينة ، ومختلف مشاكلها ، أو معرفة سلسلة معينة من الأدب.

و - معرفة المعايير التى على ضوئها يمكن قياس معرفة المعايير ، والحقائق ، والمبادئ والأفكار التى تحكم الأشياء . مثال ذلك معرفة المعايير التى على أساسها يمكن الحكم على عمل أدبى بأنه جيد ، أو معرفة معايير تقييم الأنشطة الترويحية.

ز - معرفة الطريقة : معرفة طرق البحث ، وتقنياته ، وإجراءاته فى علم من العلوم . مثال ذلك معرفة الطرق العلمية لتقييم المفاهيم الصحية.

ح - معرفة العموميات والمجردات فى حقل من حقول العلم.

ط - معرفة المبادئ والعموميات : مثال ذلك معرفة المبادئ المهمة التى يمكن بها أن نربط خبرتنا بالظواهر البيولوجية.

ى - معرفة النظريات والتراكيب : مثال ذلك تذكر النظريات الأساسية عن ثقافة معينة أو معرفة شبه تامة بنظريات التطور.

ثالثا : القدرات والمهارات العقلية :

١ - الفهم :

(أ) الترجمة . (ب) التفسير - التأويل .

٢ - الاستنتاج أو الاستقراء .

٣ - التطبيق .

٤ - التحليل :

(أ) تحليل العناصر . (ب) تحليل الارتباطات .

(جـ) تحليل الأسس التنظيمية .

٥ — التركيب :

(أ) إنتاج اتصالات فريدة.

(ب) إنتاج خطة أو عمليات ، مثال ذلك القدرة على عرض طرق لاختيار فرض ما.

(جـ) اشتقاق علاقات مجردة.

٦ - التقويم :

أ - الحكم على أساس شواهد داخلية.

ب - الحكم على أساس شواهد خارجية.

ويلاحظ على نموذج بلوم كثرة التعريفات ، وعدم تحديد الفواصل بين تقسيماته الأمر الذى يحدث خلطا لدى المتعلم ، بل ويوقعه فى حيرة.

ثالثا : الخلفية التاريخية وراء بعض هذه النماذج :

إذا استعرضنا تاريخ التعليم عند الأمريكيين نجد أن الأهداف - إذا صيغت - كانت

تصاغ فقط من مفهوم السيطرة على مادة ما SubjectMastery وقد أدى النمو فى البراجماسية وعلم التربية Education إلى الإحساس بعدم الرضا عن النموذج الأكاديمى البحت فى التعليم وكانت النتيجة مجموعة من المجهودات لصياغة أهداف التعليم من وجهة نظر احتياجات المجتمع . ومن أمثلة ذلك " المبادئ الأساسية للتعليم الثانوى فى أمريكا " ومن نتائجه أنه قيل : " إن التعليم فى ظل الديمقراطية سواء داخل المدرسة أو خارجها يجب أن ينمى عند كل فرد المعرفة ، والاهتمامات ، والمبادئ ، والعادات ، والقوى التى يمكن أن تأخذ مكانه وأن تستخدم هذا المكان ليشكل نفسه والمجتمع وفق أهداف نبيلة . وفى ظل هذه الأهداف وضعت اللجنة المكلفة سبعة مبادئ أساسية اعتبرتها الأهداف الرئيسية للمدرسة الثانوية هى :

١ - الصحة . Health
٢ - السيطرة Command على العمليات الأساسية ، أو معرفتها.
٣ - المكانة المنزلية المحترمة Worthy home membership - العلاقات المنزلية الجيدة.
٤ - المهنة . Vocation
٥ - المواطنة . Citzenship
٦ - الاستخدام الجيد لوقت الفراغ.
٧ - الشخصية الأخلاقية.

وكما هو واضح فإن هذه الأنشطة والأهداف لم تصف أو تهتم بالسلوك الذى ينبغى أن يحدث لبلوغ هذه الأهداف.

ولقد قدمت هذه النواحى المختلفة فى شكل مواد دراسية — وقدمت مواد مثل الصحة ووقت الفراغ ، والحياة الرسمية ، والمنزل ، والأسرة ، وأصبحت هذه هى مصادر اشتقاق الأهداف فيما بعد.

وفى مجال أهداف التعليم الديمقراطى فى أمريكا فقد وضعت الأهداف تحت أربعة تصنيفات هى :

١ — هدف تحقيق الذات . ٢ — هدف العلاقات الإنسانية .
٣ — الكفاءة الاقتصادية . ٤ — المسئولية المدنية .

وقسم كل هدف من هذه الأهداف إلى أهداف فرعية مثال ذلك " العقل المستفسر أو المتسائل (وهو مظهر من مظاهر تحقيق الذات) واحترام الإنسانية (وهو مظهر من

مظاهر العلاقات الإنسانية) وهكذا . وطورت هذه الأهداف بعد ذلك فى محاولة لصياغتها إجرائيا مثال ذلك :

١ — كل الشباب يحتاج لمهارات التسويق (البيع) والاتجاهات والفهم التى تجعل كلا منهم شخصا منتجا ذكيا فى الحياة الاقتصادية.

٢ — كل الشباب يحتاج إلى تنمية الاحترام له وللآخرين فى جو من المحبة والقيم والمثل الأخلاقية ، وحتى يستطيع العيش والعمل مع الآخرين فى جو من التعاون.

٣ — كل الشباب يحتاج إلى أن ينمى قدرته على التفكير المنطقى وأن يعبر عن أفكاره بوضوح ، وأن يقرأ بفهم (كان ذلك سنة ١٩٥٢).

ثم جاءت بعدها محاولة صياغة الأهداف سلوكيا ووضعها فى مجموعات طبقا للعمليات التعليمية المطلوبة Learning Processes Required وكان المفهوم أنه مادام التعليم يهدف إلى تغير السلوك فيجب على الأهداف أن تحدد التغيير المطلوب ، وفى النهاية استقر الرأى على التصنيف الآتى :

١ - تنمية طرق فعالة للتفكير.

٢ - اكتساب المعلومات العامة المهمة للأفكار والمبادئ.

٣ - تنمية العادات والمهارات الفعالة للعمل.

٤ - تنمية الإحساس المتزايد بالمشكلات الاجتماعية وكذلك الخبرات الجمالية.

٥ - غرس الاتجاهات الاجتماعية بدلا من الاتجاهات الأنانية.

٦ - تنمية تقدير الأدب والفن والموسيقى.

٧ - تنمية مجموعة كبيرة من الاهتمامات الناضجة والجيدة.

٨ - زيادة التوافق الاجتماعى.

٩ - تحسين الصحة العامة.

١٠ - تكوين وإيضاح فلسفة للحياة.

رابعا - النموذج المقترح :

ليست التربية ترفا عقليا تتيح للمشتغلين بها أن يفكروا فيما يشاءون ، أو يعملوا عقولهم فيما لا يعود عليهم ، وعلى مجتمعهم بالفائدة ، وليست واجهة اجتماعية تضفى

على من يعمل بها تميزا طبقيا، أو استعلاء على من حوله، وليست صفقة تجارية تمكن صاحبها من استغلال الوسائل التى تعطيه فرصة الإثراء، والنفوذ بغض النظر عن القيم الإنسانية، وليست مدخلا لتنمية جانب فى النفس البشرية، وإهمال آخر، وليست معالجة محضة لما يجرى فى عالم المثل، بحيث لا تعرف للواقع سبيلا، وإنما هى عملية إنسانية يتعلم فيها الفرد، وتنمو شخصيته نموا متكاملا : جسميا وعقليا، وانفعاليا، واجتماعيا.

والتربية الإسلامية لها تميز خاص، من حيث كونها تتضمن معايير خلقية، وقيما سلوكية يمارسها الفرد فى حياته اليومية، يطبقها على نفسه قبل أن يطبقها على غيره، وعلى مجتمعه لأن مسئولية الفرد تجاه نفسه وتجاه الآخرين؛ إنما هى من قبيل التربية الإنسانية والمسئولية الاجتماعية. ولعل الغاية من هذه التربية هى القدرة على فهم العالم المحيط بالمتعلم، والقوى المؤثرة فيه، وليست تزويد عقله بالمعلومات فقط. وليس من قبيل الصدفة أن ينزل القرآن الكريم على قلب الرسول الخاتم محمد (ﷺ)، وقد ركز على جانب التفرد فى الإنسان وهو جانب الإيمان باعتبار أنه المنطلق الأساسى لكل عمل، والباعث القوى لإنجاز أى مهمة، بل إن كل دولة من دول العالم تعزز هذا الجانب - مهما كان مستواه من الصحة والخطأ - وتغرسه فى نفوس النشء، يقينا بجودة المنتج منه، والمكسب الكبير من العائد المتوقع منه.

وغرس الإيمان لدى الفرد عملية طويلة المدى، وليس وليد موقف واحد، كما أنه ليس مسئولية الأسرة فقط، أو المدرسة فقط، أو المسجد، أو الكنيسة فقط، أو جماعة الرفاق فقط أو غير ذلك، ومع أنه مسئولية كل طرف فى المجتمع، إلا أن مسئولية المدرسة إزاءه أكبر، لأنه - أى غرس الإيمان - يتكون من المفاهيم الأولية التى تقدمها المدرسة، باعتبار أنها المؤسسة التربوية الأولى المقصودة.

ومن منطلق دور المدرسة فى تنمية المواطن، فإن المنهج المدرسى بها يمكن أن يلجأ إلى نموذج أو أكثر، قريب أو بعيد، فى بناء الشخصية الوطنية.

وقبل عرض النموذج المقترح تجدر الإشارة إلى الاعتبارات الآتية :

١ - أن الحرص على العلم والتشديد على طلبه مبدأ تقرر فى الشريعة الإسلامية، قال (ﷺ) " من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة ".

٢ - أن الهدف من العلم فى الإسلام هو العمل به ، وليس التشدق بإنجازاته ، قال (ﷺ) " تعلموا من العلم ما شئتم فوالله لا تؤجرون بجمع المال حتى تعملوا ".

٣ - أن الهدف من العمل ليس الحد الأدنى منه ، وإنما العمل الذى يبلغ درجة الإتقان" إن الله يحب أحدكم إذا عمل عملا أن يتقنه".

٤ - أن الإفادة من أى خبرة مريبة - مهما كان مصدرها - أمر مقرر فى وجدان المسلم فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها .

٥ - أن وحدة الفرد الإنسانى أمر ثابت ، وليس كيانا مفككا ، يتعامل مع جزء منه دون الآخر.

٦ - أن البشر غالبا ما يحكمهم تاريخهم ، ولا أدل على ذلك أن تاريخ كل شعب أمر مقرر فى نظامه التعليمى . ومن لا تاريخ له يدرس تاريخ بعض الشعوب الأخرى . والعقيدة جزء من هذا التاريخ ، تتراءى للفرد من خلال كلمة ، أو إشارة ، أو موقف . تذكره تحميه وتدفعه إلى مزيد من الإيمان والعمل ، ولو لم يكن ذلك من كل الأفراد فعلى الأقل من عينة منهم . ولعل " خيبر " وهى رمز للعملية العسكرية الإسرائيلية فى حرب ١٩٦٧م الشهيرة ليست من فراغ ؛ وإنما إشارة إلى طرد اليهود من الجزيرة العربية . وبالمثل فإن " بدر " وهى رمز للعملية العسكرية المصرية فى حرب ١٩٧٣م ليست من فراغ ؛ وإنما إشارة إلى بشارة النصر. كما حدث فى غزوة بدر الكبرى . والكلمات الموحية أو الإشارات الموحية - وما أكثرها - نحن المسلمين فى حاجة إليها اليوم لتنشيط العقل العربى والإسلامى. والقوة الغاشمة لأمريكا التى لا يحكمها قانون القيم ، ولا مبادئ العدل الدولى ولا تستند إلى خلفية تاريخية حضارية - هى التى أطلقت شعار " العدالة المطلقة " فى حربها للإرهاب رغم ما تراجعت عنه بعد ذلك.

ويبدو شكل النموذج المقترح فى المستويات التالية :

يحفظ

يتذكر

يفهم

يعقل

يفعل

يتقن

يحسن

ويمكن عرض هذه المستويات بالتفصيل فيما يلى :

١ – يحفظ :

جاء فى المعجم الوسيط حفظ الشئ حفظا صانه وحرسه، ويقال: حفظ العلم والكلام ضبطه ووعاه ... واحتفظ بالكتاب ، بذل جهدا فى حفظه جزءا بعد جزء واحتفظ على الكتاب صانه ، واحتفظ فى قوله ورأيه قيده ولم يطلقه . وجاء فى القاموس المحيط حفظه: علمه أى حرسهؤء... والمحافظة المواظبة والحفظ قلة الفعلة . والحفظ عند علماء النفس: وظيفة من وظائف الذاكرة ، وهو ضبط الصور المدركة.

ومعنى هذا أن الفعل يحفظ يحمل الجانبين : العقلى والوجدانى ، وهما ضروريان فى عملية التعليم والتعلم ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ** ﴾ (المعارج : ٣٤) ويروى عن الرسول (ﷺ)أنه قال: قيدوا العلم بالكتابة ، وأجاب (ﷺ) ، لما سأله رجل عما يفعله وهو لا يجيد الحفظ فقال : استعن بيمينك على حفظك (يعنى : الكتب والكتابة).

وجاء فى الأثر : العلم ما حوته الصدور لا ما احتوته السطور . ومن لم يحفظ النص فهو لص . وحفظ العهد عند الصوفية : هو الوقوف عند ما حده الله تعالى لعباده ، فلا يقف حيث ما أمر ، ولا يوجد حيث ما نهى.

والحفظ له وظيفة تربوية لا غنى فى التعليم ، وهو مظهر من مظاهر العملية التعليمية كالفهم ، والتحليل ، والاستنباط، والاستدلال ، وهذا ما يأخذ به الغربيون وبالذات الفرنسيون ، حيث يلخصون موضوعات الدروس فى أسطر ، يحفظها التلاميذ كما يحفظون منطوق النظرية ، أو جدول الضرب ، وغير ذلك مما يكون صفة معرفية من الأفكار الأساسية أو المفتاحية . ويأخذ الفرنسيون فى هذا المجال بمثل مصرى عامى يقول: **"الزكيبة الفاضية عمرها ما تقف" "أو الجوال الفارغ لا ينهض بنفسه واقفا"** لكن الذى حذر منه علماؤنا المسلمون كما يحذر الغربيون المعاصرون أن يقتصر التعليم على الحفظ الآلى وتنمية الذاكرة الآلية.

٢ – يتذكر :

الذكر للشئ حفظه وتذكره ، والذكر أيضا : الشئ يجرى على لسانه ... وتكون بمعنى التذكر كما فى قوله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الذاريات : ٥٥). والذكر والذكرى نقيضها النسيان . قال الفراء : الذكر ما ذكرته بلسانك وأظهرته ، وفى المعجم الوسيط ذكر الشئ ذكرا ، حفظه واستحضره ، وجرى على لسانه بعد نسيانه.

وبناء على المعنى المعجمى للتذكر ، فإنه يحقق شرطا من شروط التعليم المعرفى وفيه يحتفظ المتعلم بالمعلومات التى يستخدمها فى الذاكرة ثم يقوم بربط هذه المعلومات التى يصل إليها بشكل مستقل ، بما لديه من معلومات ، وما تم اكتسابها قبل ذلك . ويقصد بالتذكر استحضار المتعلم لشئ ما ، وجريانه على لسانه ، واستخدام ما يستحضره فى حل ما يواجهه من مواقف .. ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (ص : ٢٩).

٣ – يفهم :

جاء فى المعجم الوسيط : فهمه فهما : أحسن تصوره ، وجاء استعداده للاستنباط والفهم : حسن تصور المعنى ، وجودة استعداد الذهن للاستنباط ويقال: فهمت الشئ عقلته ، وعرفته.

ويقصد بالفهم حسن تصور المعنى ، وإضفاء شئ من خبرة المتعلم السابقة على ما فهمه. وأعلى درجات الفهم أن تعلم أن ما تصرح بفهمه ، لا يمكن أن يكون إلا كما فهمته ، وهو بهذا المعنى مرادف للعلم اليقينى . والفهم هو البداية الحقيقية لأى عملية تعلم ، ولأى مستوى من المستويات العقلية العليا : كالتحليل والتركيب ، والتذوق ، والاستنتاج ، والتقويم . وبدونه يجمد العقل ، وتتوقف عمليات الإبداع.

٤ – يعقل :

يقال: رجل عاقل أى الجامع لأمره ورأيه ، مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه. وقيل العاقل : الذى يحبس نفسه ، ويردها عن هواها ، أخذا من قولهم اعتقل لسانه إذا حبس عن الكلام . وجاء فى المعجم الوسيط العقل ما يكون به التفكير والاستدلال ، وتركيب التصورات والاستدلالات والتصديقات ، والعقل ما يتميز به الحسن من القبح ، والخير من الشر ، والحق من الباطل.

وجاء فى القاموس المحيط: العقل هو العلم بصفات الأشياء من حسنها وقبحها وكمالها أو العلم بخير الخيرين، وشر الشرين.

ويقصد بلفظ العقل : توجيه المتعلم ما فهم ، وما خبر لصالح قيمه ومعتقداته ويتضمن هذا الفعل موازنة الشئ قبل الإقدام عليه ، وتحكيم القيم والمعايير قبل الأخذ به ، مما يعنى تقويمه، وإصدار الحكم عليه . ومن سيطرة شاملة للعقل والانفعال والهوى ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة : ٢٤٢).

٥ – يفعل :

جاء فى لسان العرب ، الفعال : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه .. وهو يكون فى المدح والذم . وفى كلا الأمرين موقف للتعلم ، وخبره لمن وعى وعقل . وقصد باللفظ يفعل تحويل المتعلم ما عقله إلى واقع ملموس يفيد منه الفرد والجماعة ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (النحل : ٥٠) ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ﴾ (النساء : ٣٠).

والفعل بالمعنى العام يطلق على كون الشئ مؤثرا فى غيره . ومنه تأثير الخطيب فى الجمهور، وتأثير الطبيب فى المرضى كما يطلق الفعل أيضا على كل ما يقوم به الإنسان من أفعال إدارية ، أو غير إدارية.

٦ – يتقن :

الإتقان: الإحكام للأشياء، وفى التنزيل ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ (النمل: ٨٨) ورجل تقن وتقين متقن للأشياء حاذق ، ورجل تقن : حاضر المنطق والجواب . والإتقان هنا يعنى المهارية بشقيها : المهارة الحركية ، والمهارة العقلية.

ويقصد بلفظ يتقن : قيام المتعلم بأداء ما يسند إليه فى سرعة ودقة ، وله نسبة معينة تختلف باختلاف المواد الدراسية ، وباختلاف المتعلم ، كما هو وارد فى الخطاب التربوي.

٧ – يحسن :

الحسن ضد القبح ونقيضه ... وحسنت الشئ تحسينا أى زينته . وفى القاموس المحيط الحسن بالضم الجمال . وفى المعجم الوسيط أحسن الشئ ، أجاد صنعه ، وفى القرآن الكريم : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (التين : ٤) .. وحسن الشئ جعله حسنا ، زينه ورقاه وأحسن حالته.

ويقصد بلفظ يحسن : أن يخلع المتعلم على ما يقوم به : جودة وإتقانا ولمسات من الحسن والجمال . وهذا المستوى من الفعل يتطلب من الدارس - أيا كان - أن يكون متميزا فى حسنه، كما هو متميز فى خلقه.

وفى ضوء ما سبق يمكن الخروج بما يلى :

١ - أن هذا النموذج اشتق من أفعال وردت فى القرآن الكريم ، ومعروف أن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد . وهذه الأفعال تمثل إشارات ثقافية ، ورابطة قوية لقيم المجتمع تكتسب مع الأيام عمقا ورسوخا فى عقل المتعلم.

٢ - أن هذا النموذج يمثل - ضمن ما يمثل آدابا إسلامية تمثل حضارة هذا المجتمع.

٣ - أن هذا النموذج يستوعب القدرات العقلية والمظاهر الانفعالية والمهارية، لأن الأفعال يحفظ - يتذكر - يفهم - يعقل - يتقن - يحسن - تحمل مضامين عقلية وانفعالية ومهارية فى آن واحد.

٤ - أن هذا النموذج يجنب العملية التعليمية الشكل الآلى لصياغة الأهداف بوضعها الحالى والتى تسبب حيرة للمعلم من جهة تداخلها ، وعدم وضوحها.

٥ - أن هذا النموذج يتعامل مع المتعلم كوحدة واحدة ، من حيث إن لها ردود أفعال واحدة.

٦ - أن حدود الأفعال المقدمة ليست حاسمة . فمثلا قد يقف حفظ نص ما فى وقت ما عند حد معين ، لكنه قد ينطلق بعد حين استجابة لموقف جديد ، فليست هناك فكرة جديدة كل الجدة ، وإنما كوامن شئ محفوظ فى الصدر قد يلوح بفكرة لها وزنها .

٧ - أن معانى هذه الأفعال معان متنامية . فكل فعل ينتهى معناه يبدأ الآخر ، وعدم الحسم فى البداية والنهاية فى هذه الأفعال يتفق مع العملية التعليمية ، فليست هناك فواصل قاطعة بين صف وآخر أو بين مرحلة وأخرى.

٨ - أن هذا النموذج ليس نهائيا ، وإنما قابل للتغيير والتبديل ، إذا كان هناك ما يقتضى ذلك.

٩ - أن هذا النموذج يبعدنا عن التبعية لنماذج الآخرين الذين يختلفون عنا فى التاريخ والثقافة والحضارة ، كما يعد بداية الاستقلال والتميز . خاصة وأننا نعانى من التبعية التعليمية ويعيب علينا الكثيرون فى ذلك.

١٠ - أن هذا النموذج يتخطى حد التقويم الذى وقف عنده بلوم ، ويصل ، إلى حد التحسين . ومعروف أن التحسين يتطلب سمة من الجمال ، وجانبا من التزيين وهو عمل لا يتم إلا بعد توافر الإتقان ، وحب تجميل ما يقوم به الفرد المتعلم.

١١ - أن ممارسة هذا النموذج المقترح فى العملية التعليمية : يمكن أن يكون صمام أمان للفرد من المواد الإعلامية الأجنبية التى تلقى عليه ، وليست مناسبة له ، ويبعد مشاعر العجز عن المتعلم.

١٢ - أن هذا البديل يتعامل مع طالب كلية التربية ، وهو المعلم فيما بعد - وهو الذى يتولى زمام القيادة والتوجيه لطلابه . وحين تصبح هذه الأفعال أمام عينة دراسة وتدريسا تكون الفائدة أكثر لهؤلاء الطلاب.

١٣ - أن هذا البديل يعرض أمام تقسيم بلوم ، وهو تقسيم ممارس فى تعليمنا منذ خمسينيات القرن الماضى ، ومعروف سلفا مدى الإعراض الذى يلقاه التقسيم الجديد بل مدى التحدى الذى يواجهه فى إثبات وجوده وممارسته.

١٤ - أن هذا النموذج قد يلفت نظر بعض المدرسين الذين يقفون فى تعاملهم مع القرآن الكريم على الحفظ ، والفهم إلى أن يتعدوا ذلك إلى أن هذا القرآن باعث للفكر وسبب للتأمل فى كل مظاهر الحياة ، ومصدر إمعان للقبول أو الرفض لأى اتجاه مخالف وعامل توازن بين الدنيا والآخرة.

١٥ - أن هذه الأفعال تثير الإيحاء لدى المتلقى . والإيحاء فى اللغة : الإشارة، والكلام الخفى وكل ما ألقيته إلى غيرك . وهو اسم يدل على ما يحدث فى الذهن من فكر، أو تصور بتأثير عامل خارجى . فلا إيحاء إذن إلا إذا أثار شخص ، بكلامه أو فعله فى ذهن شخص آخر ، فكرة تؤثر فى نفسه وتبدل مشاعره وسلوكه . ولولا هذه الفكرة التى جئ بها إليه من خارج لما تبدل مجرى تصوراته ، ولا تغير سياق فعله.

وإذا كان من وظيفة التعليم ترسيخ عقائد الشعوب ، فإن هذه الإشارات التى يستخدمها المعلم أمام التلميذ ، ربما تكون سببا فى ذلك ، على المدى القريب والبعيد وترسيخ عقيدة الإسلام ضرورة قدسية ، ولسنا بدعا فى ذلك بين الشعوب.

الفصل السابع
التدريس والتربية الإسلامية

يتناول هذا الفصل التدريس وطبيعته، وعددا من الأساسيات اللازمة لتدريس التربية الإسلامية لكى يتحقق الهدف منها، وفيما يلى بيان لهذه الأساسيات :

١ – التدريس وما يتوقع منه :

هناك تعريفات متعددة لهذا المفهوم ، منها أنه نشاط يستهدف تحقيق التعليم ، ويمارس بالطريقة التى فيها احترام النمو العقلى للطالب ، وقدرته على الحكم المستقل ، أو هو نظام من الأعمال يقصد به تمكين الطالب من التعليم، أو هو ما يحدث عندما ينجح المدرسون - بحكم أنشطتهم التعليمية - نجاحا كليا ، أو جزئيا فى إقدار طلابهم على أن يتعلموا . ويقصد به هنا كافة الظروف والإمكانات التى يوفرها المعلم فى موقف تدريسى معين ، والإجراءات التى يتخذها فى سبيل مساعدة تلاميذه على تحقيق الأهداف المحددة لذلك الموقف ... وهذه الظروف والإمكانات تتمثل فى مكان الدراسة ، ودرجة الإضاءة ، والتهوية ، ومستوى الاهتمام الذى يصل إليه التلاميذ والكتاب المدرسى ، والسبورة والمعمل والمكتبة ، وأى أجهزة تتوافر داخل الفصل ، أو أى وسيلة تعليمية أخرى يستخدمها المعلم فى هذا الإطار.

وليس التدريس بالمدرسة مقصور على نقل المادة العلمية من المدرس إلى التلميذ ، كما أنه ليس مقصورا على إنهاء المنهج المدرسى فقط أو على إفهام الطالب ذلك، وتمكينه من اجتياز الامتحان ، والانتقال به من صف إلى آخر ، ولكن التدريس الحقيقى هو الذى يتجاوز مرحلة الإفهام ، واجتياز الامتحان إلى درجة أعلى تصل إلى مرحلة استيعاب المادة العلمية ، وتمثلها والتعايش معها بل وحبها ، بحيث تصبح فكر الطالب المتميز، وبؤرة اهتمامه ، إلى جانب سبر أغوار الطالب من كل النواحى : عقليا و نفسيا واجتماعيا.

وإذا كانت العملية التعليمية تقوم على الأبعاد الثلاثة ، وهى : المعلم ، والمتعلم ، والمادة التعليمية فإن المتعلم هو المستهدف من هذه الأبعاد ، وعليه يتوقف الحكم على فائدة العملية التعليمية ، وجدوى التدريس فيها ، ومقدار الجهد المبذول فيها من المعلم ، وجودة المنهج المقدم.

إن كفاءة مخرجات العملية التعليمية هى الضمان الأكيد لسلامة الشعوب وقوتها ، بل هى المنطلق الوحيد لعملية التنمية فى شتى صورها : السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية إن المدرسة بكل صورها وألوانها ، والتعليم الذى تقدمه هى البداية الحقيقية لكل تقدم ، ذلك أنها تقوم بغرس البدايات الحقيقية لكل إبداع وابتكار . وبدون إبداع من تلاميذها ،فإن المدرسة تكون بذلك قد وقفت عند الحد الأدنى من التعليم ، وليس هذا مطلوبا فى مواطن اليوم ، إذ أن هذا المواطن يواجه بمجموعة من التحديات من أهمها مايلى :

- تحد تعليمى حيث يعيش الطالب ثقافة مجتمعه ، وتحيط به وسائل الإعلام المختلفة ويخضع لما يسمى بالمنهج الخفى ، الأمر الذى لم تعد المدرسة هى المصدر الوحيد للمعرفة بالنسبة للطالب وبالتالى فإن ما كان مثيرا لهذا الطالب ، وشاغلا لفكره وجديدا عليه من جهة المنهج المدرسى ، ربما يبدو الآن أمرا عاديا لا يتسم بالطرافة والجدة ، كما لم يعد المدرس الناقل للمعرفة هو المصدر الوحيد لكل ألوانها، وخاصة بعد أن حصر نفسه فى دائرة المنهج المدرسى، وتوخى عدم الخروج عنه؛ لكى يحقق لنفسه نجاحات أكثر لشريحة أكبر من الطلاب الذين يحلمون بتحقيق مجموع عال ، أو تقدير متميز ، أو إشباع نفسى يزيده ثقة وفخرا.
- تحد اجتماعى يتمثل فى أن هناك مواد إعلامية ، تستهدف تغيير بعض الأنماط أو العادات الاجتماعية التى استقرت فى وجدان الشعوب وأصبحت علامة مميزة لها ، ومهمة التدريس فى المدرسة أن تجعل من إبداعات تلاميذها فى الجانب الاجتماعى ، امتداد لقيم المجتمع وآدابه وعامل تطويع للثقافات الوافدة ، التى يتعذر على النشء تجنبها، أو إهمالها.
- تحد علمى يتمثل فى الإنجازات التكنولوجية التى تفاجأ بها الشعوب النامية ، سواء فيما يتصل بالمأكل ، أو المشرب ، أو الملبس أو الخدمات الحضارية ، أو العلوم المستحدثة التى تدخل فى مستلزمات الحياة العصرية ، وتحدث نوعا من الإنجاز الحضارى ، بحيث لا يمكن للمواطن العادى إغفالها ، بسبب ما توافر فيها من إبهار يضعف الإنسان العادى أمامه.
- تحد عسكرى يتمثل فى الجديد من العلوم العسكرية التى تتصل بالتخطيط ، والتدريب وكذا ما تنتجه المصانع الحربية من أسلحة ومعدات ، تتطلب إعمالا للعقل وتجاوبا معها استخداما ، وأداء وتطويرا.

- تحد إعلامى يتمثل فى التقنيات الإعلامية الحديثة التى تشد القارئ والسامع والمشاهد وتجعل بعض الشرائح تشعر بالدونية إزاء هذا الجديد . ناهيك عن الفضائيات المتعددة التى تبث طموحاتها الإعلامية إلى المشاهد أينما كان.

كل هذه التحديات وغيرها تلقى على التدريس بالمدرسة مسئولية إعداد الطلاب ، حيث لم يزل التعليم يعانى من غلبة الكم على الكيف ، ومن عجز فادح عن مواجهة متطلبات عصر جديد ، أخص خصائصه ثورة المعلومات التى غيرت أساليب الإنتاج وأنماطه ، فضلا عن قصور فى إعداد أجيال جديدة أكثر قدرة على مواجهة تحديات الحياة العملية ، تحسن استيعاب علوم المستقبل ، وتعرف كيف تفرق – باستخدام العقل البشرى – بين دعاوى الزيف والحقيقة.

إن المبدعين فى مجالات الحياة المختلفة هم خط الدفاع الأول عن بلدهم ، داخليا وخارجيا وذلك لأن المشكلات المعاصرة تتطلب حلولا مبتكرة ، وإبداعات سريعة ، قائمة على العلم فى إطار أسلوب حل المشكلات ، انطلاقا من واقعها المعاش ، ولا أدل على ذلك من إبداع سلاح المهندسين فى حرب رمضان / أكتوبر ١٩٧٣م بنسف المانع الترابى الذى أقامه الإسرائيليون بطلمبات المياه ، وهو حل قد يبدو بدائيا لكنه تقنية مناسبة لحل المشكلة ؛ إذ العبرة بحل المشكلة ، وليس باستخدام التقنية العالية.

ويحظى الإبداع والمبدعون باهتمام كبير على المستوى المحلى والمستوى العالمى . فعلى المستوى المحلى هناك أكاديمية البحث العلمى ومراكز البحوث المختلفة ، والجامعات الحكومية والخاصة . وقد جاء فى توصيات الاعتراف بالإبداع ما يلى :

١ - ينبغى للدول الأعضاء أن تضمن حصول الباحث العلمى على قدر مناسب من التأييد المعنوى والمكافأة المادية.

٢ - أن تراعى حصول المشتغلين بالبحث العلمى على مستوى الإشباع المهنى ورضاهم الوظيفى - الأمر الحاسم بالنسبة للإبداع.

٣ - أن تسعى لضمان إدراج نصوص مكتوبة تبين - بوضوح - حقوق الباحثين العلميين بالنسبة لأى اكتشافات أو اختراعات تخصهم.

متطلبات الإبداع :

لا يأتى الإبداع من فراغ ، ولا يمكن أن يتم فجأة ، وكأنه أمر عارض يظهر ثم يختفى وإنما له علامات أساسية ، ومنطلقات تبشر به . وأهم هذه المنطلقات ما يلى :

أ - **الخيال:** فكل اكتشاف، وكل توسع فى الفهم، يبدأ كتصور خيالى قبلى لما قد تكون عليه الحقيقة. وينشأ هذا الخيال نتيجة لعملية يسهل فهمها، أو يصعب استيعابها ، كأى عمل خلاق من أعمال العقل . فهو موجة عقلية ، أو تخمين ملهم، أو نتيجة للمحة نافذة متوهجة من لمحات البصيرة ، وهو يصدر -على أى حال - من داخل النفس ولا يمكن للوصول إليه عن طريق تطبيق أى حساب لعملية الاكتشاف.

ب - **الأصالة:** وهى تحرر من أنماط التفكير الجامدة المألوفة . والذى ينظر إلى الموقف نظرة جديدة ، ويؤلف عناصره فى نظام جديد يؤدى إلى اكتشاف علاقات جديدة أو الوصول إلى نتائج فريدة وجديدة . فاكتشاف المبادئ والقوانين الجديدة فى العلوم ، أو التنظيم الفريد والجديد للألوان والخطوط فى الرسم ، أو للمفاهيم والمعانى فى الأدب ، أو للألحان فى الموسيقى - هى أمثلة من التفكير المبدع.

جـ - **الإنجاز :** ويعنى ذلك أن يتحول الخيال ، والقدرة على إبداع الجديد إلى واقع مشهود بحيث لا يظل حبيس الذهن . وهذا الإنجاز المشهود ليس إنجازا عاديا ، وإنما هو تقديم وإنجاز الأشياء العظيمة ، دون الوسائل المتعارف عليها على أنها ضرورية لإنجاز هذه الأمور مما يمكن القول معها : إن الإبداع وصل إلى مرحلة العبقرية . والعبقرية تختلف عن الفطنة اختلاف الساحر عن المهندس المعمارى ، ذلك يرفع بناءه بوسائل خفية ، وهذا يرفعه بالاستخدام الماهر للأدوات العامة ، ومن ثم نفترض فى العبقرية أن بها عنصرا مقدسا ، وترى هنا قوة الإبداع الخارقة ، التى عزيت فيما مضى إلى إلهام إلهى ، وهى تبعث من عقل العبقرى نفسه.

وهذا الإنجاز لا يصدر إلا من الأفراد الفائقين جدا very superior فى الذكاء ، هى نسبة قليلة جدا ممن يحصلون على نسبة ذكاء أعلى من ١٤٠ . ويسمى هؤلاء الأطفال عادة الأطفال الموهوبين ، لأنهم يتميزون بقدرات غير عادية تظهر عادة فى نضوجهم المبكر ، فهم - مثلا - يتعلمون القراءة والمهارات اللغوية والعددية الصعبة فى سن مبكرة جدا عن غيرهم من الأطفال وبالرغم من التفوق الشديد فى ذكاء هؤلاء الأطفال الموهوبين إلا أن نسبة قليلة منهم يتمكنون من القيام بإنجازات عظيمة فى وقت مبكر من حياتهم ، وهو ما يتميز به الفرد الذى يطلق عليه عادة اسم العبقرى.

أما التفكير الناقد فقد برزت أهميته من خلال الحاجة إلى تفكير أفضل فى ظل التوجه التكنولوجى لعصر المعلومات، وتوصلت لجنة التعليم فى الولايات المتحدة Education

ommission of the states, ١٩٨٢ بعد تحليل لحاجات المجتمع فى عصر المعلومات - إلى تقرير خاص تضمن : مهارات التقويم والتحليل والتفكير الناقد ، وإستراتيجيات حل المشكلات ومهارات التنظيم ، والتأليف ، والتطبيق والإبداع ، واتخاذ القرارات فى حالة نقص المعلومات ومهارات الاتصال.

والتدريس الهادف ينمى التفكير الإبداعى ، كما ينمى التفكير المحدد وهو التفكير الذى يهدف إلى حل معروف لمشكلة معينة ، وينمى - أيضا - التفكير المنتج وهو الذى يتضمن إنتاج أنساق جديدة من الأفكار . وهذه التنمية لا تقتصر على مادة دراسية معينة لأن العملية التعليمية كل متكامل ، وهى تحدث تكاملها داخل النفس الإنسانية.

٢ - ضرورات أساسية فى تدريس التربية الإسلامية :

يمثل الدين لبنى الإنسان ركيزة أساسية للحياة ، حتى لو كان هذا الدين دينا غير سماوى لأنه أولا : يتصل بفطرته المخلوق عليها ، وثانيا : لأن الدين هو الذى يمثل قمة العقيدة ، أو المبادئ التى ينطلق منها الإنسان إلى الحياة ، ويتعامل بها مع من كان وما كان فيها إنسانا ، أو حيوانا ، أو نباتا ، أو جمادا ، خاصة إذا كان هذا الدين مثل الإسلام فى سماحته وشموله وكليته واستيعابه لحركة الحياة ، وتناوله لما بعدها من ثواب وعقاب ، وجنة ونار ... الخ.

والملاحظ أن هناك تحديدات مختلفة لمعنى الدين ، لكن التحديد البليغ الذى يجسد معناه ويؤكد أهميته هو حديث رسول الله (ﷺ) " الدين المعاملة " . ولعل سر بلاغة هذا التحديد يكمن فى أن أى تبليغ بدعوة ، أو تبشير بمبدأ لا يمكن أن يحقق الهدف منه - مهما استند إلى الدليل المنطقى ، والإقناع العقلى - إلا إذا كان صادرا ممن يوثق بحسن معاملته لكل من فى الكون وما فيه. فالمعاملة الحسنة هى التى تسترعى الانتباه ، وتدخل القلب وتستحوذ على العقل وليست هذه المعاملة ناشئة من فراغ ، ولكنها الترجمة الحقيقية لدين الله وشرعه انطلاقا من أن رسول الله (ﷺ) - كما جاء على لسان السيدة عائشة - رضى الله عنها - كان قرآنا يمشى على الأرض بمعنى أن ما جاء فى القرآن من أحكام وقواعد ، وعقيدة إنما تمثل فى شخص الرسول (ﷺ) وامتزج بذاته الكريمة ، بحيث إن قوله ، وفعله وسلوكه وكل ما يصدر عنه(ﷺ) ولا يخرج عما أنزل عليه (ﷺ) لهذه الرسالة ، بل لا يمكن الفصل بين هذه الأبعاد فى شخصية رسول الله (ﷺ) ، مما يجب أن نقول : إن قوله (ﷺ) ، وفعله ، وسلوكه ، واحد.

ونظرا لأن التربية الإسلامية لا يمكن أن تسمى بهذا الاسم إلا إذا كانت ترجمة حقيقية لعقيدة هذا الدين وشريعته - فإن من يتصدى لتدريسها لابد أن يكون واعيا بالاعتبارات الآتية:

١ - أن يكون فاهما للأصول الأولى للفروع التى تتعلق بتدريس هذه المادة، ولعل منها التوحيد، الفقه: عبادات ومعاملات، وحدود، وكذا اللغة العربية وعلى الأقل منها: البلاغة والنحو ليستطيع التعامل مع النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، وأن يتوافر لديه القدرة على الرجوع إلى المراجع فى المسائل التى يتعذر عليه الإجابة عنها فى مظانها الأصلية، حتى لا يحبط تلميذه فيه. وبدون هذه المواد وغيرها من المواد المساعدة لفهم التربية الإسلامية، لا يمكن التصدى لذلك، لأن فاقد الشئ لا يعطيه، ناهيك عن أصول التشريع الإسلامى، فى شتى أبعاده.

٢ - أن يكون على وعى أن هذا الدين ألقى المسئولية على الفرد نفسه تجاه دينه ، يوم أن يبلغ سن التكليف ، فى مقابل منحة العقل التى وهبها الله إياه ، ولكن رحمة الله بعباده أن هيأ لهم الإعاشة مدة طويلة مع الأبوين قبل سن البلوغ ، فضلا عن مساعدة الجماعة المسلمة فى إعداد هذا الفرد لمسئولية التكليف فيما بعد . ﴿ وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾(الإسراء : ١٣) بل إن مساعدة المسلمين للمكلف لا ينقطع بعد التكليف، لأنه فرد محسوب على الإسلام والمسلمين " الدين النصيحة " قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسله ولأئمة المسلمين وعامتهم : رواه مسلم.

٣ - أن المدرسة ليست هى المسئولة الوحيدة فى مجال التربية الإسلامية، وإنما يشاركها فى ذلك مؤسسات، ووسائل، ووسائط تربوية أخرى. وهذا التعدد فى المسئولية يضاعف من مسئولية المدرسة فهى بجانب إعدادها للنشء من الناحية الإسلامية، مسئولة أيضا عن تصحيح المفاهيم التى وصلت إليه وفيها خلط أو تشويش، قد تسئ إلى الإسلام، أو التلميذ، وتبعده عن قيم الإسلام السمحة، وهذا يفرض على المدرسة أن تستوعب ما يحيط بها، بحيث تحقق التكامل التربوى مع هذه المؤسسات.

٤ - أن تقسيم التربية الإسلامية إلى فروع متعددة مثل العقيدة، والفقه: عبادات، معاملات، حدود، والقرآن، والحديث والسيرة ، والتهذيب ... الخ إنما هو تقسيم قصد به تسهيل التدريس فقط، لكن معالجة المدرس لهذه المادة يجب أن يتسم

بالتكامل، بحيث تقدم المادة الدراسية فى وحدة متكاملة ، بل إن اللجوء إلى تكامل الموضوع من مختلف فروع المعرفة ، لا من فروع التربية الإسلامية فقط - إنما هو الصواب بعينة ، إذا كان ذلك فى استطاعة المدرس . لأن ما جاء به العقل لا يمكن أن يتصادم مع الإسلام . ومن هنا جاءت مقولة : إن كل مدرس فى المدرسة هو فى الحقيقة مدرس للتربية الإسلامية ومبلغ عن ربه ، إذا استهدف بما يقدمه للتلميذ وجه الله انطلاقا من أن الإسلام أمانة فى عنق كل مسلم ، وعليه . أى المسلم أن يتحمل من تلك الأمانة بالقدر الذى يتناسب مع إمكاناته ، وموقعه ؛ لأن كل المسلمين عند الله سواء ، وباب المساهمة فى شرع الله حق للمسلم.

٥ - أن التربية الإسلامية تربية ممتدة ، لا تنتهى بانتهاء الدراسة ، لأنها السلوك المعبر عما استقر فى القلب ، ووافق عليه الشرع . والشرع ملازم للإنسان أينما كان . فهى تحتاج دائما إلى التذكير ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الذاريات : ٥٥) ولعل من حكمة تكرار العبادة الواحدة ، أنها تستهدف ترسيخ السلوك الإسلامى القويم . فالصلاة لتأكيد الانضباط فى الوقت والدقة فى العمل ، وإعطاء كل شئ حقه ، والشعور بالعبودية وملازمة الجماعة والتعاون معها... الخ ، بل إن من سنة الصلاة قراءة آية من القرآن الكريم ، لعلها تذكر المسلم سلوكا سويا ابتعد عنه . وتكرار الزكاة - مثلا - تأكيد لسلوك العطاء ، والأمانة فيما يقدم ، والتعاطف مع المحتاج ، حتى لو كان ما يحتاجه غير المال . وقس على ذلك كل العبادات . ويتوقع من كل من يمارس شعيرة ، أو يؤدى فريضة ، أو يقوم بنسك أن يتسامى سلوكه ، ويزيد إيمانه ، ويصبح فى عدد المؤمنين الحقيقيين . لعل هذا هو العائد من أداء العبادات ، ويؤيد ذلك أن رسول الله (ﷺ) كان يدعو ويقول : اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ... الخ.

٦ - أن النصوص المقدسة فى نظر المسلم هى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، وما عداها خاضع للنقد والتحليل ، والقبول والرفض . ومع أنها نصوص يفهمها العادى والمدقق كل بطريقته ، إلا أنها حين تقدم للغير لابد من الاعتماد فيها على قواعد أهل هذه الصنعة من علماء التفسير والحديث ، انطلاقا من أن كل شئ له أصوله وقواعده . والخروج عن هذه الأصول غير مقبول لا من الشرع ولا من العرف والتعامل مع النصوص غير المقدسة له آدابه التى يجب الالتزام بها دون تجريح ، أو

تسفيه ، مما يليق بسلوك المسلم ، لأن الحق المشاع يجب أن يحترم، ويلتزم بحدوده ، دون تعصب لرأى أو افتئات على الغير.

٧ - أن عدم إجابة أى سؤال ما ، أو تأجيله إلى ما بعد ، فى مجال التربية الإسلامية ، أو حتى فى غيرها ، لا يقلل من قيمة المدرس ، بل يعلى من شأنه - حتى لو تحقق ذلك متأخرا فى نظر التلميذ - لأن من قال: لا أدرى - كما تواتر - فقد أجاب . فليس هناك ما هو أخطر من الإجابة بالخطأ . ولعل هذا من أساسيات المهنة وأمانة الكلمة.

٨ - أن مدرس التربية الإسلامية عليه أن يكون مسلحا بآليات المهنة ، ومطالبها ولعل منها : أن يكون فى حوزته أو ما فى حكم ذلك - مثلا - قاموس للغة العربية على مستوى يمكنه من الرجوع إليه ، إذا استعصى عليه فهم كلمة أو تعبير، ليستطيع تحديد معناها من السياق ، وكذا مرجع من كتب الفقه التى تساعده فى حل المسائل الفقهية للطلاب أو للزملاء ، وكتاب من كتب إعراب القرآن الكريم ، أو أى مرجع من كتب النحو التى تلقى الضوء على المعنى ؛ لأن الإعراب فرع المعنى -كما يقولون - كما يكون فى حوزته كتاب من كتب التفسير التى تسعفه فى توضيح بعض الآيات ، لأن الاعتماد على المعنى الظاهر من الآية فيه مظنة الخطأ ، مع العلم بأن الرجوع إلى الأفكار السابقة مطلب أساسى من مطالب البحث العلمى ، وعلى الإنسان الباحث أن يبدأ من حيث انتهى الآخرون ، إذا كان فى مقدوره تقديم الجديد.

٩ - أن يكون مطلعا على الفتاوى التى تصدر عن جهات الاختصاص ، خاصة تلك التى تتعلق بالقضايا المعاصرة ، وتثار بين الحين والحين. وتقدم تلك القضايا مصحوبة بأساليب الإقناع ،وأسانيد من الشرح ، ليتعلم الطلاب أسلوب التفكير العلمى واحترام الأمانة العلمية ، والآراء الشخصية. ولا حرج من إشراك بعض الطلاب فى البحث عن هذه القضايا ، لأن فى ذلك إشعاراً بقيمة الفرد ، ودور المتعلم فى العملية التعليمية ، من حيث هو متعلم ، وباحث. ولا يغيب عن العقل أن إغفال القضايا الفقهية المعاصرة عملية محفوفة بالمخاطر التعليمية. ولعل منها :

أ – أنه ربما يستقر فى ذهن المتعلم أن الفقه الإسلامى لا يمكن الاقتراب مما وصل إليه اللاحقون منه من اجتهادات . وأن الماضى - مع ما فيه تراث عظيم - شئ مقدس لا يمكن الزيادة عليه.

ب – أنه ربما يجمد التفكير لدى النشء، ويدعم المقولة المشهورة " ما ترك الأولون للآخرين شيئا " مع أن سنة الله فى تطور الأشياء - أيا كانت - جارية، ولا يمكن الوقوف أمامها.

جـ - أنه ربما ينظر الطالب إلى الفقه الإسلامى، على أنه لا يقدم المسلم لعصره ولا يساعد المتعلم فى أن يعيش يومه وغده، مع أن شريعة الإسلام شريعة مرنة تأخذ فى اعتبارها حياة المسلم المعاصر. ومعلوم أن من أهداف التربية أن تقدم المتعلم لمجتمعه ولمستقبله، ولا يعيش أسير الماضى.

١٠ - أن مدرس التربية الإسلامية يسهم - وبشكل فعال - فى تنمية التفكير لدى المتعلم والتفكير مطلب ضرورى للمتعلم . ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١) ولهذا السبب فإن رسول الله(ﷺ) لم يقم بتفسير القرآن الكريم - مع أنه - (ﷺ) - كان فى إمكانه ذلك - ليؤكد الاعتبارات الآتية :

أ – أن المسلمين - كل على حسب قدراته - مطالبون بالتفكير ، وإعمال العقل بنص هذه الآيات ، وغيرها . ويعنى هذا أن فهم المسلمين للقرآن الكريم له مستويات متعددة.

ب – أن القرآن الكريم عطاؤه متجدد على اختلاف العصور . وقبس لأصحاب العقول الصافية ، وينهلون منه ما يشاءون . ومن هنا كانت عظمة القرآن الكريم فى صلاحيته لكل زمان ومكان.

جـ - أن قصر التفكير فى فرد أو أفراد مخصوصين أمر مستبعد ، ليتساوى المسلمون فى التعامل مع دستورهم العظيم ، وقرآنهم الكريم ، وأنهم كل متكامل.

١١ - أن يتزود مدرس التربية الإسلامية بمهارات البحث العلمى ، حتى إذا واتته الفرصة ليرد على المغرضين أو الذين فى نفوسهم مرض ، أو خالى الذهن عن رأى الإسلام فى أمر ما - أمكنه ذلك ، بعيدا عن الإنشاء ، ورص الكلام. فالكلام المقنع يصيب الهدف ، ويؤثر فى المتلقى . أما الرد بدون دليل ، أو الثرثرة بدون سند مضيعة للوقت - وربما يكون تأثيره عكسيا.

إن الإقناع العقلى أصبح اليوم مطلبا عسيرا فى ظل ما يحيط بالتلميذ من توجهات مختلفة وتيارات متعددة ، ولكى يسهل ذلك فإن الاعتماد على المهارات العقلية لمدرس التربية الإسلامية ، أصبح أمرا تستوجبه مطالب المهنة ، ومسئولية الدعوة إلى الله بالحسنى والموعظة الحسنة ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ (النحل : ١٢٥).

١٢ - أن مدرس التربية الإسلامية عليه أن يفطن أنه - وحده - لا يملك مفتاح المعرفة فى هذا التخصص ، لأن التربية الإسلامية مسئولية كل مسلم - صغيرا كان أم كبيرا - وليس من المستبعد أن يكون بين طلابه من لديه خبرة أكثر فى جانب ما من هذه المادة . من هنا فإن هذا المدرس عليه أن يمارس دوره فى التدريس . ومن هذه الأدوار طريقة " البحث " حيث يعمل المعلمون والمشاركون من الطلاب - جنبا لجنب - لحل المشكلات التى لم يتوصل أى من الفريقين إلى إتقانها بالكامل . ويكون التركيز - عادة - على عملية حل المشكلة . وتصبح الغاية التعليمية هى إتقان إجراءات البحث ، حتى يستطيع المشاركون أن يكتشفوا أفضل الحلول ، ويصوغوها من الناحية الفنية . ويغدو الجانب الممارس ، فى هذا العمل ، على نحو يؤدى بهم إلى تعميمات يتوصلون إليها عن طريق الاستقراء . ويتركز إسهام المعلم على مساعدة المشاركين فى استخدام إجراءات البحث ، حتى يتعلموا كيف يتعلمون. فالمعلمون - عادة - يساعدون الدارسين، أو الطلاب على اكتشاف القواعد والمفاهيم الرئيسية.

١٣ - أن يهتم مدرس التربية الإسلامية بأنشطة التعلم المصاحبة ، كلما أمكنه ذلك . ويشترط فى هذه الأنشطة : الارتباط المباشر بالموضوع ، و دافعية المتعلم ، وفرص الممارسة والتشجيع على التطبيق ، وتقييم العمل وأخيرا كفاءة المعلم.

وقد يرى البعض أن الأنشطة المرتبطة بالتربية الإسلامية ، فيها شئ من التجريد ، ولذا فإن الذى يمكن أن يعوض ذلك هو الثقافة العامة لهذا المدرس ، والتى عن طريقها ، يقيس الأشباه بالأشباه ، أو يستعين فى تقريب المعنى بالصور الحسية ، أو المواقف الحياتية ومن هنا فإن ثقافة هذا المعلم لابد أن تمتد إلى مسارب الحياة المختلفة ، من ثقافة أدبية ، إلى عملية إلى بيئية ، إلى طبية ... الخ.

ولعل من فضل الله على هذا المعلم ، وغيره ممن يعمل بالتدريس ، أنه أى التدريس

يجمع بين الدين والدنيا ، إذا أخلص المعلم فى عمله وتوخى بهذا العمل رضا الله ومثوبته وطريق الأداء الجيد والإفهام المستنير - هو الإخلاص فى العمل.

١٤ - أن يقوم المدرس بين الحين والحين ، بتخصيص حصة لمناقشة الموضوعات ، أو المشكلات ، أو القضايا التى تشغل بال الطلاب أو شريحة منهم ، لأن ذلك يحقق عدة فوائد :

أ - وقوف المدرس على قدرته الإقناعية ، وتقديم الأدلة التى يمكن أن تستميل الطلاب بل ومعرفة مستواه من الناحية العلمية ، ومواطن الضعف التى يجب عليه تلافيها وذلك بالقراءة والاطلاع على المشاكل التى تشغل بال طلابه.

ب - وقوف المدرس على المشكلات التى يعانى منها الطلاب ، أو بعضهم ، لأن تلك المشكلات تؤثر على سلوكهم الشخصى ، وتثير فيهم جوانب القلق . والتصدى لمواجهة تلك المشكلات ، ومحاولة حلها ، إما عن طريق هذا المدرس ، أو الاستعانة بغيره - مدعاة لامتصاص حالة القلق ، وتوجيه الطلاب إلى المسار الصحيح ومعرفة التوجهات غير المرغوبة ، والانتباه لها ووضعها فى دائرة الاهتمام.

جـ - توسيع دائرة الحوار بين المدرس وطلابه ، أو بين الطلاب بعضهم البعض ، من شأنه أن يقرب بين الجميع ، ويفتح الباب أمام عملية الفهم والإفهام . فضلا عما يعود على العملية التعليمية ككل والتربية الإسلامية بالنفع والفائدة . ولا شك أن هذا الحوار يعرف الطلاب بين ما يمكن أن يكون موضع خلاف ، وما يجب أن يكون موضع اتفاق . وهذا الاتفاق أو الاختلاف يجب أن يكون صمام الأمان فيه القرآن الكريم والسنة ، وما يضمن وحدة المسلمين ، وتحقيق جانب الشورى بينهم . ﴿ **فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا** ﴾ (النساء : ٥٩).

١٥ - أن يعرف مدرس التربية الإسلامية أن هناك أهدافا رئيسية وأخرى فرعية لكل ما يقدم للتلميذ . فالتفسير لعل الهدف الرئيسى منه : وعظ ، وشفاء ، وهدى ورحمة للمؤمنين.

﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ** ﴾ (يونس : ٥٧) أما الأهداف الفرعية فكثيرة . فالحديث النبوى يستهدف بيان الأحكام الشرعية من فرض وواجب ومندوب وحرام ومكروه ، أما الأهداف الفرعية فهى

كثيرة ، والتوحيد يستهدف الاقتداء بالمصطفى (ﷺ) إلى جانب أهدافها الفرعية الأخرى . والفقه يستهدف كيفية القيام بالعبادات والمعاملات والحدود ، والإفادة مما يعود على المسلم من عبادته ونسكه . وهذه الأهداف الرئيسية والفرعية تحدد الأطر والاتجاهات التى يدور التدريس فى فلكها ، والتى يمكن أن ترقى بسلوك المسلم إلى المستوى الإسلامى المنشود ، إلى جانب الاحتكام إلى الأدلة والبراهين التى تؤكد شرف الإسلام ، وقدسيته وعصريته.

١٦ - أن مدرس التربية الإسلامية - اعتماداً على ثقافته الواسعة، واطلاعه المستمر - عليه أن يقوم بتعويض الطالب ما فات المنهج المدرسى من حقائق وأفكار ومعلومات تتصل بالإسلام. بسبب بعض الضغوط السياسية، أو التوجهات المضادة، من قبل القوى العالمية، أو قبل بعض المواطنين، الذين يضعفون أمام أى نوع من الإغراء؛ انطلاقا من المقولة المعروفة " الشجرة لا يقطعها إلا أحد أبنائها".

٣- كيف تكون حصة التربية الإسلامية :

إذا كان من المسلم به أن كل مدرس فى المدرسة هو مدرس للتربية الإسلامية ، طالما آمن بهذا الدين وتشبع به ؛ لأن ضريبة الإيمان بهذا الدين تقتضى تقديم كل ما يمكن أن يسهم به لدعم إيمانه وإيمان الآخرين ، وتكافل المسلمين فيما بينهم أساسية من أساسيات الإسلام ، ليس فى الجانب المادى فقط وإنما فى كل المجالات التى يمكن أن تمس حياة المسلم " إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يمسكوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده من حديث رسول الله (ﷺ) - فإن مدرس التربية الإسلامية ينبغى أن يقوم بدور المنسق لما يقوله المدرسون الآخرون والوعى لما يمكن أن يصل إلى تلميذه من البيئة المحيطة به، حتى يضمن لعمله وما تقوم به المدرسة سلامة الفكر ، وتصحيح المسار . وتبدو حصة التربية الإسلامية مختلفة عن باقى حصص المواد الأخرى . انطلاقا مما يلى :

أ - أن التلميذ قد يعرف قليلا أو كثيرا عما يقدم له فى الحصة إلا ما ندر ، وذلك لتعدد المصادر التى يمكن أن تمده به . مثل : المسجد ، البيت ، جماعة الرفاق وسائل الإعلام المختلفة مثل : الإذاعة المسموعة والتليفزيون ، والصحافة وبالتالى فإن خطاب تلميذ يعرف بعضا عما فى الدرس ، يختلف عن خطاب تلميذ آخر خالى الذهن عنه.

ب - أن المادة المعروضة فى حصة التربية الإسلامية قد تختلف فيها وجهات النظر ، وقد

تكون لها آثار ترسبت لدى بعض التلاميذ ، ولذا فإنها تحتاج إلى معالجة مختلفة ، لأنها ليست مسألة رياضية سيتغير اتجاه التلميذ فيها بمجرد معرفة الحل الصحيح لها . والجانب الوجدانى - من المعلم والتلميذ - يلعب دورا مهما فى تلك المعالجة.

جـ - أن قدرة المدرس على الإحاطة بالإسلام وقضاياه ادعاء قابل للسقوط أمام المسائل الدينية . وعليه فإن فرصة الإفادة مما لدى التلميذ تصبح واجبة ، انطلاقا من أن الكل يعلم الكل ، فضلا عما يتيحه ذلك من تدريب على ممارسة أسلوب المناقشة والحوار وتطبيق المناخ الديمقراطى فى الفصل.

وبناء على ما سبق تبدو حصة التربية الإسلامية كما يلى :

يبدأ المدرس بتقديم موضوع الدرس إلى طلابه ، ثم يقوم بجمع كل ، أو بعض ما يتعلق به من الطلاب ، ثم يسجل الأفكار الرئيسية منها ، إلى جانب ما هو موجود فى الكتاب المدرسى ويستبعد المكرر ، ثم يقوم بعد ذلك بدور المنسق لكل ما قيل ، ويتجنب الإلقاء والسرد من جانبه ، ثم يقوم بإدارة الحوار والمناقشة ، وتسجيل ما تم الانتهاء منه أولا بأول ،ثم يقوم هو أى المدرس أو أحد الطلاب بتلخيص ما عرض ، مكررا ذلك إلى أن يتم السيطرة على ما قدم فى الحصة ثم أخيرا يوجه الأسئلة التى بمقتضاها يتم التأكد من تحقيق الهدف من الدرس.

ويلاحظ أن هذه الطريقة تعتمد على مهارة المدرس فى ضبط الحوار ، وتحقيق العدالة بين كل المتكلمين ، فضلا عن ثقافته الواسعة التى تسمح له بالسيطرة على الحصة ، ومقارعة الحجة بالدليل المقنع ، والبرهان الحى.

وقد يحقق هذا النمط من التدريس بعض المزايا .منها :

١ - الوقوف على ما لدى الطلاب إزاء هذا الموضوع . فإن كان صحيحا فبها ونعمت وإن كان غير ذلك يتم تصحيح هذا الخطأ فى جو يفيد منه الجميع.

٢ - استمرار التفاعل فى الفصل بين المدرس وطلابه ، والطلاب بعضهم البعض ، فيتعلمون عن طريقه أدب الحوار ، والمناقشة ، وعرض وجهة النظر ، الأمر الذى يؤدى إلى ترسيخ بعض السلوكيات المحمودة.

٣ - الاطمئنان إلى أن ما تفرزه عملية الحوار والمناقشة من قضايا ، تثار حولها التساؤلات وتستحوذ على اهتمامات الطلاب وتفكيرهم - يتم الرجوع فيها إلى المصادر الموثوق

بها ومعالجتها تحت سمع وبصر المدرس وطلابه ، بعيدا عن الفهم الضيق ، والتفسيرات المغلوطة.

٤ - وصل الفصل المدرسى بالبيئة المحيطة به، وذلك بمعرفة الأفكار التى يمكن أن تكون سائدة بين شريحة من الطلاب، فى ظل سيادة وسائل الإعلام، وتأثيرها على السامع والقارئ.

٥ - إثراء الجانب الدينى، وذلك بعرض وجهات النظر المتعددة أمام التلميذ، ليختار منها ما يشاء. ويمكن الاستشهاد فى هذا المقام بما قاله أحد تلاميذ الإمام على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - ومن ترك الدنيا كلها، وخرج من جميع ما يملك، وجلس على بساط الفقر والتجريد - فأمامه أبو بكر الصديق رضى الله عنه، ومن أخرج بعضا وترك البعض الآخر لعياله، ولصلة الرحم ، وأداء الحقوق، فأمامه عمر ابن الخطاب رضى الله عنه. ومن جمع لله، ومنع لله، وأعطى لله، وأنفق لله - فأمامه عثمان بن عفان - رضى الله عنه، ومن لا يحوم حول الدنيا، وإن جمعت عليه من غير طلبه رفضها - فأمامه على رضى الله عنه.

٤- مطالب التربية الإسلامية :

لا قيمة للتربية إذا حفظت فى الصدور ، وتناقلتها الألسنة ، دون أن تجد طريقها إلى السلوك والتعامل والتطبيق بين الناس . لأن أقدار الناس تعرف بالسلوك ، والقدوة لا يمكن أن يسمى قدوة إلا إذا طبق المسلم على نفسه شريعة ربه ، وراح يعلم الناس بالفعل لا بالقول ومن هنا فإن التربية الإسلامية لها مطالب متعددة .. لعل منها :

١ - التمسك بآداب التربية الإسلامية والإصرار عليها ، فى مختلف الأزمنة والأمكنة ، لان التمسك بها دليل على الثقة فيها ، والاعتزاز بها . وعصرنا الحالى يحتم ذلك لأن كل الجنسيات ، أو القوميات أو الديانات الأخرى تجهر بما تؤمن به ، وتسلك فى الناس وفق مقتضياته ، وتعده دليل التميز ، وإشارة الإعلام عن الذات ما يتصل بها وآداب التربية الإسلامية - والحمد لله - ليست محل شك أو نفور من أحد.

٢ - ملاءمة تلك التربية لأعمار المتعلمين . وليس هناك تحديد دقيق يفصل بين ما يقدم للصغار وما يقدم للكبار فى بعض السلوكيات . فسلوك إلقاء السلام أدب إسلامى. ويمكن أن تقدم قواعده للكل حيث يعرفون أن السلام يصدر من الراكب إلى الماشى . ومن الماشى إلى القاعد ، ومن القليل إلى الكثير ، أما هجر الزوجة - وهو تربية

إسلامية - فتقدم للبالغ وليس دونه ، وكذلك سلوك الكبر على من يتكبرون فيتناسب مع الراشد لحديث رسول الله (ﷺ) : "الكبر على أهل الكبر صدقة". أما آداب الأكل أمام الإنسان فيقدم للصغير دون الكبير إلا إذا كان الكبير يجهل تلك الآداب.

٣ - الفهم الدقيق والواعى للتربية الإسلامية ، وما يمكن أن يقبل ، وما لا يمكن مما يجرى فى حياتنا . فالرد على " السلام عليكم " بما تمليه هذه العبارة سلوك إسلامى والزيادة عليها برفع اليد الواحدة أو اليدين مقبول أيضا انطلاقا من الآية الكريمة ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ (النساء :٨٦) والتحية بغير ذلك ليس تربية إسلامية . أو بمعنى آخر الفهم الطبيعى للأشياء . والفهم المتسامى لها ، والباب مفتوح لممارسة كل - لمن أراد أن ينال حظا فى الدنيا والآخرة.

٤ - وجود مناخ يساعد على ترسيخ تلك التربية لعل فى مقدمتها البيت ، ثم المدرسة، من حيث التدريس السليم لها ، وتنفيذ الأنشطة المدرسية التى تؤصل هذا الجانب وتوافرها فى الأخذ والعطاء والتعامل ،والحث على نقلها إلى المجتمع الكبير ، بحيث يشعر التلميذ أن تلك التربية تقدمه لمجتمعه وتساعده على الاندماج فيه.

إن التهاون فى ممارسة التربية الإسلامية على كل المستويات ، وكل الأزمنة والأمكنة من شأنه أن يضيع معالم تلك التربية ، ويفقد المتعاملين بها الحماس لها ، وإشعارهم بالنقص. وهذا ما ينافى الإسلام وعقيدته . ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (المنافقون : ٨) والمساومة فيها عجز ، وتراخ عن أداء الواجب.

٥- بعض العوامل التى تساعد المعلم على تحقيق الهدف من التعليم :

هناك عوامل متعددة تساعد المعلم على تحقيق عائد أكبر من التدريس ، وتمكنه من تنفيذ المنهج بصورة مرضية . ولعل من هذه العوامل مايلى :

١ - احترام المتعلم - صغيرا أم كبيرا - وإعطائه حقه من حيث كونه إنسانا . لا بمقدار من يحيط به من وجاهة اجتماعية أو منزلة مالية ، أو وضع عائلى ، لأن الاحترام بهذه الصورة يجسد قيمة العلم ، ويصحح مفهوم المعلم ، وينمى الميل للاستمرار فى التعليم . وهذا المعنى جزء من معنى الآية الكريمة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ (الحجرات : ١١) فلم تحدد أعمار هؤلاء الذين

يتعرضون لسخرية الساخرين ، تقديرا لكرامة الإنسان، واحتراما لهذا الجنس العزيز على الله ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ (الإسراء : ٧٠)، بل إن احترام المعلم للمتعلم أشد وآكد ؛ لأنه يرغب الأخير فى العلم ويرى فيه ذاته . وعلى العكس من ذلك، فإن السخرية من المتعلم، خاصة من المعلم ، ربما تدعوه إلى التسرب وترك مجال العلم، إلى مكان آخر لم يحن وقته بعد ليرى فيه ذاته ، ويشعر بتقدير الآخرين له.

٢ - الحرص على مصلحة التلميذ وذلك بتغليب الجانب المفيد من المعلم إلى المتعلم ليستشعر المتعلم حرص الأول على إفادته، والخوف على مصلحته ومن واقع الممارسة الفعلية للتدريس، والإرشاد المستمر لهذا المتعلم، وإرشادا نابعا من القلب، خالصا لله وحده وتحقيقا لمطالب المهنة، ودواعيها، لأنه لا يصح إلا الصحيح. وإدراك المتعلم لهذا الاتجاه سيجد نفسه مضطرا إلى الإذعان لمدرسة، والامتثال لما يقوله: " لا تستوى الحسنة ولا السيئة " بل تملى الحسنة نفسها على ما هو أبعد من ذلك . إذا كان هناك نوع من الميل السلبى تجاه هذا المدرس ، فينقلب هذا الميل إلى ميل إيجابى - لصالح المعلم والمتعلم كليهما ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت : ٣٤). والناس بصفة عامة - أكثر ميلا إلى ما ينفعهم ويفيدهم - ولذلك فإن الحديث : " خير الناس أنفعهم للناس " يشمل كل خير يقدم للإنسان ، طالما فيه إنماء لذواتهم فى أى جانب من جوانب حياتهم ، وليست الخيرية خيرية مادية فقط ، وإنما تكون بإسهام المعلم فى تزويد الطلاب بالخبرة التربوية والنصيحة التى من شأنها تحقيق النمو والنجاح للطلاب.

٣ - تقوى المعلم والمتعلم على السواء ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة : ٢٨٢) التعليم فى الإسلام ليس عملا مهنيا يؤديه الإنسان إنجازا آليا لصالح وظيفته مقابل أجره ، ومكسبه، لكنه - إلى جانب ذلك - مشفوع بنوايا القلب والإخلاص لله، انطلاقا من عقيدة المسلم التى تحتم عليه أن يكون الله ورسوله نصب عينيه فيما يقول وفيما يفعل " إنما الأعمال بالنيات. ولكل امرئ ما نوى " من هنا فإن تقوى الله تعين المعلم والمتعلم، وتساعدهما فى السيطرة على الصعب وتمكنهما من تذليل أى معوق. فالإنسان وحده - دون بقية المخلوقات - هو القادر على التعلم وأعنى به تعلم العمليات العقلية العليا ، التى لا يمكن أن يصل إليها أى كائن حى، ولذا فإن الله معه يسانده، ويؤيده ، ويطلعه على بعض

أسـراره ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ (الطلاق : ٢) وليس المعلم والمتعلم بعيدين عن هذا المخرج ، إذا تغيا بعلمهما وتعليمهما وجه الله وانضما إلى جماعة المتقين.

وليس معنى ذلك أن كل الذين يلبسون لباس الصلاح ، أكثر الناس علما بالله وفهما لقرآنه العظيم، وحديث رسوله الكريم، ومعرفة أسرار الشريعة من غير أن يكونوا قد تعلموا من ذلك شيئا ، وإنما المعنى أن التقوى الصحيحة هى البحث عن الحقيقة وأعنى بها حقيقة العبادة، وهى لا تأتى إلا بالعلم . ومعروف أن العلم هو الذى يثمر التقوى. فلا تقوى بلا علم، والعلم هو الأصل الأول. وقد يفيض الله على بعض المتقين علما وفضلا، وحينئذ يلتقى التقوى والعلم كلاهما، ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء : ١٦٢).

ومعنى ما سبق أن من يتق الله يسهل عليه أموره ، ويجعل له من كل ضيق مخرجا وينير له طريق الهدى فى كل ما يعرض له من المشكلات ، فإن فى قلب المؤمن نورا يهديه إلى حل عويصات الأمور.

٤ - اعتبار العلم مقياس المفاضلة بين طالب وآخر ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الزمر : ٩) لأن هذا السلوك من المدرس يحقق عدة أهداف ، منها :

- غرس قيمة احترام زمالة العلم ، حتى لو تغيرت ظروف بعضهم البعض من النواحى الاقتصادية والاجتماعية ، وتأكيد حديث رسول الله (ﷺ) : "العلم رحم بين أهله وزيادة الروابط الأخوية بين المسلمي"ن.
- احترام المعلم ، لأنه يتعامل مع ثوابت الحياة ، وليس متغيراتها. فقيمة احترام الإنسان لأخيه الإنسان قيمة ثابتة ، أما الاحترام للغنى والجاه أو غيرهما فهما من المتغيرات التى ليست لها صفة الاستمرار .
- زيادة التماسك الاجتماعى ، والتآلف الأخوى بين المتعلمين ، واعتبار كل واحد منهم قوة للآخر.
- زيادة العائد فى الجانب التربوى ، من حيث تحقيق الاتساق بين الأهداف المعرفية والوجدانية والمهارية.

وقد يغيب مقياس العلم فى فترة ما - ويحل محله مقياس المال ، أو الملكية المادية ، لكن ميزان الآمال عند الشعوب لابد أن يغلب جانب العلم ، لأن فيه الضمان الحقيقى لحياة تلك الشعوب ، واستمرار تطورها . فقوة المال ، والقوى الأخرى غير العلم ربما تكون قوة غاشمة أما قوة العلم ففيها الأمن والسلامة ، إلى حد كبير.

والمدرس - بما له من تأثير على طلابه - يملك دفة التوجيه ، وتغيير شطحات الميول إلى مسارها الصحيح ، لأن رسالة التربية لا تساير واقعا ضل ، أو اتجاها ركبته الأهواء الشخصية أو النزعات المؤقتة .وهذا هو دورها الحقيقى.

٥ - الرغبة فى تعمير الكون والإسهام فيه بنصيب ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ (الذاريات : ٥٦ ، ٥٧) فليس المؤمنون عباد الله فى الأرض هم الذين يعتكفون المساجد ، ويقيمون لله ركعا وسجدا ، ويؤدون شعائر العبادات ، المالية والبدنية - فقط - وإنما هم إلى جانب ذلك المبتكرون العقلاء المبدعون ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (النحل : ١١ ، ١٢) . فالإنجاز البشرى المبنى على العلم والفهم ، هو العبادة بمعناها الحقيقى ، وهو الذى يؤدى إلى تعمير الكون ، وزيادة منافذ الإيمان فيه ، إذا توج هذا الإنجاز بالإيمان بالله الواحد الأحد . ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ ﴾ (هود : ٦١).

ومعنى هذا أن المؤمنين بالله ليسوا مهمشين فى هذا الكون ، وإنما هم عناصر أساسية فى إعماره وتنميته ، وتطويره إلى الأحسن من خلال التأمل والتفكير ، واستغلال نعم الله فى كونه و ليكونوا أكثر قربا منه سبحانه ، وليندفعوا إلى مجال العلم الدينى والدنيوى على السواء بهدف تحقيق مكاسب أكثر ، وتوفير خير أفضل - واتساع العبادة بمعناها الذى ورد فى الآية - يحمل المؤمنين مسئولية تحقيق الإبداعات العلمية ، والإنجازات الحضارية والرفاهية الإنسانية ، تحت مظلة العبودية لله ، والإيمان بوحدانيته تعالى . ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (غافر : ٦٥).

٦ - إثارة عملية التنافس فى إطارها المفيد ، وبما لا يخرجها إلى نطاق الحسد والكراهية ﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ (المطففين : ٢٦) وإذا كانت طاعة الله

للحصول على النعيم الذى يكافأ به أهل الجنة هى محل التنافس، فإنه من الممكن أن يكون هذا التنافس مطبقا بين الطلاب داخل الفصل الواحد، أو المدرسة الواحدة أو الوطن الواحد، لأن عائده راجع إلى الفرد والجماعة.

والمدرس الواعى العارف بأمور مهنته يستطيع أن يجعل من مهنته مجالا للتنافس، ومكانا لإثبات ذوات المتعلمين، ومحكا لقدراتهم المختلفة، من خلال قدح قدراتهم، والضرب على زناد فكرهم ؛ ليعملوا عقولهم ، ويتعودوا على التفكير، والتأمل .

٧ - التأكيد على المسئولية الشخصية - فالمهمات التنموية لمن هم فى سن المراهقة. تشمل تحقيق الاستقلالية العاطفية، وتطوير النظام الأخلاقى، والترتيب للزواج، والحياة العائلية وكذلك الاختبار والاستعداد لشغل وظيفة ما - وهذه الاهتمامات تنعكس فى القطاعات الكبيرة من الشباب على الأنشطة التعليمية، التى ترتبط بالعمل عامة، وبالتخطيط والتأهيل للعمل فى مهمة معينة، وبالحزم، وتنمية الشخصية، والعلاقات الإنسانية.

٨ - لين الجانب : يؤكد القرآن الكريم أنه (ﷺ) كان لينا فى معاملة أصحابه ، ومخاطبتهم كما كان رحيما بهم . فلم يشدد فى عتب ، ولا فى توبيخ اهتداء بكتاب الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ (آل عمران : ١٥٩) ... فالقرآن الكريم أمده بالآداب العالية والحكم السامية ، التى هونت عليه المصائب ، وتعلم منافعها وحكمها ، وحسن عواقبها.

وتحتم العملية التعليمية - وهى تضم أنماطا عديدة من البيئات الاجتماعية المختلفة - أن يعامل المعلم طلابه بالحسنى واللين ، لا بالتخويف والشدة ، لأن المعاملة الطيبة تولد الحب والود . والشدة إن نجحت فى لحظة أخفقت فى لحظات . جربت اللين والسيف فوجدت اللين أقطع ويتطلب ذلك البعد عن الشراسة والخشونة فى المعاملة ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ (آل عمران : ١٥٩) والقسوة والغلظة هما من الأخلاق المنفرة، لا يصبر الطالب على تحملها من المعلم حتى وإن كثرت فضائله ورجيت فواضله، بل لا يبالى المتعلم بما يفوته من نعم الإقبال عليه ، والإفادة منه.

٦ - تطوير المعلم :

يمكن القول: إن نمو المدرس مكون أساسى فى تحسين حقل الدراسة ، ويتم هذا النمو عن طريق البرامج الرسمية والبرامج غير الرسمية ، وتكون هذه البرامج فعالة إذا قامت

على الحوار واستجابت لأهداف المجتمع المحلى ، ويجب أن تدعم البرامج الرسمية البرامج الأخرى غير الرسمية . ويشكو بعض المديرين والمشرفين من أنهم لا يجدون الوقت لتطوير المعلمين ، ولكن المدير الفعال هو الذى يستغل أى وقت توافر لديه من أجل تطوير هؤلاء المعلمين ، حيث يمكنه أن يعمل مع مجموعات صغيرة من المعلمين أو في اجتماعات مجلس القسم حيث يشارك المدير المعلمين فى الأفكار ، ويناقشون جميعا القضايا التربوية الجارية وينهمكون فى البحث عن حلول للمشاكل الوقتية التى تصادفهم.

ومن أهم وسائل تطوير المعلم مايلى :

١ – الملاحظة غير الرسمية :

تكون الملاحظة غير الرسمية مختصرة ، وهى عبارة عن زيارات غير معلنة وتستمر من ٥ – ١٥ دقيقة ، ويسميها البعض بالمرور ، ويسميها البعض الآخر " الإدارة عن طريق التجول ".

وتحقق هذه الملاحظة أهدافا عديدة ، منها :

أ - أنها طريقة مفيدة لكل من المدير والمشرف ، حيث تمكنهما أن يكونا أكثر رؤية وأقل ارتباطا بمكاتبهم ، الأمر الذى يقلل من العزلة التى يحس بها أغلب المعلمين.

ب - أنها تقدم فرصا ممتازة لكل من المدير والمشرف لكى يساندا ويدعما التدريس الجيد.

جـ - أنها تمد المسئولين ببيانات مفيدة عن كيفية تطبيق المنهج ، كما تنبههم إلى المشكلات المنهجية والتدريسية قبل أن تتفاقم.

ولعل من أهم التوجيهات فى مجال الملاحظة غير الرسمية ما يلى :

أ - لابد أن يكون المعلم على علم بأن المعلومات التى تجمع عن طريق الملاحظة غير الرسمية تحسب أو لا تحسب فى عملية تقييم المعلم.

ب - لابد أن تكون الملاحظات غير الرسمية عديدة ومتكررة ، فقد أقر المديرون والمشرفون الأكفاء أنهم يحاولون أن تكون الملاحظات غير الرسمية عديدة ومكررة.

ج - لابد من التغذية الراجعة . فإذا انشرح الملاحظ بما رأى فعليه أن يبتسم أو يظهر إشارة تدل على سعادته ، أو يكتب عبارة تدل على ذلك ، وإذا وجد الملاحظ بعض الأشياء التى تحتاج تعديل ، فيمكنه أن يعقد اجتماعا مختصرا تناقش فيه ببساطة مثل هذه الأشياء وجها لوجه مع المعلم.

د - لابد أن ينوع الملاحظون تركيزهم أو اهتمامهم . ففى بعض الأشياء قد يكون مفيدا أن يركز على المحتوى من حيث الصعوبة أو السهولة ، وفى بعض الأحيان الأخرى تتم ملاحظة سرعة تنفيذ المنهج.

٢ - تقدير المعدلات: يعرف التقدير بأنه عملية إجراء تقييم بنائى ونهائى لأداء المعلم بهدف اتخاذ قرارات إدارية بشأنه . ويتطلب التقدير جهدا ووقتا كبيرين من الإداريين والمشرفين إذا أريد له أن يتم بدقة ، ويأخذ وقتا أكثر مما يستحق فى حالة تقدير أداء المعلمين المعروف عنهم أنهم يتميزون فى الأداء بدرجة عالية.

الفصل الثامن
فروع التربية الإسلامية وكيفية تدريسها

يعرض هذا الفصل بعض فروع التربية الإسلامية من حيث طبيعتها، وأهدافها، وأهم مهاراتها، والطريقة المقترحة لتدريسها، وقبل ذلك فإن هناك إفادات متعددة لطرق التدريس يمكن الائتناس بها، ومراعاتها فى عملية التدريس مع العلم بأنه ليست هناك طريقة مثالية واحدة للتدريس؛ وإنما العبرة فى مثالية الطريقة هى فى توفير الوقت والجهد والتكلفة ، وكذا مقدار ما تحقق من إفهام للمتعلم . وبما أن هناك فروقا فردية متعددة بين المتعلمين فلا ينبغى الاقتصار فى التدريس على طريقة واحدة، بل لابد من مراعاة الشروط الجيدة لطريقة التدريس فى الكتب المعدة لذلك، وعلى المدرس أن يختار طريقته . وليس هذا الاختيار نهائيا ، وإنما هو اختيار مرن قابل للتعديل والتغيير بما يتلاءم مع تحقيق الهدف من الدرس . ومن المناسب تقديم ما يلى :

أ - أساسيات تدريسية

يمكن القول : إن هناك أساسيات تدريسية كثيرة ومتعددة . ولعل منها ما يلى :

١- من تراثنا التعليمى :

لعل من أحسن مذاهب التعليم ، ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده محمد الأمين ، فقال محمد : إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه ، وثمرة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لله واجبه ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين . أقرئه القرآن ، وعرفه الأخبار ، وروه الأشعار وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وأمنعه من الضحك ، إلا فى أوقاته ... ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه ، فتميت ذهنه ، ولا تمعن فى مسامحته ، فيستجلى الفراغ ، ويألفه. وقومه - ما استطعت - بالقرب والملاينة ، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة .

ومعنى ذلك أن المعلم مطالب بإفادة المتعلم ، وتقويمه بالقرب والملاينة وهى معايير أساسية فى طريقة التدريس.

٢ـ **المدخل المنطقى :**

ويندرج تحته الأشكال الأربعة الآتية :

١ - **العرض الاستنباطى :** وفيه يقدم التعميم أولا ، سواء أكان حقيقية ، أو مفهوما ، أو أساسا ، ثم يستنبط من هذا التعميم الأشياء ، أو الأحداث ، أو المواقف التى يمكن أن تندرج تحته ، مثل : المبتدأ اسم مرفوع محدث عنه ويقع فى أول الجملة غالبا والخبر ما يحدث به عن المبتدأ ، وتتم به مع المبتدأ فائدة . وبعد تقديم هذا المفهوم يتم عرض النماذج التى تندرج تحته ، وهى : أنواع الخبر ، وتعدده ، وتقديمه : وجوبا وجوازا مثل الصلاة ، والصوم ، والزكاة ... الخ . فالصلاة : أقوال و أفعال مبتدئة بالتكبير ، مختتمة بالتسليم.

٢ - **العرض الاستقرائي :** وفيه يكون الأمر عكسيا ، بحيث تقدم الأشياء ، أو الأحداث أو المواقف ، ثم تستخلص بعد ذلك التعميم المناسب الذى يشملها ، نتيجة لما بينها من عناصر مشتركة . والمثال السابق يصلح إذا تم العكس ، وقدم الأمثلة المتعددة للجملة الخبرية ، أيا كان شكلها ثم يصل إلى تعريف للمبتدأ أو الخبر، ومثل: العصر ، والمغرب، والعشاء، والصبح، والظهر، والفرض، والنفل .... الخ . لنصل للتعريف السابق .

٣ - **العرض الزمنى :** وفيه ترتب الأشياء ، أو الأحداث ، أو المواقف بحسب حدوثها ، أو تطورها الزمنى . فما كان سابقا لغيره فى الحدوث يأتى أولا ، ثم يليه ما حدث بعده مباشرة .... وهكذا . مثل: العصر الجاهلى، العصر الإسلامى، العصر الأموى، العصر العباسى ... الخ . ومثل : أن يهتم الإنسان بتوفير احتياجاته الضرورية أولا ، ثم الكماليات ثانيا ، ومثل : الطواف ، والسعى ، ورمى الجمرات فى مناسك الحج ... الخ وترتيب الغزوات الإسلامية ، وفق زمن حدوثها.

٤ - **العرض الأبجدى :** وفيه ترتب الأشياء ، أو المواقف ترتيبا أبجديا ، تبعا لأول حرف من مسمياتها ، لأن الرابطة مفقودة . والتسمية هنا هى الجانب المشترك الذى يمكن أن تتمايز فيه المادة ، مثل ترتيب المراجع ، أو أسماء الدول ، أو أسماء الرؤساء ، أو أسماء المدن ، أو القرى ... وهكذا.

وانطلاقا من اتساق طريقة التدريس مع المادة المتعلمة - فإن معرفة هذه العروض أمر حتمى، يراعيه المدرس ، وهو يقدم طريقته ، ليكون الانتفاع بها أشد وأكد رغم ما يقال :

إن التنظيم المنطقى للمادة المتعلمة - ليس مثيرا بالدرجة الكافية ، لأنه يمشى على نمط المألوف والمعروف.

جـ - المدخل التدرجى :

وفيه ترتب المادة بحسب تدرجها من السهولة إلى الصعوبة ، ومن المألوف إلى غير المألوف بغض النظر عن مدى بساطته أو تركيبه ، أو من البسيط منها إلى المركب إذا تساوى فى مقدار ألفه الدارس به ، مثل : مصطلح قواعد ، فإنه يكون أسهل فى التعلم من مصطلح " النحو" لكثرة الألفة به ، لأن كلمة قواعد كلمة عامة ، ومثل عرض كيفية الوضوء ، أو كيفية الصلاة، وتتابع أركانها بترتيب محدد.

د - المدخل النفسى:

وفيه يتم تقديم المادة الدراسية من خلال مواقف ذات دلالة بالنسبة للتلميذ ، بحيث تثيره وتزكى رغبته فى تعلمها ، كأن نبدأ بالنقطة التعليمية النهائية ، ثم نتدرج بطريقة عكسية إلى النقطة الأولى . كما يحدث فى بعض القصص أو الأعمال الفنية الأخرى ، أو نقوم بالمرور بالخطوات التى سبق له تعلمها ، ثم نضيف إليه نقطة تعليمية جديدة . ونجاحه فى الخطوات الأولى يدفعه إلى تعلم الجديد منها ، أو تتم المقارنة بين ما يتعلمه ، وما سبق له أن تعلمه.

وإن كان هذا التنظيم من أصلح التنظيمات لتحقيق الهدف التعليمى ، فإن الطريقة التى تنسجم معه أى الهدف هى من أحسن الطرق التعليمية . ويمكن الجمع بين هذه المدخلات فى الطريقة الواحدة . ولا يتأتى ذلك إلا بالاحتكاك الطويل مع المتعلم ، ومعرفة أى الطرق أنفع وأجدى لعينة ما من تلاميذه ، طبقا للفروق الفردية.

ب- فروع التربية الإسلامية

أولا : التوحيد.

١ - العقيدة الإسلامية وأهميتها :

تقع المسئولية الأولى فى ترسيخ العقيدة الإسلامية وتعميقها لدى المسلم على المدرسة باعتبارها المكلفة بعملية التطبيع الاجتماعى لدى المتعلمين ، ويشاركها فى ذلك كل قطاعات المجتمع ، ذلك لأن العقيدة الإسلامية هى البداية الأولى التى ينطلق منها وإليها الإنسان فى كل زمان ومكان ؛ إذ هى التى تملأ فراغ قلبه ، وتسيطر على جوارحه ،

وتوجه سلوكه ، وتريح نفسه ، وتطمئنه على تصرفاته ، يرى أنه يعيش بها ولها ، حيث هى هدفه ، وغايته ، لأن الإنسان لا يسمى إنسانا ، إلا بمقدار ما يملك من عقيدة ، وما يؤمن به من دين . وهى فطرة فى الإنسان ، لا يستغنى عنها . فهى تربطه بغيره ، حيثما كان وفى أى ظرف وجد ، سواء أكانت هذه العقيدة حقا أم باطلا.

ويعنى بالعقيدة الدينية ما يشتمل عليه وجدان الإنسان العادى. أو هى طريقة حياة ، لا طريقة فكر ، ولا طريقة دراسة . أو هى حاجة النفس كما يحسها من أحاط بتلك الدراسات ومن فرغ من العلم والمراجعة ؛ ليترتب على مكان العقيدة - ضمن ما يترتب - من قراءة ضميره . أو هى ما يملأ النفس ، لا ما يملأ الرؤوس أو يملأ الصفحات.

ولما كانت العقيدة بهذه الأهمية ، فإن الأفراد أو الجماعات - منذ فجر التاريخ - تبحث لنفسها عن فلسفة أو أيديولوجية تكون الموجه الأول لها فى حياتها، مهما كان قربها من الصواب ، أو بعدها عنه ، وتترجم هذه الفلسفة أو الأيديولوجية فى شكل قواعد ومبادئ يتم الالتزام بها لتحديد شكل هذه الجماعة ومستقبلها على مدى مرحلة معينة ، أو زمن معين ولذلك قيل : من عرف عقيدة قوم فى الحياة ، فقد عرف نصيب دينهم من رفعة الفهم والوجدان ومن صحة المقاييس التى يقاس بها الخير والشر ، وتقديرها الحسنات والسيئات . فلا يهبط دين وعقيدته فى الإله عالية، ولا يعلو دين وعقيدته فى الإله هابطة.

والعقيدة الإسلامية من العقائد التى ليست محل شك فى صحتها ، وصحتها مطلقة من وجهة نظر معتنقيها على الأقل ومن بعض العقلاء الذين وهبوا تميزا عقليا ، وعلميا فأدركوا عظمة الله بها وعرفوا سر الحياة عن طريقها ، فازدادوا إيمانا على إيمانهم.

والعقيدة الإسلامية ينميها العقل ، والعاطفة معا والاتجاه السوى السائد فى المجتمع ، إذ ليس العقل وحده بكاف فى معرفة تلك العقيدة ، وفهمها وسبر أغوارها ، وإلا كان إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام عملا لا ضرورة له ، وليست العاطفة وحدها بكافية ، لأنها من الأمور العارضة التى قد تظهر ، أو تغيب ، وتزيد أو تنقص ، فكان من الضرورى أن يؤازرها العقل ، ويجبر ما يمكن أن يعتريها من خلل ، كما أن الحواس وحدها ليست بكافية فى عملية الإيمان بعقيدة ما كما أن الاتجاه العام فى المجتمع ربما لا يتحمس لتنمية تلك العقيدة ولكن يؤازرها كل ذلك ، أو بعضه جماع الشخصية التى تمتلك مقومات الفطرة السليمة ليستقر فى القلب ، ما انتهى إليه الإيمان ، ولذلك كان

القلب السليم محكا أساسيا فى الحكم على بعض الأمور ، بسبب ما ترسخ فيه من الجوانب الفطرية التى لا تتعارض مع الشريعة "استفت قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك" . "ألا وإن فى الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب".

ولما كان من الأمور البديهية أن يتم غرس عقيدة التوحيد منذ الطفولة - انطلاقا من أهداف تدريس التربية الإسلامية - فإن ترسيخ هذه العقيدة لدى الصغير والكبير على السواء - واجب إسلامى تقتضيه المصلحة ، ولجمع المسلمين على هدف واحد . يستخدم فى ذلك كل الأساليب ، لأن إنماء العقيدة الإسلامية نماء لأصحابها . وتعميقها فى النفس لدى المسلم منفعة للدين والدنيا معا ، والحفاظ عليها حفاظ للإسلام والمسلمين معا . وقوتها قوة لكل المسلمين " فالعالم اليهودى الذى اخترع مادة متفجرة ، جاء كثمرة لتخصصه العلمى كان إلى جانب هذا التخصص العلمى الدقيق يتمتع بثقافة توراتية ورؤية دينية توجه ملكاته ، وتوظف تخصصاته للعمل على تحقيقها ، وذلك فى الوصول إلى أرض الميعاد ، وإعادة بناء الهيكل ... لقد فرض على الحلفاء فى الحرب العالمية ، أنه سوف لا يبوح لهم بسر المخترع الذى يمكنهم من النصر ما لم يأخذ عليهم العهد فى تأييد حق اليهود فى فلسطين . وهذا الذى كان ، وقدم هذا العالم لأبناء دينه ما لم يستطع تقديمه جيش من الجهلاء ، أو العلماء أو فاقدى البصيرة والثقافة .

والعقيدة الدينية سند للروح ، تعتمد عليه فى شدائد الحياة ، وقسطاس للآداب والعادات يرجع إليه فى قياس الأخلاق والأعمال . وإنها بالنسبة للجماعات ، أو للأمم التى تدين بها قوة فعالة ، ولو من طريق يحسب لها حسابها فى التاريخ فهى التى تعصم الإنسان من أكبر دواعى المرض النفسانى ، وهو باتفاق المذاهب يرجع إلى علة واحدة محيطة بجميع العلل ، وهو الانقسام الداخلى ، أو علة التصدع التى توزع النفس شيئا من النقائص والأضداد ، وتفقدها الوسيلة التى ترأب بها صدوعها ، وتعيد بها الوئام والألفة من مقاصدها ونزعاتها.

ومعنى هذا أن عملية غرس العقيدة ، وترسيخها فى نفس المسلم ضرورية ، وأكيدة بل هى بالنسبة للنشىء أشد وأكد ، ويساعد على تحقيق هذا الهدف كل المواد الدراسية من خلال ما تقدمه من حقائق ، ومعلومات، ومواقف ، وأحداث . ويقف فى مقدمة المواد الدراسية مادة التوحيد ؛ انطلاقا من طبيعة تلك المادة.

ويستهدف علم التوحيد " تقديم الأدلة على صدق العقائد الإسلامية - وأساسها الإيمان بالله وحده ، ووجوده ، وعدم الإشراك به - وسوق الحجج الدامغة لشبهات الكافرين.

ويتم تقديم التوحيد للطلاب من خلال موضوعات متضمنة فى كتاب التربية الإسلامية أو من خلال كتب مخصصة لهذا الفرع مثل ما خصص لغيره من فروع التربية الإسلامية الأخرى. ويتضمن كل كتاب من هذه الكتب بعضا من الحقائق العلمية ، وغيرها من المعلومات التى تتصل ببعض العلوم الطبيعية ، والرياضية مثل : الفيزياء ، والكيمياء ، وعلم وظائف الأعضاء. و هذه المواد وغيرها لم يدرسها المدرس فى مؤسسات إعداده ، فضلا عن أن هناك شريحة من طلاب القسم الأدبى فى المرحلة الثانوية يجهلون هذه المعلومات ، وبعيدة عن خلفيتهم الثقافية كما تتضمن هذه الكتب بعضا من الأدلة العقلية التى تتصل بالعقيدة الإسلامية.

ولما كان مدرس التربية الإسلامية هو الموكل إليه تدريس هذا الكتاب ، أو الموضوع العقدى ، ولما كان جانب التوحيد له ، هذه الأهمية فى حياة الفرد ، والجماعة ، ولما كان الطالب هو المستفيد الوحيد مما يتضمنه هذا الكتاب أو الموضوع - فإن التوصل إلى مدخل يفيد هؤلاء فى دراسة التوحيد أمر ضرورى ، وعمل تربوى حتى يمكن القول أن ما يقدم من التوحيد يحقق الهدف المتوخى منه.

٢ـ دواعى الاهتمام بترسيخ العقيدة الإسلامية :

لعل من الدواعى التى يتم الاستناد إليها فى ترسيخ العقيدة الإسلامية ما يلى :

أ - إن العقيدة الإسلامية الصحيحة تحمى الشخصية المسلمة من الذوبان فى غيرها، وتبعدها من أن تذوب فى زحام الحياة المعاصرة ، خاصة وأنها مستهدفة من قبل العناصر المناوئة للإسلام . ولما كان الإسلام دين متفرد ، فإن المؤمنين به يجب أن يكونوا متفردين كذلك فى العقيدة ، وفى العلم ، وفى الخلق ... الخ.

ب - إن الوقت المناسب لغرس هذه العقيدة ، وإنمائها من الناحية التعليمية إنما هو فترة التعلم العام ، لأن الطالب فى هذه المرحلة يميل إلى التعمق فى فهم أسرار الكون وفى سنن الله الكونية وإلى التوسع فى الاتصال بالأشياء لمعرفة العالم ، وارتياده ، كما نجده متحمسا للإصلاح والتطوير . وتبدأ تظهر ميوله وقدراته واتجاهاته الخاصة ، ويهتم إذ ذاك بالمسائل الدينية والعلمية ، والمثل العليا.

جـ - إن تناول مادة التوحيد وتدريسه للنشء قد اكتسب صفة التقليد ، واتباع المألوف منذ زمن بعيد ، فى الوقت الذى طورت فيه العلوم الأخرى نفسها من حيث المادة وأسلوب تقديمها وطريقة تدريسها.

د - إن تدريس التوحيد لا يستهدف فقط إلمام الطالب ببعض المعلومات المتصلة به ، بقدر ما يستهدف تعميق العقيدة فى القلب ، وتمكينها من النفس . وكلما كان المدخل لتدريسه مقبولا لدى الطالب ، ومعروضا بأساليب متعددة - كان ذلك أقرب إلى تحقيق المستهدف منه.

ه - إن بعض كتب التوحيد قد غالى فى تغليب المدخل العلمى ، وأكثر من استشهاد المستشرقين ، مما قد يتبادر إلى الذهن إلى أن العقيدة الإسلامية لا يسندها إلا شهادة هؤلاء أولا ، وتبعيتها للتفسير العلمى الذين يكتشفونه ثانيا . ولا يخفى ما فى هذا وذاك من تأكيد لظاهرة ضعف المسلمين فى أذهان النشء الذين يتوقع منهم الإصلاح والتقدم مستقبلا والذين يرون أن ما يطرح فى جانب التوحيد ، إنما هو ردود أفعال من المسلمين وليس من قبيل المبادأة منهم . ولن يتم هذا وذاك فى ظل الإحساس بالعجز والتأخر وإزاء النماذج الكثيرة التى تقدم له من غير المسلمين.

و - إن ترسيخ العقيدة لدى النشء يحول الإسلام والمسلمين إلى قوة كيفية ، وردهما إلى سابق عهدهما ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (البقرة : ٢٤٩)، إذ الكثرة التى لا تجدى ولا تفيد ، ضررها أكثر من نفعها ، لأنها تقلل - فى نظر غير المؤمنين - سمو المبادئ الإسلامية، بل ربما تصرف الكثيرين منهم ، عن جوهر هذا الدين ، وليس ذلك حقيقة واقعة.

٣ - بعض الجوانب المتصلة بالعقيدة الإسلامية :

لعل من المفيد عرض بعض الجوانب التى تساعد على فهم العقيدة الإسلامية ، ومنها ما يلى :

أ - أصل العقيدة الإسلامية :

تمثل الوحدانية صلب هذا الدين وأساسه ، وبدون التسليم بأن الله واحد أحد ، يفقد الإيمان جوهره وحقيقته ، ويصبح الإسلام عملية شكلية ، لا معنى لها ، ولفظا بدون رصيد من القلب ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (النساء : ١١٦).

وليس التسليم بوحدانية الله مبنيا على الإقرار فقط ، بل لابد له من سند سلوكى فى الحياة يتسع باتساع حياة الفرد ، ويصبح نمطا سائدا فى كل حياته ، لأن التوحيد من الفرد لا يعرف إلا بمقدار ما يظهر من سلوك ، وما يبدو من أداء إزاء الكون والحياة ، والناس . ويظهر المدخل الحقيقى للإقرار بالوحدانية ممثلا فى النطق بأشهد أن لا إله إلا الله " فهى تشير إلى أن الوحدانية له – سبحانه – فى القلب هى بمثابة الشئ المشهود بإحدى الحواس الخمس . ومن إدراك شيئا بحسه ، ووعاه – والحواس أداة المعرفة – أصبح خارجا عن دائرة الشك والوهم . ومع أن الله لم نره ، ولم ندركه بحواسنا ، ولن تدركه . ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (الأنعام : ١٠٣) – فإن الإيمان به إلها واحدا – نظرا لحتمية وجوده – مستقر فى القلب وموجود أمام أعيننا نراه، ونسمعه ونحس به.

ويبدو – على سبيل المثال – أن ترتيب ركن الحج بالصورة التى جاء عليها فى الحديث النبوى الشريف " عن ابن عمر – رضى الله عنهما – عن النبى - (ﷺ) - إنه قال : "بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وأقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان ، وحج البيت". رواه البخارى ومسلم عن غير واحد من الصحابة – ليس صدفة وإنما جاء تتويجا لإيمان راسخ ، وعقيدة ثابتة، وتسليم مطلق بالواحد الأحد، وإذعان بكل ما فيه من مناسك وشعائر ، ولذلك فإن " من حج فلم يرفث ولم يفسق – رجع كيوم ولدته أمه " (متفق عليه) كما جاء فى حديث أبى هريرة ويؤكد القرآن الكريم هذا المعنى ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ (البقرة : ١٩٧).

ومعنى هذا أن الحج – وهو الركن الخامس – هو العبادة الوحيدة التى اشترط فيها عدم الجدال ، لكى تكون حجة صحيحة . والجدال فيه نابع من أن الأمور التعبدية التى يقوم بها الحاج فيها ما يدعو إلى الجدال وكثرة السؤال مثل الوقوف بعرفة بالذات ، ورمى الجمرات والمبيت بمنى ... إلى آخر المناسك . فإذا خلا الحج من كل ذلك كان علامة على الإيمان العميق، والتسليم المطلق لله الواحد الأحد.

ومن هنا كانت العبادات فى الإسلام تستهدف التدرج بالمسلم فى عقيدته ، ومحاولة التسامى به ، والوصول بها إلى الوحدانية التى تتطلب ألا يظهر واقعها فى توحيد الخالق فقط ولكن هذا التوحيد لابد أن ينسحب على كل مظاهر الحياة : توحيد فى الجانب

السياسى وتوحيد فى الجانب الاجتماعى ، وتوحيد فى الجانب الاقتصادى ، وبمقدار ما يرد التوحيد فى كل أمور الحياة إلى توحيد الإله بمقدار ما تظهر عظمة عقيدة الإسلام ، فى نفس المسلم ؛ إذ تصبح عملا ، وسلوكا موجها إلى صاحب هذه العقيدة ، وهو الله سبحانه ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة : ١٦٣).

هل يستطيع الإنسان أن يحيا بغير عقيدة دينية ؟ وهل يكون سعيدا بهذه الحياة ؟

يجيبنا الفيلسوف الشهير كانت Kant عن هذا السؤال بقوله : "لنأخذ حالة إنسان فاضل يجد نفسه خاضعا لإلحاح الاعتقاد بأنه لا يوجد إله ، ولا حياة أخرى وراء هذه الحياة ، فكيف يقدر مصيره تقديرا مستمدا من القانون الخلقى الذى يوحى إليه العمل ؟ إنه يرى أن ذلك الاعتقاد لن يجلب له أى فائدة شخصية . لا فى هذه الحياة ولا فى حياة أخرى وراء هذه الحياة بل إنه على العكس يرى أن إرادته يمكن أن تكون باعثة على الخير حين توجه القوانين الأزلية جميع طاقاته ، فهو مجبر فى كل أفعاله .. وسيجد آخرين ممن يحيطون به يخادعون ويغدرون ويستعملون العنف والقسوة على حين يكون هو نفسه أمينا مسالما .. ولا يعدم فيمن حوله بضعة أفراد فضلاء ، مثله . ولكنهم يتعرضون لقسوة الطبيعة التى لا تحفل بالقيم المثالية .. وبعد هذا يتساوى الجميع - أشرارا وأخيارا - حينما يداهمهم الموت ويلقى بهم فى قبور فسيحة بلا تفرقة ، إنه لن يستطيع الاستجابة للقوانين السلوكية بسبب المصير إلى ظلام العدم اللانهائي وإذا أراد أن يتجنب هذا، وجب عليه الإيمان بوجود خالق للكون هو الله ... " كما يقدر أنه " إذا كان للوجود الإنسانى قيمة فلا بد أن يكون للعالم غاية .. ولا بد من وجود سيد أعلى يشرع فى مملكة خلقية من الشرائع ذات الأهداف المثالية ما يتسنى به تحقيق الخير الأسمى تحت رعايته " وسيطرته على الكون كله " ويقول فى بحث آخر : قصور الإرادة الإنسانية عن تحقيق القانون الخلقى ، معناه أن الله وحده هو الذى تتحقق فيه الصلات المطلقة بين الإرادة الإلهية والقانون الخلقى.

ب – طبيعة الإيمان :

تجدر الإشارة إلى أن معنى طبيعة الشئ هى مجموعة الخصائص والملامح التى تميز هذا الشئ عن غيره . والخصائص والملامح التى تميز التربية الإسلامية أكثر من أن تحصى ، لكن حين تعالج من جهة كونها مادة دراسية يمكن تحديد طبيعتها فى جانبين اثنين.

– هما : *الجانب التعليمى ، والجانب الإيمانى .*

ويقصد بالجانب التعليمى مجموعة المفاهيم ، والقواعد ، والمعلومات والأفكار ،

والمبادئ التى تقدم للمتعلم بقصد السيطرة عليها بغض النظر عن مدى تطبيقها فى الحياة اليومية من المتعلم . وهذا الجانب التعليمى تتجلى طبيعته فيما يلى :

١ - إن القواعد والمبادئ والمعلومات التى تأتينا من الإسلام هى مقاصد شرعية، ليس لأحد القدرة على تغييرها، أو تبديلها. فقواعد مصارف الزكاة محددة بالقرآن الكريم، ومبادئ الحكم فى الإسلام محددة أيضا من العدل، والمساواة، والأخوة والشورى، لكن الجانب التطبيقى يمكن أن يكون فيه شئ من المرونة . ومن هنا فإن الالتزام بها واجب للمصلحة العامة والخاصة.

٢ – أن تعليم شرع الله واجب على المسلم ، وعلى جماعة المسلمين من واقع ما يلى :

أ – أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وفقا لما جاء فى الحديث الشريف.

ب – إن جماعة المسلمين مطالبون بتعليم كل مسلم؛ لأن ضعف الفرد فيه إضعاف لجماعة المسلمين . والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . والقوة العلمية هى البداية الحقيقية لقوة الإيمان . وهى داخلة - ضمنا - فى معنى الحديث الشريف.

جـ - أن جماعة المسلمين - بتعليم أفرادها - تكون قد وضعت هذا المسلم على بداية الطريق الصحيح . وهو مسئول بعد ذلك عن توجيه نفسه ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (الكهف : ٢٩) .

٣ – أن المفاهيم الإسلامية فيها المحسوس والمجرد . والمجرد منها باعث على الخيال والتأمل. فالجنة، والنار، والصراط، وبقية المفاهيم الغيبية تدعو إلى التسامى . أما المفاهيم الحسية فهى تدعو إلى الالتزام مثل: الوضوء، والصلاة، والصوم، والوقوف بعرفه، ورمى الجمار . وهى مفاهيم تهيئ المسلم للمفاهيم الأخرى.

أما الجانب الإيمانى فهم محصلة ما جاء به محمد(ﷺ) ، واستقر فى القلب ، واطمأنت إليه النفس، بحيث لا يطلع عليه أحد إلا الله ، لكنه يتعلق بالجانب الغيبى أكثر ، ويتفانى الفرد فى الدفاع عنه، والموت دونه ، لأنه الحق الذى لا حق بعده.

ومن هذا المنطلق فإن طبيعة الإيمان بالله تعد قمة الإيمان فى الإسلام وهو البداية والنهاية لكل عمل يقوم به الإنسان تجاه خالقه ، ويتوجه به العبد إلى ربه . ومن آمن على هذه الصورة فقد انسحب هذا الإيمان على جوانب الإيمان فى هذا الدين من إيمان بالملائكة، والكتب والرسل ، وباليوم الأخر ، والقضاء والقدر.

ولما كان من المعروف أن الإنسان أكرم خلق الله فى هذا الوجود ، وأسمى مخلوقاته كان من المناسب أن يتسامى الإنسان مع تسامى هذا الإيمان ويرتفع إلى المنزلة التى أرادها له ربه . ولما كانت الحواس من الأشياء المشتركة بين الإنسان وبعض من خلقه ، فضلا عن الجانب البيولوجى فيه كان لا بد أن يكون له تميز من نوع ما يميزه عن غيره من المخلوقات الأخرى.

ويتميز الإنسان بأن فيه نفحة من روح الله ، لا تخضع فيه لمقتضى العقل ولا لقواعد المنطق ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (الإسراء : ٨٥) ومن هنا شاعت هذه المقولة : أن الإنسان كائن معقد . صحيح أن الحواس والعقل أدوات لاكتساب المعرفة، ولكنها أحيانا بل كثيرا ما تعجز عن فهم ما يدور حولها، وقد تضلل صاحبها، ولا تمكنه من المعرفة الحقيقية لطبيعة الأشياء. وكل معرفته لا تتعدى - فى غالب الأحيان - ظواهر الأشياء.

ولما كان الإيمان ليس أمرا محسوسا ، بل إن الإيمان بشئ ما، لا يعد إيمانا إذا تعلق بالأشياء الحسية فإن بدايته جماع الإنسان كله : قلبه وعقله ، وسائر حواسه . ليس ذلك فحسب ، بل كل ما يحيط به من هذا الكون.

وإذا كانت المعجزات الحسية التى أيد الله بها رسوله(ﷺ) كان يمكن أن تقود معاصريها إلى الإيمان قد انتهت بانتهاء النبوة — فإن الإنجازات العلمية يمكن أن تقوم بدور البديل ، فى الأخذ بيد العقلاء إلى الإيمان ، إذا تحرروا من أسر ماضيهم ، وزيف عقائدهم ؛ إذ الإسلام " عقيدة نظرية " توافق عقل الإنسان ، وتقرر ما فيه من عجز ، واحتياج إلى الخالق ، وحاجة إلى تنظيم أموره بفكر يأتى من وراء عقله ، أى من الله ، ويوافق عقل الإنسان المفكر المتدبر المستنير.

ويبدو أنه نظرا لتعقد المواقف الإنسانية ، فإنه لا يمكن أن يقبل الزعم القائل : إن نظاما معرفيا واحدا يمكن أن يتكفل بوصف المواقف الإنسانية بصورة كاملة ، أو بتطويره . ومن هنا فإن الحكمة تستوجب ... نمطا تتداخل فيه أنظمة المعرفة . وليس يكفى فى تحقيق أهداف العلوم الاجتماعية والتربوية أن تتعدد وجهات النظر إليها فى الأنظمة المعرفية Multi Disciplinary بل يجب أن تمتزج هذه المعارف ، وتتفاعل لتشكل أوصافا دقيقة وشاملة للمواقف ، وتقترح حلولا لما يعتريها من أزمات تجعلها قاصرة عن أداء الوظائف المرجوة منها. وإذا كان ذلك ليس بكاف فى العلوم الاجتماعية فإنه فى التربية الإسلامية وبخاصة فى التوحيد أشد احتياجا ، وأكثر ضرورة.

وكتب التوحيد فى تلك المرحلة - بناء على ذلك - يمكن أن تتضمن معلومات ومعارف وحقائق من تلك العوالم الغريبة شريطة أن يكون هذا المتضمن مما يخاطب العقل، والعاطفة معا، ومؤيدا ببعض ما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، وبعض التساؤلات التى طرحها صحابة رسول الله (ﷺ) بخصوص العقيدة ، لأن الإنسان هو الإنسان فى كل زمان ومكان خاصة فيما يتصل بالأمور الغيبية.

ولعل من خصائص الإيمان أنه يزيد وينقص تبعا لأحوال المسلم ، وما تكون عليه من شدة ورخاء ، ويأس وأمل . وهذا يؤكد أن دراسة التوحيد — على أى مستوى عمرى كان — ليس معناه القول بتحقيق الإيمان لدى كل من يدرسه ، بل إن دراسته تفتح باب الإيمان — إن آجلا أو عاجلا — من خلال إشارة لموقف ، أو بيان لغامض ، أو إجابة عن سؤال ، أو تأمل فى النفس ، أو نظرة إلى الكون ، أو اقتداء بمدرس، أو استقطاب من الند ، أو استنتاج عقلى سليم ، أو إلهام من الله ... إلى غير ذلك.

ولا ريب فى أن العقل الإنسانى يحار فى تصور الإله المعبود، لأنه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ (الشورى : ١١) ولأنه فوق إدراك العقل ، وتصوراته ، ولكن الإنسان العاقل المتأمل يبهر بما يحيط به من عناية ورعاية تتعدى، حدود إمكانات البشر فى هذا الجانب، وتقف قدراتهم أمامها عاجزة، خاصة عندما يلاحظ، ويتأمل مدى اهتمام الإنسان بأخيه الإنسان ، وحدود هذا الاهتمام، مهما أعطى، ومنح، حينئذ تبدأ العاطفة السوية فى الميل لهذا الخالق الأكرم، والحب لله جل وعلا، الحاضر الذى لا يغيب، والموجود فى كل الوجود ، المانح بلا مقابل ، والمعطى بلا حدود ، وهنا يبدأ الإيمان بالله سبحانه.

وفى هذا الصدد يبرز قول رسول الله (ﷺ): "لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا : هذا الله خالق كل شئ . فمن خلق الله ؟" ومن ذلك أيضا أن ابن عباس رضى الله عنه قال : إن قوما تفكروا فى الله عز وجل : فقال النبى (ﷺ) : "تفكروا فى خلق الله ، ولا تفكروا فى الله ، فإنكم لن تقدروه قدرة".

إن المجال مفتوح أمام إبداع العقل الإنسانى فيما ينفع ويفيد ." إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له " ولعل حث الحديث ابن آدم أن يترك علما ينتفع به ليس المقصود به كشفا علميا أو إنجازا حضاريا يستفيد منه عدد من الناس - قل أو كثر - وإنما إلى جانب ذلك نفع يعود على الشخص نفسه حين يقوده هذا العلم إلى الإيمان، والاعتراف القوى بالواحد الأحد ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ

فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (آل عمران : ٧).

وتجدر الإشارة إلى أن " الاعتقاد بالله ، والإيمان بوجوده ، لا يضع حدودا تحجب عقل الإنسان عن التفاعل مع الكون والحياة .. وإنما يربط الفرد بسلطة سماوية رقيبة ، وله بعد ذلك أن يتحرك يمينا وشمالا بفكره، مبتكرا مبدعا بعقله . والأسر والخضوع " عقديا " لقوة الخالق.

ومعنى هذا أن الإيمان بالله ليس له مدخل محدد ، ولا نظام معرفى معين يدخل به قلب المؤمن ولكنه متعدد بتعدد النفس البشرية ، مع التسليم بأن هناك قاسما مشتركا بينها ، ومن هنا فإن ما يقدم من التوحيد يعد بمثابة إثارة للعقل ، ومخاطبة للوجدان ، ومفتاح للنفس الإنسانية ، يعالج به بواعثها ، وفطرتها.

جـ - مطالب الإنسان من الدين ، وموقف طالب المرحلة الثانوية منه :

تتعدد المطالب التى يحتاجها الإنسان من الدين ، وربما يقف فى مقدمة هذه المطالب مطلبا اليقين والرضا . اليقين بحقيقة وجود الإنسان ، ودوره فى هذه الحياة ، واليقين بمصير سعيه فى الدنيا ، واليقين بمحصلة تعاملاته مع الإنسان والكون فى هذه الحياة ، كل هذا يشكل الشغل الشاغل له أولا . ولن يستطيع أن يصل إلى ذلك ، ويطمئن إليه إلا إذا أيقن أن الله الواحد الأحد هو الذى يحقق اليقين ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ (الأنعام : ٧٥).

والرضا مطلب أساسى فى هذا العصر الذى ازدادت لهفة الناس فيه إلى الاستمتاع بكل ما يصل إليه العلم ، وما يستحدث فيه من تكنولوجيا . وندر منهم من يشبع أو يرضى بما قدر له الأمر الذى أدى إلى زيادة حالات القلق ، والتوتر والشعور بخيبة الأمل فى هذه الحياة . وربما كان ذلك سببا من أسباب اهتزاز الإيمان لدى بعض الناس ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (الزخرف : ٣٢). وفى الحديث الشريف : جاء رجل إلى النبى (ﷺ) فقال : يا رسول الله علمنى عملا إذا أنا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس.

فقال (ﷺ) : **" ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما، أيدى الناس ، يحبك الناس ".**

ومعنى هذا أن الإيمان بالله الواحد الأحد هو البداية والنهاية لكل صحة فى الدنيا ،

ولكل سلامة فى الآخرة . " إن الإنسان المعاصر اليوم فى مسيس الحاجة إلى يقين دينى ، يعيد إليه وحدته الضائعة ، وسعادته المفقودة ، وأمنه المسلوب . وما دامت القناعة المبنية على الحقائق العلمية هى اليوم من أكثر القناعات فعالية لتحقيق هذا اليقين ، وما دام كتاب الله يمنحنا هذا القدر الكبير المعجز ، من هذه الحقائق التى راحت تتكشف عقدا بعد عقد ، وقرنا بعد قرن - فالتحرك واجب - على ضوء هذه المعادلة - لإنقاذ الإنسان المعاصر من ورطته بفقدان اليقين.

ولما كانت الغاية من — علم التوحيد " إنما هو تحصيل اليقين بمسائله ، كثبوت الوجود لله وصفاته الكمالية التى ورد النص بإثباتها له ، ودفع شبه الملحدين والذين ينكرون ثبوت ما فيها ، وثبوت بعثة الرسل صلوات الله عليهم أجمعين - فإن واجب المشتغلين بهذا العلم أن يستغلوا كل ما وصلت إليه العلوم الأخرى من إنجاز وتقدم فى تنمية هذا اليقين

وإقامته على أساس من الفهم والاقتناع بدلا من المحاكاة والتقليد، لأنه أى التوحيد إذا تم تعلمه " على التقليد فى الدليل ، كالتقليد فى النتيجة، واكتفينا بفهم ما جاء من الأدلة على ألسنة من كتبوا فيها - أعرضنا عن الغاية من وضعه ؛ لأن اليقين لا يحصل بقراءة الأدلة وخزنها فى الأذهان؛ وإنما يحصل بالاستدلال الصحيح ، وإدراك العقل وجه الدلالة من نفسه بدون تقليد.

ويمكن للمتعلم، خاصة طالب المرحلة الثانوية أن ينتقل إيمانه من مرحلة التقليد إلى مرحلة الاقتناع عن طريق مخاطبة الجانب العاطفى، والتركيز على الناحية العقلية وسوق الأدلة العلمية والشواهد الكونية . وهذه الجوانب إن لم تفعل فعلها اليوم ، وتحقق الهدف منها، فعلى الأقل تترك أثارها إلى حين استثارتها بعد ذلك، واستحضارها فى الذهن فى موقف ما، لأن إفادة الإنسان مما تعلم ليس حتما أن تظهر فى حينها بل يمكن الإفادة منها فى المستقبل ، حينما يستدعى الموقف ذلك.

إن زيادة اليقين بالله والارتفاع به إلى مستوى أكبر من ذلك ينمو مع زيادة الخبرة ، وتقدم السن ، واحتكاك الإنسان بما حوله ، وبمن حوله ، وتكرار الأحداث ، والقدرة على ربط هذه الأحداث بعضها ببعض ، ويقف وراء ذلك إعمال الفكر ، وتأمل المظاهر المختلفة فى هذه الحياة من منطلق ربط الأسباب بالمسببات، والعلة بالمعلول ، فليست الصدفة وحدها هى العامل الحاسم فى تفسير الأحداث لأنها إن قبلت فى تفسير حدث ما، فليست بمقبولة فى تفسير ما بعد ذلك وكأن الحاضر الغائب وهو الله ، أراد استقطاب

الذين يعملون عقولهم ويفكرون فى خلقه تعالى ، ليستحضروا عظمة الخالق . ولعل ذلك ينطلق من مبدأ أساسى إن الله استوى على العرش ، ودبر الأمر بعلمه وحكمته . وحقيقة الأمر أن الله يحب لعباده المشاركة فى أمور دنياهم - وهى مشاركة ظاهرية - بطبيعة الحال - ليشعرهم بوجودهم ، وليدخل على قلوبهم مشاعر الاحترام والتقدير لذواتهم.

إن المادة المقروءة لها تأثير كبير على الطالب ، وتحدث فعلها إذا خاطبت فيه جانب العقل والعاطفة معا ، وتميزت بالصدق والأصالة وابتعدت عن التهويل ، واستجداء الاقتناع ، خاصة إذا كانت متعلقة بالإسلام ، إذ إن معطياته " كما جاءت فى القرآن والسنة تتميز بصفة الديمومة والاستمرارية لأنها تتخطى عاملى الزمان والمكان . فهى ليست موروثة موقوتة ، ولا زائلة ولا متغيرة ، ولا تخضع لقوانين مسبقة الفكر . والإسلام بهذا الاعتبار يثبت روح الاطمئنان والرضا وليس من سبيل إلا إليه ، يحمى به الفرد نفسه ، ويقيها مزالق الشر.

٤ – علاقة العلم بالقرآن وموقف كتب التوحيد من العلم :

تجدر الإشارة إلى أن بيان هذه العلاقة إنما يرجع إلى أن العلم خطا خطوة واسعة يمكن القول معها أن الإنسان أصيب إزاءه بالانبهار ،بسبب الإنجازات الضخمة والإمكانات الهائلة التى حققها ، ويمكن أن يحققها . وربما تتعاظم هذه النظرة من المسلمين : شبابهم ، وشيوخهم وقد يطرحون تساؤلا هو : أين نحن المسلمين من هذا العالم ، مع أننا نؤمن إننا على حق ؟ والمواطن العربى مهيؤ لاستقبال ما يتساقط عليه من مواد إعلامية وثقافية خارجية ، خاصة إذا كانت على مستوى جيد من الإنتاج والإخراج ، وسيغذى هذا التهيؤ توفر هوائيات الاستقبال المتقدمة التى يستطيع الأفراد الحصول عليها — نسبيا — فى المستقبل— إلى جانب الأجهزة الحديثة والمتقدمة ، والمتطورة ، التى تساعد على جودة الاستقبال واتساعه . وهناك شواهد مبكرة لهذا الاتجاه فى بلدان المغرب العربى التى زادت فيها مشاهدة مواطنيها أو استماعهم للبرامج المبثوثة من إيطاليا و فرنسا وأسبانيا ، كما أن انتشار أجهزة الفيديو ، واحتمال انخفاض أسعارها سيجعل المواطن العربى نهبا لأنساق اتصالية وثقافية أجنبية تعوضه عن هزال ، أو تفاهة ، أو جفاف ما تقدمه أجهزة الأعلام الوطنية ، ولكن التأثير الأبعد مدى والمتوقع هو تحلل الثقافة العربية ، وإضعاف الهوية والانتماء.

والمسلمون يهمهم أمور دينهم ، وفى مقدمة هذه الأمور العقيدة الإسلامية المستمدة

من القرآن الكريم . ونظرا لحالة الضعف التى يعانى منها المسلمون - وهى حال مؤقتة - فإن ترسيخ العقيدة الإسلامية - خاصة لدى الشباب - أمر ضرورى وملح ، ينبغى أن تؤخذ بعين الاعتبار من قبل التربية ، بل إن هذا الوضع يفرض على التربية أن تكون مخرجاتها التعليمية فى مستوى تضعف أو تتضاءل أمامهم المغريات المادية ، وحضارتها الوافدة . وليس يفيد فى مثل هذه الحالة أساليب التوعية ، والوعظ والإعلام ، بمقدار ما يفيد قوة الإيمان ، ورسوخ العقيدة.

وتتخلل العقيدة جميع سور القرآن الكريم ، بلا استثناء ، وكذا جميع أحكامه الأخلاقية ، والتشريعية . والقرآن الكريم هو كتاب الله المنزل على رسوله محمد (ﷺ) ، المتعبد بتلاوته ، ليكون هاديا للناس ومبشرا ونذيرا ، ودستورا لهم فى دينهم ودنياهم ".

ويحث القرآن الكريم فى كثير من آياته على طلب العلم . ولعله يقصد به كل معرفة منظمة يصل إليها الفكر الإنسانى من خلال الإلهام، والنظر والتأمل والملاحظة ، والتجريب والتعامل مع ظواهر الحياة ، طبيعية كانت أو اجتماعية فردية كانت أو جماعية من خلال هذه الأبعاد.

وليس من العدل أن نضع القرآن الكريم فى ميزان ما مع أى كتاب كان ، أو أى معرفة مهما كان مصدرها ، لأن القرآن كلام الله ، وما عداه فهو صادر عن البشر ، وهو أى القرآن حق ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت : ٤٢) وغيره فيه الحق نسبى ، وفيه الباطل ، وهو أى العلم وصف للحقيقة ؛ إذ الحقيقة العلمية ما هى إلا مجرد الوصف الصادق الأمين لأية ظاهرة كونية من غير الدخول فى كنهها ، أو التعرض لحقيقتها المطلقة ، بمعنى أن العلم يستطيع أن يكشف أسرار العلل الثانوية والقريبة ، ويشرح ، ويفسر أحداث العالم شرحا جانبيا ، أما الكشف عن العلل الأولى فإنه خارج نطاق بحث العلم كليا. والقرآن ثابت لا يتبدل ولا يتطور ، أما غيره فهو قابل للتغيير والتبديل والتطور.

والقرآن الكريم هو أصل الشريعة ، وأساس الإسلام ، وصلب هذا الدين : عقيدة ، وشريعة ، وسلوكا وكل ما يمكن للمسلم أن يصل إليه منه ، بإعمال العقل ، وحسن الفكر ، أما العلم فهو اجتهاد فرد أو أفراد ، ومن ثم فهو لا يصل إلى الصحة المطلقة ، لأن ذلك ينافى معناه أولا ، ولأن صحته نسبية : زمانا ومكانا ثانيا . وهذه الصحة النسبية هى أساس كل جديد متطور . وبدونها تقف الحياة ، ويقف كل تطور.

ولما كان القرآن من عند الله، والعلم من صنع البشر، والبشر من صنع الله فإنه بالضرورة لا بد أن يكون هناك اتساق بين القرآن والعلم، لأن القرآن يربط الإنسان بخالقه، والعلم القائم على حسن القصد، وإدراك الهدف منه يصل الإنسان بخالقه فى النهاية، لأن الإنسان يقف منه على عظمة الخالق فى خلقه. وباختصار فإن علاقة العلم بالقرآن؛ إنما هى علاقة اتساق وتآلف، وتوجيه.

وبناء على ما سبق يمكن عرض بعض الآراء التى تفسر علاقة العلم الصحيح بالحقائق الإسلامية فى القرآن الكريم وهى كما يلى:

- **الرأى الأول**: ويرى صاحبه أن تفسير القرآن ينبغى أن يتجه إلى الجانب الوجدانى حيث يحرك المشاعر الروحية، والعواطف الدينية، ويذكى فى القلوب اندفاعا وحماسا نحو دينها، وتاريخها العريق.

ويرى أن المسلمين ينقادون إلى الدين بسهولة ويسر. وإصلاحهم عن طريقه أضمن بكثير من طريق آخر؛ لأنه متى سلمت العقيدة سلمت الأعمال، واستقامت الأحوال، وتهذبت الأخلاق، وسرى الصلاح إلى سائر الأمة.

وقد يكون الباعث على هذا الرأى ما يلى:

أ - إن سلامة الفطرة فى الإنسان السوى، وصفاء الإحساس من أهم وسائل تقبل المعرفة الصحيحة، والاقتناع بها. ومهما تقدم العلم فإنه لا يمكن أن يلغى جانب الفطرة، أو يهملها، أو يستعيض عنها بشئ آخر، إلا ما ندر.

ب - إن رسالة الدين فى الحياة، هى السمو بالعواطف، والمشاعر، وتهذيب الأخلاق والضمائر، وتطهير النفوس والعقائد، من حيث أن الدين هو شريعة الإصلاح ينظمها قانون سماوى، له فى النفس الحب والتقديس.

جـ - إن الدين يخاطب الوجدان فى الإنسان. وبمقدار انفعال المتعلم به، بمقدار ما يترك أثره فيه. ومعنى هذا أن تدريس العقيدة يتم عن طريق مدخل العاطفة، و إبراز الصورة الخيرة الجميلة لهذا الدين عند النشء.

- **الرأى الثانى**: ويرى تفسير القرآن بما توصل إليه العلم البشرى من إنجاز وتقدم ويستند هذا الرأى إلى ما يلى:

أ - أن القرآن الكريم حفل فى كثير من آياته بالدعوة إلى التأمل، والنظر فى ملكوت الله

والربط بين مظاهر الكون ، ليصل هذا التأمل فى النهاية إلى الإيمان بالله الواحد الأحد ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ۝ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ (الفرقان : ٦١ ، ٦٢) ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (آل عمران : ١٨٩ ، ١٩٠).

ب – إن القرآن الكريم فيه ما يفيد أنه تضمن كل شئ ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ﴾ (الأنعام : ٣٨) ويعنى مفهوم الآية إنه يشمل : صراحة ، أو ضمنا كل ما يصل إليه العقل البشرى من علوم ومعارف . وبمقتضى ذلك فإن أنصار هذا الرأى يحاولون رد كل علم يقع فى هذا الكون إلى القرآن الكريم عن طريق تأويل الآيات التى تحتمل ذلك ، ولو أدى الأمر إلى المغالاة فى هذا التأويل.

جـ - إن العلم الحالى الذى وصل إليه الباحثون إنما هو " فى جوهره مدين بظهوره لذلك الازدهار العلمى الهائل الذى شهدته الحضارة الإسلامية ، والذى انتقل تأثيره إلى أوروبا منذ القرن الثانى عشر الميلادى و وإن لم تكن أوروبا نفسها قد اعترفت بهذا التأثير إلا فى وقت متأخر.

د – أن العلم يمكن أن يستخدم فى تفسير القرآن الكريم إذا اقتضى الأمر ذلك ، لأن القرآن عرض التوحيد فى جانب منه بأسلوب خبرى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ ﴾ (البقرة : ٢٥٥) ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ ﴾ (الأنبياء : ٢٢) ، وحينما يرى كالإنكار فى النفس يسوق التعبير بأسلوب آخر يستحث فيه العقل ، ويدعوه إلى التأمل والتفكير ، بل قد يحمل معنى العتاب والتوبيخ ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ (النبأ : ٥ - ١١) ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الزمر : ٥٢).

هـ - إن تأكيد الإسلام على العلم ، والإلحاح عليه ، والدعوة إلى طلبه فيه مؤشر صادق إلى أن القرآن الكريم لا يمكن فهمه فهما جيدا ، والوقوف على ما فيه من إعجاز إلا عن طريق العلم . ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الزمر : ٩).

- **الرأى الثالث** : ويرفض الاعتماد على العلمى فى تفسير القرآن الكريم ، ويرى أنه إذا كانت آيات القرآن الكريم تضمن حقائق ، ومسلمات مطلقة لا يأتيها الباطل من بين يديها ، ولا من خلفها ، بينما تظل معطيات العلم أسيرة نسبيتها ، وتغيرها ، وقلقها وتحولها - فكيف يلتقى المطلق بالنسبى والكلى الجزئى ، والشامل بالمحدود ؟ وهل يصح أن نفسر بعض آيات القرآن الكريم على ضوء نظرية ، أو كشف علمى قد يتعرضان فى أية لحظة للتشكيك والنقض ؟ ألا يقود هذا إلى نوع من التشكيك ، والتناقض يمتد إلى المعطيات القرآنية نفسها ؟

وقد يكون الباعث على هذا الرأى ما يلى :

أ - أن القرآن الكريم قد أرسى مسلمة رئيسية فى مجال العلم ، وهى مجال التخصص ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل : ٤٣). ومعنى هذا أن غير المتخصص ليس أهلا للسؤال ، والكتاب غير المتخصص ليس محلا للإقناع ، وهذا يعنى أن كتاب التوحيد يعالج التوحيد من جانبه هو لا من جانب الكيمياء ، أو الفيزياء ، أو علم التشريح .. وغير ذلك . وإذا فرض أن الكتاب المتخصص تضمن شيئا من غير مادته الأساسية ؛ فإنما يكون ذلك بالقدر الذى لا يخرجه عن طبيعته ، ولا يؤدى إلى تكرار ما فى الكتب الأخرى، وفى الوقت نفسه يحتفظ القارئ بثقته فيما يقرأ ، بالإضافة إلى إعطائه الفرصة لإقامة تكامل معرفى لدى الإنسان ، وتنسيق مقروءاته بطريقته الخاصة انطلاقا من مبدأ وحدة المعرفة الإنسانية.

ب — ان طبيعة القرآن الكريم تكمن فى أنه كتاب هداية وإرشاد ، وليس كتاب علم ، أو فن، أو أدب ، أو غير ذلك . ومن هنا يتفق العلم والدين معا فى إنها يمدان الإنسان بالمعرفة ، و يهيأن له أسباب السعادة ، فالعلم يمده بمعرفة ما فى عالم الحس ، أو الكون المادى ، والدين يمدنا بمعرفة بعض ما فى عالم الغيب ، ولا سبيل إلى الاستغناء عنهما . وعلينا - بأمر ديننا - أن نخضع كل ما فى عالم الحس للتجربة، والقياس والمشاهدة . ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (يونس : ١٠١).

جـ - إن الحقائق والمسلمات المتضمنة فى القرآن الكريم ليست مقصودة لذاتها وإنما تستهدف الإشارة إلى أن الكون بمن فيه ، وما فيه ملئ بالآيات الدالة على وجود الله وعظمته . والمطلوب من المسلم أن يستغل كل إمكاناته العقلية ، وقدراته الفكرية ،

وشتى مظاهر الإدراك العقلى للوقوف على سر الوجود، وقدرة الموجد ، وتعميق الإيمان ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (الغاشية : ١٦ - ٢٠) ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن : ١٩ - ٢١).

د - إن القرآن الكريم كتاب معجز ، وإعجازه يمتد إلى كل مظاهر الحياة مما وصل به إلى مرحلة السمو ، والتقديس فى نظر المؤمنين به . وليس يعقل أن نحاول ربطه بما هو أدنى منه طمعا فى استمالة قلب فرد أو أفراد مهما كان وضعهم ، أو حجمهم ؛ لأن آيات الله مبثوثة فى كونه . تنطق بكل مظاهر الاتساق والإبداع ، وما على العاقل إلا أن ينظر إليها بفكر وتأمل.

ومعنى هذا أن تدريس العقيدة الإسلامية يستند فى الأساس على الأدلة النقلية التى وردت فى الكتاب والسنة ؛ لأن إقبال المرء على الله ، وإيمانه به يتيح لقلبه ، وعقله التسليم بكل ما جاء فى القرآن والسنة ، كما يستند هذا التدريس على الأدلة العقلية التى قدمها ويقدمها المقربون إلى ربهم عبر التاريخ الإسلامى ، والتى أصبحت رصيدا حضاريا يتم الرجوع إليه ، وتعليم النشء بناء عليه.

- **الرأى الرابع** : وهو الذى يميل إليه المؤلف ، إنه إذا كان القرآن الكريم هو كتاب الله المسطور ، والكون هو كتاب الله المنظور ، فلا بد أن يكون بينهما نوع من الانسجام والاتساق ، والوحدة والاتفاق ، لأن خالقهما واحد وموجدهما واحد مع مراعاة وظيفة كل منهما . فالكون مخلوق لخدمة الإنسان ، يمارس فيه كل نشاطاته : الخيرة والشريرة والقرآن كتاب ضبط للسلوك ، وتوجيه وتربية للأفراد والجماعات ، وصمام أمان لكل ما يصدر عن الإنسان ؛ حتى يحتفظ الإنسان بإنسانيته ، ولا يتدنى إلى الكائنات الحية الأخرى ، وتبقى الفروق بينهما موجودة وثابتة.

ومعنى هذا أنه يمكن أن يفسر القرآن الكريم عن طريق استخدام العلم ، وما توصل إليه الإنسان من معارف كونية ، أو حياتية ، أو إنسانية ، وكل ما من شأنه أن يربط الإنسان بخالقه، ويؤكد عقيدته ، مع تنبيه النشء ، ولفت الأنظار إلى ملاحظة طبيعة القرآن وطبيعة العلم والمتأمل لتلك الآراء يرى أنها تناولت علاقة القرآن بالعلم من زوايا مختلفة ، وليس أحدها متعارضا مع الآخر ، أو بديلا عنه ، ولكنها فى النهاية حصيلة جهد

إنسانى ، واجتهادات شخصية استندت فى دعمها على ما جاء فى القرآن الكريم باعتباره المنبع الأول ، والمصدر الأصلى ، كما استندت إلى حسن نوايا أصحابها ؛ لإثراء عملية التعامل مع القرآن الكريم ويمكن تلخيص كل الاتجاهات السابقة فى تفسير القرآن الكريم، ونصيب العلم منه، والعلاقة بينهما، خاصة ما يتصل بعلم التوحيد - فيما يلي :

- يفسر القرآن عن طريق الجانب العاطفى.
- يفسر القرآن عن طريق العلم.
- لا يستخدم العلم فى تفسير القرآن الكريم.
- تستخدم كل وسائل المعرفة التى توصل إليها الإنسان وغيرها من الوحى والإلهام فى دعم تفسير القرآن.

ويبدو من الصعب فصل كل رأى من هذه الآراء عن غيره ، إذ لا بد أن تتداخل انطلاقا من أن تعامل الإنسان مع القرآن تعامل كلى : عقلا ، وعاطفة ، وروحا، ومحصلة خبرة وأصالة تاريخ ... الخ .

٥ – نموذج تطبيقى لهذه المداخل :

يمكن محاولة تطبيق المداخل السابقة من خلال موضوع ما - على سبيل المثال - وهو الوحدانية ، فالمدخل النقلى، أو النص يقتضى أن نقول : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الأنبياء: ٢٢) والمدخل العقلى يتطلب القول : أن تعدد الإلهة يقتضى تعدد الاختصاصات ، ومحاولة كل إله الانفراد بالسلطة والسيطرة ، وهذا يؤدى إلى الاختلاف، الأمر الذى يؤدى إلى عدم انضباط الكون، وخضوعه للأهواء الذاتية. والمدخل النفسى يوحى بأنه حين تتوزع النفس الإنسانية إلى آلهة متعددة لا تشعر بالراحة أو الاطمئنان ، وإنما يؤدى إلى النفرة ، ورفض مبدأ العبودية والإذعان لغيرها. والمدخل الاجتماعى يستدعى القول أن حياة الجماعة حينما يقودها أفراد عديدون يصلون بها إلى التفرق ، وانعدام الولاء. والمدخل التاريخى يؤكد أن الناس على اختلاف العصور كانت لا تستقيم حياتها إلا فى ظل نظام موحد للجماعة ، تحقق لها مطالبها وتؤكد لها سيادتها ... الخ.

ومعنى هذا كله أن موضوع التوحيد الواحد يمكن أن نتناوله من زوايا متعددة ، ومداخل مختلفة ، إذ أن المدخل الذى يتناسب مع طالب ربما لا يتناسب مع آخر . وهى عملية واردة لأن المراد أن يتحقق الهدف ، وهو غرس عقيدة التوحيد ، ولا سبيل إلى

ذلك إلا باستخدام كل المداخل الممكنة ، وذلك مطلوب مهما كان مكلفا ، ومتعبا ، خاصة إذا كان الهدف المتوقع تحقيقه أسمى وأكبر من أى شئ آخر.

وفى ضوء ما سبق يمكن تدريس العقيدة الإسلامية من خلال القرآن الكريم بالأساليب الآتية :

١ - إن تناول التوحيد يمكن أن يتم عن طريق الجانب الوجدانى ، واستمالة عاطفة التلميذ ؛ لأن الاعتقاد أو الإيمان ينبع من الأحاسيس والعواطف الطبيعية المختلفة التى يشعر بها الإنسان.

٢ - إن تناول التوحيد وتقديمه للطالب يمكن أن يتم عن طريق استخدام الأدلة العقلية التى تتفق ومستوى طالب هذه المرحلة ، وكل ما يمكن أن يثير فى نفسه التأمل والملاحظة والاقتناع الأمر الذى يمكن أن يؤدى إلى الإيمان ؛ لأن العقل ليس فى إمكانه إصدار قرار بشأن الغيبيات ، ولكنه يمكن أن يصل إلى شئ ما ، من الآيات المبثوثة فى الكون.

٣ - إن تناول التوحيد يمكن أن يتم عن طريق الاستشهاد بما توصل إليه العلم الطبيعى مع التنبيه على نسبية هذا العلم ، وعدم ربطه بالقرآن ربطا مطلقا ، لأن المستقبل قد يكشف بطلان ما مضى منه أى العلم . وعلى أن يكون هذا الاستشهاد ، فى الحدود التى لا تخرج مادة التوحيد عن طبيعتها ، وتحولها إلى مادة علمية بحتة ، والمستشهد به موثوق به - حتى ولو كان كافرا - غير مشكوك فيه من بنى وطنه ، لأن ضرره فى هذه الحالة - أكثر من نفعه.

٤ - إن تناول مادة التوحيد يمكن أن تتم عن طريق استخدام ما يمكن استخدامه من وسائل. ومنها ما جاء على لسان الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ومن أجرى الله عليهم فيوضات إلهية ، يقتنع بها العقل ، ويطمئن إليها القلب ، وتؤكد عقيدة التوحيد فى نفس المؤمن.

٥ - إنه يمكن تحقيق الهدف من تدريس التوحيد من خلال تلك المداخل السابقة : بعضها أو كلها إذا توافرت لها المدرس الكفء ، المعروف بيقين الإيمان ، ورسوخ العقيدة ؛ إذ يصبح مصدر إشعاع ، ونبع فيوضات على من حوله.

٦ - إنه فى حاله الأخذ بمدخل أو أكثر يراعى التوازن بحيث لا يطغى أحد المداخل على غيره كما يراعى التناسب مع كل مرحلة تعليمية ،بما يتلاءم مع قدرات التلميذ ،

فضلا عن تحقيق جانب الاتساق والتكامل بين ما يقدم فى مادة التوحيد ، وبين ما يقدم فى بقية المواد الأخرى اجتماعية كانت أو علمية ، الأمر الذى يحقق تكافؤ الفرصة التعليمية بين الطلاب.

٧ - إن الإيمان بالله عملية معقدة متشابكة ، لأنها تتصل بالقلب ، ولا سبيل إلى تحديد مدخل مجد ومفيد يمكن أن يكون هو الفيصل فى هذا المجال ، ومن هنا فإن الاستعانة بكل وسيلة فى ترسيخ الإيمان عملية واردة ، وبالتالى فإن موضوعات التوحيد ، أو كتبه ينبغى أن تتضمن أكثر من مدخل.

٨ - أن تعدد مداخل عرض وتقديم مادة التوحيد أمر يتفق مع مبدأ تربوى مهم ، وهو مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب ، إلى جانب التنويع.

٩ - إن المرحلة الثانوية هى المرحلة التى يجب الاهتمام بها ، وبطلابها ، خاصة ما يتصل بدراسة التوحيد ، وتأصيله لدى هؤلاء الطلاب.

١٠ — إن مدرس التربية الإسلامية - فى إطار هذه المداخل - لابد أن يعاد النظر فى أمر إعداده وتأهيله ، لأنه بوضعه الراهن لا يمكن أن يضطلع بالمسئولية المنوطة به.

١١ — إنه لا يمكن أن نحمل مادة التوحيد أكثر مما تحتمل ، لأن هناك نوافذ أخرى للمعرفة ، ممثلة فى غير ذلك من المواد الدراسية ، التى يدرسها الطالب ، ناهيك عما يسمعه ، أو يقرؤه من وسائل الإعلام المحيطة به.

١٢ — إن مادة التوحيد التى تقدم للطالب ، لابد أن تراعى الخلفية الثقافية لنوعية هؤلاء الطلاب ؛ حتى لا تسبب نفورا ، أو استهتارا اتجاهها.

٦ – طريقة تدريس العقيدة :

يعتبر تدريس العقائد من الأمور الصعبة ، لأنها تتصل بالغيبيات . وهنا تكمن براعة المعلم وقدرته فى إفهام تلاميذه . ولعل مما يساعد على إفهام التلاميذ ما يلى :

١ — الاستعانة ببعض المواقف الحياتية التى يمر بها التلاميذ ويشاهدونها ، والتى تكون قريبة الشبه بالموضوع المعالج . من باب قياس الغائب على الشاهد . وهذا يتوقف على ذكاء المعلم . وقدرته على تقريب المعنى إلى الإفهام.

٢ — فتح باب المناقشة أمام التلاميذ ، بهدف ربط الموقف المطروح بموضوع الدرس ، وهنا يتأكد دور المعلم فى إدارة المناقشة ، وتوجيهها نحو الهدف.

٣ – إثراء المناقشة ببعض الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأساليب المنطقية والحجج بهدف إقناع التلاميذ ، ثم ممارستهم لأسلوب التفكير العلمى.

٤ – بلورة الموضوع فى نهاية الحصة ، وإعطاء الخلاصة التى تم الوصول إليها.

ثانيا - التفسير :

١ ـ مفهومه وبعض الاعتبارات فى تفسيره :

التفسير فى الأصل هو الكشف والإظهار ، ويحصل بذكر المرادف إذا كان أشهر . وأكثر استعمال التفسير فى الألفاظ ومفرداتها. وغاية التفسير الفهم والإفهام ، وهو أن يصير الشئ معقولا. وسبيله تعين مدلول الشئ، بما هو أظهر منه ؛ حتى يصبح المجهول معلوماً، والخفى واضحاً. تقول : فسرت الكلمة، وفسرت النص، وفسرت المسألة، أى أوضحت دلالاتها ومطالبها.

وقيل : التفسير هو الإخبار عن أفراد آحاد الجملة ، ووضع كل شئ منها موضعه. والمفسر عند الفقهاء : ما فهم معناه بنفسه.

والتفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على محمد (ﷺ) وبيان معانية ، واستخراج أحكامه ، وحكمه ، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف ، وعلم البيان وأصول الفقه ، والقراءات ، ويحتاج إلى معرفة أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ . فموضوعه القرآن.

والقرآن الكريم هو كتاب الله ، الذى أحكمت آياته ، وأنزله الله على رسوله (ﷺ) ليبلغه قومه ، المجمع على تلاوته والمتعبد به بالطرق التى وصل إلينا بها فى الأداء والحركات والسكنات، المحفوظ فى الصدور والسطور ، تجويدا وضبطاً ، بعناية الله ورعايته المستهدف به هداية البشر ، لكمال مثاليته فى الفطرة.

وقد أجمع المسلمون على أن القرآن الكريم بنصه العربى ، المنزل ، المحفوظ حتى يومنا هذا هو وحدة القرآن ، مصدر للتشريع ، ومرجع فى استنباط الأحكام ، ومعجزة الإسلام الباقية وذلك من جهة ما يلى :

١ – حسن تأليفه ، والتئام كلمه ، وفصاحته ، ووجوه إعجازه ، وبلاغته الخارقة . ومن هنا وجد فيه العرب سحراً ، أخذ بمجامع القلوب لم يجدوها فى كلامهم ، فانبرت طائفة منهم تدرس وجوه الكلام البلاغية ، فوجدوا فيه التشبيه والاستعارة

والكناية، إلى آخر مباحث البلاغة ، وأمدهم النص القرآنى بفيض من الأمثلة السامية الراقية ، ارتفعت بفضلها البلاغة العربية مكاناً عالياً.

٢ - تفرده بالأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب، فى عادتهم لنظمها ونثرها . وتجلى ذلك فى مقاطع آياته ، وفواصل كلماته ، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ، ولا استطاع أحد مماثلة شئ منه.

٣ - ما انطوى عليه من الإخبار بأشياء غيبية مستقبلية ، وقعت كما أخبر بها القرآن ومنها: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ (الفتح : ٢٧). ومنها ﴿ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾ (الروم : ٣) فغلبت الروم فارس فى بضع سنين. وقد وقعت تلك الأحداث وغيرها على الوجه الذى أخبر به القرآن.

٤ - ما انطوى عليه من أخبار القرون الماضية، والشرائع السالفة، وبدء الخلق، وما فى التوراة، والإنجيل، والزبور وصحف إبراهيم وموسى، مما صدقه العلماء، لم يقدروا على تكذيب ما جاء به القرآن.

والمؤكد أن للقرآن الكريم وجوها عديدة من الإعجاز . فهو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم ، وحبل الله المتين ، والشفاء النافع . عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضى عجائبه . وفى الحديث ، قال الله تعالى لمحمد (ﷺ): إنى منزل عليك توراة حديثة ، تفتح بها أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا . فيها ينابيع العلم ، وفهم الحكمة ، وربيع القلوب.

ويمثل القرآن الكريم فى التربية الإسلامية المصدر الأساسى لها ، ولكل فكر إسلامى ، فهو القاعدة التى يرتكز عليها الإسلام عقيدة وتشريعا وتنظيما ، وهو الأساس الذى نظم مسيرة الحياتين للإنسان تنظيما منظما موضحا ، مفسرا وشارحا . وهو كذلك العقد والعهد الذى يجمع المسلمين على وحدة العقيدة المتمثلة فى الإيمان بالله ، وبالغيبيات . وكل مسلم يجب أن يرتبط بهذا الكتاب ارتباط حب وولاء ، وارتباط تعلم وفهم ، وإدراك لبعض غاياته مراميه.

وقد نزل القرآن على رسول الله (ﷺ) لهداية الناس ، و إرشادهم إلى ما فيه صلاحهم فى الدنيا والآخرة ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (ص : ٢٩).

وهو كتاب تربية وتوجيه . كتاب ينشئ النفوس على الطريق المستقيم ، وهو يؤدى مهمته هذه كاملة ، دون أن يتعرض لنظريات العلم المختلفة . وما ورد فى ثناياه من المعلومات إشارات كونية للإنسان ليفتح بصيرته على آيات الله فى الكون ، فيتصل بالخالق ، ويحبه ويخشاه.

ويحسن لمن يتعرض لدراسة القرآن الكريم ، وفهم جوانب الإرشاد والإصلاح فيه ، أن يضع فى اعتباره الأمور التالية :

١ - القرآن يفسر بعضه بعضا ، لأنه وحدة متكاملة لا تعارض ، ولا اختلاف ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء : ٨٢). وهذا يتطلب الحفظ ، فإن لم يكن ، فالوعى بالآيات التى تتصل بما يتم تفسيره ، أو الرجوع إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

٢ - معرفة أسباب نزول الأية - إن كان لها سبب - أمر حتمى ، لأنه يساعد المعلم أو الدارس على تفهم الآية على حقيقتها ، وتفسيرها تفسيرا موضوعيا وأمينا.

٣ - الاستعانة بالأحاديث النبوية التى يتصل موضوعها بموضوع الآية ، والتوفيق بينهما. إن كان هناك اختلاف فى الظاهر. ولا يعرف ذلك إلا المتخصصون ، ومن أعطوا فيوضات إلهية.

٤ - معرفة الأساليب العربية ، وبعض التعبيرات اللغوية المأثورة عن العرب ، وفى كلامهم.

٥ - الإلمام باللغة العربية الفصحى ما أمكن ؛ إذ أن معرفة نواحى الإعجاز فى القرآن لن تتيسر إلا لمن يتقن العربية ، ويعرف أسرارها ، ولن يضير المعلم ما غاب عنه ، لأنه كلام الله وما خفى اليوم ، فسيظهر غدا ، لأنه إعجاز متجدد ، وعطاء باق.

" قرأ عمر (وفاكهة وأبا) ، ثم سئل — أو سأل نفسه — عن الأب ، فلم يعرفه ، فقال هذا لعمر الله التكلف ، وما عليك يا ابن عمر ألا تدرى ما الأب ؟ ابتغوا ما بين لكم فى كتاب الله فاعملوا به ، وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربه " وشتان بين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ومدرس التربية الإسلامية.

٦ - معرفة الترتيل . وهو رعاية مخارج الحروف ، وحفظ الوقوف والأوصال ، والآى والمد ، والقراءة بتمهل.

٢ ـ حفظ القرآن الكريم :

الحفظ عند علماء النفس وظيفة من وظائف الذاكرة ، وهو ضبط الصور المدركة . والحفظ مسألة اختلفت فيها الآراء التربوية بين مؤيد و معارض.

يقول "ديوى": إنه ليس من المبالغة كثيرا أن نقول إن الطالب يعامل — فى أغلب الأحيان — كما لو كان اسطوانة فوتوغرافية يسجل عليها مجموعة من الكلمات تعاد بالحرف الواحد عندما يضغط للتسميع أو الامتحانات على الزر المناسب . أو أن عقل الطالب - بتشبيه آخر - يعامل كما لو كان صهريجا ، أو خزانا تصب فيه المعلومات بواسطة مجموعة من الأنابيب بينما يمثل التسميع المضخة التى تخرج منها المعلومات مرة ثانية ، عبر مجموعة أخرى من الأنابيب . وتقاس مهارة المدرس فى هذه الحالة بقدرته على إدارة هذين الخطين من الأنابيب اللذين يضخان فى داخل الصهريج وخارجه.

ويبدو أن ما يقال فى شأن الحفظ ، والتقليل من أهميته لا ينطبق على القرآن الكريم لأن الله — وهو خالق الخلق وأعلم بهم من عباده — يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩) وكلمة حافظون تشمل - ضمن ما تشمل - الحفظ فى الصدور . وصدور أى مرحلة عمرية . وأما الفهم فكل يفهم على حسب مستواه العقلى والعمرى ، وقد يضيف المؤمن فهما جديدا لنفس الآية التى قرأها بالأمس . وقد يسر المولى جل وعلا حفظه لمتعلمه وتقريبه على متحفظيه . قال تعالى﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ (القمر : ١٧) . وسائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منهم — والقرآن ميسر حفظه للغلمان فى أقرب مدة.

يقول سيد عثمان لقد لاقى الحفظ ، ويلاقى عنتا أى عنت ، واستنكارا أى استنكار من المربيين المحدثين . كان منكرا عند بعض المربين فى الخارج ، وعند بعضهم بيننا بطبيعة الحال أو بطبيعة رجع الصدى وانعكاس صورة المرآة - باعتباره نقيضا للفهم ، وناقضا للعمل، وعدوا للتعليم ، ولكنه يرى أنه نشاط خير ، وسبيل نفع ، لا يحوله عن خيره ونفعه إلا سوء التوجيه وعدم ملاءمة الوسط ..

وليست المشكلة فى الحفظ أنه فى ذاته معيب مهين ، بل فى أن أمورا معينة لا تراعى فيه شأنه شأن العمليات التعليمية اللفظية - فتصور الحفظ راجعا إلى أنه لا يراعى فيه :

- وضوح ما يحفظ معناه.
- وتنظيمه وبنيته.
- ثم ربطه بالواقع سلوكا كان أو موقفا.

لهذا نرى أن حفظ آيات كريمة ، وأحاديث شريفة مما تحث على حسن المشاركة ،

وحسن الخلق، وحسن المعاملة، عندما تستوفى فى حفظها الشرائط الثلاثة السابقة يساعد فى تكوين سلوك مشاركة أفضل، مما لو لم تحفظ هذه الآيات والأحاديث.

ويؤكد يونس جانب الحفظ حيث يقول: إذا أخذنا بمبدأ علم النفس التعليمى الذى ينص على ضرورة فهم المعنى فهما تاما كى تتم عملية التعليم والتعلم . فمعنى ذلك أنه لابد أن نؤخر تعليم القرآن الكريم للأطفال حتى سن متأخرة . وفى هذا التأخير خطورة بالغة على التطبيع الدينى للأطفال ، لأنه من المعروف من الدراسات التى أجريت على تعليم الأطفال أنهم فى السن المبكرة يتعلمون بسرعة ، ويتذكرون جيدا ، وأن عندهم نوعا من المرونة الفكرية والصفاء الذهنى يساعدهم على ذلك.

ولعل مما يساعد على حفظ القرآن - وخصوصا فى الصفوف الدراسية الأولى — اختيار بعض السور القصيرة ، التى تمتاز بالإيجاز ، وقصر الآيات ، والإيقاع الموسيقى ، وتتضمن أخبار الرسل ، وما لحقهم من الأذى ، وأنباء أممهم ، وما نزل بهم من عقاب ، كما تعالج إثبات الوحدانية ، والرسالة.

وهذه السور القصيرة أغلبها مكى . ومن أوائل ما نزل من القرآن. وتبدو علة نزولها فى البداية، إنها حين كان يسمعها المشرك تقرع آذانه بجرسها، ووقعها، وحسن ترتيبها، وجمال أدائها، وإيجازها المعجز، فيجد نفسه — تلقائيا حافظا لها، مرددا لآياتها. ولهذا نهى المشركون بعضهم البعض عن سماع القرآن؛ خوفا على أنفسهم من الوقوع فى أسره، والتأثر به والانصياع له ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾ (فصلت : ٢).

ومعنى هذا أن السور القصار كفيلة بأن تشد انتباه التلميذ ، وتثير وجدانه بموسيقاها وحسن إيقاعها ، مما يجعله يقبل على حفظها ، ويفهم منها ما فهمه طبقا لقدراته العقلية.

ويمكن القول إن التركيز على جانب الحفظ للقرآن الكريم ليس ردة عن التربية ولا خروجا عنها ، وإنما عملية التربية تختلف من بيئة لأخرى ، ومن تلميذ لآخر ، لأنها نظريات وضعية ، لا يمكن أن تصل إلى مرحلة الصلاحية المطلقة لكل البشر ، ولا القول الفصل فى أمرها . وقد تكون موجهة لغرض ما ، أو معبرة عن رأى شخص ، أو أشخاص معينين.

ولعل من المسلمات الأساسية عندنا - كمسلمين - أن تعليم القرآن الكريم فيه جانب تعبدى أساسى ينبغى ألا نخضعه للمقاييس الأرضية التى نحتكم إليها فى تعليم

المواد الدراسية الأخرى ، فضلا عن أن القرآن الكريم فى تعلمه — كما ثبت من الواقع لا يخضع — إلى حد كبير— للمعطيات البشرية فى عملية التعليم . فقد حفظه صبية دون العاشرة وسيحفظه غيرهم وكان الحافظ من الصحابة يعلمونه للأولاد والصبيان والذين لم يشهدوا النزول ساعة الوحى من أهل مكة والمدينة ، ومن حولهم من الناس ، فلا يمضى يوم أو يومان ، إلا وما نزل محفوظ فى صدور كثير من الصحابة — وكان الحفظة والقراء يعرضون على النبى (ﷺ) القرآن ، ويختمونه عنده وقد كانوا يقرؤون القرآن بأمره (ﷺ).

٣ – أهداف تدريس التفسير :

يستهدف تدريس تفسير القرآن الكريم ما يلى :

١ - فتح باب اتصال الطالب بالقرآن الكريم : فهما ، وتلاوة ، وحفظا ، ودراسة.

٢ - الوقوف على آراء بعض المفسرين ، لتكون انطلاقا نحو الفهم الواعى.

٣ - تنمية التفكير العلمى السليم من خلال ممارسة الاستنباط ؛ إذ القرآن حمال ذو وجوه.

٤ - تمكين الدارس من الرد المقنع ، وتفنيد آراء بعض المتشككين فى بعض ما يعرضه القرآن.

٥ - تمكين الدارس من الوقوف على بعض نواحى الإعجاز ، التى لم يفطن إليها السابقون وكذا التى انتهوا إليها.

٦ - مساعدة الذين يرغبون فى الاستقامة ، وتحكيم شرع الله فى أمور حياتهم.

٧ - إقدار المتعلم على تأويل الآية ، إذا كان الأمر يتطلب ذلك . والتأويل هو صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها ، وما بعدها تحتمله الآية ، غير مخالف للكتاب والسنة.

٨ - الإفادة من القصص التى قصها الله تعالى عن الأمم الماضية ، وما عاقبهم به بسبب عدم استجابتهم للحق.

٩ - استقطاب أصحاب الفطرة السليمة إلى الإيمان بالله ، والدخول فى الإسلام.

١٠ - ربط المسلمين فى مختلف أنحاء العالم بعضهم البعض ، وزيادة التماسك الاجتماعى فيما بينهم.

١١ - رفع مستوى الالتزام بالقيم الخلقية الفاضلة ، بين المسلمين وغيرهم.

١٢ - إدراك عظمة الله فى خلقه ، من خلال قراءة ما يجرى فى الحياة.

١٣ - إشباع الجانب النفسى لدى المسلم ، وتحقيق التوازن فى حياته.
١٤ - الحفاظ على اللغة العربية من الابتذال ، والتدنى فى لغة الخطاب بين الناس.

٤ - الحاجة إلى التفسير :

تبرز الحاجة إلى تفسير القرآن من واقع ما يلى :

١ - أن كل كمال دينى ودنيوى يحتاج إلى العلوم الشرعية ، والمعارف الدينية ، وهى متوقفة على العلم بكتاب الله . وهذا الكمال يتطلب تفسير كتاب الله ؛ لتكون الصورة أوضح ، وأبعاد التربية أكثر.

٢ - أن السنة بيان لما أريد بالقرآن، من خلال علاقاتها بالقرآن الكريم وهى: تفصيل المجمل ، وتقييد المطلق، وتخصيص العام. ومعروف أن السنة هى المصدر الثانى من مصادر التشريع الإسلامى ؛ لقوله (ﷺ): "تركت فيكم ما إن تمسكتم به، لن تضلوا من بعدى: كتاب الله وسنتى". ومعنى هذا أن من وظيفة السنة النبوية تفسير القرآن الكريم والكشف عن أسراره ، وتوضيح مراد الله من الأوامر والنواهى.

٣ - أن كمال القرآن لفظا ومعنى ، وهو يجمع المعانى الدقيقة فى اللفظ الوحيد ، وربما تعذر فهم المقصود منه - اقتضى التفسير ؛ لإظهار المعانى الدقيقة ، والأسرار الكامنة وراء التعبير القرآنى.

٤ - أن احتمال اللفظ لمعان مختلفة ، كما فى البيان ، والمعانى ، والبديع ، وغيرها من علوم القرآن اقتضى التفسير ، لبيان أقرب المعانى إلى اللفظ ، وأنسب الشروح لمقتضيات الآية.

٥ - أن القصور فى معرفة مدارك أحكام اللغة العربية — يقتضى الرجوع إلى المتمكنين منها، والمتخصصين فى دراستها ؛ ليكون التفسير أوفق وأصلح.

ويقف الإلهام الإلهى وراء التفسير المقبول. قال تعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة : ٢٦٩).

٥ - مهارات تدريس التفسير :

تعد عملية التدريس بأبعادها المختلفة ، ذات أهمية بالغة فى الوصول بالعملية التعليمية إلى الهدف المنشود منها ، فى تربية النشء . كما تعد المهارات التدريسية عاملا

أساسياً بالنسبة للمعلم بعد أن غدت عملية إعداده تستهدف تمهيره ، وإقداره على الأداء الأفضل ، أمام طلابه.

ومن هنا فإن أسلوب السرد، والإلقاء من جانب المدرس ، أصبح أمرا مستبعدا وأصبحت المناقشة والمراجعة بعد ظهور التحديات التى تواجهه فى عمله ، وفى أدائه ، من قبل وسائل الإعلام المختلفة، والوسائط التربوية الأخرى ، بل ومن الطالب نفسه ، الذى يتوقع من مدرسه أداء أفضل — أصبحت واردة أكثر من ذى قبل.

ولا يزال المعلم من أكثر المؤثرات فاعلية فى العملية التعليمية ، لأنه يملك القدرة على إحداث التغيرات المرغوبة فى سلوك طلابه ، أكثر من أى مؤثر آخر يتعلق بالمدرسة . فالمعلم الذى يوصف بالفاعلية ، والكفاءة فى ممارسته لمهنته ، هو الذى يملك القدرة على تكريس جهوده ، لإتاحة الفرص لطلابه ، لاكتساب أقصى ما يمكن من نواتج عملية التعلم ، من خلال شدة التفاعل فى الحوار.

وتمثل التربية الإسلامية فى المدرسة أحد المعالم الأساسية فى تنمية الطالب، والتأثير فيه، من جهة أن الإسلام يقوم على أساس الاعتقاد أو الإيمان الذى ينبع من الإحساس والعواطف الطبيعية المختلفة، التى يشعر بها الإنسان. وما دامت الحيرة والإعجاب - والأمل واليأس، والمكافأة والانتقام، والجزاء والعقاب، والقنوط والرجاء، والهيبة والجلال، وحب الجمال، وغيرها من المشاعر تكون وتشكل الأحاسيس الطبيعية للإنسان - فإن كل ذلك - وغيره - يحتاج من مدرس التربية الإسلامية - كما يحتاج من غيره من المدرسين الآخرين - إلى مهارة تمكين العواطف الإسلامية على أساس متين وبنائها على قواعد تساوق العقل والعاطفة معا.

ويحظى القرآن الكريم بأهمية كبيرة ليس فى المنهج المدرسى فقط، ولكن فى قلب وعقل المسلم بصفة عامة ، وهذا يتمشى مع الاتجاه العام من اهتمام بالتربية الإسلامية، بالقدر الذى يتلاءم مع خطة الدراسة بالمدرسة ، انطلاقا من قوله (ﷺ) "خيركم من تعلم القرآن وعلمه ".

وتجدر الإشارة إلى أن تفسير القرآن الكريم، ليس قاصرا على معرفة معانية فحسب، وإنما - أيضا - بيان لأسرار إعجازه، بل إن معرفته لا تتم إلا لمن تمت له آله البلاغة، وعرف وجوه الأساليب المعينة على تمييز صور الكلام البيانية.

وتتعامل المدرسة الثانوية مع طلاب يمرون بفترة مراهقة، وقد تزايد فهمهم لمن

حولهم، وما حولهم . والبعض منهم يقرأ القرآن ، ويحاول أن يفهم معانيه القريبة والبعيدة ، ويسعى إلى أن يقف على ما يمكن أن يستنبطه منه : لفظا ومعنى ، وشرائع ، وأحكاما ، وقد تدور فى ذهنه أسئلة حول ما قرأ ، وربما يجد الإجابة عن بعضها ، بينما يظل حائرا فى البعض الآخر ، الأمر الذى يتطلب مدرسا لديه المهارة الكافية ليكون قادرا على إشباع حاجة الطالب ، واستمالة قلبه ، و إقناعه بالحجة والدليل ، وبيان مظاهر الإعجاز فى القرآن الكريم ؛ إذ أن عظمة القرآن تبدو فيه كلية : قراءة ، ولفظا ومعنى ، واجتهادا فى استنباط ما يمكن أن يؤخذ منه ، ويتمشى معه ككتاب إلهى ، صادر من عند الله.

وينطلق ذلك من الأهداف المحددة للعملية التعليمية ، ومن أهم ما يتعلق منها بالتربية الإسلامية ما يلى :

١ - إعداد شباب مؤمن ، يقدس القيم ، والمثل العليا للأمة العربية والإسلامية ، ويحترم الأسس والتقاليد الاجتماعية النبيلة ، المنبثقة عن تلك القيم والمثل .

٢ - إعداد شباب قوى راسخ العقيدة و يستمد من قوة إيمانه بالله القوة والثبات ، أمام ما سوف يواجهه فى حياته من صعاب ، وما سيتحمله من مسئوليات.

٣ - إعداد شباب يؤمن بأن العمل واجب إسلامى مقدس، تبرزه معانى الرجولة الحقة ، ويفصح عن الإيمان الراسخ بالقيم الروحية والأخلاقية ، والإخلاص الحقيقى للوطن ، والارتفاع بمستوى الأفراد ، والتفانى فى سبيله.

٤ - إعداد شباب متحد متماسك، واع مستنير ، خال من أمراض البدع والانحرافات تتبلور فيه الشخصية المسلمة ، المصرة على إثبات قدرتها على الإبداع والابتكار ، والإسهام فى تشييد الحضارة الإنسانية ، والاستمرار فى الاضطلاع بأدوارها المستقبلية المتوقعة.

ولا شك أن تدريس القرآن الكريم هو المصدر الأساسى لكل تربية صحيحة لأى مجتمع إسلامى ، إذ أنه يعرض لكل ما يهم المسلم فى دينه ودنياه ، ويوجهه إلى كل ما ينفعه فى حياته ، حتى يؤدى رسالته على هذه الأرض : خلافة ، وتعميرا.

إن نوعية التدريس ، ومقدار تحصيل الطلاب ، تعتمدان اعتمادا كبيرا على كفاءة المدرس وشخصيته وإخلاصه .. كما تعتمدان - أيضا - على الظروف التى يعمل فيها

المدرسون والطلاب . مثل ما إذا كان حجم الفصل معقولا ، وجوه يساعد على التعليم ، وما إذا كان هناك القدر الكافى من الأدوات والكتب المدرسية ، وغيرها من ضروريات التعليم .. وفضلا عن ذلك خواص الطلاب أنفسهم ، وما إذا كانوا يتمتعون بصحة بدنية ، وعقلية ، ولديهم إقبال على التعلم ، ويتمتعون بسند قوى من أسرهم ، وتسود بينهم روح المنافسة ، والرغبة فى التفوق.

والتعليم الثانوى يمتاز بكونه يحتل داخل النظام التعليمى موقعا مفصليا ، وسطا بين الابتدائى والعالى . من حيث بنيته بين الطفولة ، وسن الرشد القانونية . من حيث زمانه وبين المعرفة النظرية ، والمعرفة التطبيقية . وبوجيز العبارة فإن هذا التعليم مطالب بتأمين التعليم المنهجى لمجموعة المعارف ، والتقنيات ، والمهارات وبإعداد أطر مؤهلة للدخول الآنى فى الحياة العامة.

ومعنى هذا أن طالب المرحلة الثانوية مهيؤ لاستقبال المعلومات ، والتقنيات ، ليتحول ما يتعلمه إلى جانب مهارى ، يفيده فى حالة التحاقه بالتعليم العالى ، أو خروجه إلى الحياة العامة . ولن تتم هذه الإفادة إلا إذا اكتسبها من معلم كفء ، يفهم مادته ، ويتقن أساليب التعامل مع محتواها بشكل مؤثر وفعال ، كما أن تدريس القرآن الكريم والتعرض لتفسيره لهذا الطالب ليست عملية سهلة ، تقف عند حد بيان المعنى العام للآية ، أو الآيات ، مع شرح بعض المفردات ، كما يفعل بعض المدرسين ولكنها معالجة فنية تتشعب بتشعب نواحى الإعجاز فى القرآن الكريم . والمدرس الكفء هو الذى يستطيع أن يستخرج - ما أمكنه - بناء على إعداده وثقافته - كل نواحى الإعجاز فيه ليتحقق الهدف من تدريسه لطالب المرحلة الثانوية.

وإذا كان التربويون قد أجهدوا أنفسهم للوقوف على تعريف واضح ومحدد للكفاءة فى التدريس والمهارة فيه ، فإن هناك محاولات لتحديد المعلم الجيد ، على أساس امتلاكه لخصائص محددة أو على إجراءات تدريسيه بعينها ، غير أن المربين أدركوا منذ وقت قريب أنه لا يوجد هوية عامة ، لما يمكن أن نطلق عليه المعلم الكفء ، أو الفعال . ونحن ندرك الآن أن فاعلية التدريس ينبغى النظر إليها على أساس معلم يتعامل مع متعلمين معينين ، فى بيئة معينة يحاول أن يحقق مرامى تعليمية معينة.

ولما كانت العملية التعليمية عملية مجتمعية بالدرجة الأولى ، تسير وفق فلسفة المجتمع وظروفه - فإن منهج التربية الإسلامية منهج مكثف ، ولكل فرع منه كتاب مستقل .

وقد يمثل تدريس أحد هذه الفروع ، صعوبة لبعض المدرسين ، الأمر الذى يتطلب مهارة من المدرس فى معالجة درسه ، والقدرة على التعامل معه بشكل يفيد الطالب .

أهمية مهارات تدريس القرآن الكريم :

تكتسب هذه المهارات أهمية من حيث إن :

١ - مهارات تدريس القرآن الكريم ، لدى مدرس التربية الإسلامية بالمرحلة الثانوية يمكن الإفادة منها فى تطوير برامج إعداد معلم التربية الإسلامية ، كما تصلح لأن تكون أساسا لبرامج تدريب هؤلاء المعلمين فى أثناء الخدمة.

٢ - واضعى مناهج إعداد معلم التربية الإسلامية ، وبرامج تدريبه — يساعدون على تقديم المادة التى تنمى مهاراته ، وتجعله قادرا على الرد لمختلف الأسئلة المقدمة إليه.

٣ - نواحى القوة والضعف فى أداء هذا المدرس ، وموقعه من الأداء السليم فى عملية التدريس ، تستهدف إدخال التحسينات عليها ، ورفع كفايته التدريسية.

٤ - المهتمين بالعملية التعليمية ، والمتخصصين فى التربية الإسلامية يقفون على إمكانات مدرس هذا الفرع والأداء الذى ينتهى إليه.

٥ - توقع مستوى معين للمخرجات التعليمية — يضعها فى المكان المناسب لها من واقع أداء هذا المدرس.

٦ - هذه المهارات ، يمكن الإفادة بها فى الحكم على عمل المدرس فى تدريس القرآن الكريم ، كما يمكن أن يستعين بها مدرسو القرآن الكريم فى تقويم أداء طلابهم.

أما الدواعى التى تستند إليها تحديد هذه المهارات فهى ما يلى :

١ — أن قراءة القرآن الكريم عملية ملازمة لكثيرين من المسلمين طول حياتهم ، والوقوف على بعض الجوانب التى يركز عليها المدرس الكفء ، قد تلفت نظره — فى القريب أو البعيد — إلى فهم معان لم تكن معروفة له من قبل ، أو توجيه ما يقرأ إلى تفسيرات مقبولة تستقطب انتباه المسلمين.

٢ — أن قراءة القرآن ليس المقصود منها التسلية ، أو قتل وقت الفراغ ، وإنما المقصود منها العبادة والهداية ، والإرشاد ، ثم إمتاع النفس بمناجاة الخالق عز وجل ، وبالتالى فإن طبيعة قراءته تختلف عن قراءة أى مادة مقروءة أخرى . واستحضار قارئ القرآن هذا المفهوم بجانب الأبعاد الأساسية لقراءته : تأملا ، وتفكيرا ، وتفقها أمر يفيد المسلم

فى حياته ، بل قد يفيد غيره من فيوضات الله عليهم ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة : ٢) . ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (العنكبوت : ٥١).

٣ — أن تدريس القرآن — بالمعنى المدرسى — قد يبدو منتهيا لكثير من الطلاب بسبب التحاقهم بكليات متعددة أو بسبب الوقوف عند المرحلة الثانوية ، والانضمام إلى الحياة العامة . ومعرفة الطالب بالجوانب الأساسية التى تراعى فى التعامل مع قراءة القرآن الكريم ، من خلال احتكاكه بمدرسه فى التعليم الثانوى ، قد يفيده على المدى البعيد .

٤ — أن قراءة القرآن — ولو أنه جانب تعبدى — يقصد به الكيف أكثر من الكم — بمعنى أن قراءة آية أو سورة قصيرة ، بطريقة تمكن القارئ من الإلمام بكثير من جوانبها أفضل من قراءة أكثر من ذلك بدون فهم . وهذا لا يتأتى إلا لمن عرف كيف يقرأ ، ويفهم ، ويشرح ويفسر ويستوعب ... الخ . وتأثير مدرس التربية الإسلامية وغيره واضح فى إخراج ذلك إلى حيز التطبيق . عن عائشة رضى الله عنها قالت " قال رسول الله (ﷺ): " الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ، ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران " .

٥ — أن دراسة القرآن الكريم عملية مهمة باعتباره موجها حضاريا شاملا ، وباعتباره الكون المقروء الداعى إلى الفكر والتأمل ، وتركيز دعوته ، وتوجيهه إلى الدراسات العلمية التجريبية ، التى اعتبر بها الإسلام من الديانات التى كان — ولا يزال وسيزال — طلب العلم فرضا دينيا ، لا يكون المسلم مسلما إلا بتنفيذه.

٦ — أنه ليس المقصود من تحديد مهارات تدريس القرآن الكريم ، الحجر على مدرس التربية الإسلامية ، والوقوف به عند هذه المهارات ، لأن ذلك يتنافى مع طبيعة هذا الكتاب العزيز من حيث إن عطاءاته لا تنتهى ، لكل من اقترب منه ، وانفتح قلبه إليه لا فى عصر واحد ، وإنما فى كل العصور الحالية والتالية ، وإنما قد تكون هذه المهارات بداية لمهارات أخرى ، يضعها المدرس من عنده ومعنى هذا أن مهارات تدريس القرآن التى يتم تحديدها هنا فى هذا الكتاب إنما تمثل الحد الأدنى لمن يحاول أن يتصدى لفهم القرآن وتفسيره .

- أبرز مهارات تدريس القرآن الكريم :

أعطى القرآن الكريم الإشارة إلى الإحسان فى العمل ، والتجويد فيه. ونلمح ذلك فى قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ (السجدة : ٧) . وهذا الإحسان أعلى درجة من المهارة، لأن المهارة تعنى الأداء والتفوق ، لكن الإحسان يعنى ذلك . ويزيد عليه إدخال جانب من الحسن والجمال على هذا الذى يتم عمله ، فضلا عن الحب المصاحب لهذا العمل.

ويقصد بالمهارة اللغوية ، كما جاء فى قاموس المورد : القدرة على الأداء ، أو الحذق والبراعة فيه.

وتستخدم بمعان متعددة ، منها : القدرة على إحداث أثر مقصود على نحو متسق ، وبدقة مع السرعة ، والاقتصاد فى العمل . وتعرف أيضا بأنها : القدرة على القيام بعملية معينة بدرجة من السرعة والإتقان ، مع الاقتصاد فى الوقت والجهد المبذول . ويقصد بها أيضا القدرة على تمكين الفرد من القيام بأداء عمل حركى معقد بدقة.

وتعرف المهارة هنا بأنها : قدرة الفرد وكفاءته فى أداء عمل معين . وهذه المهارة لها أبعاد متعددة يمكن ذكرها على الوجه التالى.

أولا : مهارات تتعلق بقراءة القرآن الكريم :

١ - القدرة على قراءة الآيات القرآنية قراءة صحيحة، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ (البقرة : ١٢١).

٢ - القدرة على إخراج الحروف من مخارجها الأصلية.

٣ - القدرة على تمثل الآيات فى أثناء القراءة " **زينوا القرآن بأصواتكم** ".

٤ - القدرة على تطبيق أحكام التجويد المختلفة ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ (المزمل : ٤).

٥ - القدرة على معرفة الوصل ، والوقف فى الآية أو الآيات.

ثانيا : مهارات تتعلق بمعالجة الأسلوب فى القرآن الكريم :

٦ - القدرة على بيان سر التكرار — الظاهرى — فى أسلوب القرآن الكريم.

٧ - القدرة على معرفة دلالة المعنى للألفاظ.

٨ - القدرة على معرفة دلالة المعنى للجمل.

٩ - القدرة على ربط ترتيب الكلمات ، وعلاقتها بالمعنى.
١٠ - القدرة على بيان سر تتابع الجمل.
١١ - القدرة على إبراز الإيقاع الموسيقى فى النص القرآنى.
١٢ - القدرة على شرح الصورة الفنية فى الأسلوب.
١٣ - القدرة على التفريق بين التعبير اللغوى فى القرآن ، وما أثر عن العرب من تعبير فصيح.
١٤ - القدرة على توضيح الرمزية فى الأسلوب.
١٥ - القدرة على تمييز الأسلوب الحقيقى من الأسلوب المجازى.
١٦ - القدرة على التمييز بين مقامات الكلام وأحواله بلاغته(ذكر، حذف، تقديم.. الخ).
١٧ - القدرة على الملاءمة بين الأسلوب والمعنى المعبر عنه(وصف ، وعد ، وعيد .. الخ).
١٨ - القدرة على تفسير الجو العام للألفاظ ، والعبارات.

ثالثا : مهارات تتعلق بمعالجة المعنى :

١٩ - القدرة على استيعاب المعنى الإجمالى للآية ، أو الآيات.
٢٠ - القدرة على إبراز الحكمة من الآية أو الآيات .
٢١ - القدرة على ربط الآية بسبب نزولها.
٢٢ - القدرة على ربط آخر الآية بأولها.
٢٣ - القدرة على ربط السورة بما تشتمل عليه.
٢٤ - القدرة على توضيح العبرة من القصة القرآنية.
٢٥ - القدرة على إبراز الموعظة المستهدفة من النص القرآنى.
٢٦ - القدرة على التوفيق بين الآيات التى يتوهم أن بينها تعارضا.
٢٧ - القدرة على التوفيق بين الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية التى يتوهم أن بينها تعارضا.
٢٨ - القدرة على إبراز الفكرة الأصلية من النص القرآنى.
٢٩ - القدرة على توجيه الأحكام فى النص القرآنى (عقدية ، شرعية ، خلقية).
٣٠ - القدرة على التمييز بين الأحكام المتضامنة فى النص القرآنى (عقدية ، شرعية ، خلقية).

٣١ - القدرة على معرفة الناسخ من المنسوخ.

٣٢ - القدرة على التفريق بين العام والخاص.

٣٣ - القدرة على التفريق بين المجمل والمفصل.

٣٤ - القدرة على التفريق بين المطلق والمقيد.

٣٥ - القدرة على الرجوع إلى بعض التفاسير لتوضيح ما خفى.

رابعا : استخدام الوسائل التعليمية :

٣٦ - القدرة على تقديم الوسيلة التعليمية فى الوقت المناسب .

٣٧ - القدرة على اختيار الوسيلة التعليمية المناسبة .

٣٨ - القدرة على عرض الوسيلة بطريقة فنية .

٣٩ - القدرة على معرفة مدى إفادة الطلاب من الوسيلة التعليمية .

خامسا – التقويم :

٤٠ - القدرة على استخدام أساليب متنوعة فى التقويم .

٤١ - القدرة على اختيار الأسلوب المناسب للتقويم .

٤٢ - القدرة على استمرارية عملية التقويم .

٤٣ - القدرة على تغطية التقويم لمفردات الدرس .

٤٤ - القدرة على تحقيق الموضوعية فى التقويم .

٤٥ - القدرة على دعم الإجابات الصحيحة عند الحوار مع الطلاب .

٦ – طريقة تدريس التفسير :

ويتم تدريس النص القرآنى بالطريقة الآتية :

١ - قراءة الآية قراءة نموذجية مراعى فيها.

- إخراج الحروف من مخارجها بالطريقة السليمة.

- إعطاء الآية حقها فى التلاوة ، بالترتيل والتنغيم بحيث توحى بالمعنى.

- التنبيه على أن هناك فرقا فى الكتابة المتداولة والخط العثمانى.

٢ - قراءة بعض الأكفاء من التلاميذ أكثر من مرة.

٣ – قيام المعلم بإعطاء فكرة عامة عن الآية ، تتضمن المعنى العام ، وأسباب النزول.

٤ – مناقشة التلاميذ فى المعنى العام للآية لتكون بمثابة مثير للتلاميذ وتنبيه لهم.

٥ – قيام المعلم بتحليل النص القرآنى آية من حيث علاقة الآيات بعضها ببعض ومن حيث المعنى والإعجاز القرآنى.

٦ – مناقشة التلاميذ بعد تحليل كل آية بهدف استمرارية المناقشة.

٧ – استخراج الأحكام الشرعية ، والمعايير الخلقية ، ومحاولة ربطها بالمواقف الحياتية.

٨ – قراءة الآية مرة أخرى إذا كان هناك وقت.

ثالثا - الحديث النبوى :

يعد الحديث النبوى المصدر الثانى من مصادر التشريع الإسلامى بعد القرآن الكريم . وهو ما أثر عن النبى (ﷺ) من قول ، أو فعل ، أو إقرار ، أو صفة . وكما هو فى المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم من ناحية التشريع ، فإنه بنفس المرتبة من حيث البلاغة فألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه ، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن الكريم بحقائقه . فهى إن لم تكن من الوحى ، لكنها جاءت من سبيله ، وإن لم يكن لها منه دليل ، فقد كانت هى من دليله . محكمة الفصول ، حتى ليس فيها عروة مفصولة ، مجذومة الفصول ، حتى ليس فيها كلمة مفضولة ، وكأنها هى فى اختصارها ، وإفادتها نبض قلب يتكلم ، وفى سحرها وإجادتها مظهر من خواطره (ﷺ).

وعلاقة الحديث بالقرآن تبدو فى مجموعة من المظاهر . منها تفصيل مجمله ، أو تقييد مطلقه ، أو إطلاق مقيده ، أو تخصيص عامة أو توضيح مبهمه .

وحكم السنة هو الاتباع . فقد ثبت بالدليل أن رسول الله (ﷺ) متبع فيما سلك من طريق الدين ، وكذا الصحابة من بعده (ﷺ).

١ – أهداف تدريسه :

يحقق تدريس الحديث النبوى كثيرا من الأهداف التربوية . أبرزها ما يلى :

١ – تأكيد شخصية الإنسان المسلم ، واستقلاله ، واحترامه ، من واقع تعامل الله لنبيه حيث إنه - تعالى - ترك الحرية للرسول (ﷺ) فى أن يجتهد - مع أنه مبلغ عن الله - فاعتبر مما يقوله الرسول من قبيل التشريع من أحكام وعبادات ومعاملات مادام اجتهاده صائبا ومن هنا يتأكد تفرد الإنسان المسلم.

٢ – الاقتداء بالرسول (ﷺ) فى خلقه ، وتعامله مع الناس . وفى ذلك إشعار بأن كل مسلم فى ذاته نبى يدعو إلى الهدى ، يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، يطبق منهج الله على نفسه أولا قبل أن يطلب ذلك من الآخرين .

٣ – الاقتناع الكامل من كل المؤمنين بأن منهج الله فى الأرض صالح للتطبيق ، وليس نظرية قدمها محمد عليه السلام من عنده لتكون محلا للتجريب ، والأخذ والرد تصلح لقوم ، ولا تصلح للآخرين.

٤ – إعطاء صاحب السيرة حقه من مظاهر الإنسانية بدون مغالاة أو تهوين . جاء رجل إلى رسول لله (ﷺ) فلما رآه ارتجف خوفا فقال له المصطفى (ﷺ)، هون عليك يا أخى فإنى ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة.

٢ – طريقة تدريسه :

وتدريس الحديث النبوى الشريف يمكن أن يكون باتباع الطريقة الآتية :

١ - قراءة الحديث قراءة نموذجية ، موحية بالمعنى ، إما من المعلم أو من أحد الطلاب المجيدين للقراءة.

٢ - قراءته مرة بعد أخرى من التلاميذ فرادى أو مجتمعين ، بهدف النطق الصحيح وإتاحة الفرصة لحفظه من التلاميذ الذين يركزون على الاستماع ، فيحفظونه نتيجة التكرار.

٣ - عرض الحديث للمناقشة بهدف الوقوف على الأفكار الجديدة التى يطرحها التلاميذ ثم توجيهها تبعا للإطار العام لمعنى الحديث . ثم إضافة ما يراه المعلم.

٤ - بيان ما يؤخذ من الحديث من أحكام شرعية ، وقوانين خلقيه ، وقيم سلوكية وتعرف إلى أى مدى يرتبط بواقع الناس .

٣– أهمية الحديث ودقته :

نال الحديث النبوى اهتماما كبيرا من الصحابة ، وممن جمعوا الحديث فيما بعد . وبلغ من حرص الصحابة فيه أنهم أخذوه بالتلقى والمتابعة ، وملازمة مجلس رسول الله (ﷺ) ، بحيث كانوا يكلفون بعضهم البعض بالمتابعة ، فى اثناء انشغالهم بشئون حياتهم اليومية ، ثم يخبر من حضر منهم من غاب، بما علمه فى ذلك اليوم ، كما بلغ من حرص من جمعوا الحديث فى التأكيد من صحته ونسبته إليه (ﷺ)أن بعضهم كان يرحل إلى أماكن

بعيدة، من أجل طلب حديث، أو سماع أثر، فهذا جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - يرحل من المدينة المنورة لمتابعة عبد الله بن أنس بالشام، لسؤاله عن حديث بلغه عنه، وهو حديث المظالم المشهور. وربما ساعد على دقة الحفظ للقرآن الكريم والسنة النبوية فى العصر الإسلامى الأول عدة أمور :

١ - حداثة هذا الدين واستقطابه لانتباه الكثيرين ممن أسلموا ، خاصة نصوص القرآن والسنة التى استحوذت على عقول الكثيرين منهم ، إن لم يكن كلهم.

٢- طبيعة نصوص هذا الدين ، التى لا يمكن إخضاعها ، لما يجرى للنصوص الأخرى من شعر ، أو نثر . وغلبة الجانب الإلهى فيها ، هو الذى يمكن المتعلم من أن يدرك ، أو يحس بما فيها ؛ نظرا لأنها تلامس القلب ، وتخاطب الوجدانات الصافية.

٣ - خلو - الحياة - إلى حد ما - فى تلك الفترة من مظاهر الهموم والقلق ، والانشغال بمغريات الحياة ، إذ كانت جد بسيطة ، وإيقاع الحياة فيها هادئ . والجديد فيها هو ذلك الدين الطارئ الذى أصبح شغلهم الشاغل .

٤ - ندرة القراءة والكتابة فى تلك الفترة ، بحيث يمكن القول أن الاعتماد على المشافهة ، وتسجيل ما يقال فى الصدور ، كان هو البديل للتدوين والكتابة .

٥ - حث الرسول (ﷺ) صحابته على التبليغ والنقل والرواية، إذ كان - (ﷺ)يقول: "نضر الله امرءا سمع منى مقالتى، فحفظها، ووعاها، فأداها كما سمعها . فرب مبلغ أوعى من سامع".

٦ - اقتران السنة النبوية بالقرآن الكريم أسهم فى زيادة الاهتمام بها ، وحفظها ، كما حفظ الله قرآنه الكريم ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ (الحجر : ٩).

٧ - اطمئنان المسلمين إلى توثيق القرآن الكريم ، وتدوين ما ينزل منه بالوحى ، وكذا تشديد رسول الله (ﷺ) صحابته ، وكتاب وحيه على محو ما كتب من أحاديثه (ﷺ) - جعل الصحابة يهتمون أيضا بالسنة النبوية : "روى أبو سعيد الخدرى عن النبى (ﷺ)أنه قال: " لا تكتبوا عنى شيئا غير القرآن، ومن كتب عنى شيئا غير القرآن فليمحه " رواه مسلم .

٨ - شيوع ملكة الحفظ فى هذا الجيل، إذ كانوا قريبى عهد بالجاهلية. وهؤلاء كان من عادتهم الفخر بالأباء والأجداد والأنساب، ووسيلتهم فى ذلك كثرة المحفوظات للتغنى بها ، وقت الحاجة إليها.

٤ — أبرز مهارات تدريسه :

ومعنى ما سبق أن من يتصدى لتدريس التربية الإسلامية لا بد أن تتوافر فيه مهارة الحفظ : قرآنا كان أو حديثا ، والقدرة على ربطه بعضه ببعض، وإيجاد العلاقة التى تسمح بوجود التكامل بين ما يعرض أمام الطالب. وجه ابن الجوزية ابنه قائلا : " عليك بالحفظ ، فإن الحفظ رأس المال " ومن مهارات تدريس الحديث النبوى ما يلى :

- القدرة على معرفة رواة الحديث من حيث العدالة ، والضبط ، والحفظ.
- القدرة على معرفة سند الحديث من أوله إلى آخره.
- القدرة على معرفة الحديث الضعيف ، والحسن ، والشاذ.
- القدرة على معرفة الفرق بين الحديث القدسى ، والحديث النبوى.
- القدرة على معرفة الفرق بين الحديث القدسى ، والقرآن الكريم.
- القدرة على التفريق بين الأحكام الخلقية والأحكام الفقهية.
- القدرة على معرفة الفرق بين الحديث الصحيح ، والحديث الموضوع.
- القدرة على معرفة بعض الذين شاركوا فى تدوين الحديث وتسجيله.
- القدرة على التوفيق بين الأحاديث التى يبدو أن بينها تعارضا.
- القدرة على التفريق بين المصطلحات المختلفة الواردة فى علم الحديث ، مثل : المسند والمتصل، والمرفوع ، والموقوف ، والمقطوع ، والمرسل، والمنقطع ، والمفصل ... الخ.
- معرفة بعض أئمة الحديث.
- معرفة كتب الحديث الصحيحة من غيرها.
- القدرة على توضيح الأحاديث النبوية التى تحتاج إلى توضيح.
- القدرة على معرفة أحوال الكلام العربى ، من حيث كونه : حقيقة ، أو مجازا ، وكناية وصريحا أو تلميحا ، وعاما ، وخاصا ، ومطلقا ، ومقيدا.

رابعا ـ الفقه :

هو العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية ، وهى : الكتاب والسنة والإجماع ، والقياس ، وهو علم مستنبط بالرأى والاجتهاد ، ويحتاج إلى النظر والتأمل. وهذه الأحكام الشرعية ، إما أن تتعلق بأمر الآخرة ، وهى العبادات ، أو بأمر الدنيا ، وهى

إما أن تتعلق ببقاء الشخص وهى المعاملات، أو ببقاء النوع باعتبار المنزل، وهى المناكحات أو باعتبار المدينة وهى العقوبات.

وموضوع الفقه فعل المكلف من حيث الوجوب ، والندب، والحل، والحرمة، وغير ذلك كالصحة والفساد. وهو يتناول علاقات الإنسان الثلاث: علاقته بربه، وعلاقته بنفسه وعلاقته بمجتمعه . ويشمل العبادات والمعاملات . وفيما يلى تفصيل لذلك.

١ – العبادات :

العبادة :هى خضوع الإنسان لربه، على سبيل التعظيم، أو هى فعل المكلف على خلاف هوى نفسه، تعظيما لربه، وتشمل عبادات: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج. وهذه العبادات مسئولية شخصية، وفرض عين على المسلم يتعين عليه أن يتعلمها، ويمارسها. وهى تبدأ منذ الطفولة " مروهم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر "؛ لكى يتعلم العبد الطاعة لله.

والعبادات الإسلامية بأجمعها تكليف لضمير الإنسان وحده، لا يتوقف على توسيط هيكل، أو تقريب كهانه، بل هى خضوع مباشر لله، بلا واسطة.

وتنطوى العبادات على أغراض مشبعة، يمكن جمعها فى تنبيه المتدينين على الدوام إلى حقيقتين لا ينساهما الإنسان فى حياته الخاصة أو العامة:

إحداهما: أن تنبه ضمير الإنسان على الدوام — بوجوده الروحى الذى ينبغى أن يشغله على الدوام بمطالب غير مطالبه الجسدية، وغير شهواته الحيوانية.

والأخرى: أن تنبه ضميره — بوجود الخالد الباقى إلى جانب وجوده الزائل، والمحدود فى حياته الفردية.

والعبادات مهمتها تربية الضمير ، وإحياء القلب، وإيقاظ الشعور بمراقبة الله عز وجل ذلك لأن المسلم فى حالة عبادته ينسلخ من دنياه، ويقف ضد كل رغبة تنحرف به عن مركزه حتى يصل الإنسان إلى درجة الإحسان التى قال عنها الرسول (ﷺ): " الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " .

والعبادة الحقة هى الطريق السليم إلى الدنيا، يحقق الإنسان بها آماله، وطموحاته . " عبدى أطعنى تكن ربانيا تقول للشئ كن فيكون " . وهى الطريق لنعم المآل فى الآخرة.

إن العبادة الحقيقية التى تتجه مباشرة إلى الله، وتهمل جوانب الرياء والمجاملة لكفيلة

بأن تصفى النفس، وتصقل الفرد، وتقربه من ربه . فليس أقرب إلى العبد من الطريق إلى الله إلا النية الطيبة، واللجوء إلى رحابه، والعمل على مرضاته. حينئذ يجد شفاء نفسه، وصفاء ذهنه، ويشعر بذاته، ويدرك أن رحمة الله قريب من المحسنين فى عبادتهم وعملهم، وإيمانهم وكل ما يتصل بحياتهم الدينية والدنيوية.

إن العبادة إذا لم تترجم إلى مواقف إيجابية فى سلوك المسلم فإنه يفقد وظيفته ومعناه . والفصل المتعسف بين تعبد المسلم ومختلف ممارساته اليومية هو فى حقيقته تفريغ للدين من مضمونه، وتحويله إلى مجرد ممارسات وطقوس؛ تحقق شهوة مؤقتة .

إن تقديم العبادة للنشء بصدق النية، وطهارة النفس، وتسام عن الدنيا فى عرف الناس يقربهم إلى دينهم، ويحبب إليهم العبادة، ويجدون فيها مذاق المؤمنين، وحلاوة الصادقين ؛ لأن مناجاة الله متعة، والحديث إليه سعادة، والهروب من الدنيا وشواغلها لهو نعم الأمن والطمأنينة.

ومصدر الخطر فى تدريس العبادات أن يشعر التلميذ أن معلمه يلقنه إياها كما لو كانت مادة دراسية أخرى، فيها الآلية، والشكلية، وإجراء الحركات كما لو كانت تدريبا رياضيا.

صحيح أن أداء الصلاة بقيامها وركوعها وسجودها، فيها تدريب للجسم من الناحية العضوية، ولكنها فوق ذلك تدريب للروح على التنامى، والتسامى إلى الله عن طريق الصعود فى مدارج القيم المطلقة.

من هنا يجدر بالمعلم فى حصة الدين أن يعيش بالله ، ومع الله ، صدقا ، وإخلاصا ، وإتقانا وأن يأخذ بيد التلاميذ ليعيشوا معه القرب من الله . سواء فى الفصل ، أوفى مسجد المدرسة ويتأثر التلاميذ بما يقوم به المعلم فى حصة التربية الدينية ، ويبدو هذا التأثر سريعا أو بطيئا على سلوك التلاميذ تبعا لما يقوم به المعلم فى الحصة.

طريقة تدريس العبادات :

يتم تدريس العبادات — بصفة عامة — تبعا لما يلى :

١ — إعطاء نبذة عن الموضوع المراد تدريسه : صلاة، زكاة، صوم، حج، بغرض إثارة التلاميذ، وتشويقهم، إما فى صورة ملخص عام، أو أسئلة عامة، أو استغلال لبعض المواقف الحياتية، التى يمكن أن تكون مدخلا للموضوع.

٢ – استخدام الوسائل التعليمية المعينة، إما بشكل حى يقوم به المعلم، أو التلاميذ بصورة حقيقية، أو استخدام إحدى المسجلات الصوتية ، أو الصوتية المرئية، أو الصور والرسوم التى تمت من قبل قسم الوسائل التعليمية بالوزارة، أو الإدارة التعليمية ، أو قام بها المعلم بنفسه، أو بالاشتراك مع التلاميذ.

٣ – مناقشة التلاميذ فى الموضوع بشكل تفصيلى، وعرض أجزاء الموضوع وحدة وحدة حتى يتم استيعاب الموضوع من جميع نواحيه، وإزالة أى شبهة تجاه الموضوع.

٤ – تلخيص الموضوع فى نهاية الحصة، وعرض ما يستحق عرضه، ثم ربطه بالواقع وأحداث الحياة اليومية.

٢ – المعاملات :

وهى تلك الأحكام التى يقصد بها تنظيم علاقات الناس بعضهم ببعض، سواء أكانوا أفرادا أم جماعات، وهى تعد الوجه الحقيقى للدين، والجانب المعبر عن صدق العقيدة، وإخلاص العبادة. وهى الدين كله، لأن المسلم إذا لم يترجم ما آمن به فى معاملته لنفسه، وفى معاملته لغيره، إنسانا كان، أو حيوانا، أو نباتا، أو كل ما فى الكون — لا يعتبر ذلك فى حساب الله دينا ؛ لأن الدين المعاملة، كما جاء فى الحديث الشريف.

ويقف بعض المعلمين من تدريس المعاملات موقفا صعبا، بسبب ما يثيره بعض الطلاب من أسئلة تتعلق ببعض المعاملات المالية ، والتجارية، وربما لا تكون هناك إجابة شافيه تنهى على الطلاب تساؤلاتهم، إما لأن المعلمين لا يسعون إلى إعداد أنفسهم لمواجهة مثل هذه المواقف، أو لأن مثل هذه الموضوعات لم تبحث، ولم يتخذ فيها قرار من قبل المتخصصين فى الدراسات الإسلامية، أو أن هناك اختلافا فى وجهة نظر بعض الفقهاء فى موضوع ما، كما فى مسألة البنوك.

يضاف إلى ذلك أمر آخر، وهو أن المجتمع نتيجة للتأثير المادى على الأفراد، وجه جانب المعاملات مع الأفراد بعضهم مع بعض، أو مع المجتمع ناحية الجانب المادى، وبالتالى تغيرت القيم الأصيلة إلى قيم دخيلة، هدفها المنفعة البحتة ، وقل من يمارس القيم لأنها عقيدة ومبدأ يتمسك به .فأداء الأمانات - مثلا - إلى أصحابها سذاجة، وإعطاء العمل حقه من الأداء تخلف، وأخذ الأجرة بما يتناسب مع العمل قيمة مثالية. ومن هنا فإن حديث المعلم للتلاميذ فى المعاملات أمر يخالف واقعهم الذى يعيشونه.

وأيا كان الأمر فإن الإسلام لا يوجب على الناس معاملة تضر، ولا ينهاهم عن معاملة تفيد، وأنه يؤدى للمؤمنين به خير ما تؤديه العقيدة الثابتة على تعاقب الأجيال، ولا يمنع التجربة أن يثبت صلاحها، لا يفرط فى الدائم اللازم، ذهابا مع العامل المشكوك فيه.

وخلاصة ما قيل فى باب المعاملات، هو أن ما سكت عنه الشارع، ولم يشتمل على ضرر يكون الأصل فيه الصحة، ودليل هذه الوجهة، هو أن العقود والمعاملات تنبنى على عادات الناس وعرفهم، ولذلك فهى تجرى على ما لم يأت عنه نهى. عن أبى ثعلبة أن رسول الله (ﷺ) قال: " إن الله فرض فرائض، فلا تضيعوها، وحدد حدودا فلا تتعدوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم، غير نسيان فلا تبحثوا عنها " .

- **طريقة تدريس المعاملات:**

يمكن تدريس المعاملات وفق الخطوات التالية :

١ - ربط المسألة الفقهية الخاصة بالمعاملات ، والتى يتم دراستها بالقيم الخلقية ، والنظرة السوية للإنسان، من خلال القاعدة الشرعية: جلب المصلحة مقدم على درء المفسدة.

٢ - تحليل المبحث الفقهى من زواياه المختلفة ، من مناقشة التلاميذ ، واحترام ما يطرحونه من آراء وأفكار ، ثم الاحتكام إلى المصادر الشرعية أولا ، ثم العقل ثانيا ، بهدف تدريب التلاميذ على التفكير والاجتهاد ، فى ضوء المصلحة.

٣ - استنباط الأحكام الشرعية ، التى يمكن أن يتضمنها هذا البحث ، وعرض بعض المواقف التى تؤكد صدق تلك الأحكام ، إما من النصوص المعتد بها ، أو من التراث أو من الأحكام المعاصرة.

٤ - تلخيص ما تم التوصل إليه فى الحصة ، وتسجيل ذلك على السبورة ، فى شكل نقاط رئيسية ، ومطالبة الطلاب بالتأكد منها مره ثانية.

٥ - مناقشة الطلاب من خلال الأسئلة الختامية للموضوع ، إلى جانب الاهتمام ومتابعة التقويم البنائى فى أثناء الدرس.

٣ — ملامح المادة الفقهية :

التراث الفقهى فى الإسلام تراث ضخم وكبير ، لأنه يمثل جهد أجيال متعددة من علماء الفقه ، الذين كرسوا حياتهم لخدمة دينهم . ومن الأمور المطلوبة أن يطلع النشء

على هذا التراث ليفهمه ، ويقف على أبعاده المختلفة ،وليربط ماضيه بحاضرة ، ويواصل مستقبله تبعا لذلك.

وإذا كان للماضى قوته وأصالته ، فإن للحاضر والمستقبل اعتباره وضرورته ، وكما أن للمعلومات الفقهية ، ومعارفه قيمها ، كذلك لإمكانات الطالب حدودها وقدرتها . ومن هنا تبدو الموازنة بين الماضى والحاضر ، والأصالة والمعاصرة . ولذلك فإن المادة الفقهية التى تقدم للطلاب فى التعليم العام يرجى فيها مراعاة ما يلى :

١ - المحافظة على القديم ، وتقديمه بصورة يستوعبها طالب اليوم.

٢ - النقل من كتب التراث ، مع تعصير ما ينقل.

٣ - تجنب الاستطراد فى المباحث الفقهية.

٤ - تقديم الموضوعات التى تناسب طلاب التعليم العام باعتبار تلك المرحلة مرحلة تثقيف عام ، وليست مرحلة تخصص.

٥ - تبسيط المادة العلمية ؛ ليسهل على الطالب فهمها ، واستيعابها.

٦ - التوسع فى الأمثلة التى تساير واقع الحياة.

٧ - تأييد المباحث الفقهية بالأدلة النقلية من القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، تحقيقا لتكامل العملية التعليمية .

٨ - التعريف المحدد للمباحث الفقهية المقدمة.

٩ - مراعاة الاتساق بين الجانب الكمى، والجانب الكيفى، لأن نتيجة تعليم أجزاء صغيرة من عدد ضخم من المعارف هى تلقى أفكارا مشتتة تلقيا سلبيا، لا تثيره أى شرارة، أو جذوة من الحيوية. وليكن وصولها إليه بكل وسيلة، وبكل صيغة ممكنة بحيث يكتشف من تلقاء نفسه، أن تلك الأفكار العامة التى تعلمها تتيح له فهم الأحداث التى تتخلل حياته، بل هى حياته نفسها.

والفقه الإسلامى مثله مثل كائن حى : مادى أو معنوى ، لا ينشأ من لا شئ ، ولا يبلغ كماله طفرة واحدة ، بل ينشأ من شئ موجود سابق عليه ، ويأخذ فى السير متدرجا فى مراتب الحياة والوجود ، حتى يبلغ أقصى ما يقدر له من نضج وكمال . ولم ينتقل الرسول (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى ، إلا بعد أن استكمل التشريع الإسلامى أهم أصوله التى قام عليها ، واستوى فيما بعد.

ومن يتتبع دراسة الفقه يرى بوضوح كثرة الاختلافات فى الأحكام الفقهية بين أهل الرأى وأهل الحديث ، نتيجة اختلافهم فى الأصول التى يرجعون إليها فى التشريع . ولكل وجهة هو موحيها.

٤ – أهم خصائص التشريع الإسلامى :

الفقه الإسلامى له خصائص متعددة، وليس من الممكن استيعاب هذه الخصائص كلها ولكن يمكن عرض بعضها فيما يلى :

١ - أن الوحى الإلهى سنده الأساسى ، ومصدره الأول.

٢ - أن الوازع الدينى ، والأخلاقى ، وراء كل تشريع.

٣ - أنه يجمع بين الجانبين : الدنيوى والأخروى.

٤ - أنه يميل - أكثر - إلى رأى الجماعة ، حتى وإن تبدى أن هناك مفتيا وحدا.

٥ - أنه مرن ، وربما يختلف باختلاف البيئات : زمانا ومكانا.

٦ - أن غايته إسعاد الناس ، والتيسير عليهم ، ليتحقق عمارة الكون.

٥ – الأسس العامة للتشريع الإسلامى :

يمكن القول إن هناك أسسا عامة للتشريع الإسلامى ، لعل منها ما يلى :

١ - عدم الحرج ، ورفع المشقة ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (المائدة : ٦).

٢ - التفاؤل ، وفتح باب الأمل أمام كل الناس : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الزمر : ٥٣).

٣ - التأكيد على الأخوة الإنسانية : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنه : ٨).

٤ - التيسير والتسهيل للعباد ، حتى فى أمور العبادة ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (البقرة : ١٨٥).

٥ - تحقيق العدل والمساواة بين البشر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة :٨).

٦ — مهارات تدريس الفقه :

أما مهارات تدريس الفقه فهى متعددة ، يمكن عرض بعضها فيما يلى :

- القدرة على شرح المبحث الفقهى ، وتقريبه لذهن الطالب.
- القدرة على التعامل مع مراجع الفقه المختلفة.
- القدرة على ربط المبحث الفقهى ، بالجانب التطبيقى.
- القدرة على التعامل مع القواميس العربية ، والمهارة فى اختيار أقرب المعانى إلى المصطلح الفقهى.
- القدرة على التفريق بين الأحكام الشرعية ، والأحكام الخلقية ، والأحكام العقدية .
- القدرة على ربط الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية بالأحكام الفقهية ، وبيان محل الشاهد فيها.
- القدرة على معرفة الحكم الكيفى ، وتحديد المقدار الكمى للمباحث الفقهية التى تتطلب ذلك.
- القدرة على بيان مصادر التشريع الإسلامى.
- القدرة على بيان أهم أسس التشريع الإسلامى ، وربطها بالأحداث الجارية.
- القدرة على استنباط الحكم الفقهى.
- القدرة على التعامل مع المشاكل الطارئة ، والقضايا المعاصرة.

خامسا- السير :

يقصد بالسيرة : السنة فى المعاملات أى الطريقة ، يقال : سار أبوبكر(رضي الله عنه) بسيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم غلبت فى الشرع على طريقة المسلمين فى المعاملة مع الكافرين والباغين وغيرهما من المستأمنين والمرتدين ، وأهل الذمة ، وهى تعد مجالا خصبا للتنمية الدينية وتأصيلا للقيم الفاضلة لدى النشء ، لأنها تحكى سيرة وحياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وبعض أعلام المسلمين الذين أثروا حياتهم بجلائل الأعمال ، وسابق الإنجازات.

والسيرة هى صحيفة أعمال الإنسان وطاعاته ، إلا أنها غلبت فى لسان الشرع على أمور المغازى ، وما يتعلق بها ، كما غلبت " المناسك على أمور الحج "

وتبدو أهمية هذا الفرع من التربية الدينية فى عصرنا الحالى إذا أدركنا أن هناك صراعا - خفيا ومعلنا - يعانيه الإسلام اليوم - كما يعانيه على الدوام - من غير المسلمين وضعاف المسلمين على السواء ، وأن أجهزة الإعلام المختلفة تحمل إلى النشء كل يوم

حدثا علميا جديدا أو مستحدثا تكنولوجيا طريفا قام به غير المسلمين، فيبهر النشء بهؤلاء الذين اسهموا فى الحضارة المعاصرة، فيولى وجهه شطر هؤلاء ليتخذهم مثلا وقدوة. ويعمد هؤلاء - خداعا واستقطابا - إلى مختلف الأساليب للسيطرة الفكرية والنفسية على الشباب.

ويمكن لهذا الفرع وغيره من فروع التربية الدينية أن يقلل من هذا الانبهار، ويسد الطريق أمام التيارات الموجهة للشباب المسلم، إذا قدمنا بعضا من سير الأعلام فى الإسلام، ودورهم فى مختلف الأنشطة الحياتية.

ويهدف تدريس السير إلى تحقيق الأغراض الآتية :

- التغنى بالأمجاد والبطولات الإسلامية فى ميدان القتال وتضحياتهم لتحقيق مثلهم العليا.
- إعلام غير المسلمين كيف كانت سيرة صفوة المسلمين، وعلى رأسهم المصطفى (ﷺ)
- بعث الكبرياء القومى، و إحياء الذاكرة الجماعية.
- إحياء الرموز، والقيم، والمثل، والمفاخر الإسلامية.
- تقديم سير الرجال والنساء النموذجية التى حققت نجاحات فريدة فى أى مجال من مجالات الحياة.
- تهذيب السلوك، وتقويم الأخلاق.

ومن المهم أن يدرك النشء أن سيرة الرسول (ﷺ)، وحياته وحده فيها غنى، وأى غنى عن كل السير، ذلك لأننا إذا حاولنا الاستئناس بما يقوله علماء النفس فى هذا المقام من أن الإنسان يؤثر فى نشأته، وتكوين شخصيته — وشتان بين مقارنة الإنسان بالرسول، لأنه (ﷺ) صنعه الله لرسالة الإسلام — **عاملان رئيسيان هما** : عامل الوراثة البيولوجية والعقلية من جهة، ثم عامل البيئة الاجتماعية، أو المحيط الاجتماعى من جهة أخرى - لأمكن القول أن سيرة الرسول (ﷺ) - وهو المثل الأعلى - فيها الجوانب المتعددة التى تكفل للنشء إعدادا صالحا، وتوجيها طيبا.

طريقة تدريس السير:

يمكن أن يكون درس السير تبعا لما يلى :

١ — يستثير المعلم تلاميذه بما يراه مناسبا للحدث الذى يعالجه فى السيرة.

٢ – عرض الدرس عن طريق الحوار والمناقشة مستخدما الواقع محورا أساسيا تدور حوله المقارنة والموازنة ، خصوصا المواقف الفريدة والمربية ، وليس سرد الأحداث ، أو حكايتها ، مع التأكيد على أن السيرة هدف يتوقع الوصول إليها.

٣ – استنباط الدروس المستفادة من دراسة السيرة.

٤ – إطلاق العنان لخيال التلاميذ ليعبر كل منهم عن الجانب الذى يتمنى أن يرى نفسه فيه ، والجوانب الأخرى التى يتمنى أن يراها هو فيمن حوله.

مهارات تدريس السيرة النبوية :

أ - بعض مظاهر خصوصيته (ﷺ).

كلف الله محمدا (ﷺ) بتبليغ رسالته إلى الناس ، واصطفاه من بين خلقه ليكون داعية لهذا الدين ، وكان فى ذلك إشعارا لكل مسلم أن يكون واجهة مشرقة لهذا الدين وطالب من كل مسلم أن يضع نصب عينيه بعض مظاهر خصوصيته (ﷺ) لتكون دافعا لكل من يتصدى لتدريس التربية الإسلامية ، من واقع تسامى هذا العمل وشرفه.

ويمكن عرض بعض هذه المظاهر فيما يلى :

١ - أنه لا نبى بعده ، ولا رسالة بعد رسالته ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ (الأحزاب : ٤٠).

٢ - أن رسالته (ﷺ) عامة لكل الناس إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سبأ : ٢٨).

٣ - أنه (ﷺ) أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (الأحزاب : ٦) ومن هنا فإن الاقتداء به (ﷺ) ، وتبليغ رسالته ، والعمل على إعلائها مقدم على ما عداها - لقوله (ﷺ): " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين ".

٤ - أن طاعته (ﷺ) من طاعة الله ، لأنه (ﷺ) فاق جميع البشر فى كمال الخلق ، وتمثل فيه القرآن الكريم نموذجا بشريا ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (التغابن : ١٢).

٥ - أنه (ﷺ) أوتى جوامع الكلم ، لأن ما ينطق به ما هو إلا وحى من الله يوحيه إليه

وبالتالى هو نموذج عال للبلاغة العربية . أخرج الإمام أحمد - رحمه الله - من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص (ﷺ) قال خرج علينا رسول الله (ﷺ) يوما كالمودع فقال: أنا محمد النبى الأمى - قال ذلك ثلاث مرات - ولا نبى بعدى أوتيت فواتح الكلم وخواتمه، وجوامعه، وعلمت كم خزنة النار، وحملة العرش وتجوز بى وعوفيت، وعوفيت أمتى، فاسمعوا وأطيعوا ما دمت فيكم، فإذا ذهب بى فعليكم بكتاب الله . أحلوا حلاله، وحرموا حرامه.

وهذه المظاهر وغيرها مما يمكن الوصول إليها من دراسة تحتم على مدرس التربية الإسلامية أن تتوافر فيه المهارة والقدرة على إبراز مظاهر التفرد التى تميز بها المصطفى (ﷺ) ، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا إذا درس سيرته (ﷺ).

وإذا كان المعلم كاد أن يكون رسولا ، فإن المعلم لابد من أن تتوافر فيه - إلى حد ما - بعض صفات الرسل ، وهى التبليغ والأمانة ، والصدق والفطانة.

والتبليغ - قياس مع الفارق — يشبه تبليغ الرسل — وشتان بين المشبه والمشبه به — مأمور به المدرس فلا يأتى بمنهج دراسى من عنده، ولا يجتهد فى تبليغ الطلاب ما لم تقره الفلسفة التعليمية ؛ لأن التعليم ليس مقصودا به فئة معينة من أبناء الوطن، وإنما المقصود به عامة المواطنين، لكى يوجد أرضية مشتركة بين أبناء الوطن الواحد، يتضامنون، ويتحدون، ويأنس بعضهم إلى بعض، ويشد بعضهم أزر البعض الأخر.

والأمانة مطلوبة من المعلم يتحرى فى تدريسه جانب الصواب ، فلا يجتهد إلا ما يمكن الاجتهاد فيه. أما إذا كانت المادة العلمية صادقة فالصدق فى تبليغها بأمانة، لكنه ليس ناقلا للمعرفة بغير فكر، ولا مؤديا للمنهج المدرسى إلا من خلال التأمل، و إعمال الفكر.

والسيرة النبوية تقف فى مقدمة السير التى تقدم للطلاب ، لأن رسول الله (ﷺ) منهج الله فى الأرض ، وصاحب الرسالة الإلهية ، التى تكفل عزة البشر ، والبلوغ بهم إلى مضمار الحضارة الحقيقة . فإذا قدمت سيرة المصطفى للطلاب أصبحت مثلا يحتذى ، ونموذجا يتم الاقتداء به. وبعد ذلك يمكن تقديم سير بعض المصلحين فى أى مجال، تحت مظلة السيرة العظمى لمحمد (ﷺ).

وتدريس السيرة لا يتم من خلال السرد، أو الحكاية، وإنما يتم من خلال الدروس المستفادة لبعض المواقف، أو الأحداث، أو المهام، أو غير ذلك مما يدفع النشء إلى تقمص

هذه الشخصية ، والوقوف عندها ، ينمى بها شخصيته ، ويؤكد بها حياته ، ويرسخ قيمه وآماله.

ب- مهارات تدريس السيرة.

من هنا فإن مهارات تدريس السيرة متعددة ، ولعل منها :

- القدرة على بيان الجانب الواقعى ، والجانب المثالى من صاحب السيرة.
- القدرة على توظيف المواقف من صاحب السيرة فى إنماء شخصية التلميذ.
- القدرة على استخلاص الدروس المستفادة من السيرة المقررة.
- القدرة على توجيه المواقف لصالح الواقع المعاش.
- القدرة على بيان الحكمة من الأحداث التى وقعت لصاحب السيرة.
- القدرة على التفريق بين الخصوصيات والعموميات لصاحب السيرة.
- القدرة على ربط الأحداث بعضها ببعض، والتنبيه لإعمال الفكر ، وتركيز العقل فيما يجب فيه ذلك.

سادسا – التهذيب :

يعنى بالتهذيب مجموعة الفضائل، والقيم ، وأنماط السلوك التى يريد أن يكون عليها أفراد المجتمع متحلين بها منذ طفولتهم . ويستعان فى تحقيق ذلك بما كتب عن الفضائل من أدب رفيع : قرآنا، أو حديثا، أو مأثورا من كلام الرسول (ﷺ) والصحابة، والملوك والأمراء والبلغاء أو حكما أو أمثالا.

والتهذيب بهذا المعنى ليس فرعا مستقلا من فروع التربية الدينية ، وإنما يمتد بجذوره إلى كل هذه الفروع ، وكذا بقية الفروع له مثل ذلك . وإذا كانت فروع التربية الدينية تكون كلا متكاملا تضيع معالم التقسيم فيما بينها - فإن الأساس الذى ترد إليه هذه الفروع إنما هو القرآن الكريم والسنة النبوية . فقصص القرآن الكريم وما تحمله فى ثناياها من فضائل كريمة وقيم نبيلة ، ونماذج يقتدى بها ، وتشريعاته التى تبين الحلال من الحرام ، والمقبول من غير المقبول وأصوله التى توجه الحياة ، وتضع المعايير الأصيلة ، وغير ذلك مما يمكن استنباطه من القرآن الكريم والسنة النبوية - إنما يمثل المصدر الأصلى للتربية الدينية.

ويمكن أن يكون ما فى الأدب العربى القديم من مواقف، وقصص تحمل قيما ممتدة، أبقاها الإسلام ودعا إليها - يمكن أن تستغل لتهذيب القيم، وتعديل السلوك فى المستقبل، لأن موجهات السلوك الآن ليس بالضرورة أن يكون باعثها متواقتا معها، ولكن يمكن أن يكون باعثها كامنا من سنين طويلة.

قال أعرابى : زوجونى لأنجب ولدا، أعلمه الفروسية حتى يجرى الرهان، ورواية الشعر حتى يفحم الفحول. فزوجوه امرأة، وولدت له ابنة. فقال فيها شعرا، وانتظر حولا حتى جاءته امرأته بوليدة أخرى، فهجرها، وجعل يتردد على بيت جارة لها، فنظمت امرأته فى هذه المرة شعرا تقول فيه :

ما لأبى حمزة لا يأتينا ... يظل فى البيت الذى يلينا

غضبان ألا نلد البنينا ... وإنما نأخذ ما أعطينا

قالت امرأة " أبى حمزة": إن الأمهات يعطين ما أخذنه من الآباء ... فإن الأب الذى يلوم على نسله، ونسلها منه يسقط نفسه من الحساب. ولا يحق أن يفضل البنين على البنات وهو يعول على الأرحام، ولا يعول على الأصلاب.

وينبغى فى اختيار القصص أن تراعى التلاميذ ومستوياتهم عندما تعرض عليهم أحداثها ويقابلونها بالشك حينا، وبالإنكار حينا آخر، فيؤكد لهم ما يعرضه من هذه الأحداث. ويمكن أن تكون النصائح والوصايا أداتين للقيام بوظيفة ذات بعدين : البعد الأول بعد أدبى يهدف إلى تنمية التذوق، وزيادة الحاسة الأدبية، والبعد الثانى يهدف أول ما يهدف إلى تهذيب الأخلاق وتقويم الطباع. والقرآن الكريم، والتراث العربى رسالة فى التقويم الخلقى، ودعوة إلى المثالية الإنسانية.

تدريس التهذيب :

تجدر الإشارة إلى أنه ليس هناك طريقة مثلى فى تدريس أى فرع من فروع المعرفة؛ وإنما الطريقة المثلى تنبع من الموقف نفسه، ومن هنا فقد يستخدم المعلم أكثر من طريقة فى حصة واحدة تبعا لعدد من يقوم بالتدريس، ومستواه، وميوله، وثقافته.

ويستحسن فى جانب التربية الدينية أن يركز المعلم على طريقة المناقشة حيث يعمل المدرس مع الطالب على مستويين فى وقت واحد :

إنه يعلمه كيف يدرك مبادئ المادة الدراسية التى يدرسها، ويعلمه طريقة إدراك وتوليد مثل هذه المبادئ دون مساعدته.

وبناء على ذلك يمكن أن يكون درس التهذيب وفق ما يلى :

١ - إثارة التلاميذ بما ينبئهم إلى الموضوع المعروض. ويتمثل ذلك فى سؤال مطروح أو موقف عارض، أو مقدمة تنبه التلاميذ إلى أن هناك موضوعا جديرا بالمناقشة .

٢ - عرض الموضوع بمشاركة التلاميذ، وتوجيه من المعلم بحيث ينصب الكلام فى صلب الموضوع.

٣ - فتح باب المناقشة أمام التلاميذ، وإتاحة الفرصة لكل منهم أن يبدى رأيا، أو يصوب قيمه ، أو يصحح معلومة، أو يبرهن على موقف، أو يدافع عن مبدأ.

٤ - التلخيص النهائى للدرس، والتركيز على أهم الدروس المستفادة منه.

٥ - مساعدة التلاميذ على أن يسرد كل منهم ما يعرفه من قصص، أو مواقف ملائمة تتصل بموضوع الدرس.

سابعا - البحوث :

هى طائفة من المعارف الدينية تساعد الطلاب على تثبيت العقيدة، وعلى مقاومة التيارات الإلحادية، ومغريا الخروج على القيم الروحية، وعلى المزيد من فهم أسس المجتمع والعلاقات بين الناس، وعلى تعرف العالم الإسلامى، وما بين أبنائه من صلات.

والمكان المناسب لهذا الفرع هو المرحلة الثانوية التى يتميز تلميذها بيقظة عقلية كبيرة فتبدو عملية التفكير النقدى، بمعنى ألا يقبل المراهق ما يسمع ، أو ما يقرأ دون تمحيص، مهما كان المصدر الذى يسمع منه، أو يقرأ ، كما ينمو التفكير الابتكارى بصورة واضحة، وهو يميل إلى المعلومات الدقيقة التى يحاول الحصول عليها من المصادر الموثوق بها، وهو يبدأ فى التساؤل والتشكيك فى معظم معتقداته ومن هذا التساؤل والتشكيك يكون المراهق فلسفة حياته .

إن تلك المرحلة - وقد دخل فترة المراهقة، وبدأ التغير الجسمى والنفسى يعتريه — تحتاج إلى إشباع لألوان من الحاجات، يترتب على عدم إشباعها كثير من الاضطراب والقلق. فحاجته إلى المركز والمكانة، وليس هناك من إشباع لها أكثر من إشباع الإسلام لها بما يلقيه على عاتق هذا الإنسان من مسئوليات نحو الله والناس ... وحاجته إلى المعرفة . فليس هناك من إشباع لهذه الحاجة أكثر من اتجاه إلى الإسلام بهدف إعطاء المرء معلومات عن العالم الغيبى الذى لا تشاهده ولا تراه. أما حاجته إلى الاستقلال عن سلطة الآباء

فالإسلام يعمل على تكوين ما يسمى بعاطفة الاحترام من الأبناء للآباء ، وفى الوقت نفسه يدفع الآباء إلى احترام تفكير الأبناء.

ويمكن أن يقدم نوعان من هذه البحوث :

الأول – بحوث من التراث تربط التلميذ بماضيه ، وتؤكد له جانب الأصالة ، وتطلعه على الجوانب المشرقة للإسلام والمسلمين ؛ لتكون بداية ينطلق منها إلى حاضره ، وأساسا يستند إليه فى تفهمه للمشكلات المعاصرة . ويتم اختيار تلك البحوث بما يتناسب مع طالب تلك المرحلة ، ومع مستوى المشكلات . وهذه المشكلات - غالبا - متجددة بتجدد الحياة ، ومختلفة باختلاف الاتجاهات المناوئة للإسلام وما أكثرها . ومهمة المعلم أن يختار المشكلات الملحة ، التى تختلف الرؤى حولها ؛ ليتعلم الاستقلال فى الرأى ، وتكوين وجهة نظر نفسه.

ولعل من أهم نقاط الضعف التى جعلت تعليمنا المعاصر يبتعد عن أصالته الإسلامية تتمثل فى أن تدريس العلوم العقلية المختلفة يفتقر إلى توجيهه الوجهة الإسلامية الصحيحة فهذه العلوم تدرس موضوعاتها - عادة - على أن معرفتها هدف فى حد ذاته.

الثانى – بحوث معاصرة : لا خوف من عرض القضايا أو المشكلات التى لم يبت فيها برأى وخصوصا المسائل الاقتصادية مثل التأمين ، وشهادات الاستثمار ، والاستنساخ وغير ذلك من الموضوعات ، لأن تلك القضايا هى بداية الاجتهاد والموجه الأول لمن يهتمون بمثل هذه الأمور من الشباب.

تدريس البحوث :

يستحسن أن يعتمد هذا الفرع من التربية الدينية على المناقشة . ومهمة المعلم أن يكون قادرا على إدارتها ، بحيث يفتح أمام الطالب أبوابا جديدة ، ولا ينبغى له أن يتركه دون مرجع من المراجع ، أو المؤسسات التى يمكن أن تشبع حاجته من الموضوع المطروح للمناقشة.

ويمكن أن يتم الدرس وفق ما يلى :

١ - إثارة الطلاب وذلك بعرض وجهات نظر متناقضة ، أو أسئلة مخالفة.

٢ - عرض القضية ، أو المشكلة وتحديدها . وهى إما نابعة من المدرس ، أو من الطلاب أنفسهم.

٣ - عرض الأدلة الإيجابية والسلبية ، ومدى تطبيق كل منها.

٤ - استخلاص الاستنتاجات المدعمة بالأدلة والاحتكام إلى رأى الدين فى هذا الاستنتاج.

وأيا كان الأمر فإن دراسة القضايا والمشكلات المعاصرة من وجهة نظر الفكر الإسلامى وتعرف أبعادها والإلمام بخلفيتها - مجال خصب لتعريف التلميذ بروح الإسلام واتجاهاته الإصلاحية، فى مجتمع غلبت عليه تفسيرات مادية لكل ما يدور حوله، مع أن الإسلام فيه الحلول الجذرية للمشكلات المعاصرة ، إذا توخى الفرد فيه حسن النية وقصد السبيل، كما أن فيها تدريبا على الأسلوب العلمى فى تناول المشكلات، ومعالجتها. وهذا يتطلب معلما ملما بأحكام الشريعة قادرا على الدفاع عنها، واعيا بثقافة عصره، يصلح لإدارة المناقشة وتوجيهها الوجهة السليمة، صبورا لا يمل من الجدال والإقناع.

ثامنا : التجويد

١ — **التجويد فى اللغة** : التحسين . وفى اصطلاح القراء : تلاوة القرآن الكريم ، بإعطاء كل حرف حقه من مخرجه ، وصفته اللازمة له ، من همس ، وجهر ، وشدة ، ورخاوة ونحوها . من غير إسراف وتعسف ، ولا إفراط ولا تكلف.

٢ — **الهدف منه :**

أ - تدبر معانى كتاب الله، والتفكير فى غوامضة، والتبحر فى مقاصده، وتحقيق مراده جل وعلا . ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (ص : ٢٩).

ب - توجيه الأنظار إلى جمال القرآن الكريم، ذلك أن الألفاظ إذا أجليت على الأسماع فى أحسن معارضها ، وأحلى جهات النطق بها ، حسبما حث عليه رسول الله (ﷺ) بقوله : " زينوا القرآن بأصواتكم " - كان تلقى القلوب ، وإقبال النفوس عليها بمقتضى زيادتها فى الحلاوة ، والحسن على ما لم يبلغ ذلك المبلغ منها.

جـ - غرس قيمة التجويد والتحسين فى العمل - أيا كان - بعد أن أصبح عادة ممارسة فى قراءة القرآن الكريم ، قراءة مجودة.

د - تقويم اللسان من حيث إخراج الحروف من مخارجها الأصلية خوفا من اللحن فى القرآن الكريم ونقل ذلك منه ، إلى العربية الفصحى ، بحيث يقل الخطأ منها ويزيد الأداء فيها ، صحة وسلامة.

هـ - تعويد اللسان على النطق الصحيح ، وممارسة رياضة الفكين ، كما قال ابن الجزرى رحمه الله .

وليس بينه وبين تركة   إلا رياضة امرئ بفكه

٣ - **أهمية التجويد :**

تبرز أهمية التجويد فيما يلى :

أ - أنه حلية التلاوة ، وزينة القراءة ، وهو إعطاء الحروف حقوقها، وترتيبها ، ومراتبها ورد الحرف إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره ، وإشباع لفظه ، وتلطيف النطق به على حال صيغته وهيئته.

ب - أنه يتعلق بكتاب الله ؛ لتمكين التلميذ من أن يقرأ القرآن الكريم قراءة سليمة صحيحة ، بل أن صلب التجويد ، وموضعه كعلم هو كلمات القرآن الكريم ، من حيث أحوال النطق بها ، وكيفية أدائها.

جـ - أنه يوقف المتعلم على العلم بما يقرأ به أئمة القراءة ، والتمييز بين من يقرأ به وما لا يقرأ به.

د - أنه يعلم الدارس أن القراءات نقول صحيحة ومتواترة عن علماء القراءات الموصولة إلى رسول الله(ﷺ).

٤ـ **مهارات التجويد :**

يغلب على مهارات التجويد ، إن لم تكن كلها المهارات الحركية إلى جانب المهارات العقلية الكثيرة وذلك باستخدام جهاز النطق على نمط خاص، يسمح بالنطق السليم ؛ ولهذا فإن المشافهة ، والأخذ عن الغير هى الحكم الفصل والطريق إلى النطق مجودا ، شأنه فى ذلك شأن القرآن يؤخذ بالتلقى والمشافهة.

ولعل مما يزيد من مهارات التجويد قوة ودقة، معرفة المخارج الرئيسية لحروف الكلام وهى :

أ - **التجويف الصدرى :** ومنه تخرج حروف المد الثلاثة ؛ وهى : الألف والياء والواو.

ب - **الحلق :** ومن أقصاه تخرج الهمزة والهاء ، ومن وسطه العين والحاء ، ومن أدناه العين والخاء.

جـ - **اللسان** : ومن أقصاه تخرج حروف القاف والكاف، والجيم المعطشة، والياء الساكنة والضاد واللام ، ومن نهايته تخرج النون و الراء والدال والسين والصاد والزاى والطاء، ومن طرفه تخرج حروف الظاء والذال والثاء.

د - **الشفتين** : ومنهما تخرج الفاء والباء والميم والواو.

هـ - **الخيشوم** : وهو تجويف الفم ومنه يخرج امتداد صوت النون والميم والتنوين وحركة الهواء الاندفاعية ، ثم انحباسه فى حركة الذال والظاء والزاى.

وهذا هو الاتساق المميز فى علم التجويد : المحاكاة والنقل عن الغير.

٥- طريقة تدريس التجويد .

تتعدد مباحث التجويد. ومنها: أحكام النون الساكنة والتنوين ، وأحكام الميم والنون المشددتين وأحكام المد، والتضخيم والترقيق، وأحكام اللام، وإدغام المتماثلين. وهذه وغيرها يمكن أن تكون طريقة القياس، والاستنباط هى المستخدمة فيها . ورغم ما فيها من تقليدية إلا أنهما يمكن أن يحققا الهدف من تدريس التجويد، خاصة أنه - أى التجويد - يتطلب المحاكاة والتقليد للمعلم.

ويمكن أن يستعان فى ذلك بالكمبيوتر، أو الوسائل التعليمية، وذلك بإظهار الحرف أو الحروف التى تتصل بمبحث التجويد، ثم التوسع فى جانب التطبيق . مثل الإدغام بغنة باتفاق جميع القراء : من نصير (الحج : ٧١) ، ومن محيص (إبراهيم : ٢١) . ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ ﴾ (المزمل: ٣،٢). والعبرة فى أى طريقة تستخدم هو تحقيق الهدف من الدرس ، وذلك بالسيطرة على أحكام التجويد التى تتم دراستها ، وتطبيقها تطبيقا صحيحا فى القراءة.

جـ- نماذج لكيفية إعداد دروس فروع التربية الإسلامية:

(أ) القرآن الكريم :

النص : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (الأنعام : ٢٥).

المادة	الفرقة	الحصة	التاريخ
قرآن كريم	الثالثة	الثانية	١٤٢٤/٢/١٧ هـ - ٢٠٠٣/٤/١٩ م

١ - تمهيد : تتناول هذه الآية فئة من الناس تصم آذانها عن سماع الحق، وتنكر كل ظاهر ويتسم موقفهم منه بالعناد والمكابرة، مع أنه كان أدعى إلى الاقتناع، والتسليم به .

٢ - مشتملات الآية :

١ - عمل الحواس.

٢ - الجدال وموقف الإنسان منه.

٣ - معانى الألفاظ : أكنة : أغطية على عقولهم فلا يفهمون الحق. - يفقهوه : يتفهموه.

٤ - ما ترشد إليه الآية :

١ - إن تعطيل الإنسان لحواسه ، تصل به إلى الضلال ، وعدم الهداية.

٢ - أن وظيفة الحواس التأمل فى ملكوت الله ، والوقوف على ما فى الآيات من دلائل على عظمة الله.

٣ - أن الإنسان لا يصادر على نفسه ، خاصة فى مجال العقيدة ، بل يترك الباب مفتوحا فقد يكون فيه بداية الخير.

٤ - أن على الإنسان أن يتلطف فى أحكامه ، حتى يكون أمر مراجعة النفس هينا.

٥ – المناقشة :

(١) ما سبب نزول هذه الآية ؟

(٢) قال تعالى : وجعلنا على قلوبهم أكنه . هات من القرآن الكريم ما يتفق مع معنى تلك الآية.

(٣) وجه استخدام الآية لأداتي الشرط : إن ، إذا.

(٤) ما المقصود بـ " أساطير الأولين " ؟ وإذا كنت تستحضر شيئا من معلوماتك العامة عن بعض تلك الأساطير فاذكرها.

ب – الحديث

التاجر الأمين

التاريخ	الحصة	الفرقة	المادة
١٤٢٤/٢/١٨هـ ـ ٢٠٠٣/٤/٢٠م	الثالثة	الثانية	حديث

نص الحديث : عن أبى سعيد الخدرى ، رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) :

" التاجر الأمين الصدوق ، مع النبيين ، والصديقين ، والشهداء والصالحين " أخرجه الترمذى.

١ – تمهيد : يتميز المال بأنه حبيب إلى كل الناس ، تهفوا إليه النفوس ، وتتيه أمامه العقول وتتعب فى سبيله الأجساد . والتعامل معه بكثرة فى مسألة البيع والشراء ، والأخذ والعطاء يمكن أن يجعل من المرء غشاشا ، أو كذابا أو مخادعا.

٢ – مشتملات الحديث :

١ – مفهوم التاجر.

٢ - منزلته عند الله.

٣ – معانى المفردات :

الصدوق : المتمسك بالصدق ، لا يحيد عنه . الصديقين الذين صدقوا كل ما جاء به الأنبياء . الشهداء : الذين قتلوا فى سبيل إعلاء كلمة الله .

٤ – ما يرشد إليه الحديث :

(١) أن الأمانة والصدق إذا كانتا ضروريتين للإنسان العادى فهى للتاجر أكيدة

(٢) أن منزلة التاجر مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

(٣) أن مغالبة شهوات النفس ترفع من قيمة صاحبها عند الله والناس .

(٤) أن المعية الحقيقية مع من يرضى الله عنهم ويحبهم .

(٥) أن المكسب فى الدنيا أمر موقوت ، أما مكسب الآخرة فهو الربح الحقيقى .

(٦) أن التمسك بالقيم الإسلامية الرفيعة هى التى تميز بين إنسان وإنسان ، وتاجر وتاجر على المدى الطويل.

٥ – المناقشة :

(١) ما سر وصف التاجر ب "الأمين الصدوق " ؟

(٢) بين معانى المفردات الآتية : الصدوق — الصديقين — الشهداء — الصالحين .

(٣) ما أثر العمل بهذا الحديث فى المجتمع ؟

(٤) اشرح حالة جماعة من الناس اتسم تجارها بالخيانة والكذب .

(٥) ما الأحكام المتضمنة فى هذا الحديث ؟

جـ ـ التوحيد :

التاريخ	الحصة	الفرقة	المادة	الموضوع والطريقة
١٤٢٤/٢/٢٥هـ ٢٠٠٣/٤/٢٧م	الخامسة	الثالثة	توحيد	**وجود الله** تمهيد : يسلم العقل السوى بأن كل شئ لابد له من موجد ، وكل صنعة لابد لها من صانع ،كما يسلم العقل بأن الصدفة توجد ، ولكنها لا تتصف بالاستمرار ، والثبوت ، والدقة، والفطام ، والنظم، ولكن هذا وغيره لا يمكن أن يأتى اتفاقا، وإنما يصدر عن قوة أعلى من قوة البشر وتدبير أحكم من تدابير الخلق، خاضع لحكم واحد، وقوة واحدة. العناصر : أدلة عقلية . وهى متعددة . منها : أ – العدم لا يفعل شيئا. ب - فاقد الشئ لا يعطيه. جـ - كل صنعة لابد لها من صانع. أدلة نقلية : ومنها أ – تبليغ الرسل عن وجود الله. ب – ما جاء فى الكتب السماوية. الخلاصة : ١ – أن الإيمان بوجود الله شعور فطرى ينبع من النفس.

(تابع) جـ - التوحيد :

التاريخ	الحصة	الفرقة	المادة	الموضوع والطريقة
١٤٢٤/٢/٢٨هـ ٢٠٠٣/٤/٣٠م	الخامسة	الثالثة	توحيد	٢ - أن على المسلم أن يؤيد إيمانه الفطرى بالأدلة العقلية القاطعة حتى يكون إيمانه مبنيا على يقين واقتناع. ٣ - أن هناك أدلة عقلية ونقلية على وجود الخالق. ٤ - أن الإيمان بوجود الله، والطريق إليه مسئولية كل إنسان منذ بداية التكليف، ودخوله سن الراشدين. المناقشة: ١ - كيف عرف الإنسان وجود الله بفطرته؟ ٢ - هات مثالا من المنطق، والواقع ما يؤيد وجود الله. ٣ - اتخذ من الصدفة منطقًا لإثبات وجود الله. ٤ - اذكر من الآيات القرآنية ما يثبت وجود الله. ٥ - كيف تتوصل من الأدلة الآتية إلى وجود الله؟ - العدم لا يفعل شيئا. - فاقد الشيء لا يعطيه. - معرفة الله عن طريق رسله.

د ـ الفقه :

١ - العبادات :

التاريخ	الحصة	الفرقة	المادة	الموضوع والطريقة
١٤٢٤/٢/٢٨هـ ٢٠٠٣/٤/٣٠م	الأولى	٢/٥	عبادات	**صدقة الفطر** تمهيد : تؤكد الشريعة سماحتها فى كل مواقف الحياة ومنها العبادات. وإذا كان العبد فى عبادته المفروضة يتوقع منه السهو والنسيان، وعدم أداء العبادات على وجهها الأكمل – وهذا يحدث كثيرا – فإن الإسلام أباح للمسلم أن لا يقف عند حد العبادة المفروضة، بل يتعداها إلى مجالات الخير الأخرى ؛ ليجبر ما كان من خلل فى عبادته المفروضة. ومن هنا كانت زكاة الفطر، وغيرها من أوجه العبادات الأخرى. العناصر الأساسية : ١ - مفهوم زكاة الفطر. ٢ - حكمها. ٣ - على من تجب؟ ٤ - مصارفها. الخلاصة : ١ - أنها واجبة على كل من عنده ما يزيد عن قوته، ومن يقوته يوم الفطر وليلته.

(تابع) ا - العبادات :

التاريخ	الحصة	الفرقة	المادة	الموضوع والطريقة
	الأولى	٢/٥	عبادات	٢ - أنها واجبة عليه، وعمن تلزمه نفقته شرعا كزوجته وأولاده، وخدمة الذين يتولى أمرهم ويقوم بالإنفاق عليهم. ٣ - أن إخراجها قبل صلاة العيد. ٤ - أن مصرفها مصرف الزكاة. ٥ - أنها تخرج من جنس قوت المسلم أو من أفضل منه. المناقشة: ١ - ما حكمة مشروعية صدقة الفطر؟ ٢ - دلل على وجوب صدقة الفطر. ٣ - لماذا وجبت على من كان عنده قوت يومه وليلته؟ ٤ - ما الملمح الدينى، والإنسانى فى صدقة الفطر؟ ٥ - جاء فى الحديث: أغنوهم فى هذا اليوم صور بقلمك معنى هذا الحديث.

٢ - المعاملات :

التاريخ	الحصة	الفرقة	المادة	الموضوع والطريقة
١٤٢٤/٣/٢هـ ٢٠٠٣/٥/٣م	الثانية	٧/١	فقه	**الشفعة** **تمهيد:** يحرص الإسلام فى جانب المعاملات على ألا يجعل المال وحده أو علاقات المصلحة فقط هى الفيصل فى مجال التعامل بين الناس وإنما الجانب الروحى وكل ما من شأنه أن يدعم جانب المودة والحب بين المتعاملين بعضهم البعض. مشتملات الدرس : ١ - تعريف الشفعة، وحكمة مشروعيتها. ٢ - سبب الشفعة، وحكمها. ٣ - الأدلة على ثبوتها. **الخلاصة:** ١ - أن الشفعة شرعا هى استحقاق الإنسان انتزاع حصة شريكه من مشتريها بمثل الثمن المسمى. ٢ - أن سبب الشفعة الاشتراك فى شىء، ولو منقولا ، فإذا وقعت القسمة فى المنقول فلا شفعة. ٣ - أن الشفعة شرعت مراعاة لحقوق الشريك، وحفاظا على إبقاء المودة بين الشريكين. ٤ - أن حكمها ثابت للشريك فى كل ما لم يقسم من الأموال. **المناقشة:** ١ - لماذا شرعت الشفعة؟ ٢ - بين حكم الشفعة فيما يلى : أ - العقار – المنقولات – الأموال. ب – باع الشريك بغير إذن شريكة. جـ - تراخى الشفيع من عدم العذر، وهو عالم بما يدور عند جاره.

هـ - السيرة :

سيدة نساء العالمين

التاريخ	الحصة	الفرقة	المادة
١٤٢٤/٣/٤هـ - ٢٠٠٣/٥/٥م	الأولى	الثالثة	سيرة

تمهيـد :

فتح الإسلام بنظامه الفذ الفرصة لظهور عبقريات الرجال ، وقدح مواهبهم ، مما أتاح لهم البقاء والخلود . وبمثل هذا الصعود فى الكمال من جانب الرجال كان هناك صعود مماثل فى جانب النساء وعرف العالم - ولأول مرة على وجه الأرض – مفاهيم حقوق المرأة، وسمو مكانتها، كما سجل ذلك تاريخ رائدات الحق، وحاملات ألوية الأخلاق، اللاتى تعد الزهراء أفضلهن ، بتزكية سيد المرسلين .

عناصر الدرس :

(١) من فضائل الزهراء وآثارها.

(٢) دورها فى مجال الدعوة.

(٣) زواج الزهراء وفضلها.

(٤) فاطمة ورسالة المرأة المسلمة.

(٥) الدروس المستفادة من حياتها.

الخلاصة :

(١) أن حسن التربية ، وطهارة المنشأ مما يؤثر فى النشء.

(٢) أن العقيدة الإسلامية الصحيحة تجعل من معتنقيها قوة لا يستهان بها.

(٣) أن المرأة المسلمة حياتها الحقيقية فى طاعة زوجها ، وحسن تربيتها لأولادها.

(٤) أن حياة السلف الصالح نموذج يقتدى به ، ولا يمكن التحلل منه بأى حال ، لأن ذلك مما يميز المجتمع الإسلامى عن غيره.

المناقشة :

(١) ما أثر العقيدة فى النفس الإنسانية ؟

(٢) علام يستهدف من دراسة السير ؟

(٣) كيف كانت حياة السيدة فاطمة مع زوجها ؟

(٤) لما كان الإسلام دينا متميزا فكذلك المرأة المسلمة . ناقش هذه العبارة.

و- التهذيب

المادة	الفرقة	الحصة	التاريخ
تهذيب	٧/٣	الثالثة	١٤٢٤/٣/٥هـ - ٢٠٠٣/٥/٦م

كفران النعم

تمهيد :

إن من الأمور البديهية قياس الشاهد على الغائب ، وقياس ما يجرى بين الناس ، وبين ما يتم بينهم وبين خالقهم – مع اعتبار الفارق فى ذلك - بمعنى أن من قدم معروفا لفلان من الناس فإن الواجب يقتضى القيام بشكره وشكر العباد فيما بينهم أساسه المنفعة المتبادلة وهو أقل أنواع الشكر ، لكن هناك شكر آخر أرفع مستوى ، وأرقى منزلة من هذا الشائع بين الناس . وهو السجود لله ، والحمد له على نعمائه.

الأفكار الرئيسية :

١ – الشكر وكيفيته.

٢ – جحود النعمة ومظاهرها.

٣ – الآثار المترتبة على كل.

معانى المفردات : الكفر : التغطية والإخفاء أى عدم إظهار النعم للناس.

الخلاصة :

١ – إن شكر الله واجب ، لأنه تعالى أصل كل النعم وموجدها.

٢ – إن إظهار النعمة ، والتحدث بها - بغير استعلاء ، أو احتقار للغير - شكر.

٣ – إن كفر النعمة دليل على أن صاحبها مريض ، وليس بسوى.

٤ – إن إخفاء النعمة ، وكتمانها كفر.

المناقشة :

١ – هات دليلا من القرآن والسنة على رأى الإسلام فى شكر النعمة ، وكفرها .

٢ – بين قيمة " الشكر " و" الكفر " بين الناس فى المجتمع . ولماذا كانت سابقة على الشكر لله ؟

٣ – ما مظاهر كل من شكر النعمة ، أوكفرها ؟

٤ – اكتب موقفين صادفتهما فى حياتك . وجه إليك الشكر فى أحدهما ، وأنكر عليك فى الآخر ، وبين رأيك فى كل منهما.

ز – التجويد :

التاريخ	الحصة	الفرقة	المادة	الموضوع والطريقة
١٤٢٤/٣/٧هـ ٢٠٠٣/٥/٨م	الثالثة	٣/٥	تجويد	**القلقلة** الأمثلة: قال تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾. (العلق: ١٠) قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾. (النحل: ١٢٥) قال تعالى: ﴿ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴾.(البلد: ١٤) قال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ ﴾.(البلد: ١١) قال تعالى: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴾.(طه: ٤٢) الخلاصة: ١ - القلقلة هى قرع الحرف فى مخرجه عند النطق به. ٢ - حروف القلقلة الخمسة (ق – ط – ب – ج – د) لا تقلقل إلا إذا كانت ساكنة. ويجمعها قولك "قطب جد". ٣ - حرف القلقلة يمكن أن يقع فى وسط الكلمة ، أو فى آخرها فقط. ٤ - حرف القلقلة يأتى فى الاسم والفعل ، والحرف. تدريب على الدرس: ١ - بين حروف القلقلة فيما يأتى مع بيان السبب. أحمد – العب – أخرج – اكتب – اقرأ.

وبعد : فهذا بعض من كل ، وخبرة من ضمن خبرات عديدة ، لا يمكن الحكم عليها بالصواب أو الخطأ إلا من خلال التدريس ، ومعايشة الدرس ، والتعامل مع شتى أطراف العملية التعليمية.

وتجدر الإشارة إلى أن تدريس التربية الإسلامية ليس كغيره من تدريس فروع المعرفة الأخرى وإن اتفق فى بعض المواقف ، لكن تدريس التربية الإسلامية يتعامل مع المعارف والوجدانات ، والمهارات وهى كلها تخدم أصلا واحد وهدفا واحدا وهو العقيدة بكل ما تتضمنه . فهما ، وترسيخا ، ويقينا ، وكل ما من شأنه أن يجمع للمسلم خيرى الدنيا والآخرة ، وخيرى الروح والجسد ، وخيرى الصحة العقلية والصحة النفسية.

وتجدر الإشارة - أيضا إلى أن طرق التدريس ليس الهدف منها أن تجعل كل مدرس نسخة مكررة من الآخرين ، وإنما هدفها فتح المجال للمواهب الإنسانية أن تبدع ، وتبتكر وتجدد ، لأن التعامل مع التلميذ - وكذا الإنسان - تعامل مع المظهر ، لا مع المخبر. فالمخبر وحده لا يطلع عليه إلا من خلقه ، وحتى المظهر قد يبدو مخالفا - قلة أو كثرة - لما يخفيه الإنسان ، لذا فإن خبرات طرق التدريس خبرات متجددة بتجدد الحياة نفسها ، ومتطورة بتطورها ، وأنماط التعامل فيها. والمعيار الأساسى لكل طريقة إنما هو التلميذ ، ورفع مستواه من ناحية التحصيل ، وترغيبه فى المادة بحيث يصبح معلما متعلما مدى الحياة.

ويمكن للمعلم أن يضع فى إعداد الدرس الأهداف العامة ، والأهداف الإجرائية ، ويمكن أن يتركها اعتمادا على أن المعلم حين يدخل الفصل ، وقد أعد درسه قبل ذلك إنما لديه شئ يقوله ، وهذا الذى يقوله لابد أن يكون له معنى وفائدة بالنسبة للتلميذ ، وإن كان من المرجح تحديد تلك الأهداف ، حتى تكتمل واجهة عملية الإعداد أمام الموجه ، والمشرف ، والزائر وكل من له سلطة المتابعة ، الوقوف على ما يجرى فى الفصل. ويستعان فى هذا التحديد بما درسه فى المناهج ، لكن إعداد الدرس الممتاز يفقد امتيازه إذا لم يكن وراءه مدرس متحمس وكفء يعرف أمانة الكلمة ، وسمو رسالته.

ولعل من محاسن الإعداد ما يلى :

١ - يحدد الجرعة العلمية المقرر توصيلها للتلميذ فى الحصة الواحدة.

٢ - يحمى المعلم نفسه من الحرج ، إزاء أى طارئ فى الاختبارات.

٣ - يحدد الوسيلة التعليمية ، التى تفيده فى درسة.

٤ - يختار الطريقة المناسبة لهذا الدرس.
٥ - يتغلب على أى صعوبة علمية يمكن أن تواجهه فى الحصة.
٦ - يتخيل شكل الحوار الذى يمكن أن يدور فى الفصل.
٧ - يكتشف واقع الكتاب المدرسى ، وكيفية تعامله مع المادة العلمية.
٨ - يحدد وزن كل جزئية من جزئيات الدرس.
٩ - يفتح الطريقة لربط الدرس ، بما يجرى فى الواقع وما يحيط بالتلميذ.
١٠ - يضع الأسئلة المناسبة لتحقيق التقويم البنائى ، والتقويم النهائى.

الفصل التاسع
مدرس التربية الإسلامية وعوامل نجاحه فيها

يتناول هذا الفصل أهمية مدرس التربية الإسلامية ، ودوره فى العملية التعليمية ، والمواد الضرورية التى يحتاج إليها هذا المدرس ، وكيفية النجاح فيها . وفيما يلى بيان لذلك :

أ- معلم التربية الإسلامية وأهميته .

يمثل المعلم مركز تأثير فعال فى العملية التعليمية . وهو ينقل هذا التأثير إلى عدد كبير من الذين ينضمون إلى المدرسة ، مهما كان هذا المعلم قويا أو ضعيفا ، ذلك لأن التفاعل الحى بين المعلم والتلميذ أمر وارد، ولا يمكن إغفاله. وهذا التفاعل يتأثر بعاملين: الأول - ويتعلق بالمعلم نفسه ، والإمكانات التى وهبها الله إياه . وهذه لا حيلة للشخص فيها، والثانى - يتعلق بعملية الإعداد بما فيها من جوانب أكاديمية، ومهنية، ومع أنها واحدة لكل المعلمين، إلا أن تأثيرها يختلف من شخص إلى آخر. ومن هنا فإن إعداد المعلم عملية مهمة ومعقدة.

وتبدو أهميتها فى أنه ليس بناقل للمعرفة فحسب، وإنما هو إلى جانب ذلك كيان إنسانى له مزاياه وعيوبه . وهو بكله محط أنظار - تلاميذه ، يلاحظونه ويتفحصونه ولو شاءوا لدخلوا أعماقه ، ليروه على حقيقته، لا تهمهم المادة العملية بداية، وإنما يهمهم كل جوانب حياته ما أسره منها ، وما أعلنه . ويبدو ذلك واضحا فى أن أول شئ يبادرون به مدرسهم معرفة اسمه لتصورهم أن معرفة الاسم يمثل المدخل الأول للتجول داخل هذه الشخصية ، ثم يأتى بعد ذلك الجانب المهنى منه . وإذا كان الابن يرى فى والده جوانب الكمال والقوة - فإن التلميذ كذلك بالنسبة للمعلم . ومن هنا فإن من يتصدى لمسئولية التدريس عليه أن يكون واعيا بخطورة هذه المسئولية ، وأبعادها.

ويبدو تعقيدها - أى عملية إعداد المعلم - من الناحية العلمية ، والمهنية - ناهيك عن الجانب الشخصى - فى أنه من المتعذر على أن يتفق جماعة من المتخصصين فى أى فرع من فروع المعرفة على المواد الضرورية لهذا التخصص أو ذاك . ولعل السبب فى ذلك يعود إلى :

أ – اختلاف الخلفية الثقافية لكل واحد من هؤلاء المتخصصين . فكل واحد من هؤلاء ، أو معظمهم يرى الخير كله فيما نشأ عليه ، وتعلم على أساسه . وهو حين يبدى رأيا ، فليس هذا الرأى نابعا من فراغ وإنما بالضرورة يقف وراءه تاريخه التعليمى ، وكل ما أحاط به من مؤثرات ؛ إذ ليس فى الإمكان أبدع مما كان . من وجهة نظره.

ب – اتساع دائرة المعرفة ، من حيث المواد المتخصصة ، والمهنية والثقافية . والاختيار من كل ذلك صعب ، لأن معايير الأخذ والترك من كل هذا وذلك أيضا ليست موجودة ، وإن وجدت فهى متشعبة بوجهة نظر أصحابها المتشيعين لها ، فضلا عن صعوبة تحديد هذا المعيار بدقة . ومهما قيل عن المهارة التدريسية لدى المعلم ، فإن ذلك لا يعفى من توافر المعرفة لديه . ففاقد الشئ لا يعطيه.

جـ - تنوع الميول والاتجاهات من هؤلاء الذين يستقبلون هذه المعرفة - على فرض الاتفاق عليها - وإيمانهم بها ، وتحمسهم لها ، لأن الميل ، أو الإيمان بجدوى تلك المعرفة هو المؤشر الأول لتحقيقها لدى المتعلم ، بل وتعميقها فى نفسه ، خصوصا تلك المعارف التى يترتب عليها تنمية الميول والاتجاهات ، والوجدانات.

د – انفتاح العالم بعضه على البعض الآخر ، بسبب زيادة الاتصال بين الأفراد والشعوب وامتزاج الثقافات بعضها بالبعض الآخر ، بحيث اختلطت الثقافة الأصلية مع الثقافة الدخيلة ، وحتى لو لم تختلط الثقافات لتعذر وضع حد فاصل بين ، أو ميزان دقيق يوازن بين الثقافة المحلية ، والثقافة الوافدة.

هـ - تزايد الموضوعات ، والقضايا التى تطرح نفسها على مدرس التربية الإسلامية ، وهو مطالب بالتعامل معها ، على الأمل من جهة طلابه . ورغم الصعوبات المتعددة التى تواجه القائمين على عملية إعداد المعلم ، فإن هذا لا يعفيهم من الاضطلاع بتلك المهمة، انطلاقا من المسئولية الاجتماعية للتربية ، لأن الحياة برمتها قوامها الإنسان الفاهم الواعى المدرك لدوره فى الحياة.

والتربية الإسلامية هى الأساس الأول والأخير لتربية الإنسان من حيث أنها تتعامل مع العقيدة الصحيحة التى ينطلق منها وإليها الإنسان فى كل زمان ومكان. فهى التى تملأ فراغ قلبه وتسيطر على جوارحه ، وتوجه سلوكه ، وتريح نفسه ، وتطمئنه على تصرفاته ، ويرى أنه يعيش بها ولها ، حيث هى هدفه وغايته.

وإذا كانت العقيدة بهذه الأهمية فإن الأفراد أو الجماعات لا تتردد فى أن تتخذ لنفسها

فلسفة ، أو أيديولوجية تكون الموجه الأول لهذا وتلك ، مهما كان قربها ، أو بعدها من الصواب ، أو الخطأ.

ويعنى بالفلسفة ذلك "المنهج العقلانى الواعى الذى يميز إدراك الفرد الإنسانى، ويرشده فى البحث عن الحقيقة ، وفى اتخاذ قرارات بناءه ، لتسيير حياته ، وتيسير سلوكه".

ويعنى بالأيديولوجية " مجموعة الأحكام والمبادئ والمفاهيم والممارسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية الفلسفية التى تتسق معا لتشكل إطارا عمليا ، وتنظيما للحياة اليومية لمجموعه من الناس ، أو أمة من الأمم.

ومن هذا المنطلق اتجه كثير من الدول إلى اتخاذ أيديولوجية ما ، تكون أساسا لمواطنيها ومحورا لهم ؛ ضمانا للولاء ، ونقطة التقاء لهم ، شعورا وفكرا ، وأملا ، ودفاعا عما تستهدف إليه تلك الدول . ولا أدل على ذلك من التجمعات الإقليمية الواسعة ، التى تتخذ لنفسها فلسفة خاصة ، توجه عملها ، وتعمل على نشرها بشتى الأساليب ، واكتساب أرض جديدة ، سواء على مستوى استقطاب الفكر ، أو احتلال الأرض . ومثال ذلك الكيان الصهيونى الذى اعتمد أول ما اعتمد على الدين ، واتخاذه عقيدة لبناء دولته ، وراح يرسخ هذه العقيدة - إن صدقا وإن كذبا - فى نفوس النشء ، من خلال التعليم الدينى وغير الدينى فضلا عن استغلال وسائل الإعلام المختلفة ، واستغلت التربية - باعتبارها أداة فعالة - فى تجسيد الأهداف السياسية للسلطة ، وحولتها إلى واقع عملى ، وممارسات فعلية فى شكل سلوكيات أفرادها ، واتجاهاتهم ، وميولهم ، وتوجهاتهم.

وهذه العقائد والأيديولوجيات فيها الصواب ، وفيها الخطأ ، لأنها تكونت باتجاهات وميول موجهيها ، وواضعيها . وتبرز العقيدة الإسلامية قوية صافية ، لأنها آخر ما نزل من السماء على محمد (ﷺ) وتحتاج إلى من يقدمها للناس عامة بقوتها ، وصفائها وخلوها من بصمات أى فرد مهما كان وضعه الاجتماعى والفكرى.

وإذا كان القرآن الكريم قد وصف المسلمين بقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران : ١١٠) فإن هذه الخيرية تستلزم رجالا من نوع معين ، اعدوا إعداد خاصا ليضطلعوا بتأصيل هذه الخيرية فى نفوس النشء ، وليبعدوا عن مسامع هذا النشء أضاليل الغير ، وأكاذيب العناصر المناهضة لهذا الدين ، فضلا عن حمايتهم من الدعايات المغرضة ، والأساليب المدسوسة.

وتقف الجامعة على رأس المؤسسات التربوية التى تعد - ضمن ما تعد - هؤلاء الذين يتصدون لتعليم النشء إذ أن وظيفتها "تنحصر فى التعليم ، والبحث ، ونقد المجتمع من أجل التغيير ، وعملية التأهيل الاجتماعى" .

ومعلم التربية الإسلامية واحد من هؤلاء الذين يلتحقون بالجامعة ، تؤثر فيهم ، وظائفها وكل ما يدور فى رحابها ، وتقوم كليات التربية بإعداد المعلم لمختلف المواد الدراسية ، ومنها بطبيعة الحال معلم التربية الإسلامية ، وتقدم له بعضا من المواد التخصصية ، وكذا مواد أخرى تساعده فى القيام بوظيفته ، إلا أن هذا المعلم لم يستطع تكوين الضمير الحى وإيقاظ مشاعر الدين فى الأجيال التى تتخرج على يديه كما أن المهارات اللازمة للمهنة قد أخطأت طريقها إلى معلم الدين واللغة ، ومدرسيهما ، لأن الدراسة فى كليات التربية لم تسلك سبيل النموذج والمحاكاة ،والتدريب المستمر . مما يتطلب إعادة النظر فى المواد الدراسية التى تقدم لهذا المعلم.

والعقيدة الإسلامية ليست من العقائد التى يمكن أن توضع فى مجال الاختبار لمعرفة مدى صلاحيتها لقيادة المجتمعات الإنسانية ، لأنها ليست وضعية ،ولا شارك فى وضعها أحد صفة الناس وإنما هى صادرة عن الحق تبارك وتعالى . وهى بهذه الصورة عقيدة نهائية لمن آمن بالإسلام ، واقتنع به ، ولذا يتحتم على من يتصدى لتدريس هذه العقيدة ، وما يتصل بها من تشريعات سماوية أن يكون قادرا على الوفاء بما تفرضه تلك العقيدة ، من إيمان وسعة ، وشمول، وقدرة على تقديمها للنشء فى صيغة مقبولة ، وفى إطارها السمح الأصيل .

وانطلاقا من ذلك فإن معلم التربية الإسلامية له أهمية خاصة فى العملية التعليمية . وربما ترجع هذه الأهمية للعوامل التالية :

١ - إن معلم التربية الإسلامية اكتسب أهميته من أهمية مادته ، حيث إنها ملازمة لكل إنسان وضرورية له ، وحتى لو نظر إليها أحيانا كمادة يمكن الاستغناء عنها بعض الوقت ضمانا لإنهاء مقرر مادة أخرى - فإن النظرة إليها لا يمكن أن تتغير . وحتى أيضا لو تساهل بعض المدرسين فى تصحيحها ، والنجاح فيها ، اعتمادا على أن التلميذ إذا كان لديه سؤال يتعذر فهمه ، أو الإجابة عنه فإنه يمكن أن يجد الإجابة عنه من مصادر متعددة من المسجد ، أو من بعض المهتمين بدراسة الدين - حتى لو تم ذلك فإن وضع التربية الدينية ثابت لا يتغير.

٢ – إن معلم التربية الإسلامية - كمتخصص - مصدر من المصادر التى يمكن الرجوع إليه ليس من قبل التلاميذ وحدهم ، بل من قبل بعض المدرسين الآخرين ، خصوصا إذا كان هذا المعلم يتمتع بسمعة طيبة فى الناحيتين: العلمية الدينية والخلقية . وهذا يحتم عليه أن يكون فى مستوى علمى يسمح له بأن يلبى حاجة من يلجأ إليه ، وتجاوز حدود المقررات الدراسية . وهذا ما يعول عليه فى بعد الإعداد الثقافى الذى يعتمد عليه عملية الإعداد.

٣ – أن معلم التربية الإسلامية يمثل القدوة الحسنة فى المدرسة ، من منطلق أن المادة العلمية التى يقوم المعلم بتدريسها ، إنما تترك بصماتها على مدرسها ، وبالتالى فإن معلم التربية الإسلامية - المفترض فى ذلك - أول من يطبق ما يقوم بتدريسه على نفسه.

٤ – أن معلم التربية الإسلامية زادت أهميته فى العصر الحاضر الذى اتجه فيه بعض الناس إلى الماديات ، والأخذ منها بالنصيب الأوفى الذى يتفق مع إمكاناتهم المادية ، ولكى يطمئنوا أن سلوكهم ليس منافيا للإسلام ، يرجعون إلى من يتوقعون عنده الإجابة الصحيحة . ومنهم بطبيعة الحال معلم التربية الإسلامية.

٥ – أن معلم التربية الإسلامية من وظائفه الأساسية غرس العقيدة الإسلامية لدى النشء مشاركا فى ذلك بعض المؤسسات التربوية الأخرى كما يقوم هذا المعلم بتنمية القيم والآداب والاتجاهات ، والميول ، والمعايير الخلقية التى تتفق مع هذا الدين الحنيف. ومعروف أن عقيدة الإسلام ضرورية لتربية النشء عليها ؛ لأنها ملاذ من لا ملاذ له.

٦ – أن بعض كليات التربية قد فصلت عملية إعداد معلم التربية الإسلامية عن إعداد معلم اللغة العربية مما يستدعى الوقوف أمام عملية الإعداد هذه ، والتركيز على الملامح الأساسية لإعداد هذا المعلم ، وقدرته على التعامل مع مادة التربية الإسلامية.

٧ – أن نظرة الناس إلى المعلم خريج الجامعة لا زالت تحظى باحترامهم وتقديرهم . وضعف هذا المعلم يترك آثاره على أولياء الأمور ، والمهتمين بالعملية التعليمية ، ويقلل الثقة فى جدوى المدرسة وفائدتها.

٨ – أن الساحة الإسلامية تتطلب اليوم معلما للتربية الإسلامية ، يتناسب وحجم التحديات التى تواجه الإسلام والمسلمين معا ، مما يحتم النظر فى الدراسات التى تقدم لهذا المعلم ونصيبها من الوفاء بهذا المطلب.

٩ – أن هناك انصرافا من بعض تلاميذنا وطلابنا عن حصة التربية الإسلامية . وقد يكون فى تحسين نوعية معلم هذه المادة ما يضمن رجوع هذا التلميذ إلى حصة الدين ، بل والإقبال عليها بحب ورغبة ، وما يترتب على ذلك من الميول إلى القراءة فيها ، والبحث عن الحلول الصحيحة لمشاكله ، من خلال مصادرها الأصلية.

١٠ – أن هناك تهاونا ما تجاه حصة التربية الإسلامية ، وقد يتغير هذا الاتجاه منها ؛ بسبب قوة معلم هذه المادة من الناحية العلمية والشخصية والمهنية.

١١ – إن الاتجاه العام يغلب عليه الاهتمام بالفرد من حيث تربيته وتعليمه قبل أى اعتبار آخر خاصة وأن هناك وجهة نظر تذهب إلى أن الكفاءة فى العمل ، والقدرة على القيام بالمهام المختلفة لتحقيق الإنتاج من شأنه أن يعود بنتائج طيبة على الطلاب ، بحيث يتحقق لهم الرضا والإشباع ، وهذا ما يتوقع تحقيقه لدى الطلاب ، الذين أسعدتهم ظروفهم المدرسية ليكونوا تحت يد مدرس كفء . قل من علمك ؟ أقل لك من أنت !

١٢ – أن هناك تحديات تفرضها الثورة العلمية التقنية ، مما يتطلب تحديث العقل البشرى الذى يتناول النشء بالتربية والتوجيه ، بحيث يصبح فى قدرته المواءمة بين العلم من ناحية ، والقيم الإنسانية المتضمنة فى عقيدتنا الإسلامية ، وثقافتها من ناحية أخرى . ومعلم التربية الإسلامية أولى بهذا التحديث .

١٣ – أن المدخل الأساسى لإصلاح التعليم ، ورفع مستواه ، ومستوى المجتمع من بعده يتمثل فى تنمية الأخلاق ؛ لأن الإنسان كائن روحانى قبل أن يكون كائنا ماديا . وإذا صلحت الأخلاق صلح المجتمع . والمردود منها مؤكد ، ولا خلاف عليه . وخلق المعلم ، والتزامه المهنى ، بداية إصلاح الأمة.

١٤ – أن الدراسات التى تقدم لمن يتصدون لتدريس التربية الإسلامية لم تسعفهم فى القيام بعملهم . وآية ذلك ما يشاهد فى فصول الدراسة بمدارس التعليم العام ، إذ يحجم عدد كبير منهم عن تدريس هذا الفرع ، وإذا اضطر إلى ذلك فإن أداءه يكون أقل من المطلوب ، بل ودون مستوى غيره من المعلمين الآخرين.

١٥ – أن هناك صحوة إسلامية ، ليس فى البلاد الإسلامية فحسب من حيث الاتجاه إلى الدين والرجوع إلى مصادره الأولى ، وإنما فى غير البلاد الإسلامية . وآية ذلك تلك الأعداد التى تقبل على هذا الدين عن رضا واقتناع ، وبدون تبشير مما يتطلب معلما للتربية الإسلامية يجارى تلك الصحوة ، ويتفاعل معها.

١٦ — أن ضعف معلم التربية الإسلامية يتعدى قطاعات عريضة من المتعلمين ، حيث تجد حملات التشكيك من المغرضين ضد الإسلام آذانا صاغيه ممن ليست لديهم مناعة كافية للوقوف أمام تلك الحملات ، أو القدرة على تفنيدها ، إذ لا يمكن أن يسمى التعليم تعليما إلا إذا ظهر أثره الإيجابى فى سلوكيات المتعلمين.

ب – علاقة معلم التربية الإسلامية ببعض من يعمل فى مجال التربية الإسلامية :

ليست التربية الإسلامية حقا موقوفا على معلم التربية الإسلامية بالمدرسة ، وإنما من حق كل مسلم يرى فى نفسه القدرة على التوجيه ، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، أن يمارس هذا العمل . ونظرا لأن مهنة التدريس لها مواصفاتها الخاصة ، فإن معلم التربية الإسلامية بهذه الخصوصية لا بد وأن ينفرد عن غيره ممن يمارسون هذا العمل. ولعل من أبرز من يتصدى للتربية الإسلامية ما يلى :

١ – معلم اللغة العربية.

تجدر الإشارة إلى أن معلم اللغة العربية كان ولا يزال هو القائم بتدريس التربية الإسلامية، وكانت عملية الإعداد لهذا المعلم يغلب عليها جانب اللغة العربية اللهم إلا فى بعض الكليات التى كانت ، ولا تزال - أيضا - تركز على العلوم الشرعية مثل: كلية أصول الدين ، وكلية الشريعة . وفى معظم الأحوال كان معلم اللغة العربية يقوم بتدريس التربية الإسلامية فى مدارس التعليم العام . وقد اتجهت بعض كليات - وهى معدودة - أخيرا فى السنوات القليلة الماضية إلى فصل معلم اللغة العربية عن معلم التربية الإسلامية فى عملية الإعداد . ولعلم ما استندت إليه تلك الكليات راجع إلى ما يلى:

١ — أننا نعيش فى عصر التخصص . والتركيز على الجانب التخصصى يعطى للدارس عمقا أكبر ، وقوة أكثر ، وبعدا أفضل فى توجيه مادته . خاصة أن مادة التربية الإسلامية مادة متشعبة ، وداخله فى كل مناحى الحياة . والتصدى لمواجهة التساؤلات التى تطرح من جانب التلاميذ يحتاج إلى كثرة من العلوم التى تخدم الجانب الشرعى . وهذا يتطلب معرفة بالكثير منها مثل: التفسير والحديث ، والقراءات ، والتجويد ، والفلسفة الإسلامية وغير ذلك مما يجعل معلم التربية الإسلامية ينطلق من أرض صلبة ، ولديه خلفية عريضة تسمح له بالتدريس بكفاءة واقتدار.

٢ – أنه لوحظ أن هناك ضعفا من بعض من يقوم بتدريس التربية الإسلامية ، وأن هذا الضعف لا يقف تأثيره على العملية التعليمية فقط ، وإنما يتعدى تأثيره إلى التلاميذ وسلوكياتهم ونظرتهم إلى دينهم ، وذلك من جراء ضعف هذا المعلم ؛ لأن ضعف المعلم فى مادته العلمية غالبا ما يؤثر على شخصيته ، وتعامله مع غيره ، حيث يبدو مهزوزا قليل الثقة بنفسه ، وبمن حوله.

٣ – أن وجود مدرس للتربية الإسلامية قد يقوى جانب اللغة العربية من حيث أن معلمها (أى اللغة العربية) سيصبح متفرغا لها، ومركزا على فروعها المختلفة، الأمر الذى يعطيه فرصة الاطلاع، والتمكن من مادته. ومن المعروف أن كثيرا من المدرسين يستاءون إذا أسند إليهم تدريس أكثر من صف دراسى، أو اكثر من مقرر، كأن يكون مطالبا بتدريس اللغة العربية، والتربية الإسلامية، أو اللغة العربية فى أكثر من صف وكذا التربية الإسلامية.

٤ – أن وجود معلم للتربية الإسلامية فيه إشعار للتلاميذ والطلاب بقيمة التربية الدينية ، فوق ما لها فى نفسه ، وأنها شأنها فى ذلك شأن أية مادة دراسية أخرى تتطلب متخصصا لديه الدراية الكافية ، والقدرات التى تمكنه من أداء عمله ، وفى الوقت نفسه تفند الفكرة التى قد تتبادر إلى الأذهان من أنها مادة يمكن لأى معلم أن يقوم بتدريسها، إذا ارتاد المسجد أو قرأ بعضا من كتب التراث، أو كان لديه ميل للخطابة، أو الوعظ.

٥ – أن وجود معلم متخصص للتربية الإسلامية يتيح الفرصة لعدد كبير من مدرسى اللغة العربية إلى الترقى فى وظائف أعلى ، نظرا للعدد الكثير من المعلمين الذين يطمعون فى الترقية الأدبية عن طريق استحداث وظائف مناظرة لذويهم ، لأن التقدير المادى ليس بميسور فى كل الحالات ، وفى كل الأماكن.

٦ – أن معلم اللغة العربية كان يساعده فى أدائه لتدريس التربية الإسلامية قدرته فى استخدام اللغة العربية، مما يمكنه من أداء تدريس التربية الإسلامية، وربما كان هذا التدريس ينصب أكثر على الجانب اللغوى.

ومهما يكن من شئ فإن معلم التربية الإسلامية مهما كانت مواده التخصصية فإن هذا لا يعفيه من أن يكون لديه قدرة لغوية تمكنه من التعامل مع تفسير القرآن الكريم والأحاديث النبوية، والتعبيرات اللغوية التى تحمل دلالات ومعانى بعيدة عن لفظها. ولعل

هذا الجانب يمثل أحد المخاطر الرئيسية التى تنجم عن المطالبة بمتخصص فى التربية الإسلامية ، لأن العلوم الشرعية على قدر أهميتها ، وضرورتها لهذا المعلم إلا أنها لا يمكن بأى حال أن تلغى الإعداد اللغوى له ، وكثير من معلمى هذه النوعية يتعذر عليهم الوقوف على الإبداعات اللغوية . ومعروف أن معلم التربية والإسلامية يكثر تعامله مع النصوص الدينية : سواء فى ذلك القرآن الكريم ، أو الحديث النبوى . وبقدر سرعته فى توليد المعنى ، واستنباط الأحكام ، وبيان القيم والآداب ، يرقى مستوى تدريسه ويرتفع مستوى المنتج التعليمى.

٢ – الواعظ:

يمكن القول إن محاولة الوقوف على الفرق بين الواعظ ومدرس التربية الإسلامية لا يستهدف التقليل من أحدهما ، أو كليهما بقدر ما يستهدف معرفة دور كل منهما ، وإبرازه بشكل يؤدى إلى تكامل الأدوار ، فضلا عن تحديده ، وإن كان التحديد القاطع بينهما ليس سهلا.

ويرجع تحديد الفرق بينهما إلى أن بعض معلمى التربية الإسلامية يمارسون تدريس هذه المادة و كأنهم وعاظ فى مسجد مع أنهما وسطان (المسجد والمدرسة) تعليميان مختلفان ولكل منهما دوره ووظيفته ، وبالتالى فإن دور كل من معلم التربية الإسلامية ، والواعظ ليس مختلفا. ولكن يكمل بعضه بعضا ، وكل منهما يقوم بالدور الذى يفرضه طبيعة عمله. ولعل من أبرز الفروق بينهما - وهى ليست حاسمة وقاطعة - ما يلى :

١ – أن معلم التربية الإسلامية عليه أن يستخدم أسلوبا لغويا يتلاءم مع هؤلاء التلاميذ المتجانسين : عمرا ، وخبرة ، ومستوى تعليما إلى حد ما . أما الواعظ فإنه يستخدم الأسلوب الذى يتراءى له ؛ نظرا لأنه يخاطب مستمعين مختلفين : عمرا وخبرة ومستوى تعليما ... الخ طالما رأى هو ذلك ، وأحس بفطرته أن هذا هو الأسلوب الملائم . وهذا الأسلوب مشتق - بطبيعة الحال - من خبرته مع المستمعين ، وشكل التفاعل بينهم.

٢ – أن معلم التربية الإسلامية عليه أن يبعد عن جانب الإلقاء ، لأن تلاميذه يتحتم عليهم المشاركة فى الحصة بالرأى ، أو الحوار ، أو المناقشة ، أو الأسئلة والأجوبة . أما الواعظ فإن أغلب عمله يعتمد على الإلقاء ، والخطابة . وندر أن يكون هناك حوار ، أو مناقشة.

٣ – أن معلم التربية الإسلامية مطالب بأن ينمى الجانب الفكرى لدى تلاميذه بجانب المعلومات المتضمنة فى الدرس . وهذه التنمية يتحتم فيها استخدام أسلوب الإقناع والاستقراء، والاستنباط، والملاحظة، وشتى العمليات العقلية التى يمكن أن تدخل فى الدرس ليشترك هذا المعلم مع غيره من معلمى المواد الدراسية الأخرى فى تنمية الجانب العقلى لدى التلميذ، بحيث يصبح سلوكا يمارسه التلميذ فى حياته، أما الواعظ فيمكنه أن يلجأ إلى ذلك، لكنه مطالب فى المقام الأول بتنمية الوعى الدينى لدى مستمعيه ، حتى لو لجأ إلى أسلوب الترغيب والترهيب ، وإذا استخدم المعلم ذلك الأسلوب فإنما يكون بقدر.

٤ – أن معلم التربية الإسلامية مقيد بمنهج دراسى معين لا يحيد عنه، وإن حاد عنه فإن ذلك لخدمة الموضوع المطروح، أما الواعظ - فى أغلب الحالات - فهو حر فى اختيار موضوعه، وله أن يتخذ من المداخل ما يشاء فى معالجة هذا الموضوع، وقد يشتط فى أن يحاول التأثير على المستمعين بوجهة نظره، التى قد تكون مخالفة لما عليه الناس، أما معلم التربية الإسلامية فهو مطالب بأن يفهم تلاميذه محتوى الكتاب المدرسى، حتى لو كان مخالفا لوجهة نظره هو .

٥ – أن معلم التربية الإسلامية يتعامل مع النشء ، سواء كانوا أطفالا أم مراهقين وهى السن التى تحاول المدرسة جعلها مخرجات تعليمية حسب ما وضعت من أهداف ، أما الواعظ فيتعامل مع كل الأعمار ولذا فإن كلامه أشبه بالعموميات التى تحتم على كل مسلم معرفتها ، أما التلاميذ فهم إلى جانب ذلك يتلقون بعض المعلومات الخاصة التى تميزهم عن عامة الناس.

٦ – أن معلم التربية الإسلامية يتعامل مع منهج دراسى بمعناه العلمى ، متضمنا الهدف والمحتوى والطريقة ، والوسيلة التعليمية ، والأنشطة الدراسية ، فضلا عن التقويم . أما الواعظ فلئن كان يعمل فى إطار خطة وضعتها وزارته ، أو وضعها لنفسه - فأغلب الظن أنها ليست ثابتة ثبوت المنهج المدرسى كما أنها إن خضعت للهدف فليست مطالبة بتحقيق بقية عناصر المنهج المدرسى.

٧ - أن معلم التربية الإسلامية يعمل ومعه خبرته ، وخبرة المتخصصين ممن يعملون بالتربية والتعليم ، أما الواعظ فعمله منطلق - غالبا - من خبرته الخاصة . وقد يستفيد من غيره.

ومعنى هذا أن معلم التربية الإسلامية تدعمه جهود الباحثين فى مختلف التخصصات التربوية لرفع كفاءة العملية التعليمية . وإزاء ذلك فهو يعدل ويغير ، ويبتكر ، ويقدم كل ما من شأنه استقطاب التلميذ إليه لصالح العملية التعليمية أما الواعظ فإنه فى غالب الأحوال - غالبا - يلتزم نمطا واحدا ، وإن عدل فيه فقليل.

٨ - أن معلم التربية الإسلامية يخضع للتقويم هو وتلاميذه فى نهاية كل عام ، أو فى أثنائه لتجنب معوقات العملية التعليمية ، أما الواعظ فإن خضع هو للتقويم فإن مريديه ومستمعيه لا يطالبون بشئ من ذلك ، وليسوا طرفا فى هذه العملية.

ومعنى ما سبق أن معلم التربية الإسلامية فى عملية تدريسه لهذا الجانب عليه أن ينوع أداءه بحيث يختلف عن الآداءات الموجودة فى المجتمع ، ومنها أداء الواعظ لا لأن أداء الواعظ غير مرغوب فيه ؛ وإنما لأجل أن يرى التلميذ فيه شيئا جديدا ، ليس مألوفا فى الوسائط التربوية الأخرى ، حينئذ يقبل التلميذ على حصة التربية الإسلامية ، كما يقبل على الخطيب الذى يميل إليه ويحبه ، وساعتها تتكامل الوسائط التربوية ، ويحس النشء أن لكل فى وسطه استمالته وإغراءه ، يكمل أحدهما ما نقص فى الآخر ، ويقدم أحدهما ما تراجع فيه الآخر . والجدوى النهائية رفع مستوى التلميذ و تحصيله.

ويمكن أن تترجم العلاقة بين مدرس التربية الإسلامية من جهة ومدرس اللغة العربية والواعظ من جهة أخرى إلى علاقة تكامل تدعمها مجموعة من الدراسات الضرورية هى: التفسير ، والحديث ، والتجويد والفلسفة الإسلامية ، والتاريخ الإسلامى واللغة العربية وطرق التدريس ، وأهم العمليات العقلية (علم نفس) والمناهج.

٣ - بعض الجوانب المهنية التى تتعلق بمدرس التربية الإسلامية .

لا شك أن العملية التعليمية وحدة متكاملة . وليست جوانبها منفصلة عن الأخرى. وبمقدار التفاعل الإيجابى - مثلا بين الرغبة فى تدريس التربية الإسلامية وبين المواد التى تدرس بمقدار ما يرتفع مستوى الأداء من المخرجات التعليمية . ومن هنا فإن هناك بعض الجوانب المهنية التى تؤثر على نوعية معلم التربية الإسلامية . ومنها ما يلى:

(أ) عزوف بعض الطلاب عن تدريس التربية الإسلامية .

تعد مهنة التدريس بصفة عامه من المهن التى يقل الإقبال عليها من الجنسين إذا ما قورنت بغيرها من المهن ، ويكون الإقبال أقل منها فى تدريس التربية الإسلامية . ولعل ذلك راجع إلى ما يلى:

١ – أن تدريس التربية الإسلامية فيه كثير من الالتزام الدينى ، والأدبى ، والاجتماعى . والمرء - بطبيعته - يحب - أحيانا - أن يتحلل من هذا الالتزام خاصة الشباب، الذين يخافون أن تبدر منهم بادرة سوء، فيؤخذ بها، أو يلام عليها، فضمانا للسلامة يؤثر البعد عنها ويكتفى بعلاقته بربه بعيدا عن قيود المهنة ، ومتطلباتها .

٢ – أن مدرس التربية الإسلامية يعد فى نظر الكثيرين قدوة تحتذى به . ولئن صدر منه ما يشين هذه القدوة ، ولو سرا - يوقع هذا المدرس فى صراع نفسى بين ما يقول، وما يفعل. فتجنبا لهذا الصراع ينأى بنفسه عن تدريس هذا الفرع.

٣ – أن تدريس التربية الإسلامية يتطلب مهارة خاصة فى استخدام اللغة العربية، فضلا عن فروع أخرى من فروع المعرفة الإنسانية . واللغة العربية ادعى عليها - زورا وبهتانا - أنها صعبة، والتمكن منها يبدو فى نظر الكثيرين ضرب من المستحيل، وكذلك الثقافة الخاصة التى يجب أن يتميز بها معلم التربية الإسلامية، وحسن استغلالها لصالحها . وهذه الصعوبة فى اللغة العربية، والثقافة الخاصة التى تمكن هذا المعلم من الرد على التساؤلات التى توجه إليه - تبعد بعض من يفكرون فى الانضمام إلى هذه الرسالة.

٤ – أن تدريس التربية الإسلامية ليس مصدر كسب مادى لمن يتصدى لتدريسها ، خاصة فى جانب الدروس الخصوصية بغض النظر عن شرعيتها من عدمه ، ومن المعروف أن كثيرا من الطلاب - إن لم يكن كلهم - يضعون أعينهم على التخصصات التى تدر عليهم مكسبا ماليا ما ، والتى تحظى بأهمية اكثر لدى القطاعات العريضة من الناس . وفى ظل الظروف الحالية ، وهى هبوط دخل المعلم، يضطر كثير من الشباب إلى الجرى وراء التخصص الذى يتوقع منه المكسب، داخل المدرسة ، وخارجها.

٥ – أن كثيرا من المدرسين يمكنه أن يرى أثر تعبه ، ومجهوده على تلاميذه ، كحل مسألة رياضية ، أو إجراء تجربة معملية ، أو ممارسة التفكير العلمى فى مشكلة يواجهها . حينئذ يشعر بالسعادة ، والاطمئنان إلى أن تعبه لم يذهب هباء . أما معلم التربية الإسلامية فأكثر ما يحسه هو حفظ الطلاب، أو بعضهم لآية قرآنية ، أو حديث نبوى ونادرا ما يرى سلوكا من جراء درس ما، وأعنى بالسلوك أن يطهر الإنسان نفسه من الأخلاق غير المثالية مثل حب الدنيا والجاه ، ومثل الحقد والحسد والكبر والبخل والعجب والكذب والغيبة والظلم ونحوها من المعاصى ، ويتصف بالأخلاق الحميدة مثل العلم والحلم والحياء والرضا والعدالة ونحوها.

صحيح أن جانب الوجدانات من الأهداف التربوية الأولى التى تسعى المدرسة إلى تعميقها ، وترسيخها لدى النشء ، لكن معلم التربية الإسلامية بشر يحب أن يرى أثر ما بذله من جهد فى التو والساعة ، شأنه فى ذلك شأن غيره من كثير من المدرسين ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ ﴾ (الأنبياء : ٣٧) ولكن هذا لا يمنع القول إن دعم الوجدانات والقيم - وهو مجال عمل معلم التربية الإسلامية - يتسامى على التعلم المعرفى ، والمهارى.

٦ - أن بعض الإدارات المدرسية لم تغير نظرتها داخل المدرسة إلى التربية الدينية بهدف تحقيق أعلى معدلات النجاح فى صفوفها ، فلو فرض أن عددا من الطلاب لم يذاكروا ، فرسبوا فيها ، اتخذت إدارة المدرسة كل الحيل لإنجاحهم ، وفى الجدول توزع على الحصص الأخيرة ، ويمكن استبدالها بحصة فى الرياضيات مثلا ، أو بضم فصلين فيها ، بغض النظر عن الالتزام بمعدل الفصل فى حجمه العادى ضمانا لعملية الاستيعاب ، ثم عملية التصحيح ، وما يصاحبها من تهاون لا يتحقق إلا فى هذه المادة . كل هذا وغيره يتم أمام التلميذ ، أو الطالب فيكبر ، وتظل هذه المواقف مرسومة أمام عينيه . حينئذ يستنكف هذا الطالب من الانضمام إلى أسرة معلمى التربية الإسلامية ، فيما بعد ، أو يفكر فيها اللهم إذا اضطرته الظروف لذلك.

٧ - أن تدريس التربية الإسلامية يتطلب بالدرجة الأولى حفظا للقرآن الكريم كله أو بعضه وأضعف الاحتمالات أن يكون قادرا على قراءة القرآن الكريم بالطريقة الصحيحة . ويبدو أن ذلك ليس متوافرا كثيرا ، خاصة بعد أن أقفلت الكتاتيب أبوابها واتجه فقهاؤها إلى تحفيظ القرآن الكريم فى المؤسسات التربوية التى تهتم بتحفيظه ، اعتمادا على أن هناك مرتبا ثابتا من تلك المؤسسة ، وترتب على ذلك نقص حفاظ القرآن الكريم بصفة عامه وباتوا أقل كفاءة ، وأغلب الظن أنهم ليسوا على درجة من الكفاءة كما وكيفا مع نظرائهم فى الكتاتيب . وإذا كان هذا وضع حفظ القرآن الكريم فإن من يقبل تدريس التربية الإسلامية يتردد كثيرا فى قبول هذه المهنة.

(ب) أبرز مهارات معلم التربية الإسلامية :

يعد تدريس التربية الإسلامية من أصعب عمليات التدريس فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية ، ذلك لأن المعارف الإنسانية يمكن تقسيمها حسب مراحل نمو التلميذ ، بحيث يتسنى لهذا التلميذ مجاراة المادة العلمية من حيث الفهم والاستيعاب ، ولا حرج فى هذا

التقسيم ، كما لا ضرر فى تأخير جانب معرفى فترة من الزمن ، أما التربية الإسلامية فهى تتعامل فى الأعم الأغلب مع المجردات ، والغيبيات ، وهى - على سبيل المثال - لا يمكن أن نرجئ تعليم الطفل الصدق ، أو الأمانة - وهى جوانب مجردة - إلى السن الذى يسمح له باستيعاب هذه المعانى وتلك القيم.

وليس معنى ذلك أن تقسيم موضوعات التربية الإسلامية بحسب مراحل النمو ليس أمرا واردا ، ولا موضوعا فى الحسبان ، وإنما له اعتباره ، بدليل أن العبادات - مثلا - موزعة على الصفوف الدنيا ، لارتباطها أكثر بالحواس من حيث الركوع والسجود ، وقراءة بعض آيات القرآن . أما الجانب الروحى المترتب على إقامة الصلاة ، والصوم .. الخ فيأتى تبعا لتقدم التلميذ فى السن ، وينمو تدريجيا ، وكذلك بالنسبة لاكتساب القيم المصاحبة لأداء العبادات.

ومن هنا فإن معلم التربية الإسلامية يحتاج إلى عدة مهارات كى يمارس عمله بجودة وإتقان ، ولعل من أهم هذه المهارات ما يلى :

١ - القدرة على قراءة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية قراءة صحيحة.

٢ - القدرة على تمثل الآيات القرآنية فى أثناء القراءة ،وكذا الحديث الشريف.

٣ - القدرة على إخراج الحروف من مخارجها الأصلية.

٤ - القدرة على فهم المعنى الإجمالى للآية القرآنية والحديث النبوى.

٥ - القدرة على ربط أول الآية بآخرها.

٦ - القدرة على بيان علاقة المفردات ، والجمل بعضها البعض.

٧ - القدرة على ربط الآية بسبب نزولها.

٨ - القدرة على توجيه الأحكام فى الآيات: العقدية والشرعية ، والاجتماعية ، والقيمية وكذلك فى الحديث النبوى.

٩ - القدرة على تذوق الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية.

١٠ - القدرة على بيان أسرار المفردات ، والجمل ومعانيها.

١١ - القدرة على التوفيق بين الآيات التى يتوهم أن بينها تعارضا.

١٢ - القدرة على التوفيق بين الأحاديث التى يتوهم أن بينها تعارضا.

١٣ - القدرة على التوفيق بين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى يبدو أن بينها تعارضا.

١٤ - القدرة على إدراك العلاقة بين آيتين ، أو حديثين، أو آية وحديث بينهما اتصال فى المعنى.

١٥ - القدرة على التمييز بين الأحكام الشرعية ، والمعايير الخلقية وغيرهما.

١٦ - القدرة على ربط العقيدة بالآيات القرآنية ، والحديث النبوى.

١٧ - القدرة على الاستعانة ببعض المظاهر الكونية لدعم القضية التى يعالجها.

١٨ - القدرة على ربط بعض المواقف الحياتية بالقضية الدينية التى يعالجها.

١٩ - القدرة على ربط العبادات والمعاملات بالناحية العملية.

٢٠ - القدرة على إدراك المعنى القريب والبعيد للآية القرآنية ، والحديث النبوى.

٢١ - القدرة على ربط المعنى الحقيقى بالمعنى المجازى.

٢٢ - القدرة على بيان العلاقة بين الآية القرآنية والحديث النبوى ، والعكس من حيث العموم والخصوص والإطلاق والتقييد والتفصيل والإجمال ... الخ.

٢٣ - القدرة على الرجوع إلى بعض التفاسير المشهورة لتوضيح المعنى المراد ، لكى تفتح الطريق أمام الطالب إلى الإبداع.

٢٤ - القدرة على التمييز بين الحديث الصحيح وغيره.

٢٥ - القدرة على توجيه تدريس السيرة النبوية ، وسير الأعلام من المسلمين للهدف المطلوب.

٢٦ - القدرة على التعامل مع المسائل الفقهية ، وربطها بالواقع.

٢٧ - القدرة على التركيز على النمط القيمى المطلوب.

٢٨ - القدرة على التميز بين القيمة الصحيحة التى تتفق مع الإسلام ، وبين غيرها.

٢٩ - القدرة على توصيل المعلومات بسرعة ودقة.

٣٠ - القدرة على توجيه الطلاب إلى المصادر التى يجدون فيها حلا لمشاكلهم الدينية.

٣١ - القدرة على تقديم القضية مقرونة بالدليل.

٣٢ - القدرة على توليد المواقف بما يخدم تدريس التربية الدينية.

ولابد أن يفهم مدرس التربية الإسلامية أن هذه المهارات ، ليست هي المهارات النهائية ؛ وإنما إلى جانب ذلك لابد أن يتقن مهارات كل فرع على حده ؛ لأن ذلك أدعى إلى كمال عمله.

جـ - تدريس المنهج العلمى .

إذا كان العلم ما هو إلا المنهج الذى نتناول به الظاهرة المراد دراستها سواء أكانت بيولوجية ، فيزيائية ، إنسانية ، تاريخية ، اقتصادية ... الخ بهدف الكشف عن المتغيرات التى تحكمها بغية الوصول إلى القانون العلمى الذى يتحكم فى الظاهرة موضوع الدراسة فإن معرفة معلم التربية الإسلامية بأصوله وفنياته أمر ضرورى ، حيث يتأكد لديه المنهج الفكرى الناقد.

إن هجوم الثقافات الأجنبية - والمعادية فى أغلب الأحيان - قد أدى من جملة ما أدى - إلى شيوع بعض المفاهيم الخاطئة. ومهارة استخدام الأسلوب العلمى يساعد معلم التربية الإسلامية على تنقية الأفكار الدينية من هذه المفاهيم، واستبعاد أساليب الدجل والشعوذة والأفكار الخاطئة ، لأن الدين متى تحقق عقيدة وسلوكا ، صافيا خالصا كان من أكبر الدعامات التى تحول دون انتشار تلك الثقافات الدخيلة ، والتى قد تجد لها مكانا فسيحا فى غياب استخدام الأسلوب العلمى فى عملية التدريس.

ومعنى ذلك أن استخدام الأسلوب العلمى مفيد للمعلم والمتعلم على السواء ، لأنه لغة العصر فى الحوار والمناقشة والتخاطب.

د - تدريس العلوم التربوية والنفسية .

أصبحت الدراسات التربوية والنفسية فى عصرنا أمرا ضروريا للمعلم ، إذ أنها توقف هذا المعلم على أحدث الأساليب التربوية وطرق التدريس فيها ، كما يستعين بعمليات الإرشاد النفسى فى التعامل مع تلاميذه ، وليس من سبيل إلى استبعادها لأنها خبرات سابقة ، ودراسات أثبتت نجاحها ، فضلا عن أنها تشعر التلميذ بأن معلمه يعيش عصره ، ويدرك ما وصل إليه المتخصصون فى ميدان التربية وعلم النفس .

ويتصل بهذا الجانب دراسة أخلاقيات المهنة بجوار ما يقدم من توجيهات عامة حول مهنة التدريس ، لأن معلم التربية الإسلامية ... له وضع خاص بين سائر المعلمين تحدده طبيعة هذه المادة. ومن ثم ينبغى أن توضح له هذه الأخلاقيات ، ونغريه بالتخلق بها ، حتى يكون قدوة صالحة فى السلوك الدينى ، والالتزام اللغوى: فكرا ونطقا ، قولا وعملا.

ومعنى ما سبق أن الجانب المهنى يحتم على معلم التربية الإسلامية دراسة اللغة العربية ممارسة وتجويدا وحفظ القرآن الكريم: كله، أو بعضة ، والمناهج وطرق التدريس ، والتفسير والحديث ، والفقه ، والأخلاق ومنهج البحث واستخدام الأسلوب العلمى ، وعلم النفس.

٤ – الواقع الحالى لدراسات مدرس التربية الإسلامية:

أثبتت بعض الدراسات أن غالبية معلمى التربية الإسلامية ، واللغة العربية ، دون المستوى من حيث المهارات اللازمة للقيام بعملهم ، سواء فى الجانب العلمى ، أو الجانب المهنى.

وبطبيعة الحال فإن جزءا من دونية هذا المستوى يرجع إلى المواد الدراسية التى تقدم لهذه النوعية من المدرسين.

ويمكن أن نأخذ الخطة التى طبقت فى إحدى الدول العربية للدراسات الإسلامية مثلا للحكم بها على مستوى طلاب هذا التخصص ، إذ عدد الساعات المعتمدة كما يلى :

١٥ متطلبات جامعة (عربى ، إنجليزى ، ثقافة إسلامية).

٣٧ متطلبات كلية ٤ساعات معتمدة اختيارية. ← ٢٣ساعة معتمدة إجبارية (مفردات تربوية). ← ١٤ ساعات معتمدة اختياريه.

٥١ متطلبات تخصص رئيسى إجبارى.

٩ متطلبات تخصص رئيسى اختيارى.

٢١ متطلبات تخصص فرعى اختيارى.

١٣٣ المجموع.

وتبدو الملاحظات على تلك الخطة كما يلى :

أولا : جانب اللغة :

تبدو موضوعات النحو غير كافية ، بحيث لا تمكن معلم التربية الإسلامية من استخدام الفصحى فى تدريسه حتى وإن استخدمها ، فإنه لا يتمكن من معرفة أسرار تلك التركيب النحوية ... ومعروف أن هذا المعلم يتعامل أكثر مع النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية وهذا ما يلاحظ بوضوح فى طلاب التربية العملية فى هذا التخصص . وفضلا عن ذلك فإن هذا الطالب جاء من الثانوية العامة وخلفيته ضعيفة فى النحو.

ومعنى هذا أنه زاد ضعفا على ضعفه ، مما لا يتوقع منه المهارة فى عمله.

يقول عمر بن الخطاب - (ﷺ) - تعلموا العربية فإنها من دينكم ، وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم . ويقول ابن جنى : إن أكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد فيها ، وحاد عن الطريقة المثلى إليها ؛ فإنما استهواه واستخفف حلمه ضعفه فى هذه اللغة الكريمة الشريفة ، التى خوطب الكافة بها.

وتبدو البلاغة أو (التذوق البلاغى) علما قائما على غير أساس . فمحتوى هذا العلم يتضمن قراءة نماذج من الشعر القديم ، أو الحديثة ، وتذوقها بلاغيا ، مع أن هذا الطالب لم يدرس البلاغة القديمة ، أو الحديثة بالمستوى الذى يمكنه من تذوق ما يقرأ . وبالتالى فإن هذه القراءات مجهود ضائع ، لأنه لا يستند إلى خلفية بلاغية تسمح له بالقراءة التذوقية لما أعد له وهو تذوق القرآن الكريم ، وفصاحة رسول الله (ﷺ) من خلال أحاديثه الشريفة . ويعتمد هذا التذوق على جانبين أساسيين هما : الإلمام بالمباحث النحوية والبلاغية أولا ، ثم زيادة الجرعة من الجانب التطبيقى ثانيا.

وما يسرى على اللغة العربية يسرى على اللغة الإنجليزية . صحيح أنه ليس مطلوبا من معلم التربية الإسلامية أن يكون متمكنا منها ولكن على الأقل لديه أساسياتها ، لأنه لو أحب أن ينمى نفسه بعيدا عن الجامعة وأساليب التدريس لكانت عملية الانطلاق فيها أسرع ، مما لو كانت خلفيته فيها ضعيفة ، حين يبدأ من الصفر.

ثانيا : الجانب التخصصى :

يمكن القول أن المواد التخصصيّة تساعد معلم التربية الإسلامية على القيام بوظيفته إذا تم ما يلى :

١ - حفظ نصف القرآن أو ربعه موزعا على المستويات الأربعة ، حتى يتعود هذا الطالب على قراءة القرآن ونطقه نطقا صحيحا.

٢ - الاستعانة ببعض كتب التفسير القديمة التى تجمع بين تفسير المعنى وتفسير اللفظ والجملة حتى يتسنى للطالب فهم المعنى مقرونا بالإعجاز اللفظى فيه ، وقد يتلاشى الضعف اللغوى ، بسبب أن هذه الكتب تكثر من التعامل مع اللغة ، الأمر الذى يتم تدريب الطالب عليه من كثرة التكرار ، إلى جانب الاستعانة ببعض التفاسير الحديثة ، التى يمكن أن تتناول بعض المسائل العصرية ، التى لا غنى عن الإلمام بها.

٣ - الإكثار من التدريبات والتطبيقات العملية ، لأن الممارسة تعزز النظر ، وتنمى عملية التفكير لدى الطالب . والتدريب على الشئ خير معين على تجويده وإتقانه.

٤ - التزام أعضاء هيئة التدريس بالمحتوى المحدد للمادة ، لأن ما هو موجود مراعى فى عملية الإعداد ، وبالتالى فإن استبدال ما هو متاح لدى عضو هيئة التدريس بالمحتوى أمر ليس فى صالح الطالب.

٥ - إدماج بعض المواد التى تقدم لهذا الطالب بعضها البعض وذلك يفيد فى جانبين :

أ – التقليل من عدد المواد التى يتعامل معها الطالب ، وقد يترتب على ذلك تجويده لها

ب – تجنب التكرار الحاصل فى بعض المواد.

٦ - التقليل من المواد التى تجنح إلى تاريخ العلم ، والتعويض عنها ببعض المواد المعاصرة التى تفيد فى مجال تدريس التربية الإسلامية.

ثالثا : التخصصات الفرعية الاختيارية :

يمكن أن تخفض الساعات فى بعضها إلى النصف ، بهدف التركيز على المواد التخصصية وإتاحة الفرصة للثقافة العامة لأن رسالة الجامعة اليوم لم تعد قاصرة على القيام بالدراسات الجامعية وحدها ، بل اتسعت لكى تشمل مهام جديدة تستهدف النهوض بالمستوى العلمى والثقافى لأبناء المجتمع بصفة عامة ، وعلى اختلاف مستوياتهم العلمية ، وإتاحة الفرصة لاستمرار العملية التعليمية لهم للنهوض بمستواهم العلمى والتقنى.

ومعنى ما سبق أن الدراسات التى تقدم لطالب شعبة الدراسات الإسلامية هى: النحو والصرف والبلاغة ، واللغة الإنجليزية ، وتحديد عدد معين من أجزاء القرآن الكريم لحفظها بحيث تكون موزعة على المستويات الأربعة ، ثم التدريبات والتطبيقات العملية ، وكذا تقليل المواد الدراسية عن طريق الإدماج ؛ لاستبعاد التكرار . ولابد أن تخضع تلك المواد وغيرها إلى التطوير والتقويم أولا بأول ، لأن سنة العلم قوامها المراجعة والمتابعة من خلال ما يسفر عنه الجانب الميدانى.

د – دراسة دور الجامعة فى إعداد معلم التربية الإسلامية .

درجت المؤسسات التربوية فى العالم العربى فى تخطيطها على جعل هذا التخطيط يتم على فترات محددة ، بهدف رفع مستوى التعليم ، والنهوض به .

ولما كان التعليم الجامعى يتحمل - ضمن ما يتحمل - عبء إعداد المدرسين للمرحلة الابتدائية - فإن هذا يتطلب الوقوف - باختصار - على طبيعة التعليم الجامعى ودوره وأثر ذلك على عملية إعداد معلم التربية الإسلامية من خلال ، المواد التى تساعده على أداء وظيفته ويمكن بيان ذلك فيما يلى :

١ - أن مهمة الجامعة التعليمية يجب أن تكون دائما ، وفى كل مكان إنسانية أساسا لتضطلع بالقيم الروحية والمعنوية الثابتة ؛ لأنها هى التى تجعل من تاريخ الإنسان شيئا مختلفا تماما عن تاريخ الحيوان وهذه الصفات والقيم الثابتة مثل: الحب والبغض والسلام والحرب والنظام والفوضى ، والفضيلة والرذيلة ، والعدالة والظلم ، والجمال والقبح ، والقانون والولاء . وجميع سائر القيم هى التى ميزت حياة الإنسان منذ عهد آدم وحواء ، وهابيل وقابيل.

وهذا يعنى أن مهمتها التأكيد على بعض الأهداف الأساسية لوجود الإنسان ، كما أن عليها أن تتفق على طرق ووسائل تحقيق هذه الأهداف.

٢ - أن الجامعة اليوم هى مصدر التقدم العلمى ، والتطور التكنولوجى المعاصر ، ومعنى هذا أن التعليم أصبح يتحمل مسئولية تمكين المجتمع من تحقيق هذين الأساسين اللذين ترتكز عليهما حضارة الإنسان فى عصر الثورة العلمية الحالية . ويتطلب هذا حماية الجامعة من الإصابة بتصلب شرايين العملية التعليمية بأكملها حيث تعمل حسابا لتضاعف المعرفة كل خمس عشرة سنة ، والموازنة البسيطة بين التخصص والشمول فى المعرفة وتهديد التكنولوجيا بالتهام الإنسانية ، والتضارب فى القيم التى تمارس يوميا باسم الأولويات المريعة الالتواء.

٣ - أن تتركز البرامج التعليمية على استغلال المعرفة لخدمة القيم مثل مشكلات معرفة الطريقة المثلى لتنمية الإمكانيات الكامنة فى الفرد ، وكيفية الكشف عن القيم فى المجتمعات والوصول إليها ، ومعرفة الطريقة التى يصل الناس بها إلى اتفاق فى العمل المشترك ، وكيف نرقى بالتقدم فى المعرفة ، وكيف نجعل كرامة الإنسان هدفا واضحا للتصرفات الأخلاقية بدلا من جعلها اصطلاحات للتلقين ، أو التضليل ، كما تشمل وظائف الجامعات الحاجات الاقتصادية ، والقيم الثقافية ، والتخطيط السياسى ، والمعرفة العلمية والدراسية والحكمة الأخلاقية.

ومعنى ما سبق أن الجامعات تتحمل مسئولية إعداد الإنسان من جانبين أساسيين هما

الجانب الروحى والجانب المعرفى . فالجانب الروحى هو ما يميز الإنسان عن الحيوان والجانب المعرفى مراعى فيه كمه المتزايد ، والتخصص فى الجانب منها ، ولكن يلاحظ أن المناهج الجامعية ليست مجرد المواد الموضحة فى دليل الجامعة ، بل هى ما يحصله الطالب فعلا من الأستاذ ومن البيئة الجامعية ، وغيرها ، بدليل أن هناك منشآت علمية وفكرية ، وثقافية خارج الإطار الجامعى ، قد تكون مستواها أعلى مما هو موجود فى الجامعة ومع ذلك فإنه لا يمكن إقامة حاجز بينها وبين الطالب الجامعى ، ولذا فإن التأهيل لا يتم داخل الجامعة فقط ، بل يعتمد اعتمادا كبيرا على الدرجة التى يكون قد وصل إليها الطالب من حيث الإعداد الفكرى والتحصيل العلمى ، والتثقيف والتربية قبل دخوله الجامعة.

وإذا كان من مهام الجامعة الأولى - سواء اليوم ، أو غدا ، و بعد غد - أن تضطلع بالقيم الروحية والثوابت التى تميز الإنسان عن الحيوان ، وإذا كانت التكنولوجيا تهدد القيم الإنسانية ، وإذا كان حجم المعرفة يتزايد باستمرار ، وليس من سبيل إلى حصره ، أو إيقافه وإذا كان العالم الذى يعرف كل شئ ، والمفكر الشمولى الذى يدلى برأيه فى كل مجالات المعرفة قد اختفى ، وحل محله المتخصص الذى يستطيع أن يقوم بدور الشريك الفعال فى التعلم ، كما يقدر على تقديم الإجابات المرضية عن الأسئلة التى يثيرها طلبته - فإن ذلك كله يمكن أن يحدد الإطار الذى يتحرك فيه معلم التربية الإسلامية ، وهذا الإطار يبرز من خلال الوظيفة الأساسية له وهى قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ (النحل : ١٢٥).

ولعل مما يستفاد من هذه الآية ما يلى :

١ — ادع : وهى تتطلب رغبة شخصيه وحبا للعمل فى المجال . الذى ارتضاه لنفسه.

٢ — سبيل ربك : دين الله وشرعه ، لا سبيل غيره ، ولا دين سواه. وهذا يتطلب المعرفة الكاملة بجوهر هذا الدين وحقيقته (توحيد ، تفسير ، حديث ، فقه مقارنة أديان ، لغة).

٣ - بالحكمة : وهى تتطلب معرفة النفس الإنسانية ، والوقوف على تراث الإسلام والمسلمين بماله وما عليه (تاريخ إسلامى ، فلسفة ، مواد تربوية).

٤ - والموعظة الحسنة : وهى تتطلب ثقافة عامة ، وقدرة على الحديث ، وفراسة فى الداعية ليستقطب بها من يدعوه ، ويدخل من خلالها إلى قلبه.

٥ – وجادلهم بالتى هى أحسن : وتتطلب قدرة على الإقناع مما يحتم دراسة الفلسفة ، والمنطق واللغة وغيرها من المواد التى تعين على الجدل ، والحوار ، والمناقشة .

ويتطلب هذا كله قياس الجانب الشفهى لدى هذا الطالب ، ويساعده فى ذلك علم التجويد إذ يعوده على إخراج الحروف من مخارجها ، وجودة النطق وحسن الأداء ، كما يتطلب قياس قدرة الطالب على الاستيعاب ، والإلقاء والنطق ، والمناقشة ، والخطابة ، لأن عملية الإعداد هذه ليست خاصة به فى كونه مدرسا فقط داخل جدران المدرسة وإنما الإعداد هنا للمجتمع ولمختلف جوانب الحياة فيه.

ويمكن بلورة دور الجامعة فى عملية إعداد مدرس التربية الإسلامية فى إنها أى الجامعة تقدم له العلوم الأساسية فى نطاق تخصصه ، وبعضا من العلوم الأخرى التى تساعده على القيام بأداء عمله ، وهذا وذاك يعد نقطة انطلاق لهذا المدرس ، بحيث يمكن أن يحل مشكلاته العلمية بنفسه، وأن يتعهد نفسه بالتنمية عن طريق القراءة والاطلاع ، بحيث لا يتخلف عن عصره مواكبا لمتطلبات تلاميذه ، قادرا على استيعاب ما يدور فى أذهانهم.

٥ – الخلاصة :

فى ضوء ما سبق كله يمكن الخروج بالدراسات اللازمة لمدرس التربية الإسلامية وهى كما وضحت فى تلك الدراسة.

أولا : مواد تخصيصية :

١ - اللغة العربية (نحو ، صرف وبلاغة) لأن التعرض لدراسة القرآن الكريم ، والحديث النبوى ، لا يتأتى بدون الوقوف على المفتاح الأول للتعامل معهما وهو اللغة. والتركيز هنا على النحو ، والبيان والبديع والمعانى ، ثم بعد ذلك قراءة التذوق.

٢ - اللغة الإنجليزية ، لأن تحديات العصر تفرض على مدرس التربية الإسلامية أن يكون على مستوى هذا العصر ، وفضلا عن ذلك يفضل من يكتب عن الإسلام بلغة أخرى أن يكون متخصصا فيه ، لا أن يكون هاويا.

٣ - التوحيد : وهو صلب هذا الدين وأساسه . وهو تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور فى الإفهام ، ويتخيل فى الأوهام والأذهان ، أو هو معرفة الله تعالى بالربوبية والإقرار له بالوحدانية ، ونفى الأنداد عنه جملة وتفصيلا.

٤ - التفسير : وليست العبرة بالكثير منه بقدر ما فيه من نموذج ، ومنهجية .

٥ - الحديث : بشرط إلا يقل عددها عن ٢٠٠حديث ، فى المرحلة الجامعية.

٦ - الفقه : ويتضمن العبادات ، والمعاملات ، والمواريث ، والحدود ، بشرط تخليصه من المسائل الفقهية غير المتوقعة.

٧ - مصطلح الحديث : ويكفيه ساعة واحدة فى مستوى واحد.

٨ - مقارنة الأديان بشرط أن يتصل بأساسيات هذا العلم.

٩ - التاريخ الإسلامى ، لأنه الوعاء الذى يتضمن معظم هذه المواد ، وكذا التاريخ الإنسانى.

١٠ - الفرق والمذاهب الإسلامية.

١١ - الفلسفة الإسلامية.

١٢ - التجويد : ويدرس منه المعالم الأساسية بشرط ألا يزيد عن ساعة واحدة.

١٣ - أصول التشريع الإسلامى.

ثانيا : مواد مهنية :

١ - مناهج وطرق تدريس.

٢ - أصول تربية.

٣ - علم نفس.

٤ - تربية مقارنة.

٥ - مناهج بحث.

٦ - تخطيط وإدارة.

٧ - تعليم التفكير.

ثالثا : مواد ثقافية :

وهى ليست مقيدة بمنهج معين ، وإنما يكلف الطلاب بقراءة أحدث ما أخرجته المطابع من كتب إسلامية ، وليكن كتابا ما ، يكون محورا للحديث والمناقشة ، يتعلم الطالب فيها المناقشة وعرض الرأى والرأى الآخر ، واحترام وجهات نظر الآخرين ، والوقوف على ماله ، وما عليه

المقترحات :

ليست المواد الدراسية وحدها هى المتغير الوحيد الذى يضمن سلامة الأداء من معلم

التربية الإسلامية ، وإنما هناك اعتبارات أخرى تدخل فى صميم العملية التعليمية وتساعد على رفع مستوى الأداء لهذا المعلم ، ويمكن أن تصاغ هذه الاعتبارات فى شكل مقترحات أبرزها ما يلى :

أ - اختيار العناصر المتوسطة على الأقل ؛ لأنه فى الواقع لا يقبل على هذا التخصص إلا النوعيات ضعيفة المستوى من الناحية العملية ، أو التى لم تقبل فى التخصصات الأخرى . والقليل منها هو الصالح.

ب - الرغبة الشخصية من الطالب فى أن يعمل مدرسا للتربية الإسلامية عن حب واقتناع.

جـ - صرف مكافأة مالية لهذا المدرس ، ليس من قبيل الإعانة ؛ وإنما من قبيل التعويض له عما كان يمكن أن يكسبه من الدروس الخصوصية ؛ إذ الإعانة إهانة لشخصه.

د - استحداث وظائف أدبية يمكن أن يشغلها هذا المدرس ؛ رفعا لروحة المعنوية.

هـ - التزام هيئة التدريس بالجامعة بمفردات المقرر المفروض ، والبعد عن تدريس بعض الإنتاج العلمى ، إلا إذا كان هذا الإنتاج معالجا لمفردات المقرر معالجة شاملة وشافية.

و - خضوع البرامج الدراسية للتقييم المستمر ، وتنفيذ نتيجة التقويم ، خاصة جانبى التكرار المشترك ، الأمر الذى يمكن أن يحدث اهتزازا لدى الطالب ، إزاء دراسة المواد ، التى يظهر فيها مثل هذا التكرار.

ز - الاهتمام بربط الجانب النظرى بالواقع المعاش . والمواقف الحياتية - وما أكثرها - مليئة بما يمكن أن يعزز الجانب النظرى ، ويؤكد القيمة الحقيقية للدراسة.

ح - الاهتمام بدراسة بعض الحضارات الإنسانية الأخرى ، والتركيز على جوانب القوة والضعف فيها ، والإفادة من كل ، من منطلق الآية الكريمة ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (آل عمران : ١٤٠).

ط - تضمين هذه المقررات ، بعضا من مواقف وأراء بعض المستشرقين وبعضا من المشكلات الدينية الملحة ؛ بحيث يكتسب الطالب من خلالها المراس ، والفكر والحرية.

ى - الاهتمام بالتعليم الثانوى ، وما قبله ؛ لأنه كما يهئ الطالب لدخول الجامعة فهو يهيؤه للاندماج فى الحياة ، ومعايشة عالمة الصغير والكبير.

ك - التدريب على استخدام الإنترنت ، وكيفية التعامل مع المادة المعروضة ، والإفادة منها فى مجال الدراسات الإسلامية.

٦ – عوامل نجاح التربية الإسلامية :

يمكن أن تحقق التربية الإسلامية أهدافها إذا توافر ما يلى :

١ - أن تتوحد اتجاهات مؤسسات التربية إزاء ما هو مقبول ، وما هو مرفوض ، بناء على أصول الإسلام وعقيدته ، ثم تترك الوسائل لاتخاذ كل مؤسسه ما تراه مناسبا لها ، ولإمكاناتها . فليس يعقل أن يسمع النشء ، أو يرى سلوكا ما ، تقرر فى ذهنه فى بيته ، ثم يذهب إلى المدرسة ، ويرى ما ينافيه ، أو يسمع ، أو يرى شيئا فى المدرسة ثم تقر وسائل الإعلام ما يخالفه.

ومعنى هذا أن يكون هناك تنسيق بين تلك المؤسسات ، حتى لا يحدث خلط بين ما هو صحيح وما هو خطأ.

٢ - أن يكون لدى المعلم استعداد طبيعى لأن يتقبل نمط التربية الإسلامية بحيث يطمئن إلى أن ما يقدم إليه من تربية إنما هى لصالحه ، ولصالح مجتمعه ، وفوق هذا تقربه من ربه.

٣ - أن يكون المربى أسوة حسنة : مظهرا ومخبرا ، حتى يحس النشء بصدق التوجيه ، وأمانة الكلمة ،وخالص النصيحة ،ولان ما كان من القلب وصل إلى القلب ، وما كان من اللسان لم يتعد الآذان.

٤ - أن يتم استعراض المناهج الدراسية على أى مستوى من مستويات التعليم ، ويحذف منها ما يتعارض مع الدين . يتساوى فى ذلك العلوم الإنسانية ، العلوم الطبيعية ، لأن كليهما يؤثر فى النشء.

٥ - أن تقوم وسائل الإعلام المختلفة بحملات إعلامية تستهدف توعية الناس إزاء الأنماط السلوكية المرغوبة ، وغير المرغوبة ،ثم تقوم السلطات المسئولة بتنفيذ ذلك ، لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن . فليس من المعقول أن يرى النشء بعض السكارى فى الشارع ، وليس هناك من يعترض عليه ، ثم نطلب من النشء الإيمان بأن شرب الخمر حرام ، مع أن مواقف تقريرية شاهدها النشء بنفسه فى المجتمع.

٦ - أن يكون هناك قناعة من كل الناس بأن تنفيذ شرع الله يعلو على أى مصلحة ، مهما

كان العائد منها ، لأن إصلاح النفس البشرية ، والتزامها بحدود الله يتوقف عليه إصلاح كل المفاسد والقضاء على كل صنوف المخالفة أيا كانت مالية ، أو خلقية ، أو سلوكية ... الخ.

٧ - أن يكون هناك دقة فى اختيار العناصر التى تتصدى لتدريس التربية الإسلامية ، وهى عملية متاحة الآن فى ظل وفرة المدرسين ، حتى فى كل التخصصات ؛ لأن المدرس هو صاحب التأثير الأوفى على طلابه.

٨ - أن تكون مفردات المقرر الدراسى وليده دراسة علمية متأنية ، يراعى فيها مطالب الطلاب ، وحاجاتهم الأساسية من التربية الإسلامية . ومعروف أن التربية الإسلامية فيها العلاج الموضوعى لكل أمراض النفس البشرية ، وليست محل خلاف من أحد.

٩ - أن تخدم مفردات المقرر الدراسى فى التربية الإسلامية الأهداف العليا للمجتمع ، ولا تهتم بالمواقف المؤقتة ، شأنها فى ذلك شأن أى مجتمع يحافظ على وحدته وتماسكه. ومعلوم أن اليهود ينشئون أولادهم على أن " الحياة اليهودية فى فلسطين لم تنقطع منذ أيام الرومان - على حسب زعمهم - إلى العصور الحديثة ، وأن دوله الكيان هذه أنشئت فى بلاد قطنها المحتلون والغزاة العرب حوالى ١٣٠٠سنه وأن عودة المهجرين اليهود من كافة أنحاء العالم ، وتوطينهم فى فلسطين تحت ستار العودة إلى أرض الوطن التاريخى ، ليس باعتبارهم غرباء عن هذه الأرض ، بل باعتبارهم سكانها الأصليين الذين ظلوا بعيدين عنها طول العهود السابقة.

١٠ - أن يستوفى منهج التربية الإسلامية كل عناصره الأساسية ، ولا يركز على جانب التحصيل فقط لزيادة أعداد الناجحين ؛ وإنما يتناول بقية العناصر ؛ ليكون المردود محصلة للمنهج ككل ، ومدعاة لاستمرار تعلم المتعلم ، والاعتماد على ذاتيته ، فيما بعد. ومعلوم أن التعلم الذاتى أصبح أمرا ضروريا يعول عليه في إعداد الفرد فى مختلف الأنشطة الإنسانية.

هذا وبالله التوفيق

المراجـــع

١ - القـرآن الكـريم.

٢ - السنة المطهـرة.

٣ - إبراهيـم محمد عطا ، طرق تدريس التربية الإسلامية ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٨م.

٤ - ____________ ، دور الآباء والأمهات فى دعم المنهج المدرسى للأطفال القاهرة : جامعة الأزهر ،المؤتمر الدولى للطفولة فى الإسلام ،٩ -١٢/١٠/١٩٩٠م.

٥ - ____________ ، مهارات مدرس التربية الإسلامية فى تدريس القرآن الكريم بالمرحلة الثانوية بالجمهورية اليمنية القاهرة : دراسات فى المناهج وطرق التدريس ، نوفمبر ١٩٩٠م.

٦ - ____________ ، مدخل تناول مادة التوحيد من خلال القرآن الكريم ، القاهرة : دراسات تربوية ، المجلد السادس ، الجزء ٣٤ ١٩٩١م.

٧ - ____________ ، تصور مقترح لإعداد مدرس التربية الإسلامية فى مصر، القاهرة : مجلة كلية التربية ، جامعة الأزهر ، العدد ٣٥، ١٩٩٣م.

٨ - ____________ ، أمية المرأة فى ضوء المعوقات التى تواجهها، القاهرة: مؤتمر المجلس العالمى لتعليم الكبار ١٩٩٤م.

٩ - ____________ ، نحو تصور مقترح لإيجاد بديل عن تصنيف بلوم مستمد من الحضارة العربية والإسلامية ، الفيوم : المؤتمر العلمى الثانى ، كلية التربية جامعة القاهرة ، ٢٣-٢٤/١٢/١٩٩٥م.

١٠ - ____________ ، المناهج بين الأصالة والمعاصرة ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ٢٠٠٣م.

١١ - إبراهيم الوزير ، " الصراع العالمى قائم بين قوى الخير والشر وليس صراعا دينيا" ، الحج والعمرة ، جدة ، السنة ٥٧ ، العدد الخامس ، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.
١٢ - أبوبكر بافادر ، الرؤية المتبادلة بين الإسلام والغرب من زاوية إناسية ، بيروت : شئون الأوسط خريف ٢٠٠٢م.
١٣ - أبوعبد الله الزنجانى ، تاريخ القرآن ، بيروت : مؤسسة الأعلى للمطبوعات ط٣، ١٩٦٩م.
١٤ - أبو الأعلى المودودى ، نظرية الإسلام وهديه فى السياسة والقانون والدستور ، ترجمة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٥م.
١٥ - ________ ،مناهج إسلامية حول الدين والدولة ، الكويت : دار القلم ، ١٩٧٧م.
١٦ - أبى زكريا الدمشقى ، رياض الصالحين ، بيروت : دار الجبل ، د.ت.
١٧ - أحمد حسين اللقانى ، المناهج بين النظرية والتطبيق ، القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٨٢م.
١٨ - أحمد زكى صفوت ، جوهرة خطب العرب ، جامعة القاهرة : مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ، ١٩٦٢م.
١٩ - أحمد عبد العزيز و عبد السلام عبد الغفار، علم النفس الاجتماعى، القاهرة: دار النهضة العربية ، ١٩٧٢م.
٢٠ - أحمد فتحى سرور ، استراتيجية تطوير التعليم فى مصر ، القاهرة : مطابع الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية ، ١٩٨٧م.
٢١ - أحمد المهدى عبد الحليم ، " نحو صيغة إسلامية للبحث التربوى ، رسالة الخليج العدد الثالث ، السنة الثامنة ، ١٤٠٨هـ /١٩٨٧م.
٢٢ - إسماعيل محمد حسن ، " نظرات إسلامية فى التربية " رسالة التربية ، السنة الأولى، العدد الثانى ، ج.ع.ل.
٢٣ - الافتتاحية ، من يمثل الموقف الإسلامي الصحيح ، البيان المدينة المنورة: السنة ١٧ ، العدد١٧٣ ، إبريل ٢٠٠٢م.
٢٤ - أوليفية ربول : فلسفة التربية ، (ترجمة : جهاد نعمان) بيروت : منشورات عويدات ، ١٩٨٦م.

٢٥ - بدران أبوالعينين ، الشريعة الإسلامية تاريخها ونظرية الملكية والعقود ، الاسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ، د.ت.

٢٦ - تشالز فرانكل (محرر) ، نظرات فى التعليم الجامعى (ترجمة: محمد توفيق رمزى، وحسن جلال العروسى) القاهـرة : دار المعرفـة ، ١٩٦٣م.

٢٧ - ثيودورم هبرج ، المؤسسة التقليدية وموقف الجامعات تجاه الحقائق المعاصرة ، دور الجامعات فى عالم متغير (ترجمة : عبد العزيز سليمان ، وإبراهيم مطاوع) القاهرة : مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، ١٩٧٥م.

٢٨ - جابرعبد الحميد جابر ، التعلم وتكنولوجيا التعليم ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٩م.

٢٩ - جامعة صنعاء ، دليل الكلية (القسم الادبى) دمشق : مطبعة الكاتب العربى ، ١٩٨٤م.

٣٠ - جميل صليبه ، المعجم الفلسفي ، بيروت:الشركة العامة للكتاب ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م.

٣١ - جهاد قلعجى ، الإسلام أقوى ، بيروت دار الكتاب العربى ، د.ن.

٣٢ - جون ديوى ، المبادئ الأخلاقية فى التربية (ترجمة: عبد الفتاح جلال) القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م.

٣٣ - جيمس و.بوتكن وآخرون ، التعليم وتحديات المستقبل ، (ترجمة : عبد العزيز القوصى) القاهرة : المكتب المصرى الحديث ، ١٩٨١م.

٣٤ - حامد عمار ، مداخلة فى ندوة الرزى المستقبلية للتعليم العربى ، القاهرة : مستقبل التعليم فى الوطن العربى بين الإقليمية والعالمية ، ٢٠-٢١/٤/١٩٩٦م.

٣٥ - حسام الدين القدسى ، الفروق اللغوية للإمام الأديب اللغوى أبى هلال العسكرى ، القاهرة : دار زاهد القدسى ، د.ت.

٣٦ - حسن الشرقاوى ، نحو منهج علمى إسلامى ، القاهرة : دار المعارف، ١٩٧٨م.

٣٧ - دينيس تشايلد ، علم النفس والمعلم (ترجمة : عبد الحليم محمود السيد وآخرين) القاهرة مؤسسة الأهرام ، ١٩٨٣م.

٣٨ - رأي المجتمع ، "التحديات التى تستوجب وحدة الصف واتحاد الكلمة"، جدة ، المجتمع ، العدد ١٥٣٣، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٣٩ - رشدى أحمد طعيمة ، وحسين غريب " الكفاءات التربوية اللازمة لمعلم التعليم الأساسى " لدراسة تقويمة ، مؤتمر التعليم الأساسى ، الحاضر والمستقبل ، كلية التربية الفنية ، جامعة حلوان ، ١٠-١٢/١٢/١٩٨٦م.

٤٠ - رضوان السيد ، أين تقع مشكلتنا مع القيام ، المدينة المنورة ، الحج والعمرة ، السنة ٥٧ العدد الثانى ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٤١ - رفيقة سليم حمود ، تعليم الإناث فى الوطن العربى ، الإنذار والمعوقات ، القاهرة : مستقبل التعليم فى الوطن العربى بين الإقليمية والعالمية ، ٢٠-٢١/٤/١٩٩٦م.

٤٢ - روجيه جارودي ، وعدو الإسلام (ترجمة : ذوقان قرنوط) القاهرة : مطبعة مدبولي ١٩٨٤م.

٤٣ - رونالد. هايما ، طرق التدريس (ترجمة : إبراهيم محمد الشافعي) الرياض : مطابع جامعة الملك سعود ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٤٤ - سامى عزيز ، لغة أطفالنا هل تعرفها ؟ الطفل العربى والمستقبل ، الكويت : مطبعة حكومة الكويت ، الكتاب الثالث والعشرون ، ١٩٨١م.

٤٥ - سراج محمد وزان " الكفايات النوعية لمعلم التربية الإسلامية بالمرحلة المتوسطة فى المملكة العربية السعودية "، رسالة ماجستير، كلية التربية ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٣م.

٤٦ - ________ ، " تقويم مناهج التربية الإسلامية بالمرحلة المتوسطة فى المملكة العربية السعودية " رسالة دكتوراه ، كلية التربية، جامعة عين شمس ، ١٩٨٢م.

٤٧ - سعد الدين إبراهيم ، " مشروع استشراف مستقبل الوطن العربى " مركز دراسات الوحدة العربية ، بحث مقدم إلى " ندوة الرؤى المستقبلية للتعليم فى الوطن العربى " البحرين ، ٣-٥ تشرين أول / أكتوبر ١٩٨٧م.

٤٨ - سعيد إسماعيل على ، نشأة التربية الإسلامية ، القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧٨م.

٤٩ - سلوى رمضان محمد ، " التربية الخلقية فى الإسلام " رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة المنوفية ، ١٩٨١م.

٥٠ - سيد أحمد عثمان ، المسئولية الاجتماعية والشخصية المسلمة دراسة نفسية تربوية ، القاهرة : الأنجلو المصرية ، ١٩٧٩م.

٥١ - سيد قطب ، العدالة الاجتماعية فى الإسلام ، القاهرة : دار الشروق، ١٩٧٥م.

٥٢ - ___________ ، فى ظلال القرآن ، الجزء الأول ، القاهرة : دار الشروق.

٥٣ - صالح عبد العزيز ، التربية وطرق التدريس ، الجزء الثانى ، الطبعة التاسعة ، القاهرة : دار المعارف ، د.ت.

٥٤ - صبحى الصالح ، الإسلام والمجتمع العصرى ، بيروت : دار الآداب ، ١٩٨٣م.

٥٥ - طلعت رميح ، هروب النخبة من الدول الإسلامية إلى الغرب ، البيان المدينة المنورة ، العدد ١٨٥-٢٠٠٣م.

٥٦ - عباس محمود العقاد ، يوميات -٢ ، الطبعة الثامنة ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٩م.

٥٧ - ___________ ، إسلاميات ، المجلد الخامس ، بيروت : دار الكتاب اللبنانى، ١٩٧٤م.

٥٨ - ___________ ، إسلاميات -٢ المجلد السادس ، دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٧٤م.

٥٩ - ___________ ، إسلاميات -٣ المجلد السابع ، دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٧٤م.

٦٠ - ــــــــــــ ، الفلسفة الإسلامية المجلد التاسع ، دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٧٨م.
٦١ - ــــــــــــ ، العقائد والمذاهب ، المجلد الحادى عشر، دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٧٨م.
٦٢ - ــــــــــــ ، ما يقال عن الإسلام ، بيروت : المكتبة العصرية ، د.ت.
٦٣ - عبد البارى الندوى ، الدين والعلوم العقلية ، (تعريب : واضح رشيد الندوى) بيروت : دار ابن جزم ، ١٩٨٨م.
٦٤ - عبد الخالق علام وآخرون ، رعاية الشباب مهنة وفن ، القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٢م.
٦٥ - عبد الرحمن بن الجوزى ، لفتة الكبد فى نصيحة الولد ، بيروت : المكتب الإسلامى ، ١٩٨٥م.
٦٦ - عبد الرحمن بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، بيروت : دار القلم ، ١٩٨٦م.
٦٧ - عبد الرحمن الجمهور ، التعليم الإسلامى فى الغرب ، البيان المدينة المنورة ، السنة ١٧، العدد ١٧٣ – ١٤٢٣-٢٠٠٢م.
٦٨ - عبد الرحمن حبنكة الميدانى ، أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها ، بيروت ، دار القيم ، ١٩٨٠م.
٦٩ - عبد الفتاح القاضى ، البدور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة ، القاهرة : مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ، ١٩٥٥م.
٧٠ - عبد الصبور شاهين ، " تربية الشخصية المسلمة " دراسات تربوية ، المجلد ٣ ، الجزء ١٣ ، يوليو ١٩٨٨م.
٧١ - عبد العزيز بن عثمان التويجرى ، مواجهات التحديات التى تواجه الإسلام ، القاهرة ، محاضرة بالمركز الثقافى المصرى ، ٢٠٠٣/٣/١٤م، التجديد ، العدد ٦٢٤.
٧٢ - عبد العزيز القوصى ، أولادنا بين التعليم والتعلم " مجموعة أحاديث " القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٥م.
٧٣ - عبد العظيم منصور ، كلمة الله الأخيرة ، القاهرة : مطابع الأهرام التجارية ، ١٩٧٤م.

٧٤ - عبد العليم إبراهيم ، الموجه الفنى لمدرسى اللغة العربية ،القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٨م.

٧٥ - عبد الله عزام ، العقيدة وأثرها فى بناء الجيل ، القاهرة : دار الاعتصام ،١٩٧٧م.

٧٦ - عبد الكريم اليقاتى ، " التربية الفنية " ، المعلم العربى ، العدد الرابع ، السنة العاشرة ، ١٩٥٧م.

٧٧ - عبد اللطيف الجوهرى ، الإسلام والمسلمون فى أمريكا : مجلة الحج ، المملكة العربية السعودية و السنة ٥٦ الجزء١٢٠١١ جمادى الآخر ١٤٢٢- أغسطس وسبتمبر ٢٠٠١م.

٧٨ - عبد المجيد الزندانى وآخرون ، كتاب توحيد الخالق للصف الثانى من المرحلة الثانوية، وزارة التربية والتعليم اليمنية، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٧٩ - عبد الملك عودة وآخرون ، الثقافة الإسلامية ، بيروت : دار التنوير للطباعة والنشر ، ١٩٨٦م.

٨٠ - عبد المنعم المليجي ، تطور الشعور الدينى عند الطفل والمراهق ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٥م.

٨١ - عبده عباس الوليدى ، المجموع المفيد فى علم التجويد ، ج.م.ع ، المنصورة : مكتبة المنارات للنشر والتوزيع د.ت.

٨٢ - على الجمبلاطى ، دراسات مقارنة فى التربية الإسلامية ، القاهرة الانجلو المصرية ، ١٩٧٣م.

٨٣ - على حسب الله ، أصول التشريع الإسلامى ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٤م.

٨٤ - على حسين البواب ، التمهيد فى علم التجويد ، الرياض : مكتبة العارف ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

٨٥ - على خليل مصطفى أبو العينين ، " الفكر التربوى الإسلامى ، مصادرة ، معطياته، حركته " ، العدد السابع عشر ، السنة السادسة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٨٦ - على عبد العظيم ، " الدين ضرورة حتمية " مجلة الأزهر ، العدد الثانى عشر ، السنة الثالثة والخمسون ، أكتوبر ١٩٨١م.

٨٧ - علي يوسف نور الدين ، "الاستشراق والاستغراب" دراسة نقدية ، بيروت شئون الأوسط ، خريف ٢٢٠٠.
٨٨ - عماد الدين خليل ، فى النقد الإسلامى المعاصر ، الطبعة الأولى ، بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٣م.
٨٩ - ____________ ، مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٣م.
٩٠ - ____________ ، حول إعادة تشكيل العقل المسلم ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥م.
٩١ - فؤاد البهى السيد ، علم النفس الاجتماعى ، القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٨٠م.
٩٢ - فؤاد زكريا ، خطاب إلى العقل العربى ، سلسلة فصلية تصدرها مجلة العربى ، الكتاب ١٧، ١٩٨٧م.
٩٣ - فاروق منصور ، " القرآن منهج للدين والعلم " التربية ، العدد التاسع والسبعون، سبتمبر ١٩٨٦م.
٩٤ - فتحى الديب ومحمد صلاح الدين مجاور ، المنهج المدرسى ، الكويت : دار القلم، ١٩٧٧م.
٩٥ - فتحى على يونس وآخرون ، اساسيات تعليم اللغة والتربية الدينية ، القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٨١م.
٩٦ - ____________ ، وآخرون ،اللغة العربية والدين الإسلامى فى رياض الأطفال والمدرسة الابتدائية ، القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر ،١٩٨٤م.
٩٧ - ____________ ، وآخرون ،دراسة الوسائل المساعدة فى تعليم القرآن الكريم للمبتدئين ، عمان: وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية ، ١٩٨٤م.
٩٨ - فيفيان رولاند شير ، كفاءات الحد الادنى فى التعليم الثانوى " مستقبليات ، المجلد السابع عشر ، العدد الأول ، ١٩٨١م.
٩٩ - فيليب كومز ، أزمة العالم فى التعليم من منظور الثمانينات (ترجمة : محمد خيرى حربى وآخرون) الرياض : دار المريخ للنشر ١٩٨٧م.

١٠٠. المجالس القومية المتخصصة ، مصر ٢٠٠٠ هياكل وأنماط التعليم الجامعى وتطوير التعليم الجامعى فى مصر ، ١٩٨٠م.
١٠١. مجدى حسن ، علم النفس الاجتماعى ، القاهرة : أوفست ، ١٩٨٩م.
١٠٢. محاسن رضا أحمد ، " برمجة المواد العليمية لمحو الأمية وتعليم الكبار " ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٧م.
١٠٣. محمد أمين المفتى ، سلوك التدريس ، القاهرة : مؤسسة الخليج العربى ، ١٩٨٤م.
١٠٤. ________ ، مستوى الكفايات التدريسية لدى معلمى الرياضيات بالمرحلة الإبتدائيه ، وأثرها على تحصيل تلاميذهم " المؤتمر الأول ، المدرسة الابتدائية ، الأسماعيلية ، ٢٤-٢٦/٩/١٩٨٨م، المجلد الأول.
١٠٥. محمد البهى ، الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ، القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٧٥م.
١٠٦. محمد تقى فلسفى ، الطفل بين الوراثة والتربية ، (تعريب : فاضل الحسينى الميلانى) بيروت : دار المعارف للمطبوعات ، ١٩٨٧م.
١٠٧. محمد جمال الدين الفندى ، الله والكون ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦م.
١٠٨. محمد حسنى مبارك ، خطاب الرئيس أمام مجلس الشعب والشورى ، ١٤/١١/١٩٩١م.
١٠٩. محمد حسنين هيكل ،" هوامش على زيارة برابين للقاهرة وما بعدها " ، الأهرام ، القاهرة ، العدد ٣٧٥٤٥، ٢٤/٩/١٩٨٩م.
١١٠. محمد زياد حمدان ، المنهج اصوله وأنواعه ومكوناته ، السعودية : دار الرياض للنشر والتوزيع ١٩٨٢م.
١١١. محمد شحات حسين الخطيب ، " التعلم الذاتي الجماعي بين النظرية والتطبيق، رسالة الخليج العربي ، العدد ٢٠ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
١١٢. محمد صالح سمك ، فن التدريس للغة العربية والتربية الدينية ، القاهرة : الانجلو، ١٩٦٩م.

١١٣. محمد صلاح الدين مجاور ، تدريس التربية الإسلامية أسسه وتطبيقاته التربوية، الكويت : دار القلم ، ١٩٧٦م.

١١٤. محمد ضياء الدين الريس ، النظريات الساسية فى الإسلام ، القاهرة : الأنجلو ، ١٩٦٠م.

١١٥. محمد عبده ، رسالة التوحيد ، القاهرة : دار المعارف ، د.ن.

١١٦. محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩م.

١١٧. محمد عبده ، رسالة التوحيد ، القاهرة : دار المعارف ، د.ت.

١١٨. ________ ، تفسير المنار ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣م.

١١٩. ________ ، دروس من القرآن ، بيروت : دار احياء العلوم ، ١٩٧٧م.

١٢٠. محمد عثمان نجاتى ، علم النفس والحياة ،الكويت : دار القلم ١٩٩٢م.

١٢١. محمد عبد المنعم خفاجى ، الإسلام والحضارة الإسلامية ، بيروت : دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٧٣م.

١٢٢. محمد عماره ، صورة الإسلام فى الخطاب الغربى ، الوطن ، المملكة العربية السعودية ، العدد ٨٨٥ السنة الثالثة ، ٣/٣/ ٢٠٠٣م.

١٢٣. محمد علوى المالكى ، مفهوم التطور والتجديد فى الشريعة الإسلامية ، جدة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٢٤. محمد فؤاد عبد الباقى ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، القاهرة : دار الحديث ، ١٩٨٨م.

١٢٥. محمد الغزالى ، مع الله دراسات فى الدعوة و الدعاة ، القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ١٩٧٦م.

١٢٦. محمد قطب ، دراسات فى النفس الإنسانية ، القاهرة : دار الشروق، ١٩٧٤م.

١٢٧. محمد قدرى لطفى ، معلم التربية الإسلامية واللغة العربية تصور مقترح لتدريبه وتنمية مهاراته ، تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٨٦م.

١٢٨. محمـــد منـــير مرسى ، التربية الإسلامية أصولها وتطورها فى البلاد العربية ، القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧٧م.
١٢٩. محمـــــد ناصـــــر ، قراءات فى الفكر التربوى ، الجزء الأول ، الكويت : وكالة المطبوعات ، ١٩٧٧م.
١٣٠. محمد يوسف موسى ، الإسلام وحاجة الإنسان إليه ، القاهرة : دار الفكر العربي ١٩٦١م.
١٣١. محمود رشدى خاطر ، تعليم اللغة والتربية الدينية ، الطبعة الرابعة ، القاهرة : مطابع سجل العرب ١٩٨٥م.
١٣٢. محمود زين العابدين محمد عبد اللطيف ، هداية الحيران فى بعض أحكام تتعلق بالقرآن ، المدينة المنورة : مكتبة دار الفجر الإسلامى ، ١٤١٩هـ — ١٩٩٨م.
١٣٣. مصطفى صادق الرافعى ، الإسلام ومشكلات العصر ، بيروت : دار الكتاب اللبنانى ، د.ت.
١٣٤. ـــــــــــــــ ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، بيروت : دار الكتاب اللبنانى ، د.ت.
١٣٥. مصـــطفى فهمـــى ، سيكلوجية الطفولة والمراهقة ، القاهرة : عالم الكتب ١٩٨٠م.
١٣٦. المعلم بطرس البستانى ، محيط المحيط ، قاموس مطول للغة العربية ، بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨٧م.
١٣٧. الملتقى الثقافى الأول بالسودان ، المسلمون والمتغيرات ، إلى أين ؟ البيان المدينة المنورة : السنة ١٧، العدد ١٨١، ١٤٢٣هـ — ٢٠٠٢م.
١٣٨. مهيمـــن عبد الجبار ، التعليم الأجنبى ، البيان المدينة المنورة : العدد ١٧٥ — ٢٠٠٢م.
١٣٩. نبيـــل مـــــــرى ، العبقرية ، تاريخ الفكر (ترجمة: محمد عبد الواحد محمد) الكويت : عالم المعرفة .

١٤٠. نصـــــر مقـــــابلة ، "العلاقة بين سلوك المعلم ودرجة تأثيره في التحصيل الأكاديمي للطلاب". المجلة العربية للتربية ، العدد الأول ، مارس ١٩٨٨م.
١٤١. وليـــام جيمـــــس ، احاديث للمعلمين والمتعلمين ، (ترجمة : محمد على العريان) القاهرة ، عالم الكتب ١٩٨٠م.
١٤٢. وزارة التربية والتعليم ، قانون التعليم العام ، صنعاء : الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٧٤م.
١٤٣. ـــــــــــــــ ، دراسات فى تطوير التعليم ، القاهرة : مطابع الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية ، ١٩٨٧م.
١٤٤. يحيى هاشـــم فرغل ، حقيقة العلمانية بين الخرافة والتخريب ، القاهرة : دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨٩م.
١٤٥. يوسف القرضـــاوى ، الخصائص العامة للإسلام ، القاهرة : مكتبة وهبة، ١٩٧٧م.
١٤٦. ـــــــــــــــ ، المبشرات بانتصار الإسلام ، بيروت : الدار الشامية ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م.
١٤٧- Carter ,v. Cood. (١٩٤٥) Dictionary of Education. New york:
١٤٨- Chplin J , (١٩٦٨) dictionary of pasychology
١٤٩- Skeel , D.(١٩٧٠) the Challenge of Teaching Soial Studies in Elemenetary School